

السيد علي عاشور

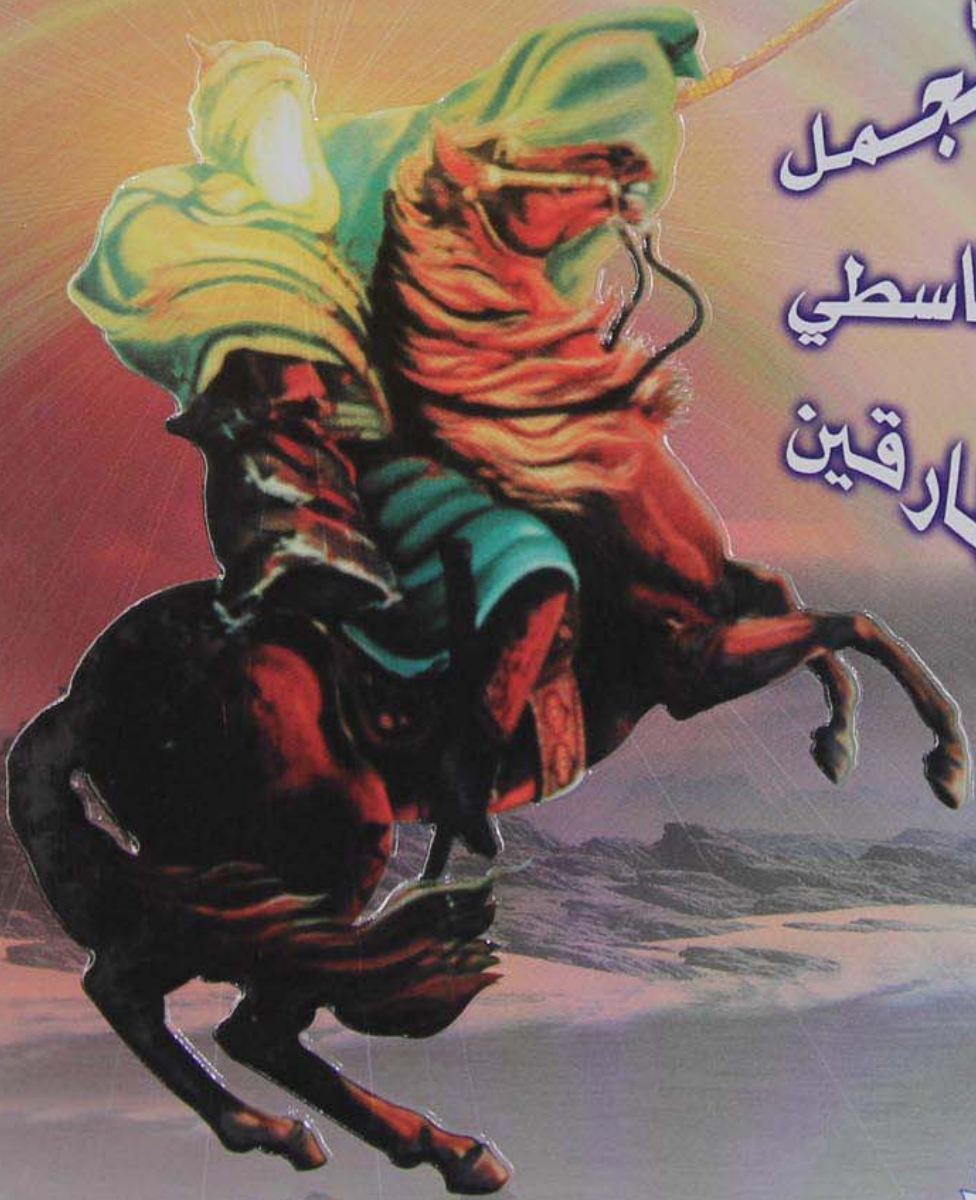
عليه السلام

حروب علي

مسير الجمل

حرب القاسطي

مذبذبات المارقين





www.haydarya.com

حروب علي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م



ISBN : 978-9953-545-55-4

للطباعة والنشر والتوزيع

دار الصَّفْوَة

بيروت - يترو سعيد - خلف محطة دياب (الأيتام) - ص.ب : 25/91 الغبيري
فاكس : 55 29 00 (+ 9611) - هاتف : 27 49 42 (+ 9611) - 800 149 (+ 9613)

E-mail : dar_asafwa@hotmail.cm

السيد علي عاشور

حروب علي عليه السلام

حرب الجمل

حرب القاسطين

حرب المارقين في النهروان



دار الصفوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تحذير النبي من محاربة الإمام

- ١ - قال رسول الله ﷺ : حرب عليّ حرب الله، وسيلم عليّ سيلم الله (١).
- ٢ - عنه ﷺ : ولاية عليّ بن أبي طالب ولاية الله، وحبّه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأولياؤه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسيلمه سيلم الله عزوجل (٢).
- ٣ - عنه ﷺ - لعليّ ﷺ :- قاتل الله من قاتلك، وعادى من عاداك (٣).
- ٤ - عنه ﷺ : يا عليّ، حربك حربي، وحربي حرب الله (٤).
- ٥ - عنه ﷺ : حربك - يا عليّ - حربي، وسيلمك سيلمى (٥).
- ٦ - الإمام عليّ ﷺ عن رسول الله ﷺ : «أَنْتَ تَلَاهُذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

(١) الخصال: ٥/٤٩٦، الأمالي للصدوق: ١٤٩/١٤٦، بشارة المصطفى: ٢٠، جامع الأخبار: ٥١/٥٦
كلّها عن جابر بن عبد الله الأنصاري .

(٢) الأمالي للصدوق: ٥٢/٨٥، بشارة المصطفى: ١٥٣، روضة الواعظين: ١١٤، جامع الأخبار: ٥٠/٥٤
كلّها عن ابن عباس .

(٣) الجمل: ٨١، الاحتجاج: ١/٣٣٠/٥٥ عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عن الإمام عليّ ﷺ
عنه ﷺ، بشارة المصطفى: ١٦٦، مائة منقبة: ٤٣/٩٩ كلاهما عن رافع مولى عائشة، الأمالي
للصدوق: ١٠٢١/٧٥٧ عن الحسن بن عليّ بن فضال عن الإمام الرضا عن آبائه ﷺ عنه ﷺ وفيه
صدره؛ الإصابة: ٣/٨٢/٣٢٥٤ عن ابن الزبير .

(٤) كفاية الأثر: ١٨٤ عن أم سلمة، بحار الأنوار: ٣٦/٣٤٨/٢١٦ .

(٥) الإفصاح: ١٢٨، كنز الفوائد: ١٧٩/٢ عن جابر بن عبد الله الأنصاري، المناقب لابن شهر آشوب:
٢١٧/٣، تفسير فوات: ٣٦٠/٢٦٦، شرح الأخبار: ١٠٢/٢، عوالي اللآلي: ١٠٨/٨٧/٤؛ المناقب
لابن المغازلي: ٧٣/٥٠ عن ابن عباس، المناقب للخوارزمي: ١٤٣/١٢٩ عن زيد بن عليّ عن الإمام
زين العابدين عن آبائه ﷺ عنه ﷺ، شرح نهج البلاغة: ٢٠/٢٢١ .

فِيهَا خَالِدُونَ^(١)، قيل: يا رسول الله من أصحاب النار؟ قال: من قاتل علياً بعدي، أولئك هم أصحاب النار مع الكفار؛ فقد كفروا بالحق لما جاءهم. ألا وإن علياً مني، فمن حاربه فقد حاربني وأسخط ربي.

ثم دعا علياً عليه السلام فقال: يا علي، حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي بعدي^(٢).

٧- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي، وحربي حرب الله، ومن سالمك فقد سالمني، ومن سالمني فقد سالم الله عز وجل^(٣).

٨- في الأمالي للطوسي عن عطية بن سعد العوفي عن محدوج بن زيد الذهلي - وكان في وفد قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله فتلا هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٤) - قلت: يا رسول الله من أصحاب الجنة؟ قال: من أطاعني وسلم لهذا من بعدي.

قال: وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بكفّ علي عليه السلام - وهو يومئذ إلى جنبه - فرفعها، وقال: ألا إن علياً مني، وأنا منه، فمن حادّه فقد حادّني، ومن حادّني فقد أسخط الله عز وجل. ثم قال: يا علي، حربك حربي، وسلمك سلمي، وأنت العلم بيني وبين أمتي.

قال عطية: فدخلت على زيد بن أرقم في منزله فذكرت له حديث محدوج بن زيد، فقال: ما ظننت أنه بقي ممن سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا غيري! أشهد لقد حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال: لقد حادّه رجال سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله قوله هذا، وقد ردّوا^(٥).

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) الأمالي للطوسي: ٧٦٣/٣٦٤ عن علي بن علي بن رزين عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام وراجع تفسير فرات: ٦٢٣/٤٧٧ و ٦٢٤.

(٣) الأمالي للصدوق: ٨٩١/٦٥٦، بشارة المصطفى: ١٨٠ كلاهما عن الحسن بن راشد عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، فضائل الشيعة: ١٧/٥٦ عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله نحوه.

(٤) الحشر: ٢٠.

(٥) الأمالي للطوسي: ١٠٦٣/٤٨٥، بحار الأنوار: ١٥/٢٦١/٢٤ وج ٦٢/١١٩/٣٨؛ ينابيع المودة: ١/١٧٢/١٩ نحوه.

٩ - قال رسول الله ﷺ - لعليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ -: أنا حرب لمن حاربتم، وسيلم لمن سالمتم^(١).

١٠ - في مسند ابن حنبل عن أبي هريرة: نظر النبي ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة ﷺ فقال: أنا حرب لمن حاربكم، وسيلم لمن سالمكم^(٢).

١١ - قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، ستقاتك الفئة الباغية وأنت على الحقّ، فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس منّي!^(٣).

(١) سنن الترمذي: ٥/٦٩٩/٣٨٧٠، سنن ابن ماجة: ١/٥٢/١٤٥، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٦١/٤٧١٤، المعجم الكبير: ٣/٤٠/٢٦١٩ وح ٢٦٢٠؛ كشف الغمّة: ٢/١٥٤ كلّها عن زيد بن أرقم.

(٢) مسند ابن حنبل: ٣/٤٤٦/٩٧٠٤، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٦١/٤٧١٣، تاريخ بغداد: ٧/١٣٧/٣٥٨٢، المعجم الكبير: ٣/٤٠/٢٦٢١، أسد الغابة: ٣/٧/٢٤٨١ عن صبيح، المناقب لابن المغازلي: ٦٤/٩٠؛ الأماشي للطوسي: ٣٣٦/٦٨٠ عن زيد بن أرقم، الاعتقادات: ١٠٥.

(٣) تاريخ دمشق: ٤٢/٤٧٣/٩٠٤٤ عن عمّار بن ياسر، كنز العمال: ١١/٦١٣/٣٢٩٧٠.

هل كان أمير المؤمنين عليه السلام من دعاة الحرب؟

قد يشتبه على البعض ويقول إن كل أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام قتل وتشريد، فهو قضى الأربع سنوات من حرب لحرب، فهل لم يكن لديه خيار آخر للدعوة ونشر الإسلام؟

غير أن الأمر ليس بهذه البساطة إذ حروب أمير المؤمنين عليه السلام الثلاث - كما سوف تعرف - هي حروب استفزازية وخروج عن طاعة الإمام والذي يعتبر تمرد على الدولة الإسلامية وشق لعصا المسلمين ووحدتهم، ومما يؤيد ذلك بعض أقواله عليه السلام :

١٢ - قال الإمام علي عليه السلام : وجدت المسالمة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من

القتال^(١).

١٣ - عنه عليه السلام : من أفضل النصح الإشارة بالصلح^(٢).

١٤ - عنه عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشتر - : ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضئ، فإنّ في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإنّ العدو ربّما قارب ليتغفّل، فخذ بالحزم، واتّهم في ذلك حسن الظنّ^(٣).

ما هي أهداف الإمام من هذه الحروب؟

هل الحروب دليل عافية في المجتمعات أم أنها حالة استثنائية يُضطر إليها في

(١) غرر الحكم: ١٠١٣٨، عيون الحكم والمواعظ: ٩٢٨٨/٥٠٦ وزاد فيه «خيراً» بعد «المسالمة».

(٢) غرر الحكم: ٩٣٧٩، عيون الحكم والمواعظ: ٨٥٧٩/٤٧٠ وفيه «أحسن» بدل «أفضل».

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، خصائص الأئمة عليهم السلام: ١٢٣، تحف العقول: ١٤٥، دعائم الإسلام:

بعض الأمكنة والأزمنة؟

يعلم من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أن الحرب ليست هدفاً بحدّ ذاتها بل هي وسيلة لمنع العدو من غزو البلاد الإسلامية وهتك مقدساتها، أو للدفاع عن النفس والعرض والمال.

وعليه فيما أن حروب علي عليه السلام ليست أهدافاً بحدّ ذاتها فلا بدّ لها من مبررات أو أهداف وغايات، وإليك بعضها:

١- إحياء معالم الدين

١٥- في مسند ابن حنبل عن أبي سعيد الخدري: كنّا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه. قال: - فقمنا معه، فانقطعت نعله فتخلف عليها عليّ يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومضينا معه، ثمّ قام ينتظره، وقمنا معه.

فقال: إنّ منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلتُ على تنزيله، فاستشرفنا وفينا أبوبكر وعمر، فقال: لا، ولكنّه خاصف النعل.
قال: فجئنا نبشّره، - قال: - وكأنّه قد سمعه^(١).

١٦- قال الإمام زين العابدين عليه السلام: انقطع شِسْع^(٢) نعل رسول الله صلى الله عليه وآله، فدفعها إلى

(١) مسند ابن حنبل: ٤/١٦٣/١١٧٧٣ و ص ٦٨/١١٢٨٩، مسند أبي يعلى: ٢/٢٩/١٠٨١ وفيهما من «إنّ منكم...»، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/٦٣٧/١٠٨٣، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٣٢/٤٦٢١، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٥٥/٢٨٦، المصنّف لابن أبي شيبة: ٧/٤٩٧/١٩، حلية الأولياء: ١/٦٧، أسد الغابة: ٣/٤٢٦/٣٢٧٧ عن عبد الرحمن بن بشير وج ٤/١٠٧/٣٧٨٩، شرح نهج البلاغة: ٣/٢٠٧، البداية والنهاية: ٧/٣٠٥؛ الكافي: ٥/١٢/٢، تهذيب الأحكام: ٤/١١٦/٣٣٦١ وج ٦/١٣٧/٢٣٠ والثلاثة الأخيرة عن حفص بن غياث عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام، تحف العقول: ٢٩٠ عن الإمام الباقر عليه السلام، الملاحم والفتن: ٣٣٠/٤٨٠ وفي الخمسة الأخيرة من «إنّ منكم...»، الأمالي للطوسي: ٤٥٨/٢٥٤ كلّها نحوه وراجع الجعفریات: ١٩٨.

(٢) شِسْع النعل: قبالتها الذي يُشدّ إلى زمامها، والزمّام: الشّير الذي يُعقد فيه الشسّع (لسان العرب:

عَلِيَّ عليه السلام يصلحها، ثم مشى في نعل واحدة غَلْوَةٌ^(١) أو نحوها، وأقبل على أصحابه فقال: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلِيَّ التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلَ مَعِيَ عَلِيَّ التَّنْزِيلِ!
فقال أبو بكر: أنا ذاك، يا رسول الله؟ قال: لا، فقال عمر: فأنا يا رسول الله؟ قال: لا.
فأمسك القوم، ونظر بعضهم إلى بعض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكنّه خاصف النعل،
وأوماً إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّه المقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونُبتت،
وحُرّف كتاب الله، وتكلم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم عليّ عليه السلام على إحياء دين الله
عزّ وجلّ^(٢).

١٧ - قال الإمام الباقر عليه السلام: جاء رجل إلى عليّ عليه السلام وهو على منبره، فقال: يا أمير
المؤمنين، أتأذن لي أن أتكلّم بما سمعتُ عن عمّار بن ياسر يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟
فقال: اتقوا الله ولا تقولوا على عمّار إلا ما قاله - حتى قال ذلك ثلاث مرّات - . ثم قال له:
تكلّم.

قال: سمعت عمّاراً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أقاتل على التنزيل، وعليّ
يقاتل على التأويل.

فقال عليه السلام: صدق عمّار وربّ الكعبة إنّ هذه عندي لفي ألف كلمة تتبع كلّ كلمة ألف
كلمة^(٣).

١٨ - في المناقب للخوارزمي عن أبي ذرّ الغفاري: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ببقيع
الغرقد^(٤) فقال: والذي نفسي بيده، إنّ فيكم رجلاً يقاتل الناس من بعدي على تأويل
القرآن كما قاتلت المشركين على تنزيله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، فيكبر قتلهم
على الناس، حتى يطعنوا على وليّ الله، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السفينة

(١) الغلوة: قدر رمية بسهم (لسان العرب: ١٥/١٢٢).

(٢) الإرشاد: ١/١٢٣ عن جابر بن يزيد، كشف الغمّة: ١/٢١١ كلاهما عن الإمام الباقر عليه السلام، كشف
اليقين: ١٦٥/١٧٥ من دون إسناد إلى المعصوم، بحار الأنوار: ٣٢/٢٩٩/٢٦٠.

(٣) الخصال: ٤٨/٦٥٠ عن جابر بن يزيد الجعفي، بصائر الدرجات: ٥/٣٠٩ عن جابر.

(٤) بَقِيْعُ الْغَرَقَدِ: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة (معجم البلدان: ١/٤٧٣).

وقتل الغلام وأمر الجدار، وكان خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رضى،
وسخط ذلك موسى.

أراد بالرجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام (١).

١٩- في كفاية الأثر عن أنس بن مالك: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصياء الأنبياء

الذين بعدهم بقضاء ديونهم، وإنجاز عِداتهم، ويقاثلون على سنتهم.

ثم التفت إلى عليّ عليه السلام، فقال: أنت وصيّي، وأخي في الدنيا والآخرة، تقضي ديني،

وتنحو (٢) عِداتي، وتقاتل على سنتي؛ تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل (٣).

٢٠- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّها الناس! لا ألفينكم بعدي ترجعون كفّاراً؛ يضرب

بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجّر السيل الجرّار! ألا وإنّ عليّ بن أبي طالب

أخي، ووصيّي، يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (٤).

٢١- عنه صلى الله عليه وآله: يا عليّ، أنت... تقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل (٥).

٢٢- عنه صلى الله عليه وآله: أنا أقاتل على تنزيل القرآن، وعليّ يقاتل على تأويل القرآن (٦).

٢٣- قال الإمام عليّ عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه -: عجباً لسعد وابن عمر؛ يزعمان

أنّي أحارب على الدنيا!! أفكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب على الدنيا؟! فإن زعما أنّ رسول

الله صلى الله عليه وآله حارب لتكسير الأصنام، وعبادة الرحمن، فإنّما حاربتُ لدفع الضلال، والنهي

(١) المناقب للخوارزمي: ٧٨/٨٨، كفاية الطالب: ٣٣٤، الفردوس: ٧٠٦٨/٣٦٨/٤ نحوه؛ تفسير

فرات: ٢٠٠/٢٦٢ وليس فيهما «أراد بالرجل عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

(٢) كذا، وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر: «وتنجز».

(٣) كفاية الأثر: ٧٥، بحار الأنوار: ١٥٢/٣١١/٣٦ وراجع الأمالي للطوسي: ٧٢٦/٣٥١ والطرائف:

٥٢١ والصراط المستقيم: ٨٧ والمناقب للخوارزمي: ٣١/٦١ وينابيع المودة: ٢/٢٧٨/٣.

(٤) الإرشاد: ١/١٨٠، بحار الأنوار: ١٩/٤٦/٢٢.

(٥) كفاية الأثر: ١٣٥ عن سعد بن مالك، الجمل: ٨٠، بشارة المصطفى: ١٤٢ عن ابن عباس،

المسترشد: ١٤٢٩/٤٢٩، عوالي اللآلي: ١٧/٨٧/٤ كلّها نحوه؛ الصواعق المحرقة: ١٢٣ عن

أبي سعيد الخدري.

(٦) الفردوس: ١١٥/٤٦/١ عن وهب بن صيفي، كنز العمال: ٣٢٩٦٨/٦١٣/١١؛ المناقب لابن

شهر آشوب: ٢١٨/٣ عن زيد بن أرقم.

عن الفحشاء والفساد. أفمئلي يُزَنُّ^(١) بحبّ الدنيا! والله، لو تمتّلت لي بشراً سويّاً لضربتها بالسيف!^(٢)

٢- الدفاع عن السنّة

٢٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله - لعليّ عليه السلام -: أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل عن سنتي، وتبرئ ذمّتي^(٣).

٢٥- قال الإمام عليّ عليه السلام : طلبني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدني في حائط نائماً، فضربني برجله، قال: قم، فوالله لأرضينك! أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل على سنتي. من مات على عهدي فهو في كنز الله، ومن مات على عهدك فقد قضى نحبّه، ومن مات بحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت^(٤).

٣- مكافحة البدعة

٢٦- قال الإمام عليّ عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليّ جهاد المشركين.

فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي كُتِبَ عليّ فيها الجهاد؟
قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنّة.
فقلت: يا رسول الله: فعلامُ أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟!
قال: على الإحداث في الدين، ومخالفة الأمر.

(١) زَنُّهُ بكذا: إذا اتهمه به وظنّه فيه (النهاية: ٢/٣١٦).

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣٢٨/٧٦٥.

(٣) مسند أبي يعلى: ١/٢٧١/٥٢٤ عن أبي المغيرة عن الإمام عليّ عليه السلام ، المناقب لابن المغازلي: ٢٣٨/٢٨٥؛ الأمالي للصدوق: ١٥٦/١٥٠، بشارة المصطفى: ١٥٥، كنز الفوائد: ٢/١٧٩ كلّها عن جابر بن عبد الله وفيها ذيله.

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/٦٥٦/١١١٨ عن أبي المغيرة، الصواعق المحرقة: ١٢٦، ذخائر العقبى: ١٢٤ وفيهما «كنز الجنّة» بدل «كنز الله».

فقلت: يا رسول الله، إنك كنت وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك.
قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟! (١).

٢٧ - في الأمالي للطوسي عن أبي سعيد الخدري: أخبر رسول الله ﷺ علياً بما يلقى بعده، فبكى عليه وقال: يا رسول الله، أسألك بحقي عليك، وقرابتي منك، وحقّ صحبتي إياك، لِمَا دعوت الله عزّ وجلّ أن يقبضني إليه؟

فقال ﷺ: أتسألني أن أدعوك ربّي لأجل مؤجل؟

قال: فعلاماً أقاتلهم؟ قال: على الإحداث في الدين (٢).

٤ - مكافحة الفجور

٢٨ - في المستدرک علی الصحیحین عن جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ وهو أخذ بضبع (٣) عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «هذا أمير البرّة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»، ثمّ مدّ بها صوته (٤).

٢٩ - في تاريخ بغداد عن جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو أخذ بيد عليّ يقول: «هذا أمير البرّة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»، يمدّ بها صوته (٥).

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠٦/٩.

(٢) الأمالي للطوسي: ١٠٩٨/٥٠١، المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٨/٣ وفيه ذيله؛ المناقب للخوارزمي: ٢١١/١٧٥، شرح نهج البلاغة: ١٠٨/٤ نحوه.

(٣) الضبع - بسكون الباء - وسط العضد (النهاية: ٧٣/٣).

(٤) المستدرک علی الصحیحین: ٤٦٤٤/١٤٠/٣، المناقب لابن المغازلي: ١٢٠/٨٠ وفيه «الكفرة» بدل «الفجرة»؛ الأمالي للطوسي: ١٠٥٥/٤٨٣ وراجع علل الشرائع: ٢/٢١٣.

(٥) تاريخ بغداد: ٨٨٧/٣٧٧/٢ وج ١٩١٥/٢١٩/٤، تاريخ دمشق: ٨٩٨٥/٣٨٣/٤٢، المناقب لابن المغازلي: ١٢٥/٨٤، كفاية الطالب: ٢٢١؛ المسترشد: ٢٨٩/٦٢٢.

كلام المفيد في عصمة الإمام في حروبه

قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقّب بالمفيد: ومن الدليل على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مصيباً في حروبه كلّها، وأنّ مخالفه في ذلك على ضلال، ما تظاهرت به الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «حربك يا عليّ حربي، وسلمك يا عليّ سلميّ»^(١)، وقوله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك»^(٢).

أدلة قول المفيد

قول النبي صلى الله عليه وآله: «تقاتل يا عليّ على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله»^(٣).

وقوله - لسهيل بن عمرو ومن حضر معه لخطابه على ردّ من أسلم من مواليهم -:
لتنتهنّ يا معشر قريش أو ليبعث الله عليكم رجلاً يضربكم على تأويل القرآن كما
ضربتكم على تنزيله.

(١) الفصول المختارة: ٢/٢٤٥، أوائل المقالات للمفيد: ٤/٢٨٥، فقه القرآن للراوندي: ١/٣٦٥،

عوالي اللاكي: ٢/١٠٢/٢٧٨ وج ٤/٨٧/١٠٨، بحار الأنوار: ٣٢/٣٣١.

(٢) الأمالي للمفيد: ٤/٢١٣، بحار الأنوار: ٣٩/٢٠٦/٢٥ وراجع سنن ابن ماجه: ١/٥٢/١٤٥

ومسند ابن حنبل: ٣/٤٤٦/٩٧٠٤ والمستدرک علی الصحیحین: ٣/١٦١/٤٧١٣ و ٤٧١٤

والمناقب لابن المغازلي: ٦٤/٩٠.

(٣) المسترشد: ٤٢٩/١٤٢، كفاية الأثر: ٧٦ عن أنس، الإرشاد: ١/١٢٣ عن جابر عن الإمام الباقر

عن أبيه عليه السلام، كشف الغمّة: ١/٣٣٦، إحقاق الحقّ: ٦/٢٤ والثلاثة الأخيرة نحوه، بحار الأنوار:

٣٦/٣١١/١٥٢؛ مسند ابن حنبل: ٤/١١٢٨٩/٦٨، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٣٢/٤٦٢١،

خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٢٨٦/١٥٥، حلية الأولياء: ١/٦٧، أسد الغابة: ٤/١٠٨/٣٧٨٩،

فرائد السمطين: ١/١٦١/١٢٢ والستة الأخيرة نحوه، الصواعق المحرقة: ١٢٣ والسبعة الأخيرة

عن أبي سعيد الخدري، المناقب لابن المغازلي: ٢٩٨/٣٤١ عن إسماعيل عن أبيه الإمام الكاظم عن

آبائه عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله نحوه.

فقال له بعض أصحابه: من هو يا رسول الله، هو فلان؟

قال: لا.

قال: ففلان؟

قال: لا، ولكنّه خصف^(١) النعل في الحجرة.

فنظروا فإذا عليّ عليه السلام في الحجرة يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢).

وقوله عليه السلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين».

وقوله عليه السلام: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، اللهمّ أدر الحقّ مع عليّ حيثما دار» ^(٣).

وقوله عليه السلام: «اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من

خذله» ^(٤).

وقوله عليه السلام لعليّ عليه السلام: «قاتل الله من قاتلك، وعادى الله من عاداك» ^(٥).

- (١) خصف النعل، يخصف خصفاً: ظاهر بعضها على بعض وخرزها (لسان العرب: ٧١/٩).
- (٢) الإفصاح: ١٣٥، مجمع البيان: ٣/٣٢٢، تأويل الآيات الظاهرة: ٧/١٤٩؛ أسد الغابة: ٣/٢٨٢/٣٢٧٧، الإصابة: ٤/٢٤٥/٥١٠٢، سنابع المودة: ٤/١٨٧/٤ والثلاثة الأخيرة عن عبد الرحمن بن بشير وكلها نحوه وراجع الإرشاد: ١/١٢٢ والمناقب لابن شهر آشوب: ٢/٨٥ وكشف الغمّة: ١/٣٣٥ وإعلام الوري: ١/٣٧٢ ونهج الحقّ: ٢٢٠ والمستدرک علی الصحیحین: ٢/١٥٠/٢٦١٤ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٣١/٨٦ ومجمع الزوائد: ٥/٣٣٨/٨٩٥٠ وأسد الغابة: ٤/٣٧٨٩/٩٩ وتذكرة الخواصّ: ٤٠ والمناقب للخوارزمي: ١٢٨/١٤٢ وفرائد السمطين: ١/١٦٢/١٢٤ وعمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٢٤.
- (٣) الطرائف: ١٠٣/١٥٠، كشف الغمّة: ١/١٤٣ عن أمّ سلمة، إعلام الوري: ١/٣١٦، نهج الحقّ: ٢٢٤ كلّها نحوه، إحقاق الحقّ: ٥/٦٢٣ - ٦٣٨ وفيه صدره؛ المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٣٥/٤٦٢٩، تاريخ بغداد: ١٤/٣٢١/٧٦٤٣، فرائد السمطين: ١/١٧٦/١٣٨، المناقب للخوارزمي: ١٠٤/١٠٧، الإنصاف: ٦٦ وفي الثلاثة الأخيرة ذيله، تطهير الجنان واللسان: ٥١.
- (٤) مسند ابن حنبل: ١/٢٥٤/٩٦٤ و ص ٢٥٠/٩٥١، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٨١/٩٨، تاريخ دمشق: ٤٢/٢٠٧/٨٦٨٤ و ص ٢٠٨؛ الإرشاد: ١/١٧٦، الخصال: ٦٦/٩٨، معاني الأخبار: ٦٧/٨.
- (٥) الكافي: ٣٦/٣٧، الاحتجاج: ١/٣٣٠/٥٥، بشارة المصطفى: ١٦٦، الإصابة: ٣/٨٢/٣٢٥٤ وج ٢/٣٧٣/٢٥٦٠، أسد الغابة: ٢/٢٣٨/١٥٨٩.

وقوله عليه السلام: «من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى»^(١). قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(٢).

(١) ذخائر العقبى: ١٢٢، المعيار والموازنة: ٢٢٤؛ الإفصاح: ١٢٨، العدد القويّة: ٥٠/٢٤٨، المناقب لابن شهر آشوب: ٢١٢/٣ وراجع مسند ابن حنبل: ١٥٩٦٠/٤٠٥/٥ وصحيح ابن حبان: ٦٩٢٣/٣٦٥/١٥.
(٢) الأحزاب: ٥٧.

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية

علي أشجع الناس قلباً

٣٠- قال رسول الله ﷺ: عليّ أشجع الناس قلباً^(١).

٣١- في أسد الغابة عن سعد: لقد رأيته - يعني علياً - يخطر^(٢) بالسيف هام

المشركين، يقول:

سنحنح الليل كأنّي جنّي^(٣)(٤)

٣٢- قال الإمام عليّ عليه السلام: كأنّي بقاتلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد

به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان؛ ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً، والنايات العذبة^(٥) أقوى وقوداً وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله كالضوء من الضوء والذراع من العضد.

والله، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها

(١) المناقب لابن المغازلي: ١٥١/١٨٨، المناقب للخوارزمي: ٢٩٠/٢٧٩؛ الأمالي للصدوق: ٧٠٩/٥٢٤، بشارة المصطفى: ١١٦ و ص ١٧٤، الفضائل لابن شاذان: ١٠٢، روضة الواعظين: ١٣٨ كلها عن ابن عباس.

(٢) خَطَرَ بسيفه يَخْطِرُ: رَفَعَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَضَرَبَ بِهِ، وَقِيلَ: ضَرَبَ بِهِ يَمِيناً وَشِمَالاً (انظر لسان العرب: ٢٤٩/٤).

(٣) أي لا أنام الليل فأنا متيقظ أبداً (النهاية: ٤٠٧/٢).

(٤) أسد الغابة: ٣٧٨٩/٩٢/٤، تاريخ دمشق: ١٦١/٤٢ وراجع ص ١٦٢ والمناقب لابن المغازلي: ٤٨/٣٢ و ص ٢١٩/١٨٣ والمناقب للخوارزمي: ١٨٧/١٥٨ والفائق: ١٠٥/١ و ١٠٦ والمناقب للكوفي: ١٠٨٠/٥٦٩/٢.

(٥) وفي بعض النسخ: «النباتات البدوية». والعذبي: الزرع الذي لا يسقى إلا من ماء المطر لبعده من المياه (لسان العرب: ٤٤/١٥).

لسارعت إليها، وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، حتى تخرج المدرة^(١) من بين حب الحصيد^(٢).

٣٣ - عنه عليه السلام: إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع^(٣) الأرض كلها ما باليت، ولا استوحشت^(٤).

٣٤ - عنه عليه السلام - حين بلغه خبر الناكتين ببيعته - : من العجب ببعثهم إلي أن أبرز للطعان، وأن أصبر للجلاد! هبلتهم الهبُول! لقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب^(٥).

٣٥ - الإمام الصادق عليه السلام: حدتني امرأة مئاً قالت: رأيت الأشعث بن قيس دخل على علي عليه السلام، فأغظ له علي، فعرض له الأشعث بأن يفتك به، فقال له علي عليه السلام: أبا الموت تهددني!! فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي^(٦).

٣٦ - قال الإمام علي عليه السلام - في خطبته المسماة بالقاصعة - : أنا وضعت في الصغر بكلاكل^(٧) العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر^(٨).

٣٧ - في التوحيد: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام لما أراد قتال الخوارج: لو احترزت يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام:

أي يومي من الموت أقر
أيوم لم يقدر أم يوم قدير

(١) المدرة: قطع الطين اليابس، واحده: مدرة (لسان العرب: ٥/١٦٢).

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٣) طلاع الأرض: ملؤها (لسان العرب: ٨/٢٣٥).

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢، الغارات: ١/٣١٩ عن جندب نحوه.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢، الكافي: ٥/٥٣/٤ عن ابن محبوب رفعه، الأمالي للطوسي:

١٦٦/٢٨٤ عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي وكلاهما نحوه وراجع كشف الغمة: ١/٢٤٠ والمناقب للخوارزمي: ١٨٤/٢٢٣.

(٦) مقاتل الطالبيين: ٤٧ عن سفيان بن عيينة، شرح نهج البلاغة: ٦/١١٧.

(٧) الكلكل والكلكال: الصدر من كل شيء... والكلاكل: الجماعات (لسان العرب: ١١/٥٩٦ و٥٩٧).

(٨) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، غرر الحكم: ٣٧٦٥ وليس فيه «في الصغر» و«قرون».

يوم ما قَدَّر لا أخشى الردى وإذا قَدَّر لم يُغنِ الحذر^(١)

٣٨- في الكافي عن سعيد بن قيس الهمداني: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنّه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ وواقية؛ معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خَلّيا بينه وبين كلّ شيء^(٢).

٣٩- في الإرشاد - في الإمام عليّ عليه السلام -: ومن آيات الله تعالى فيه أيضاً أنّه مع طول ملاقاته للحروب، وملابسته إيّاه، وكثرة من مُنيّ به فيها من شجعان الأعداء وصناديدهم، وتجمّعهم عليه، واحتيالهم في الفتك به وبذل الجهد في ذلك، ما ولّى قطّ عن أحد منهم ظهره، ولا انهزم عن أحد منهم، ولا تزحزح عن مكانه، ولا هابَ أحداً من أقرانه، ولم يلقَ أحد سواه خصماً في حرب إلا وثبت له حيناً وانحرف عنه حيناً، وأقدم عليه وقتاً وأحجم عنه زماناً^(٣).

٤٠- في شرح نهج البلاغة: أمّا الشجاعة فإنّه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده. ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأولى إلى ثانية. وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً.

ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة - ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما - قال له عمرو: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام

(١) التوحيد: ١٩/٣٧٥، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٨/٣ وفي صدره «وكان مكتوباً على درعه» الأبيات، بحار الأنوار: ٥٨/٤٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٣٢/٥ نحوه.

(٢) الكافي: ٨/٥٩/٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٧/٣ عن قيس بن سعيد، بحار الأنوار: ١/٥٨/٤٢.

(٣) الإرشاد: ٣٠٨/١.

بعدي.

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته. فأما قتلاه فاقتحار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدأ ما دمت في الأبد^(١)

٤١ - قال الإمام علي عليه السلام - في الديوان المنسوب إليه -:

أنا الصقر الذي حدثت عنه عتاق الطير تنجدل انجدالا
وقاسيت الحروب أنا ابن سبع فلما شئت أفنيت الرجال
وأيضاً عنه عليه السلام:

صيد الملوك أرنب و ثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال
صيدي الفوارس في اللقاء وإني عند الوغى لغضنقر قتال^(٢)

علي سيف الله الذي لا يخطئ

٤٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت فارس العرب، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي، ومولى كل مؤمن، وسيف الله الذي لا يخطئ^(٣).

علي كزار غير فرار

٤٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله - يوم فتح خيبر -: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار. - فتشرف له الناس، فبعث إلى علي فاعطاها إياه^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ١.

(٢) الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام: ٤٦٤ / ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ١٤ / ٢٧٥.

(٤) سنن ابن ماجه: ١ / ٤٣ / ١١٧، مسند ابن حنبل: ١ / ٢١٤ / ٧٧٨ كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الإمام علي عليه السلام، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٢٦ / ٢٣٤ عن سعد بن أبي وقاص، المصنف لابن أبي شيبة: ٧ / ٤٩٧ / ١٧ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الإمام علي عليه السلام.

٤٤ - قال الإمام عليّ عليه السلام: إني لم أفرّ من الزحف قطّ، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه! (١)

٤٥ - قال الإمام الصادق عليه السلام: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: لم لا تشتري فرساً عتيقاً؟ قال: لا حاجة لي فيه؛ فأنا لا أفرّ ممّن كرّ عليّ، ولا أكرّ على من فرّ منّي (٢).

٤٦ - في المناقب لابن شهر آشوب - في الإمام عليّ عليه السلام -: قيل له عليه السلام: ألا تركب الخيل وطلّابك كثير؟ فقال: الخيل للطلب والهرب، ولست أطلب مدبراً، ولا أنصرف عن مقبل. وفي رواية: لا أكرّ على من فرّ، ولا أفرّ ممّن كرّ (٣).

٤٧ - في نثر الدرّ - في الإمام عليّ عليه السلام -: قيل له: أنت مُحَرَّبٌ مطلوب، فلو اتّخذت طرفاً؟ قال: أنا لا أفرّ عمّن كرّ، ولا أكرّ على من فرّ، فالبغلة تكفيني (٤).

٤٨ - في نثر الدرّ - في الإمام عليّ عليه السلام -: قيل له في بعض حروبه: إن جالت الخيل فأين نطلبك؟ قال: حيث تركتموني (٥).

٤٩ - في المناقب لابن شهر آشوب: قد اجتمعت الأمة على أنّ عليّاً كان المجاهد في سبيل الله، والكاشف الكروب عن وجه رسول الله، المقدّم في سائر الغزوات إذا لم يحضر النبيّ ﷺ، وإذا حضر فهو تاليه، وصاحب الراية واللواء معاً، وما كان قطّ تحت لواء جماعة أحد، ولا فرّ من زحف (٦).

= وزاد فيه «يفتح الله له» قبل «ليس بفرّار»، المناقب لابن المغازلي: ٢٢٠ / ١٨٥ عن أبي سعيد الخدري، البداية والنهاية: ٣٣٧ / ٧ وفيه «وقد ثبت في الصحاح وغيرها»؛ الكافي: ٣ / ٢٩٤ / ١ عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن الإمام الصادق عليه السلام، الاختصاص: ١٥٠، وفي الخمسة الأخيرة إلى «بفرّار».

(١) الخصال: ١ / ٥٨٠ عن مكحول.

(٢) الأمالي للصدوق: ٢٣٤ / ٢٤٩ عن مالك بن أنس، بحار الأنوار: ٥ / ٧٥ / ٤١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٨ / ٣.

(٤) نثر الدرّ: ١ / ٢٩٤.

(٥) نثر الدرّ: ١ / ٢٩٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٢٨٣ / ٢٤٦.

(٦) المناقب لابن شهر آشوب: ٦٦ / ٢.

علي كان يباشر القتال بنفسه

٥٠- قال الإمام الباقر عليه السلام: إِنَّ عَلِيًّا كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ^(١).

٥١- عنه عليه السلام: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ لَا يَأْخُذُ سَلْبًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَبَاشِرُ الْقِتَالَ بِنَفْسِهِ^(٢).

٥٢- في تاريخ الطبري عن أبي بكر الهذلي: أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا اسْتَخْلَفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ، فَتَهَيَّأَ فِيهَا إِلَى صَفِّينَ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنْ يَبْعَثَ الْجَنُودَ وَيَقِيمَ، وَأَشَارَ آخَرُونَ بِالْمَسِيرِ، فَأَبَى إِلَّا الْمَبَاشِرَةَ^(٣).

٥٣- في ذخائر العقبى عن ابن عباس - وقد سأله رجل -: أكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَبَاشِرُ الْقِتَالَ يَوْمَ صَفِّينَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَطْرَحَ لِنَفْسِهِ فِي مَتَلَفٍ مِنْ عَلِيٍّ، وَلَقَدْ رَأَيْتَهُ يَخْرُجُ حَاسِرَ الرَّأْسِ بِيَدِهِ السَّيْفَ إِلَى الرَّجْلِ الدَّارِعِ فَيَقْتُلُهُ^(٤).

علي كانت درعه بلا ظهر

٥٤- في عيون الأخبار: كَانَتْ دَرَعُ عَلِيٍّ عليه السلام صَدْرًا لَا ظَهْرَ لَهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِذَا اسْتَمَكَنَ عَدُوِّي مِنْ ظَهْرِي فَلَا يُبْقِي^(٥).

٥٥- في شرح نهج البلاغة - في الإمام علي عليه السلام -: قِيلَ لَهُ: إِنَّ دَرَعَكَ صَدْرًا لَا ظَهْرَ لَهَا، إِنَّا نَخَافُ أَنْ تَوْتِيَ مِنْ قَبْلِ ظَهْرِكَ؟ فَقَالَ: إِذَا وَلَّيْتُ فَلَا وَاءَلْتُ^{(٦)(٧)}.

(١) قرب الإسناد: ٩١/٢٧ عن عبد الله بن ميمون عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) السنن الكبرى: ١٦٧٤٦/٣١٤/٨ عن الدراوردي عن الإمام الصادق عليه السلام، الجعفریات: ٧٧، النوادر للراوندي: ١٣٨/١٨٤ كلاهما عن الإمام الحسين عليه السلام، بحار الأنوار: ٣٣/٤٥٤/٦٦٩ وج ١٧/٣٤/١٠٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٦٣/٤.

(٤) ذخائر العقبى: ١٧٦.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٣١/١ وراجع شرح الأخبار: ٣٤/١١٢/١.

(٦) واءَل منه: أي طلب النجاة (لسان العرب: ٧١٥/١١).

٥٦- في المناقب لابن شهر آشوب: روي أنّ درعه عليه السلام كانت لا قبّ لها؛ أي لا ظهر، فقيل له في ذلك، فقال: إن وليت فلا وألت^(٨)؛ أي نجوت^(٩).

٥٧- في الأخبار الموقّيات عن مصعب بن عبد الله: كان عليّ بن أبي طالب خذراً في الحروب، شديد الروغان من قرنه، لا يكاد أحد يتمكّن منه. وكانت درعه صدرأ لا ظهر لها، فقيل له: ألا تخاف أن تؤتى من قبل ظهرك؟ فيقول: إذا أمكنتُ عدوّي من ظهري فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ^(١٠).

٥٨- في الجمل عن محمّد ابن الحنفية - في وقعة الجمل - : ودعا [علي عليه السلام] بدرعه البتراء - ولم يلبسها بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا يومئذ - فكان بين كتفيه منها وهن، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده شسع نعل، فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع يا أمير المؤمنين؟ فقال: أربط بها ما قد تهى^(١١) من هذا الدرع من خلفي. فقال ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا! فقال عليه السلام: ولم؟ قال: أخاف عليك. فقال: لا تخف أن أوّتى من ورائي، والله يا ابن عباس ما وليت في زحف قط^(١٢).

علي كانت ضرباته أبقاراً

٥٩- في النهاية: كانت ضربات عليّ مُبتكرات لا عُوناً، أي إنّ ضربته كانت بكرة؛ يقتل بواحدة منها، لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً. يقال ضربةٌ بكرة؛ إذا كانت قاطعةً لا تُننى^(١٣).

(٧) شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٢٨٠ / ٢٢١ وراجع تاج العروس: ١٥ / ٧٦٥.

(٨) في المصدر: «واليت»، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار.

(٩) المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٢٩٨، بحار الأنوار: ٤٢ / ٥٨.

(١٠) الأخبار الموقّيات: ٣٤٣ / ١٩٤، المستطرف: ١ / ٢٢١ عن مصعب بن الزبير؛ نثر الدر: ١ / ٢٨٠.

(١١) كلّ ما استرخى رباطه فقد وهى، وقد وهى الثوب يهيه وهياً؛ إذا بلي وتخرق (لسان العرب: ١٥ / ٤١٧).

(١٢) الجمل: ٣٥٥.

(١٣) النهاية في غريب الحديث: ١ / ١٤٩، الفائق: ١ / ١٢٥ نحوه.

٦٠- في حياة الحيوان الكبرى: في درّة الغوّاص: ومما يؤثر من شجاعة علي عليه السلام أنّه كان إذا اعتلى قدّ، وإذا اعترض قطّ. فالقدّ: قطع الشيء طولاً. والقطّ: قطعه عرضاً^(١).
٦١- في المناقب لابن شهر آشوب: كانت لعلي عليه السلام ضربتان؛ إذا تطاول قدّ، وإذا تقاصر قطّ.

وقالوا: كانت ضرباته أباراً؛ إذا اعتلى قدّ، وإذا اعترض قطّ، وإذا أتى حصناً هدّ. وقالوا: كانت ضرباته مُبتكرات لا عُونا، يقال: ضربة بكر، أي قاطعة لا تُثنى. والعُون: التي وقعت مختلصة فأحوجت إلى المعاودة. ويقال: إنّه كان يوقعها على شدّة في الشدّة، لم يسبقه إلى مثلها بطل^(٢).

٦٢- في نثر الدرّ عن محمّد ابن الحنفية - في وصف الإمام علي عليه السلام -: كان إذا تكلم بذّ^(٣)، وإذا كلّم^(٤) حدّ^(٥) (٦).

ما رُئي محارب مثل علي عليه السلام

٦٣- في النهاية عن ابن عباس - في وصف علي عليه السلام -: ما رأيت محراباً مثله محراباً؛ أي معروفاً بالحرب عارفاً بها^(٧).
٦٤- في وقعة صفين عن معاوية: والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطّ إلا سقى الأرض من دمه^(٨).

(١) حياة الحيوان الكبرى: ٥٣/١، لسان العرب: ٣/٣٤٤؛ نثر الدرّ: ١/٤٠٨ نحوه.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٨٣/٢.

(٣) بذّ القائلين: أي سبقهم وغلبهم (النهاية: ١/١١٠).

(٤) الكلّم: الجرح، وكلّمه: جرحه (لسان العرب: ١٢/٥٢٤).

(٥) الحدّ: القطع المستأصل (لسان العرب: ٣/٤٨٢).

(٦) نثر الدرّ: ١/٤٠٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث: ١/٣٥٩؛ تفسير فرات: ٤٣١/٥٦٩ عن ضرار بن الأزور وفيه «إنساناً محارباً» بدل «محراباً».

(٨) وقعة صفين: ٢٧٥.

٦٥- في المناقب للخوارزمي: اجتمع عند معاوية الملاء من قومه، فذكروا شجاعة علي وشجاعة الأشر، فقال عتبة بن أبي سفيان: إن كان الأشر شجاعاً، لكنّ علياً لانظير له في شجاعته، وصولته، وقوّته! (١)

٦٦- في شرح نهج البلاغة: انتبه يوماً معاويةُ فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، ففعد، فقال له عبدالله - يداعبه - : يا أمير المؤمنين، لو شئتُ أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر! قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصفّ إزاء عليّ بن أبي طالب! قال: لا جرم، إنّك قتلتك وأباك بيسرى يديه، وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها! (٢)

٦٧- في رسائل الجاحظ: قالوا: لانعلم موضع رجل من شجعان أصحاب رسول الله ﷺ كان له من عدد القتلى ما كان لعليّ عليه السلام، ولا كان لأحدٍ مع ذلك من قتل الرؤساء والسادة والمتبوعين والقادة ما كان لعليّ بن أبي طالب. وقتل رئيس واحدٍ وإن كان دون بعض الفرسان في الشدة أشدّ؛ فإنّ قتل الرئيس أردّ على المسلمين وأقوى لهم من قتل الفارس الذي هو أشدّ من ذلك السيّد. وأيضاً: إنّهُ قد جمع بين قتل الرؤساء وبين قتل الشجعان.

وله أعجوبة أخرى؛ وذلك أنّه مع كثرة ما قتل وما بارز وما مشى بالسيف إلى السيف، لم يجرح قطّ، ولا جرح إنساناً إلاّ قتله! (٣)

شدة خوف الأعداء من علي عليه السلام

٦٨- في المناقب لابن شهر آشوب - في الامام عليّ عليه السلام -: إنّ الكفّار كانوا يسمّونه الموت الأحمر، سمّوه يوم بدر؛ لعظم بلائه ونكايته! (٤)

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢١/١.

(٣) رسائل الجاحظ: ١٢٤/٤.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب: ٦٨/٢.

٦٩- في محاضرات الأدباء: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت؛ خوفاً منه. ونظر إليه رجل - وقد شقّ العسكر - فقال: قد علمت أنّ ملك الموت في الجانب الذي فيه عليّ عليه السلام ^(١).

٧٠- في شرح نهج البلاغة: إنّ علياً عليه السلام كانت هيبتة قد تمكّنت في صدور الناس، فلم يكن يُظنّ أنّ أحداً يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغه أحد من الناس؛ لا من تقدّم، ولا من تأخّر، حتى كانت أبطال العرب تفرع باسمه؛ ألا ترى إلى عمرو بن معديكرب - وهو شجاع العرب، الذي تضرب به الأمثال - كتب إليه عمر بن الخطاب في أمر أنكره عليه وغدر تخوّفه منه: أما والله لئن أقمّت علي ما أنت عليه لأبعثنّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك! فقال عمرو - لما وقف على الكتاب -: هدّدني بعليّ والله ^(٢).

إرهاب النبيّ الأعداء بعلي عليه السلام

٧١- في فضائل الصحابة عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد: قدم علي رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل اليمن وفد ليشرح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتقيمّن الصلاة أو لأبعثنّ إليكم رجلاً ^(٣) يقتل المقاتلة، ويسبي الذريّة! ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ أنا أو هذا - وانتشل بيد عليّ - ^(٤).

٧٢- في في المصنّف عن عبد الرحمن بن عوف: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكّة انصرف إلى الطائف، فحاصرها سبع عشرة أو ثمان عشرة، فلما يفتحها.

(١) محاضرات الأدباء: ١٣٨/٣، المستطرف: ٢٢١/١ وفيه «قال بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيها

عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلا أوصى بعضنا على بعض»؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٨٤/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥٩/١٠.

(٣) في المصدر: «رجل».

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل: ١٠٢٤/٦٠٠/٢، المصنّف لابن أبي شيبة: ٣٠/٤٩٩/٧؛ المناقب

للكوفي: ٣٧٠/٤٦٨/١ كلاهما نحوه، المناقب لابن شهر آشوب: ٨٥/٢ عن شدّاد بن الهاد وراجع

المصنّف لابن أبي شيبة: ٧٤/٥٠٦/٧.

ثم ارتحل روحة أو غدوة فنزل، ثم هجر، ثم قال: أيها الناس! إنني فرط^(١) لكم، وأوصيكم بعترتي خيراً، وإن موعدكم الحوض، والذي نفسي بيده! لتقيمَنَّ الصلاة ولتؤتَنَّ الزكاة أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني - أو لنفسي - فليضربنَّ أعناق مقاتلتهم، وليسبيننَّ ذراريهم.

قال: فرأى الناس أنه أبو بكر أو عمر، فأخذ بيد علي فقال: هذا^(٢).

كان علي عليه السلام مع النبي في جميع حروبه

٧٣ - قال الإمام علي عليه السلام: إنني كنت مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن والحروب، وكانت رايته معي^(٣).

٧٤ - في الاستيعاب - في الامام علي عليه السلام - : أجمعوا على أنه صلى القبلتين، وهاجر، وشهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وبأحد وبالخندق وبخير بلاءً عظيماً، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقام الكريم. وكان لواء رسول الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة...

ولم يتخلف عن مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ مذ قدم المدينة، إلا تبوك؛ فإنه خلفه رسول الله ﷺ على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك، وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي^(٤).

٧٥ - في أسد الغابة - في الامام علي عليه السلام - : أجمع أهل التاريخ والسند على أنه شهد بدرًا وغيرها من المشاهد، وأنه لم يشهد غزوة تبوك لا غير؛ لأن رسول الله ﷺ خلفه

(١) فرط: سبق وتقدم (النهاية: ٤٣٤/٣).

(٢) المصنّف لابن أبي شيبه: ٢٣/٤٩٨/٧، المستدرک علی الصحیحین: ٢/١٣١/٢٥٥٩؛ الأمالي

للطوسي: ١١٠٤/٥٠٤، المناقب للكوفي: ١/٤٨٨/٣٩٥.

(٣) الخصال: ١/٥٨٠ عن مكحول.

(٤) الاستيعاب: ٣/٢٠١/١٨٧٥، تهذيب التهذيب: ٤/٢٠٣/٥٥٦١ نحوه.

على أهله^(١).

كان علي عليه السلام صاحب راية النبي

٧٦ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في وصف علي عليه السلام - : إنه صاحب لوائه عند كل شديدة وكريهة^(٢).

٧٧ - في المعجم الكبير عن جابر بن سمرة : قالوا : يا رسول الله ، من يحمل رايته يوم القيامة ؟ قال : من يحسن أن يحملها إلا من حملها في الدنيا ؛ علي بن أبي طالب^(٣).

٧٨ - في المناقب لابن شهر آشوب عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام : كُسرت زند علي يوم أُحد وفي يده لواء رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسقط اللواء من يده ، فتحاماه المسلمون أن يأخذوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : فضَعوه في يده الشمال ؛ فإنه صاحب لوائه في الدنيا والآخرة . وفي رواية غيره : فرفعه المقداد وأعطاه علياً ، وقال صلى الله عليه وآله : أنت صاحب رايته في الدنيا والآخرة^(٤).

٧٩ - قال الإمام علي عليه السلام - بعد انصرافه من النهروان - : أنا صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة^(٥).

٨٠ - قال الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام : كان [علي عليه السلام] صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها^(٦).

٨١ - في الإرشاد عن أبي البخترى القرشي : كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد

(١) أسد الغابة : ٣٧٨٩ / ٩٢ / ٤ .

(٢) تاريخ دمشق : ٨٨٩٣ / ٣٣١ / ٤٢ عن ابن عباس .

(٣) المعجم الكبير : ٢٠٣٦ / ٢٤٧ / ٢ ، تاريخ دمشق : ٨٤١٨ / ٧٤ / ٤٢ و ٨٤١٩ / ٧٥ ، البداية والنهاية : ٣٣٦ / ٧ ، المناقب للخوارزمي : ٣٦٩ / ٣٥٨ ؛ المناقب للكوفي : ٤٤٠ / ٥١٥ / ١ وج ٢ / ٤٩٨ / ١٠٠٠ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٢٢٨ / ٣ وفيها «عسى» بدل «يحسن» .

(٤) المناقب لابن شهر آشوب : ٢٩٩ / ٣ ؛ ذخائر العقبى : ١٣٧ نحوه عن الإمام علي عليه السلام .

(٥) معاني الأخبار : ٩ / ٦٠ ، بشارة المصطفى : ١٣ كلاهما عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام .

(٦) تفسير العياشي : ١٣٤ / ٣٠٧ / ٢ .

قصي بن كلاب، ثم لم تزل الراية في يد ولد عبدالمطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله ﷺ، فصارت راية قريش وغير ذلك إلى النبي ﷺ، فأقرها في بني هاشم، وأعطاه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في غزاة ودان^(١)، وهي أول غزاة حُمِلَ فيها راية في الإسلام مع النبي ﷺ، ثم لم تزل معه في المشاهد؛ ببدر وهي البطشة الكبرى، وفي يوم أحد وكان اللواء يومئذ في بني عبدالدار، فأعطاه رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فاستشهد ووقع اللواء من يده، فتشوّفته^(٢) القبائل، فأخذه رسول الله ﷺ فدفعه إلى علي بن أبي طالب ﷺ، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم^(٣).

٨٢- في الطبقات الكبرى عن مالك بن دينار: قلت لسعيد بن جبير: من كان صاحب راية رسول الله ﷺ؟ قال: إنك لرخو اللبب. فقال لي معبد الجهني: أنا أخبرك؛ كان يحملها في المسير ابن ميسرة العبسي، فإذا كان القتال أخذها علي بن أبي طالب ﷺ^(٤).

٨٣- في المستدرک علی الصحیحین عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ دفع الراية إلى علي ﷺ يوم بدر^(٥).

٨٤- في الاستيعاب عن ابن عباس: لعليّ أربع خصال ليست لأحدٍ غيره: هو أول عربيّ وعجميّ صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كلّ زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره، وهو الذي غسّله وأدخله قبره^(٦).

(١) ودان: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان: ٣٦٥/٥).

(٢) تشوّفت إلى الشيء: تطلّعت (لسان العرب: ١٨٥/٩).

(٣) الإرشاد: ٧٩/١.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٥/٣.

(٥) المستدرک علی الصحیحین: ٤٥٨٣/١٢٠/٣، السنن الكبرى: ١٢١٦٥/٣٤١/٦، الاستيعاب:

١٨٧٥/٢٠١/٣، تاريخ دمشق: ٧١/٤٢ و ٧٢، المعجم الكبير: ١٠٦/١/١٧٤ وليس فيهما «يوم

بدر»، البداية والنهاية: ٢٢٤/٧، المناقب لابن المغازلي: ٤١٣/٣٦٦، المناقب للخوارزمي:

١٩٩/١٦٧.

(٦) الاستيعاب: ١٨٧٥/١٩٧/٣، المستدرک علی الصحیحین: ٤٥٨٢/١٢٠/٣، تاريخ دمشق:

٨٥- في المعجم الكبير عن ابن عباس: إنَّ عليَّ بن أبي طالب كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وصاحب راية المهاجرين عليَّ في ^(١) المواطن كلَّها، وقيس بن سعد بن عبادة صاحب راية عليَّ ^(٢).

٨٦- في الطبقات الكبرى عن قتادة: إنَّ عليَّ بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وفي كلِّ مشهد ^(٣).

٨٧- في تاريخ دمشق عن ابن عباس: إنَّ راية المهاجرين كانت مع عليَّ في المواقف كلَّها؛ يوم بدر، ويوم أُحد، ويوم خيبر، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكَّة، ولم تزل ^(٤) معه في المواقف كلَّها ^(٥).

٨٨- في شرح الأخبار عن أبي رافع: كان عليَّ صلوات الله عليه صاحب راية النبي صلوات الله عليه وآله وحاملها في كلِّ غزوةٍ غزاها، وكانت راية النبي صلوات الله عليه وآله معه يوم بدر، ويوم أُحد، ويوم الأحزاب، ويوم بني النضير، ويوم بني قريظة، ويوم بني المصطلق من خزاعة، ويوم بني لحيان من هذيل، ويوم خيبر، ويوم الفتح، ويوم حنين، ويوم الطائف ^(٦).

٨٩- في فضائل الصحابة عن ابن عباس: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً - وذكر الحديث وقال في آخره -: وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله عليَّ بن أبي

= ٧٢/٤٢، المناقب للخوارزمي: ٢٦/٥٨، شرح نهج البلاغة: ١١٦/٤؛ الخصال: ٣٣/٢١٠ كلَّها نحوه.

(١) في المصدر: «وفي» والتصحيح من بقية المصادر.

(٢) المعجم الكبير: ١٢١٠١/٣١١/١١ وج ٥٣٥٦/١٥/٦، المعجم الأوسط: ٥٢٠٢/٢٤١/٥ كلاهما نحوه وراجع مجمع البيان: ٧٠٩/٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٣/٣، تاريخ دمشق: ٧٤/٤٢ و ص ٧٢، فضائل الصحابة لابن حنبل: ١١٠٦/٦٥٠/٢ كلاهما عن ابن عباس نحوه.

(٤) في المصدر: «يزل»، والتصحيح من كفاية الطالب.

(٥) تاريخ دمشق: ٧٢/٤٢، كفاية الطالب: ٣٣٥؛ إعلام الوري: ١/٣٧٤ كلاهما نحوه.

(٦) شرح الأخبار: ٢٨٩/٣٢١/١.

طالب^(١).

كان جبرئيل عن يمين علي وميكائيل عن يساره عليهم السلام

٩٠- قال رسول الله ﷺ: علي بن أبي طالب ما بعثته في سرية ولا أبرزته لمبارزة إلا رأيت جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت أمامه، وسحابة تظله، حتى يعطيه الله خير النصر والظفر^(٢).

٩١- في السيرة الحلبية عن حذيفة: لما تهيأ علي كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله ﷺ: يا علي، والذي نفسي بيده إن معك من لا يخذلك؛ هذا جبرئيل عليه السلام عن يمينك، بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي، إنك سيد العرب، وأنا سيد ولد آدم^(٣).

٩٢- قال الإمام الحسن عليه السلام - حين قتل علي عليه السلام -: كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا ينصرف حتى يفتح له^(٤).

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل: ١١٥٩/٦٧٨/٢، تاريخ الطبري: ٤٣١/٢، الأغاني: ١٨٠/٤، البداية والنهاية: ٣٢٦/٣، كنز العمال: ٢٩٩٧٢/٤٠٥/١٠ نقلاً عن ابن عساكر وفيه «راية المهاجرين» بدل «راية رسول الله ﷺ» وراجع مسند ابن حنبل: ٣٤٨٦/٧٨٨/١ والمعجم الكبير: ٥٣٥٥/١٥/٦.

(٢) شرح الأخبار: ٧٦٠/٤١٤/٢، الأمالي للطوسي: ١١٠٦/٥٠٥، المناقب للكوفي: ٢٨٩/٣٥٩/١ كلاهما عن عباد بن صهيب عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام عن جابر، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٩/٢؛ فرائد السمطين: ١٧٣/٢٢٢/١ كلاهما عن جابر، كفاية الطالب: ١٣٥ عن عبد الله بن مسعود وكلها نحوه وراجع الخصال: ٤٢/٢١٧.

(٣) السيرة الحلبية: ٣٧/٣.

(٤) مسند ابن حنبل: ١٧١٩/٤٢٥/١، المستدرک علی الصحیحین: ٤٨٠٢/١٨٩/٣ عن عمر بن علي عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام، الطبقات الكبرى: ٣٨/٣، المعجم الكبير: ٢٧١٩/٧٩/٣ و ص ٢٧٢٤/٨٠ و ٢٧٢٥، تاريخ أصبهان: ١/٧١/١ و ص ٨٢١/٤٢٧، حلية الأولياء: ٦٥/١، المصنّف لابن أبي شيبة: ٤٢/٥٠٢/٧، كلاًها عن هيرة و ص ٣١/٤٩٩ عن عاصم بن ضمرة، مروج الذهب: ٤٢٦/٢، مسند البزار: ١٨٠/٤/١٣٤١ عن أبي رزين، شرح نهج البلاغة: ٢١٩/٧،

٩٣ - عنه عليه السلام: ما قدمت رايةً قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا نكسها الله تبارك وتعالى، وغلب أصحابها، وانقلبوا صاغرين.

وما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه ذي الفقار أحداً فنجا، وكان إذا قاتل قاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ومَلَكَ الموت بين يديه ^(١).

٩٤ - في أسد الغابة عن سعيد بن المسيّب: لقد أصابت علياً يوم أحد ستّ عشرة ضربة، كلّ ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبرئيل عليه السلام ^(٢).

= المستطرف: ٢٢٢/١؛ الكافي: ١/٤٥٧/٨ عن أبي حمزة عن الإمام الباقر عنه عليه السلام، الإرشاد: ٨/٢ عن أبي إسحاق السبيعي وغيره، الأمالي للطوسي: ٥٠١/٢٧٠ عن أبي الطفيل وكلها نحوه.
(١) الأمالي للصدوق: ٦٠٣/٨٣٨ عن عمرو بن حبشي.
(٢) أسد الغابة: ٤/٩٣/٣٧٨٩؛ شرح الأخبار: ٢/٤١٥/٧٦٢ عن سعد بن المسيّب نحوه.

تدابير أمير المؤمنين عليه السلام الأمنية قبل الحرب

٩٥- قال الإمام عليّ عليه السلام: شرّ البلاد بلد لا أمن فيه، ولا خصب ^(١).

٩٦- عنه عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشر - الجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعزّ الدين، وسبّل الأمن، وليس تقوم الرعية إلاّ بهم... لا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإنّ في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك، وأمناً لبلادك ^(٢).

٩٧- عنه عليه السلام: اللهم إنك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن إنزرد المعالم من دينك، ونُظهِر الإصلاح في بلادك، فيا من المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك ^(٣).

٩٨- عنه عليه السلام: لا بدّ للناس من أميرٍ برّ أو فاجر؛ يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفياء، ويقا تلّ به العدو، وتؤمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ؛ حتى يستريح برّ، ويُسْتراح من فاجرٍ ^(٤).

٩٩- قال الإمام عليّ عليه السلام - في كتابه إلى عمّاله -: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من العمّال: أمّا بعد فإنّ رجالاً لنا عندهم بيعةٌ خرجوا هرباً فنظنّهم وجّهوا نحو بلاد البصرة، فاسأل عنهم أهل بلادك، واجعل

(١) غرر الحكم: ٥٦٨٤، عيون الحكم والمراعي: ٥٢٥٣/٢٩٤.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، تحف العقول: ١٣١ وفيه «وسبيل الأمن والخفّض» بدل «وسبيل الأمن»

و ص ١٤٥ وراجع دعائم الإسلام: ٣٥٧/١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١؛ تذكرة الخواص: ١٢٠ عن عبد الله بن صالح العجلي.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

عليهم العيون في كل ناحية من أرضك، ثم اكتب إلي بما ينتهي اليك عنهم، والسلام^(١).
 ١٠٠ - في وقعة صفين: إن علياً أظهر أنه مصبِّحُ غداً معاوية ومُناجِرُهُ، فبلغ ذلك معاوية، وفزع أهل الشام لذلك وانكسروا لقوله: وكان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية، وكان مبغضاً لمعاوية وأهل الشام، وله هوى مع أهل العراق وعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكان يكتب بالأخبار إلى عبدالله بن الطفيل العامري ويبعث بها إلى علي عليه السلام^(٢).

١٠١ - في وقعة صفين: بعث عليٌّ خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادّةً، فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيونُ عليٍّ فأخبرته بما قد كان، فقال عليٌّ لأصحابه: فما ترون فيما هاهنا؟ فقال بعضهم: نرى كذا. وقال بعضهم: نرى كذا. فلما رأى ذلك الاختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى القتال قتال صفين، فانهزم أهل الشام^(٣).

١٠٢ - في أنساب الأشراف: قدم على علي بن أبي طالب عين له بالشام فأخبره بخبر بسر - يقال: إنه قيس بن زرارة بن عمرو بن حطيان الهمداني، وكان قيس هذا عيناً له بالشام يكتب إليه بالأخبار^(٤).

١٠٣ - قال الإمام علي عليه السلام - من كتابه إلى عبدالله بن بديل -: وإياك ومواقعة أحد من خيل العدو حتى أتقدم عليك، وأذك العيون نحوهم، وليكن مع عيونك من السلاح ما يباشرون به القتال، ولتكن عيونك الشجعان من جنك، فإن الجبان لا يأتيك بصحة الأمر، وانتة إلى أمري ومن قبلك بإذن الله والسلام^(٥).

١٠٤ - في الفتوح - في ذكر حرب صفين -: قد كان مع معاوية رجل من حمير يقال له

(١) الغارات: ٣٣٧/١، بحار الأنوار: ٣٣/٤٠٧/٦٢٨.

(٢) وقعة صفين: ٤٦٨.

(٣) وقعة صفين: ٣٦٠، بحار الأنوار: ٣٢/٥٠٠/٤٣٠؛ شرح نهج البلاغة: ٣٩/٨.

(٤) أنساب الأشراف: ٢١٢/٣.

(٥) المعيار والموازنة: ١٣١.

الحسين بن مالك وكان ي كاتب علي بن أبي طالب عليه السلام ويدلّه على عورات معاوية ^(١).

١٠٥ - عنه عليه السلام: قد جهل من استنصح أعداءه ^(٢).

١٠٦ - عنه عليه السلام: لا تشاور عدوك واستره خبرك ^(٣).

١٠٧ - عنه عليه السلام: استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع

مقاصدهم ^(٤).

١٠٨ - عنه عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه - : استشر عدوك تجربة لتعلم مقدار

عداوته ^(٥).

١٠٩ - عنه عليه السلام: من استعان بعدوه على حاجته ازداد بعداً منها ^(٦).

احذروا العدو

١١٠ - قال الإمام علي عليه السلام: من نام لم يتم عنه ^(٧).

١١١ - عنه عليه السلام: كن من عدوك على أشدّ الحذر ^(٨).

١١٢ - عنه عليه السلام: لا تأمن عدواً وإن شكر ^(٩).

١١٣ - عنه عليه السلام: شرّ الأعداء أبعدهم غوراً وأخفاهم مكيدة ^(١٠).

١١٤ - عنه عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه - : كن للعدو المكاتم أشدّ حذراً منك للعدو

(١) الفتوح: ٣/٧٨.

(٢) غرر الحكم: ٦٦٦٣.

(٣) غرر الحكم: ١٠١٩٨.

(٤) غرر الحكم: ٢٤٦٢.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣١٧/٦٣٤.

(٦) غرر الحكم: ٨٩٨٤.

(٧) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢، الغارات: ١/٣٢١ عن جندب.

(٨) غرر الحكم: ١٠٣٠١.

(٩) غرر الحكم: ١٠١٩٧.

(١٠) غرر الحكم: ٥٧٨١.

المبارز^(١).

١١٥- عنه عليه السلام: أو هن الأعداء كيداً من أظهر عداوته^(٢).

١١٦- عنه عليه السلام: من أظهر عداوته قلّ كيدُه^(٣).

١١٧- عنه عليه السلام: لا تغترن بمجاملة العدو، فإنه كالماء وإن أطيل إسخانه بالنار لا يمتنع

من إطفائها^(٤).

قال الإمام الباقر عليه السلام: لما نزل أمير المؤمنين عليه السلام النهروان سأل عن جميل بن بصيهرى كاتب [أ] نوشيروان ف قيل: إنه بعدُ حي يرزق، فأمر بإحضاره، فلما حضر وجد حواسه كلّها سالمة إلا البصر وذهنه صافياً وقريحته تامة.

فسأله كيف ينبغي للإنسان يا جميل أن يكون؟

قال: يجب أن يكون قليل الصديق كثير العدو. قال: أبدعت يا جميل! فقد أجمع الناس على أنّ كثرة الأصدقاء أولى.

فقال: ليس الأمر على ما ظنّوا، فإنّ الأصدقاء إذا كلّفوا السعي في حاجة الإنسان لم ينهضوا بها كما يجب وينبغي، والمثل فيه «من كثرة الملاحين غرقت السفينة».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد امتحنت هذا فوجدته صواباً، فما منفعة كثرة

الأعداء؟

فقال: إنّ الأعداء إذا كثروا يكون الإنسان أبداً متحرّزاً متحفّظاً أن ينطق بما يؤخذ عليه أو تبدر منه زلّة يؤخذ عليها، فيكون أبداً على هذه الحالة سليماً من الخطايا والزلل.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣١١/٥٧٥.

(٢) غرر الحكم: ٣٢٥٨؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣٤٣/٩٤٧ وفيه «أهون» بدل «أوهن» وراجع أعلام

الدين: ٣١٣ وبحار الأنوار: ٣/٣٧٧/٧٨.

(٣) غرر الحكم: ٧٩٥٦.

(٤) غرر الحكم: ١٠٢٩٨.

فاستحسن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام (١).

لا تستصغر عدوك

١١٨ - قال الإمام علي عليه السلام: لا تستصغرنَّ عدوّاً وإن ضعف (٢).

١١٩ - عنه عليه السلام - في الحكم المنسوبة إليه -: احذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفظ، ورُبَّ صغير غلب كبيراً (٣).

١٢٠ - عنه عليه السلام - أيضاً -: لا تستصغرنَّ أمر عدوك إذا حاربته، فإنك إن ظفرت به لم تُحمد وإن ظفر بك لم تُعذر، والضعيف المحترس من العدو القوي أقرب إلى السلامة من القوي المغترّ بالضعيف (٤).

نصائح للمجاهدين في ساحة القتال

١٢١ - قال الإمام علي عليه السلام: استعمل مع عدوك مراقبة الإمكان وانتهاز الفرصة، تظفر (٥).

١٢٢ - عنه عليه السلام: لا توقع بالعدوّ قبل القدرة (٦).

١٢٣ - عنه عليه السلام: لا تظهر العداوة لمن لا سلطان لك عليه (٧).

١٢٤ - عنه عليه السلام: لا تعرّض لعدوك وهو مقبل؛ فإن إقباله يعينه عليك، ولا تعرّض له وهو مدبر؛ فإن إداره يكفيك أمره (٨).

(١) الدعوات: ٢٩٧/٦٥، بحار الأنوار: ٣٤/٣٤٥

(٢) غرر الحكم: ١٠٢١٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٢٨٢/٢٣١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣٠٩/٥٤٣.

(٥) غرر الحكم: ٢٣٤٧.

(٦) غرر الحكم: ١٠٢٥٨.

(٧) كنز الفوائد: ٢/١٨٣، بحار الأنوار: ٧٨/٩٣/١٠٤.

(٨) غرر الحكم: ١٠٣٠٦.

١٢٥ - عنه عليه السلام : أنكأ الأشياء لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدواً^(١).

الحروب التي خاضها أمير المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وآله

هناك مجموعة حروب خاضها الإمام عليه السلام تحت راية النبي صلى الله عليه وآله وقد كان له اليد

الطول في كل انتصاراتها وسوف نورد أهمها إن شاء الله:

شجاعة علي ودوره في غزوة بدر

١٢٦ - في المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الراية إلى

علي عليه السلام يوم بدر وهو ابن عشرين سنة^(٢).

١٢٧ - الطبقات الكبرى عن قتادة : إن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول

الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وفي كل مشهد^(٣).

١٢٨ - تاريخ الطبري عن ابن عباس - في ذكر يوم بدر : كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله

علي بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد^(٤).

١٢٩ - المستدرك على الصحيحين عن عبد الله : كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، قال:

وكان علي وأبولبابة زميلي رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وكان إذا كانت عُقْبَتَهُ^(٥) قلنا اركب حتى

(١) نثر الدر: ٢٩٣/١.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤٥٨٣/١٢٠/٣، السنن الكبرى: ١٢١٦٥/٣٤٠/٦، المعجم

الكبير: ١٧٤/١٠٦/١، الاستيعاب: ١٨٧٥/٢٠١/٣، تاريخ دمشق: ٧٢/٤٢ و ٧١/٤٢، المناقب

لابن المغازلي: ٤١٣/٣٦٦، المناقب للخوارزمي: ١٩٩/١٦٧، البداية والنهاية: ٢٢٤/٧.

(٣) الطبقات الكبرى: ٢٣/٣، تاريخ دمشق: ٧٤/٤٢ و ٧٢ عن الحكم، فضائل الصحابة لابن

حنبل: ١١٠٦/٦٥٠/٢ عن ابن عباس والحكم.

(٤) تاريخ الطبري: ٤٣١/٢ وراجع السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٤/٢ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٥١٢

والكامل في التاريخ: ٥٢٧/١.

(٥) دارت عُقْبَةُ فلان؛ أي جاءت نوبته ووقت ركوبه (النهاية: ٢٦٨/٣).

نمشي، فيقول: ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم^(١).

١٣٠ - السيرة النبوية عن ابن إسحاق - في ذكر يوم بدر: كانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً، فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد ابن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً^(٢).

١٣١ - فضائل الصحابة عن الحارث عن الإمام عليّ ﷺ: لما كانت ليلة بدر قال رسول الله ﷺ: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، فقام عليّ فاحتضن قربة، ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة، فأنحدر فيها فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصر محمد ﷺ وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لَغَطٌ^(٣) يذعر من سمعه، فلما حاذوا البئر سلّموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتجليلاً^(٤).

١٣٢ - المناقب لابن شهر آشوب عن محمد ابن الحنفية: بعث رسول الله ﷺ علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء حين سكت أصحابه عن إيراده، فلما أتى القليب^(٥) وملاً القربة الماء فأخرجها جاءت ريح فهرقته، ثم عاد إلى القليب وملاً القربة فأخرجها فجاءت ريح فأهرقته وهكذا في الثالثة، فلما كانت الرابعة ملاًها فأتى بها النبي فأخبر بخبره، فقال رسول الله ﷺ: أمّا الريح الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثانية ميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، والريح الثالثة إسرافيل

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤٢٩٩/٢٣/٣ وج ٢٤٥٣/١٠٠/٢، مسند ابن حنبل: ٣٩٠١/٨٢/٢ وفيه «وكانت عقبة رسول الله ﷺ قال: فقالا: نحن نمشي عنك» بدل «وكان إذا كانت عُقْبَتُهُ قلنا: اركب حتى نمشي»، السنن الكبرى: ١٠٣٥٧/٤٢٣/٥ وفيه «كنا يوم بدر اثنين على بعير وثلاثة على بعير وكان زميلي رسول الله ﷺ وعليّ وأبو لبابة الأنصاري، وكانت إذا حانت عقبتهما قال: يا رسول الله، اركب...»، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٤١/١ وفيه «فكان إذا دارت عقبتهما قالاً».

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٦٤/٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٥١/٢، المغازي: ٢٣/١، الكامل في التاريخ: ٥٢٧/١ كلّها نحوه.

(٣) اللَغَطُ: الصوت والجلبة، وأصوات مبهمه لا تُفهم (مجمع البحرين: ١٦٣٥/٣).

(٤) فضائل الصحابة لابن حنبل: ١٠٤٩/٦١٣/٢، تاريخ دمشق: ٨٩٠٩/٣٣٧/٤٢، المناقب للخوارزمي: ٣٠٣/٣٠٨؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٢٤١/٢.

(٥) القليب: البئر التي لم تُطوَ (النهاية: ٩٨/٤).

في ألف من الملائكة سلّموا عليك.

وفي رواية: وما أتوك إلا ليحفظوك...

وكان يقول: كان لعلّي عليه السلام في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة، وثلاث مناقب (١).

١٣٣ - قال الإمام علي عليه السلام: كنتُ على قَلْبٍ يومَ بدرٍ أميح - أو أمتح - منه، فجاءت ريح شديدة، ثمّ جاءت ريح شديدة، لم أرَ ريحاً أشدّ منها إلا التي كانت قبلها، ثمّ جاءت ريح شديدة، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي صلى الله عليه وآله، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي صلى الله عليه وآله، والثالثة جبرئيل في ألف من الملائكة.

وكان أبوبكر عن يمينه وكنت عن يساره، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله صلى الله عليه وآله على فرسه، فلما استويت عليه حمل بي فصرت على عنقه، فدعوت الله فثبتني عليه، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطني (٢).

١٣٤ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: لما عطش القوم يوم بدر انطلق عليّ بالقربة يستقي وهو على القليب إذ جاءت ريح شديدة ثمّ مضت، فلبث ما بدا له، ثمّ جاءت ريح أخرى ثمّ مضت ثمّ جاءت أخرى كاد أن تشغله وهو على القليب، ثمّ جلس حتى مضى، فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما الريح الأولى فيها جبرئيل مع ألف من الملائكة، والثانية فيها ميكائيل مع ألف من الملائكة، والثالثة فيها إسرافيل مع ألف من الملائكة، وقد سلّموا عليك وهم مدد لنا، وهم الذين رأهم إبليس فنكص على عقبيه يمشي القهقري

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٤٢، شرح الأخبار: ٢/٤١٤/٧٦١ عن الليث، المناقب للكوفي: ٢/٥٣٩/١٠٤٣ عن ليث بن أبي سليم عن بعض أصحابه، قرب الإسناد: ١١١/٣٨٧ عن ابن عباس وكلّها نحوه.

(٢) مسند أبي يعلى: ١/٢٥٨/٤٨٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٨٦، المستدرک على الصحيحين: ٣/٧٢/٤٤٣١، المغازي: ١/٥٧/١ كلّها عن محمد بن جبير بن مطعم.

حتى يقول: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)(٢).

١٣٥ - السيرة النبوية عن ابن إسحاق - في ذكر أحداث معركة بدر: ثم خرج بعده^(٣)

عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر، يقال: هو عبدالله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا علي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي، قالوا: نعم، أكفأ كرام، فبارز عبيدة - وكان أسنّ القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينها ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فذقفا^(٤) عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه^(٥).

١٣٦ - المناقب لابن شهر آشوب: ولا خلاف أن أول مبارز في الإسلام: عليّ وحمزة

وأبو عبيدة بن الحارث في يوم بدر، قال الشعبي: ثم حمل عليّ على الكتيبة مصمماً وحده^(٦).

١٣٧ - قال الإمام عليّ عليه السلام: لقد تعجبت يوم بدر من جرأة القوم، وقد قتلت الوليد بن

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) تفسير العياشي: ٢/٦٥/٧٠ عن أبي مقدم.

(٣) أي بعد الأسود بن عبد الأسد المخزومي الذي قتله حمزة بن عبدالمطلب.

(٤) تذييف الجريح: الإجهاز عليه وتحريير قتله (النهاية: ٢/١٦٢).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٧٧، تاريخ الطبري: ٢/٤٤٥، تاريخ الإسلام للذهبي: ٥٧/٢،

الكامل في التاريخ: ١/٥٣١، المغازي: ١/٦٨ نحوه.

(٦) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٦٨؛ أنساب الأشراف: ٢/٣٦٣ وفيه ذيله.

عتبة، وقتل حمزة عتبة وشركته في قتل شيبية، إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان، فلما دنا منّي ضربته ضربةً بالسيف فسالت عيناه، فلزم الأرض قتيلاً^(١).

١٣٨ - الإرشاد: بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه من سواه فلم يلبث أن قتله، وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله، وبرز بعده طعيمة بن عدّي فقتله، وقتل بعده نوفل بن خويلد - وكان من شياطين قريش - ولم يزل عليه السلام يقتل واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على شطر المقتولين منهم وكانوا سبعين قتيلاً؛ تولى كافةً من حضر بديراً من المؤمنين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسومين قتل الشطر منهم، وتولى أمير المؤمنين قتل الشطر الآخر وحده^(٢).

١٣٩ - الإرشاد عن صالح بن كيسان: مرّ عثمان بن عفان بسعيد بن العاص فقال: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نتحدّث عنده، فانطلقا، قال [سعيد بن العاص]: فأما عثمان فصار إلى مجلسه الذي يشتهي، وأما أنا فملت إلى ناحية القوم، فنظر إليّ عمر وقال: مالي أراك كأنّ في نفسك عليّ شيئاً؟ أتظنّ أنّي قتلت أباك؟ والله لو ددت أنّي كنت قاتله، ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، لكنني مررت به يوم بدر فرأيتته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزيدا^(٣) كالوزغ، فلما رأيت ذلك هبته ورُغت عنه، فقال: إلى أين يا بن الخطاب؟ وصمد له عليّ فتناوله، فوالله ما رُمت مكاني حتى قتله.

قال: وكان عليّ عليه السلام حاضراً في المجلس، فقال: اللهمّ غفراً؟! ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدّم، فمالك تهيج الناس! فكفّ عمر. قال سعيد: أما إنّه ما كان يسرّني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه عليّ بن أبي طالب^(٤).

(١) الإرشاد: ٧٥ / ١، إعلام الوری: ١٧٠ / ١ وليس فيه «وقتل حمزة عتبة وشركته في قتل شيبية»

كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام، كشف الغمّة: ١٨٦ / ١.

(٢) الإرشاد: ٦٩ / ١، كشف الغمّة: ١٨٣ / ١ نحوه.

(٣) تزبد الإنسان: إذا غضب وظهر على صمغيه زبدتان (لسان العرب: ١٩٣ / ٣).

(٤) الإرشاد: ٧٥ / ١، كشف الغمّة: ١٨٦ / ١ وراجع المغازي: ٩٢ / ١ وشرح نهج البلاغة: ١٤٤ / ١٤.

١٤٠ - في الإرشاد عن الزهري: لما عرف رسول الله ﷺ حضور نوفل بن خويلد بداراً قال: اللهم اكفني نوفلاً، فلما انكشفت قريش رآه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد تحير لا يدري ما يصنع، فصمد له ثم ضربه بالسيف فنشب في حَجَفَتِهِ^(١) فانترعه منها، ثم ضرب به ساقه - وكانت درعه مُشَمَّرَةً^(٢) - فقطعها، ثم أجهز عليه فقتله.

فلما عاد إلى النبي ﷺ سمعه يقول: من له علم بنوفل؟ فقال له: أنا قتلته يا رسول الله، فكبر النبي ﷺ وقال: الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه^(٣).

١٤١ - في حلية الأولياء عن محمد بن إدريس الشافعي: دخل رجل من بني كنانة على معاوية بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بداراً؟ قال: نعم. قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قُمْدود^(٤) مثل عطباء الجُمُود^(٥)، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت. قال: ما كنا إلا شهوداً كأغياب، وما رأينا ظفراً كان أو شك منه. قال: فصف لي ما رأيت؟

قال: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب؛ غلاماً شاباً ليناً عبقرياً يفري الفري^(٦)، لا يثبت له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئاً إلا هتكه، لم أر من الناس أحداً قط أنفق منه، يحمل حملة، ويلتفت التفاتة كأته ثعلب رَوَّاع^(٧)، وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه ووثوب وحش^(٨).

١٤٢ - في الفائق عن سعد بن أبي وقاص: رأيت [علياً رضي الله عنه] يوم بدر وهو يقول:

(١) الحَجَفَةُ: يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب (الصحاح: ٤/١٣٤١).

(٢) مِنْ شَمَّرَ الإزار والثوب تشميراً: رَفَعَهُ (لسان العرب: ٤/٤٢٨).

(٣) الإرشاد: ٧٦/١، كشف الغمة: ١٨٧/١ وراجع المغازي: ٩١/١ و ٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي: ٩٤٣ وشرح نهج البلاغة: ١٤/١٤٣ و ١٤٤.

(٤) رجل قُمْدود: قوي شديد (تاج العروس: ٥/٢٠٧).

(٥) الجُمُود: الصخر (لسان العرب: ٢/١٢٩).

(٦) تقول العرب: تركته يفري الفري: إذا عمل العمل فأجاده (لسان العرب: ١٥/١٥٣ و ١٥٤).

(٧) مِنْ رَوَّاعِ الثعلب؛ أي مأل وحاد عن الشيء (تاج العروس: ١٢/٢٦). وفي المصدر: «رَوَّاع»، والصحيح ما أثبتناه.

(٨) حلية الأولياء: ٩/١٤٥ وراجع المعجم الكبير: ٣/١٥٠/٢٩٥٦.

بِأَزْلٍ عَامِينَ حَدِيثُ سِنِّي (١)
سَنَخْنَحُ (٢) اللَّيْلَ كَأَنِّي جَنِّي
لَمِثْلَ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي
مَا تَنْقَمُ الْحَرْبَ الْعَوَانَ مَنِّي (٣)

١٤٣ - في المناقب لابن شهر آشوب - في علي عليه السلام: إِنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَسْمَوْنَهُ الْمَوْتَ

الْأَحْمَرَ؛ سَمَّوْهُ يَوْمَ بَدْرٍ لِعَظَمِ بِلَائِهِ وَنِكَايَتِهِ (٤)(٥).

١٤٤ - في تفسير القمي: كَانَ الْقَتْلَى بِبَدْرٍ سَبْعِينَ، وَالْأَسْرَى سَبْعِينَ، قَتَلَ مِنْهُمْ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَبْعَةَ وَعِشْرِينَ، وَلَمْ يُؤْسَرْ أَحَدًا (٦).

١٤٥ - في الإرشاد: قَدْ أُثْبِتَ رِوَاةَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مَعًا أَسْمَاءَ الَّذِينَ تَوَلَّى

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَتَلَهُمْ بِبَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى اتِّفَاقٍ فِيمَا نَقَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ وَاصْطِلَاحٍ،

فَكَانَ مَمَّنْ سَمَّوْهُ:

الوليد بن عتبة - كما قدّمناه - وكان شجاعاً جريئاً فاتكاً وقاحاً، تهابه الرجال.

والعاص بن سعيد؛ وكان هولاً عظيماً، تهابه الأبطال. وهو الذي حاد عنه عمر بن

الخطّاب....

وطعيمة بن عدي بن نوفل؛ وكان من رؤوس أهل الضلال.

ونوفل بن خويلد؛ وكان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت قريش

تقدّمه وتعظّمه وتطيعه، وهو الذي قرن أبا بكر بطلحة - قبل الهجرة بمكة - وأوثقهما

بحبلٍ وعذبهما يوماً إلى الليل حتى سُئِلَ فِي أَمْرِهِمَا. وَلَمَّا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله

حضوره بداراً سأل الله عزّ وجلّ أن يكفيه أمره، فقال: «اللهم اكفني نوفل بن خويلد»،

(١) البازل: الرجل الكامل في تجربته وعقله؛ أي أنا في استكمال القوّة كهذا البعير مع حداثة السنّ (تاج العروس: ٥١/١٤).

(٢) رجل سنخخ: أي لا ينام الليل (تاج العروس: ٩٧/٤).

(٣) الفائق: ٩٥/١، المناقب للخوارزمي: ١٥٨/١٨٧، المناقب لابن المغازلي: ٤٨/٣٢؛ المناقب

للكوفي: ١٠٨٠/٥٦٩/٢ وزاد في ذيلهما «فما رجع حتى خضب سيفه دمًا» وكلّها إلى «أمّي».

(٤) يقال: نكّيت في العدو نكاية: إذا أكثر فيهم الجراح والقتل (النهاية: ١١٧/٥).

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ٦٨/٢، بحار الأنوار: ١/٦٣/٤١.

(٦) تفسير القمي: ٢٦٩/١، بحار الأنوار: ٣/٢٥٩/١٩.

فقتله أمير المؤمنين عليه السلام.

وزمعة بن الأسود، والحارث بن زمعة، والنضر بن الحارث بن عبدالدار، وعمير ابن عثمان بن كعب بن تميم عمّ طلحة بن عبيدالله، وعثمان ومالك ابنا عبيدالله أخوا طلحة ابن عبيدالله، ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، وحذيفة ابن أبي حذيفة بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وحنظلة بن أبي سفيان، وعمرو بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعه، ومنبّه بن الحجاج السهمي، والعاص بن منبّه، وعلقمة بن كلدة، وأبو العاص بن قيس بن عدي، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص، ولوزان بن ربيعة، وعبدالله بن المنذر بن أبي رفاعه، ومسعود بن أمية بن المغيرة، وحاجب بن السائب بن عويمر، وأوس بن المغيرة بن لوزان، وزيد بن مليص، وعاصم بن أبي عوف، وسعيد بن وهب حليف بني عامر، ومعاوية بن عامر بن عبدالقيس، وعبدالله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد، والسائب بن مالك، وأبو الحكم بن الأحنس، وهشام بن أبي أمية بن المغيرة.

فذلك خمسة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه، أو شرك أمير المؤمنين عليه السلام فيه غيره، وهم أكثر من شطر المقتولين ببدر على ما قدّمناه^(١).

١٤٦ - في المناقب للخوارزمي عن الإمام الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله يوم بدر: هذا رضوان؛ ملك من ملائكة الله ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي^(٢).

١٤٧ - قال الإمام الباقر عليه السلام: نادى منادٍ في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف

إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي^(٣).

(١) الإرشاد: ٧٠ / ١ وراجع المغازي: ١٤٧ / ١ - ١٥٢ والسيرة النبوية لابن هشام: ٣٦٥ / ٢ والفصول المهمة: ٥٢.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٢٠٠ / ١٦٧ عن سليمان بن بلال عن الإمام الصادق عليه السلام، كفاية الطالب: ٢٨٠ عن سليمان بن بلال عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عليه السلام عن جابر.

(٣) تاريخ دمشق: ٧١ / ٤٢، البداية والنهاية: ٣٣٦ / ٧ كلامهما عن سعيد بن محمد الحنظلي، المناقب

شجاعة علي ودوره في غزوة أحد

١٤٨ - في تاريخ الطبري عن السدي - في ذكر غزوة أحد: إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة؛ فهل منكم أحد يعجله الله بسيوفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟! فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيوفي إلى النار، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته، فقال: أشدك الله والرحم يابن عم! فتركه، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لعلي: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته، فاستحييت منه ^(١).

١٤٩ - في الإرشاد عن ابن إسحاق: كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن طلحة ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل ابنه أباسعيد بن طلحة، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة، وقتل عبدالله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وقتل أبا الحكم بن الأحنس بن شريق الثقفي، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أرطاة بن شرحبيل، وقتل هشام بن أمية وعمرو بن عبدالله الجمحي وبشر بن مالك، وقتل صوابا مولى بني عبد الدار؛ فكان الفتح له، ورجوع الناس من هزيمتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله بمقامه يذب عنه دونهم.

وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم - يومئذ - سواء ومن ثبت معه من رجال الأنصار وكانوا ثمانية نفر، وقيل: أربعة أو خمسة.

وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أحد وغناؤه في الحرب وحسن بلائه يقول الحجاج بن

= لابن المغازلي: ٢٣٥/١٩٩، كفاية الطالب: ٢٧٧ كلاهما عن سعد بن طريف الحنظلي، الرياض النضرة: ١٥٥/٣؛ روضة الواعظين: ١٤٣ عن الإمام الصادق عليه السلام، الاحتجاج: ١/٣٢٤/٥٥ نحوه.

(١) تاريخ الطبري: ٥٠٩/٢ وراجع المغازي: ٢٢٦/١ والسيرة الحلبية: ٢٢٣/٢.

علاط السلمي:

لله أي مذبذب عن حزبه^(١) أعني ابن فاطمة المعتم المخولا^(٢)
جادت يداك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدلاً^(٣)
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالسفح إذ يهوون أسفل أسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن لترده حران^(٤) حتى ينهلا^(٥)

١٥٠ - في السيرة النبوية عن مسلمة بن علقمة المازني: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قدم الراية.

فتقدم علي فقال: أنا أبو القُصم - ويقال أبو القُصم -، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة - وهو صاحب لواء المشركين - : أن هل لك يا أبا القُصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزنا بين الصفين فاختلفا ضربتين، فضربه علي فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله^(٦).

١٥١ - في المناقب لابن شهر آشوب عن زيد بن علي عن آبائه ﷺ: كُسرت زند علي يوم أُحد وفي يده لواء رسول الله ﷺ، فسقط اللواء من يده فتحاماه المسلمون أن يأخذوه، فقال رسول الله: فضعوه في يده الشمال، فإنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة. وفي رواية غيره: فرقع المقداد وأعطاه علياً، وقال ﷺ: أنت صاحب رايتي في الدنيا والآخرة^(٧).

(١) وفي نسخة «حرمة».

(٢) المعتم المخول: الكثير الأعمام والأخوال والكريمهم (الصحاح: ١٩٩٢/٥).

(٣) مجدلاً: أي مرمياً ملقى على الأرض قتيلاً (النهاية: ٢٤٨/١).

(٤) أي عطشان (لسان العرب: ١٧٨/٤).

(٥) الإرشاد: ٩١/١، كشف الغمة: ١٩٦/١ وراجع السيرة النبوية لابن هشام: ١٥٩/٣.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٧٧/٣، البداية والنهاية: ٢٠/٤.

(٧) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٩/٣.

١٥٢ - في المعجم الكبير عن أبي رافع: لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ عليه السلام يَوْمَ أُحُدٍ أَصْحَابَ الْأَلْوِيَةِ قَالَ جَبْرِيْلُ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْمَوَاسِيءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ. قَالَ جَبْرِيْلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١).

١٥٣ - في تاريخ الطبري عن أبي رافع: لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَ الْأَلْوِيَةِ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ، وَقَتَلَ عَمْرُو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمْحِيَّ.

قال: ثُمَّ أَبْصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قَرِيْشٍ، فَقَالَ لِعَلِيِّ: احْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَقَتَلَ شَيْبَةَ بِنَ مَالِكٍ أَحَدِ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَقَالَ جَبْرِيْلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ هَذِهِ لِلْمَوَاسِيءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، فَقَالَ جَبْرِيْلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ، قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذَوَالْفَقَا رِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ ^(٢)

١٥٤ - في الإرشاد عن عبد الله بن مسعود - في ذكر غزوة أُحُدٍ: كَانَ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ طَلْحَةَ بِنِ أَبِي طَلْحَةَ وَكَانَ يَدْعَى كِبْشَ الْكَتِيْبَةِ، قَالَ: وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَوَاءَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَجَاءَ حَتَّى قَامَ تَحْتَ لَوَاءِ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَجَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى أَصْحَابِ اللَّوَاءِ فَقَالَ: يَا أَصْحَابَ الْأَلْوِيَةِ! إِنَّكُمْ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَا يَأْتِي الْقَوْمَ مِنْ قَبْلِ الْوَيْتِهِمْ، وَإِنَّمَا أُتِيْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قَبْلِ الْوَيْتِكُمْ؛ فَاِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ ضَعَفْتُمْ عَنْهَا فَادْفَعُوها إِلَيْنَا نَكْفِكُمْها.

قال: فغضب طلحة بن أبي طلحة وقال: ألنا تقول هذا؟! والله لأوردنكم بها اليوم

(١) المعجم الكبير: ١/٣١٨/٩٤١، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/٦٥٧/١١١٩؛ الاحتجاج: ٢/٣٤٠/٢٧١ عن أبي محمد رفعه إلى الإمام الكاظم عليه السلام وليس فيه «لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ عليه السلام يَوْمَ أُحُدٍ أَصْحَابَ الْأَلْوِيَةِ»، العمدة: ٢٠٠/٣٠٣، المناقب للكوفي: ١/٤٨٠/٣٨٧ عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/٥١٤، الكامل في التاريخ: ١/٥٥١ و ٥٥٢؛ بشارة المصطفى: ١٨٦ نحوه، المناقب للكوفي: ١/٤٩١/٣٩٨ و ص ٤٩٥/٤٠٣.

حياض الموت قال: وكان طلحة يسمّى كبش الكتيبة، قال: فتقدّم وتقدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال عليّ: من أنت قال: أنا طلحة بن أبي طلحة، أنا كبش الكتيبة، قال: فمن أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ثمّ تقاربا فاختلفت بينهما ضربتان، فضربه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ضربة على مقدّم رأسه، فبدرت عيناه وصاح صيحة لم يسمع مثلها قطّ، وسقط اللواء من يده، فأخذه أخ له يقال له ^(١): مصعب، فرماه عاصم بن ثابت فقتله، ثمّ أخذ اللواء أخ له يقال له: عثمان، فرماه عاصم أيضاً فقتله، فأخذه عبد لهم يقال له: صواب - وكان من أشدّ الناس - فضرب عليّ بن أبي طالب عليه السلام يده فقطعها، فأخذ اللواء بيده اليسرى، فضربه على يده فقطعها، فأخذ اللواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه، فضربه عليّ عليه السلام على أمّ رأسه فسقط صريعاً.

وانهزم القوم وأكبّ المسلمون على الغنائم. ولما رأى أصحاب الشّعب ^(٢) الناس يغنمون قالوا: يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن، فقالوا لعبدالله بن عمرو بن حزم، الذي كان رئيساً عليهم: نريد أن نغنم كما غنم الناس، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا، فقالوا له: إنّه أمرك بهذا وهو لا يدري أنّ الأمر يبلغ إلى ما ترى! ومالوا إلى الغنائم وتركوه، ولم يبرح هو من موضعه، فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله، وجاء من ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله يريدونه فنظر إلى النبيّ في حَفٍّ من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به، فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ورمياً بالنبل ورضخاً بالحجارة، وجعل أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يقاتلون عنه حتى قتل منهم سبعون رجلاً.

وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبودجانة الأنصاري وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبيّ صلى الله عليه وآله وكثر عليهم المشركون، ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه ونظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ... فقال: يا عليّ! ما فعل الناس؟ فقال: تقضوا العهد وولّوا الدبر، فقال

(١) الزيادة منّا لتتميم العبارة.

(٢) الشّعب: ما انفرج بين جبليّن (لسان العرب: ١ / ٤٩٩).

له: فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم، ثم عاد إليه - وقد حملوا عليه من ناحية أخرى - فكَرَّ عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهما سيفه ليذبَّ عنه ^(١).

١٥٥ - الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة، قتلهم علي عن آخرهم، وانهزم القوم، وطارت مخزوم منذ فضحها علي بن أبي طالب يومئذ. قال: وبارز علي الحكم بن الأخنس فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها ^(٢).

١٥٦ - في المغازي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم أحد: من له علم بذكوان بن عبدقيس؟ قال علي عليه السلام: أنا رأيت - يا رسول الله - فارساً يركض في أثره حتى لحقه وهو يقول: لا نجوت إن نجوت! فحمل عليه بفرسه وذكوان راجل، فضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن علاج! فأهويت إليه وهو فارس، فضربت رجله بالسيف حتى قطعتها عن نصف الفخذ، ثم طرحته من فرسه، فذفت عليه وإذا هو أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفي ^(٣).

١٥٧ - قال الإمام الصادق عليه السلام: لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي صلى الله عليه وآله انصرف إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد، أنا رسول الله، لم أقتل ولم أمت... وكان الناس يحملون على النبي صلى الله عليه وآله الميمنة فيكشفهم علي عليه السلام، فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع، فيومئذ أعطاه النبي صلى الله عليه وآله ذا الفقار، ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله اختلاج ^(٤) ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك، فأقبل علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أسمع دويًا شديداً،

(١) الإرشاد: ٨٠/١، كشف الغمة: ١٩٢/١ وراجع تفسير القمي: ١١٢/١.

(٢) الإرشاد: ٨٨/١ عن أبي عبيدة.

(٣) المغازي: ٢٨٣/١، شرح نهج البلاغة: ٢٧٥/١٤.

(٤) الاختلاج: الحركة والاضطراب (النهاية: ٦٠/٢).

وأسمع «أَقْدِم حَيَزُومٌ»^(١) وما أهمّ أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل أن أضربه؟ فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة، ثمّ جاء جبرئيل ﷺ فوقف إلى جنب رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! إنّ هذه لهي المواساة، فقال: إنّ علياً منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما. ثمّ انهزم الناس^(٢).

١٥٨ - قال الإمام الكاظم ﷺ: إنّ جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد! إنّ هذه لهي المواساة من عليّ. قال: لأنّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله ﷺ. ثمّ قال: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ، فكان كما مدح الله تعالى به خليله ﷺ إذ يقول: «فَتَى يَدُ كُرْهُمُ يُقَالُ لَهُ- إِبْرَاهِيمُ»^{(٣)(٤)}.

١٥٩ - في الكافي عن نعمان الرازي عن الإمام الصادق ﷺ: انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله ﷺ، فغضب غضباً شديداً، قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللؤلؤ من العرق، قال: فنظر فإذا عليّ ﷺ إلى جنبه، فقال له: الحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله، فقال: يا رسول الله، لي بك أسوة، قال: فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أول من لقي منهم، فقال جبرئيل ﷺ: إنّ هذه لهي المواساة يا محمد، فقال: إنّّه منّي وأنا منه، فقال جبرئيل ﷺ: وأنا منكما يا محمد.

فقال أبو عبد الله ﷺ: فنظر رسول الله ﷺ إلى جبرئيل ﷺ على كرسيّ من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ^(٥).

١٦٠ - في السيرة النبوية عن ابن أبي نجيح: نادى منادٍ يوم أحد:

لا سيف إلا ذو الفقار
ولا فتى إلا عليّ^(٦)

(١) اسم فرس جبرئيل ﷺ (النهاية: ٤٦٧/١). وحيزوم: منادى؛ أي أقدم يا حيزوم.

(٢) الكافي: ٥٠٢/٣١٨/٨ عن الحسين أبي العلاء الخفاف وراجع تفسير القمي: ١١٦/١.

(٣) الأنبياء: ٦٠.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٩/٨٥/١، الاحتجاج: ٢٧١/٣٤٠/٢.

(٥) الكافي: ٩٠/١١٠/٨ وراجع علل الشرائع: ٣/٧ وتفسير فوات: ٧٨/٩٥.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٦/٣، المناقب لابن المغازلي: ٢٣٤/١٩٧ عن أبي رافع، شرح

١٦١- في المناقب للخوارزمي عن أبي ذر عن الإمام علي عليه السلام للمهاجرين والأنصار بعد حصول البيعة لعثمان: ناشدتكم الله تعالى، هل تعلمون - معاشر المهاجرين والأنصار - أن جبرئيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي؟ هل تعلمون كان هذا؟ قالوا: اللهم نعم (١).

١٦٢- في تاريخ الطبري: قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه لواؤه حتى قتل، وكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).

١٦٣- في الإرشاد: لما انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وآله في يوم أحد، وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال (٣) له: ما لك لا تذهب مع القوم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أذهب وأدعك يا رسول الله؟! والله لا برحت حتى أقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي؛ فإن الله منجز وعده، ولن ينالوا متاً مثلها أبداً.

ثم نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه، فقال له: لو حملت على هذه يا علي، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام، فقتل منها هشام بن أمية المخزومي وانهزم القوم. ثم أقبلت كتيبة أخرى، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: احمل على هذه، فحمل عليها فقتل منها عمرو بن عبد الله

= نهج البلاغة: ٢٩/١ وج ٢١٩/٧ وزاد في ذيله «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هذا صوت جبرئيل»؛ الإرشاد: ٨٧١ عن سعد بن طريف عن الإمام الباقر عن آبائه عليهم السلام وعن أبي رافع وعن عكرمة عن الإمام علي عليه السلام، معاني الأخبار: ١/١١٩، الأمالي للصدوق: ٢٦٨/٢٩٢ كلاهما عن أبان بن عثمان عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام، تفسير القمي: ١١٦/١ عن أبي وائلة، الأمالي للطوسي: ٢٣٢/١٤٣ عن محمد بن إسحاق عن مشيخته، شرح الأخبار: ٢٨٢/١ وج ٧٣٩/٣٨١/٢ عن سفيان الثوري بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٩٦/٣٠١؛ الطرائف: ٤١٤ كلاهما عن أبي ذر، نهج السعادة: ١٢٢/١ وراجع الاحتجاج: ٥٥/٣٢٤/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥١٦/٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧٧/٢، السيرة النبوية لابن هشام: ٧٧/٣ كلاهما عن ابن إسحاق، الكامل في التاريخ: ٥٥٢/١.

(٣) في المصدر: «فقال»، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار.

الجمحي، وانهزمت أيضاً. ثم أقبلت كتيبة أخرى، فقال له النبي ﷺ: احمل علي هذه، فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامري وانهزمت الكتيبة، فلم يعد بعدها أحد منهم.

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبي ﷺ وانصرف المشركون إلى مكة وانصرف النبي ﷺ إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة ؓ ومعها إناء فيه ماء، فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين ؓ وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة ؓ وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم. وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم	فلست برعديد ولا بمؤلم ^(١)
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد	وطاعة رب بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنه	سقى آل عبدالدار كأس حميم

وقال رسول الله ﷺ: خذيه يا فاطمة، فقد أدى بعك ما عليه وقد قتل الله بسيفه

صناديد قريش^(٢).

١٦٤ - قال الإمام علي ؓ - حينما رجع من غزوة أحد وأعطى فاطمة ؓ سيفه:

أفاطم هاك السيف غير ذميم	فلست برعديد ولا بمؤلم
لعمري لقد قاتلت في حب أحمد	وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفي بكفي كالشهاب أهزه	أجذب به من عاتق وصميم
فما زلت حتى فض ربّي جموعهم	وحتى شقينا نفس كل حليم ^(٣)

١٦٥ - في المغازي عن الإمام علي ؓ: لمّا كان يوم أحد وجال الناس تلك الجولة أقبل

(١) رجل رعديد: جبان يُرعّد عند القتال جبناً. والمؤلم: من استحقّ اللوم (لسان العرب: ١٧٩/٣ وج ٥٥٧/١٢).

(٢) الإرشاد: ٨٩/١ وراجع إعلام الوری: ٣٧٨/١ وشرح الأخبار: ٢٨٦/١/٢٨٠ ودعائم الإسلام: ٣٧٤/١ والمناقب للكوفي: ٣٦٩/٤٦٦/١ و ص ٣٨٢/٤٧٧ و ص ٣٩٢/٤٨٥ وبحار الأنوار: ٨٧/٢٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٣٣/٢؛ بشارة المصطفى: ١٨٧ عن أبي رافع نحوه.

أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وهو دارع مقنّع في الحديد، ما يرى منه إلا عيناه، وهو يقول: يوم بيوم بدر، فيعترض له رجل من المسلمين فيقتله أمية.

قال علي عليه السلام: وأصمد له فأضربه بالسيف على هامته وعليه بيضة وتحت البيضة مغفر، فنبا سيفي، وكنت رجلاً قصيراً، ويضربني بسيفه فأتقي بالذّرقّة، فلحج ^(١) سيفه فأضربه - وكانت درعه مشمّرة - فأقطع رجليه، ووقع فجعل يعالج سيفه حتى خلّصه من الذّرقّة ^(٢)، وجعل يناوشني وهو بارك على ركبتيه، حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فأخشّ بالسيف فيه، فمال ومات وانصرفت عنه ^(٣).

١٦٦ - في الإرشاد عن سعيد بن المسيّب: لو رأيت مقام عليّ يوم أحد لو جدته قائماً على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه بالسيف وقد ولّى غيره الأدبار ^(٤).

١٦٧ - قال الإمام الباقر عليه السلام: أصاب علياً عليه السلام يوم أحد ستون جراحة ^(٥).

١٦٨ - في تفسير القمي عن أبي وائلة شقيق بن سلمة - في عليّ عليه السلام: أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة ^(٦).

١٦٩ - في أسد الغابة عن سعيد بن المسيّب: لقد أصابت علياً يوم أحد ستّ عشرة ضربة، كلّ ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام ^(٧).

١٧٠ - في السيرة النبويّة عن ابن إسحاق: لما انصرف أبو سفيان ومن معه نادي: إنّ موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

(١) أي نَشِب فيه (النهاية: ٤/٢٣٦).

(٢) الذّرقّة: تُرْس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب (لسان العرب: ١٠/٩٥).

(٣) المغازي: ١/٢٧٩؛ الإرشاد: ١/٨٨ عن أبي عبيدة عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام نحوه.

(٤) الإرشاد: ١/٨٨.

(٥) مجمع البيان: ٢/٨٥٢ عن أبان بن عثمان، بحار الأنوار: ٤١/٣/٤.

(٦) تفسير القمي: ١/١١٦، بحار الأنوار: ٢٠/٥٤/٣.

(٧) أسد الغابة: ٤/٩٣/٣٧٨٩؛ شرح الأخبار: ٢/٤١٥/٧٦٢ عن سعد بن المسيّب، المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٤٠ كلاهما نحوه.

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جتبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزتهم!

قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجتبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة^(١).

١٧١ - قال الإمام علي عليه السلام: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها؟ فقال: يا علي، إن أمتي سيفتنون من بعدي. فقلت: يا رسول الله، أليس قد قلت لي يوم أحدٍ حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وجزت عني الشهادة، فشق ذلك علي، فقلت لي: أبشِّر؛ فإن الشهادة من ورائك.

فقال لي: إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البُشرى والشكر^(٣).

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/١٠٠، تاريخ الطبري: ٢/٥٢٧، الكامل في التاريخ: ١/٥٥٦ نحوه.

(٢) العنكبوت: ١ و ٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦.

شجاعة علي ودوره في غزوة بني النضير

١٧٢ - في الإرشاد: لما توجه رسول الله ﷺ إلى بني النضير، عمل على حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء، فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي ﷺ أن تحوّل قبته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار.

فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله، لا نرى علياً؟ فقال ﷺ: أراه في بعض ما يصلح شأنكم. فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي ﷺ - وكان يقال له: عزورا - فطرحه بين يدي النبي ﷺ. فقال له النبي ﷺ: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له وقلت: ما أجراه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منّا غزّة^(١)، فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود، فشددت عليه فقتلته وأقلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نقرأ! فإني أرجو أن أظفر بهم!

فبعث رسول الله ﷺ معه عشرة، فيهم: أبو دجانة سيماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن، فقتلوهم وجاؤوا بروؤوسهم إلى النبي ﷺ، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة.

وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير^(٢).

(١) الغزّة: الغفلة (النهاية: ٣٥٥/٢).

(٢) الإرشاد: ٩٢/١؛ المغازي: ٣٧١/١ نحوه.

شجاعة علي ودوره في غزوة بني قريظة

١٧٣- في الإرشاد: لما انهزم الأحزاب وولوا عن المسلمين الدبر، عمل رسول الله ﷺ على قصد بني قريظة، وأنفذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج، فقال له: انظر بني قريظة هل تركوا حصونهم! فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر^(١)، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: دعهم، فإن الله سيمكّن منهم، إن الذي أمكنك من عمرو بن عبدود لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشّر بنصر الله؛ فإن الله قد نصرني بالرعب بين يدي مسيرة شهر.

قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ، وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عليّ، فحين رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرجز:

قَتَلَ عَلِيٌّ عَمْرًا صَادَ عَلِيٌّ صَفْرًا
قَصَمَ عَلِيٌّ ظَهْرًا أَبْرَمَ عَلِيٌّ أَمْرًا
هَتَكَ عَلِيٌّ سِتْرًا

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك. وكان النبي ﷺ قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سير علي بركة الله؛ فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم. فسبرت مستيقناً لنصر الله عز وجلّ حتى ركزت الراية في أصل الحصن^(٢).

(١) هو الحُنا والقبیح من القول (النهاية: ٢٤٥/٥).

(٢) الإرشاد: ١/١٠٩، كشف اليقين: ١٥٨/١٧٠، بحار الأنوار: ٢/٢٦٢/١٩.

١٧٤ - في السيرة النبوية - في ذكر نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ -: إنَّ عليَّ بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان. وتقدّم هو والزبير ابن العوام وقال: والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنّ حصنهم؛ فقالوا: يا محمّد، ننزل على حكم سعد بن معاذ^(١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٢٥١، البداية والنهاية: ٤/١٢٢.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّهم إنّما رضوا بحكم سعد بن معاذ رجاء العفو عنهم؛ وذلك لوجود مودة قديمة بينه وبينهم من قبل الإسلام، ولكنّ سعداً حكم بقتل الرجال وسبي النساء وغنيمة الأموال.

شجاعة علي ودوره في غزوة الخندق

١٧٥ - في تاريخ اليعقوبي: كانت وقعة الخندق... في السنة السادسة بعد مقدم رسول الله بالمدينة بخمسة وخمسين شهراً، وكانت قريش تبعث إلى اليهود وسائر القبائل فحرّضوهم على قتال رسول الله، فاجتمع خلق من قريش إلى موضع يقال له: سَلْع^(١)، وأشار عليه سلمان الفارسي أن يحفر خندقاً، فحفر الخندق، وجعل لكل قبيلة حداً يحفرون إليه، وحفر رسول الله معهم حتى فرغ من حفر الخندق، وجعل له أبواباً، وجعل على الأبواب حرساً؛ من كل قبيلة رجلاً، وجعل عليهم الزبير بن العوّام، وأمره إن رأى قتالاً أن يقاتل. وكانت عدّة المسلمين سبعمائة رجل.

ووافى المشركون فأنكروا أمر الخندق، وقالوا: ما كانت العرب تعرف هذا! وأقاموا خمسة أيام، فلما كان اليوم الخامس خرج عمرو بن عبدود وأربعة نفر من المشركين: نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الحطّاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي. فخرج عليّ بن أبي طالب إلى عمرو ابن عبدود فبارزه وقتله، وانهزم الباقيون، وكبأ^(٢) بنوفل بن عبد الله بن المغيرة فرسه، فلحقه عليّ فقتله^(٣).

١٧٦ - في السنن الكبرى عن ابن إسحاق: خرج - يعني يوم الخندق - عمرو بن عبدود فنادى: من يبارز؟ فقام عليّ عليه السلام وهو مقتنع في الحديد فقال: أنا لها يا نبيّ الله، فقال: إنّه عمرو، اجلس.

ونادى عمرو: ألا رجل! وهو يؤنّبهم ويقول: أين جنّتكم التي تزعمون أنّه من قتل منكم دخلها؟ أفلا يبرز إليّ رجل؟! فقام عليّ عليه السلام فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس.

(١) موضع بقرب المدينة (معجم البلدان: ٢٣٦/٣).

(٢) الكبوة: السقوط للوجه، كبأ لوجهه: سقط. وكبأ - أيضاً - : عشر (سان العرب: ١٥ / ٢١٣).

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٥٠ / ٢.

ثم نادى الثالثة وذكر شعراً، فقام عليّ فقال: يا رسول الله، أنا، فقال: إنه عمرو! قال:
وإن كان عمرو! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله. فمشى إليه حتى أتاه وذكر شعراً.

فقال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا عليّ.

قال: ابن عبد مناف؟

فقال: أنا عليّ بن أبي طالب.

فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك؛ فإنّي أكره أن أُهريق دمك.

فقال عليّ عليه السلام: لكنّي والله ما أكره أن أُهريق دمك!

فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنّه شعلة نار، ثمّ أقبل نحو عليّ عليه السلام مغضباً، واستقبله
عليّ عليه السلام بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه
فشجّه، وضربه عليّ عليه السلام على حبل العاتق فسقط وثار العجاج، وسمع رسول الله صلى الله عليه وآله
التكبير، فعرف أنّ عليّاً عليه السلام قد قتله ^(١).

١٧٧ - في الإرشاد عن الزهري: جاء عمرو بن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة

ابن أبي وهب ونوفل بن عبدالله بن المغيرة وضرار بن الخطّاب - في يوم الأحزاب - إلى
الخندق، فجعلوا يطوفون به؛ يطلبون مضيقاً منه فيعبرون، حتى انتهوا إلى مكان
أكرهوا خيولهم فيه فعبرت، وجعلوا يجولون بخيلهم فيما بين الخندق وسلّع،
والمسلمون وقوف لا يُقدّم واحد منهم عليهم. وجعل عمرو بن عبدودّ يدعو إلى البراز
ويُعزّض بالمسلمين ويقول:

ء بجمعهم هل من مبارز

ولقد بحثت من الندا

في كلّ ذلك يقوم عليّ بن أبي طالب من بينهم ليبارزه، فيأمره رسول الله صلى الله عليه وآله
بالجلوس؛ انتظاراً منه ليتحرّك غيره، والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير؛ لمكان
عمرو بن عبدودّ، والخوف منه، وممنّ معه ووراءه.

فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ادنْ منِّي يا عليّ، فدنا منه، فنزع عمامته من رأسه وعممه بها، وأعطاه سيفه، وقال له: امضْ لشأنك، ثمّ قال: اللهمّ أعينه. فسعى نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري؛ لينظر ما يكون منه ومن عمرو، فلما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له: يا عمرو، إنك كنت في الجاهليّة تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلّا قبلتها أو واحدة منها! قال: أجل. قال: فإنّي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ تُسلم لربّ العالمين.

قال: يابن أخٍ آخر هذه عنّي. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أما إنّها خير لك لو أخذتها، ثمّ قال: فهاهنا أخرى. قال: ما هي؟ قال: ترجع من حيث جئت. قال: لا تُحدّث نساء قريش بهذا أبداً. قال: فهاهنا أخرى. قال: ما هي؟ قال: تنزل فتقاتلني. فضحك عمرو وقال: إنّ هذه الخصلة، ما كنت أظنّ أنّ أحداً من العرب يرومني عليها! وإنّي لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً. قال عليّ عليه السلام: لكنّي أحبّ أن أقتلك، فانزل إن شئت! فأسف عمرو ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع.

فقال جابر رضي الله عنه: وثارت بينهما قترّة؛ فما رأيتهما، وسمعت التكبير تحتها، فعلمت أنّ علياً عليه السلام قد قتله، وانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق، وتبادر المسلمون حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه! ينزل بعضكم أقاتله!! فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فضربه حتى قتله. ولحق هبيرة فأعجزه، فضرِبَ قربوس^(١) سرجه، وسقطت درع كانت عليه، وفرّ عكرمة، وهرب ضرار بن الخطّاب.

فقال جابر: فما شبّهت قتل عليّ عمراً إلّا بما قصّ الله تعالى من قصّة داود وجالوت

(١) القربوس: جنو السرج (لسان العرب: ٦/ ١٧٢).

حيث يقول: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ دُجَالُوتَ﴾ (١)(٢).

١٧٨ - في المستدرك على الصحيحين عن ابن إسحاق: ثم أقبل علي عليه السلام [أي بعد قتله عمراً] نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب: هلاً أسلبته درعه؛ فليس للعرب درعاً خيراً منها! فقال: ضربته فأتقاني بسوءته، واستحييت ابن عمي أن أستلبه (٣).

١٧٩ - في المناقب لابن شهر آشوب: لما أدرك [علي عليه السلام] عمرو بن عبد ود لم يضربه، فوقعوا في علي عليه السلام، فرد عنه حذيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة؛ فإن علياً سيذكر سبب ووقفته.

ثم إنه ضربه، فلما جاء سأله النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله (٤).

١٨٠ - في الإرشاد عن أبي الحسن المدائني: لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبد ود نعي إلى أخته، فقالت: من ذا الذي اجتراً عليه؟! فقالوا: ابن أبي طالب. فقالت: لم يعد يومه [إلا] (٥) على يد كُفءٍ كريم، لا رقات دمعتي إن هرقتها عليه؛ قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كُفءٍ كريم قومه، ما سمعت أفخر من هذا يا بني عامراً! ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتل عمرو لا يُعاب به	من كان يدعى قديماً بيضة البلد (٦)

(١) البقرة: ٢٥١.

(٢) الإرشاد: ١/١٠٠، إعلام الوري: ١/٣٨٠، كشف الغمة: ١/٢٠٤ نحوه وراجع المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٥/٤٣٢٩ والمغازي: ٢/٤٧٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٥/٤٣٢٩.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب: ٢/١١٥، الدرجات الرفيعة: ٢٨٧؛ كيميائي سعاد: ١/٥٧١.

(٥) أثبتنا ما بين المعقوفين من إرشاد القلوب.

(٦) الإرشاد: ١/١٠٧، إرشاد القلوب: ٢٤٥ وراجع المستدرك على الصحيحين: ٣/٣٦/٤٣٢٩.

- ١٨١ - قال الإمام عليّ عليه السلام: إني قتلت عمرو بن عبد ودّ، وكان يُعدّ بألف رجل ^(١).
- ١٨٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله - عند مبارزة الإمام عليّ عليه السلام عمراً: برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ ^(٢).
- ١٨٣ - عنه عليه السلام: لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمر بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة ^(٣).
- ١٨٤ - عنه عليه السلام: لضربة عليّ لعمر يوم الخندق تعدلُ عبادة الثقلين ^(٤).
- ١٨٥ - المستدرک علی الصحیحین: قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ودّ من الأحاديث المسندة ومعاً ^(٥) - عن عروة بن الزبير وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني -؛ ليتقرّر عند المنصف من أهل العلم أنّ عمرو بن عبد ودّ لم يقتله ولم يشترك ^(٦) في قتله غير أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: «إنّ محمد بن مسلمة - أيضاً - ضربه ضربة وأخذ بعض السلب»، والله ما بلغنا هذا عن أحد من الصحابة والتابعين، وكيف يجوز هذا وعليّ عليه السلام يقول: ما بلغنا أنّي ترقعت عن سلب ابن عمّي فتركته!! وهذا جوابه لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٧).

(١) الخصال: ١/٥٧٩ عن مكحول.

(٢) كنز القوائد: ٢٩٧/١، الطرائف: ٣٥، إرشاد القلوب: ٢٤٤، تأويل الآيات الظاهرة: ١١/٤٥١/٢ عن حذيفة، عوالي اللآلي: ١١٣/٨٨/٤ وفيه «الكفر» بدل «الشرك»؛ شرح نهج البلاغة: ٦١/١٩.

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٤٣٢٧/٣٤/٣، تاريخ بغداد: ٦٩٧٨/١٩/١٣، شواهد التنزيل: ٦٣٦/١٤/٢، المناقب للخوارزمي: ١١٢/١٠٧، كلّها عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، الفردوس: ٥٤٠٦/٤٥٥/٣، عن معاوية بن حيدة، ينابيع المودة: ٥/٤١٢/١ عن حذيفة بن اليمان؛ إرشاد القلوب: ٢٤٥.

(٤) عوالي اللآلي: ١٠٢/٨٦/٤.

(٥) الومعة: الدفعة من الماء (تاج العروس: ٥٣٤/١١).

(٦) في الطبعة المعتمدة: «نشرت»، والتصحيح من طبعة أخرى.

(٧) المستدرک علی الصحیحین: ٤٣٣١/٣٦/٣، وراجع تاريخ الطبري: ٥٧٤/٢، والسيرة النبوية لابن هشام: ٢٣٥/٣ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩٠/٢.

١٨٦ - في شرح نهج البلاغة عن أبي بكر بن عيَّاش: لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضربةً ما كان في الإسلام أيمنَ منها؛ ضربته عمراً يوم الخندق^(١).

شجاعة علي ودوره في الحديبية

١٨٧ - في الإرشاد عن فايد مولى عبد الله بن سالم: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماءً، فبعث سعد بن مالك بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي! لقد وقفت قدماي رُعباً من القوم!! فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لِمَ رجعت؟! فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رُعباً!!

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، فأرسله بالروايا، وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدّمه، فخرج علي عليه السلام بالروايا، حتى ورد الجرار^(٢) فاستقى، ثم أقبل بها إلى النبي صلى الله عليه وآله ولها زجل^(٣)، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله، ودعا له بخير^(٤).

١٨٨ - في صحيح البخاري عن البراء بن عازب: لما صالح رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الحديبية، كتب علي بينهم كتاباً، فكتب: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال المشركون: لا تكتب «محمد رسول الله»؛ لو كنت رسولاً لم نقاتك!! فقال لعلي: امحُه. فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه،

(١) شرح نهج البلاغة: ١٩/٦١؛ الإرشاد: ١/١٠٥ وفيه «أعزّ» بدل «أيمن».

(٢) جِرار: جمع حِرّة - وهي كثيرة في بلاد العرب؛ كحِرّة أوطاس وحِرّة تبوك - وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار (تقويم البلدان: ٢/٢٣٤ و٢٤٥).

(٣) الرّجّل: الصوت (المحيط في اللغة: ٧/٢٣).

(٤) الإرشاد: ١/١٢١ وراجع الإصابة: ٥/٢٦٩/٦٩٧٢.

فمجاه رسول الله ﷺ بيده (١).

١٨٩ - قال الإمام عليؑ : إني كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فكتبت: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو علمنا أنه رسول الله ما قاتلناه! أمحها. قلت: هو والله رسول الله ﷺ وإن رغب أنفك، لا والله لا أمحوها! فقال لي رسول الله ﷺ: أرنيه، فأرنيته، فمحاها (٢).

(١) صحيح البخاري: ٢/٩٦٠/٢٥٥١، صحيح مسلم: ٣/١٤٠٩/٩٠، مسند ابن حنبل: ٦/٤٢٠/١٨٥٩١، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٣٣٤/١٩١، السنن الكبرى: ٥/١١١/٩١٨٩ نحوه وراجع صحيح البخاري: ٣/١١٦٣/٣٠١٣ و سنن الدارمي: ٢/٦٨٧/٢٤١٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٣٣٦/١٩٢.

(٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٣٣٣/١٩٠ عن علقمة بن قيس.

شجاعة علي ودوره في فتح خيبر

١٩٠ - قال رسول الله ﷺ - في يوم فتح خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله

ورسوله، ويحب الله ورسوله، كزاراً غير فزار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه^(١).

١٩١ - قال الإمام علي عليه السلام - في فتح خيبر: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر، فسار بالناس،

فانهزم حتى رجع إليه. وبعث عمر، فانهزم بالناس حتى انتهى إليه. فقال رسول الله ﷺ:

لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفزار.

فأرسل إليّ فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني وقال: اللهم اكفه

الحرّ والبرد. قال: فما آذاني بعد حرّ ولا برد^(٢).

١٩٢ - في مجمع الزوائد عن ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ إلى خيبر - أحسبه قال:

أبا بكر - فرجع منهزماً ومن معه، فلما كان من الغد بعث عمر، فرجع منهزماً يجبن

أصحابه ويجبن أصحابه. فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله

(١) الكافي: ٥٤٨/٣٥١/٨ عن عده من أبناء المهاجرين والأنصار، الإرشاد: ٦٤/١، الإفصاح: ٣٤

وص ١٣٢، الأمالي للطوسي: ٨١٧/٣٨٠ عن أبي هريرة، الاحتجاج: ١٥٠/٢٥/٢ عن الإمام

الحسن عليه السلام عنه عليه السلام، شرح الأخبار: ٨٦/١٤٨/١ عن بريدة وفيه «يفتح خيبر عنوة» بدل «لا

يرجع...»، عوالي اللآلي: ١١١/٨٨/٤، إعلام الوري: ٢٠٧/١ عن الواقدي، الفضائل لابن شاذان:

١٢٨؛ المناقب للخوارزمي: ٢٠٣/١٧٠ كلاهما عن عمر.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ١٧/٤٩٧/٧، مسند البزار: ٤٩٦/١٣٦/٢، خصائص أمير المؤمنين

للنسائي: ١٣/٥٤ كلّها عن أبي ليلى، السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤٩/٣، البداية والنهاية: ٣٣٧/٧

وج ١٨٦/٤، تاريخ دمشق: ٨٩/٤٢ والأربعة الأخيرة عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، المناقب لابن

المغازلي: ٢١٧/١٨١ عن أبي هريرة والخمسة الأخيرة من دون إسناد إليه عليه السلام؛ الخصال: ٣١/٥٥٥

عن عامر بن وائلة، الأمالي للطوسي: ١٦٨/٥٤٦ عن أبي ذرّ، شرح الأخبار: ٢٨٣/٣٠٢/١

والثمانية الأخيرة نحوه، إعلام الوري: ٣٦٤/١ عن أبي ليلى وراجع مسند ابن حنبل:

ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله عليه.

فتار الناس، فقال: أين عليّ؟ فإذا هو يشتكى عينيه، فتفل في عينيه، ثم دفع إليه الراية، فهزّها، ففتح الله عليه^(١).

١٩٣ - في مسند ابن حنبل عن أبي سعيد الخدريّ: إنّ رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها، ثم قال: مَنْ يأخذها بحقّها؟ فجاء فلان فقال: أنا، قال: أميط. ثم جاء رجل فقال: أميط، ثم قال النبيّ ﷺ: والذي كرم وجهه محمّد لأعطينها رجلاً لا يفرّ، هاك يا عليّ. فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتهما^(٢) وقديدهما^(٣) (٤).

١٩٤ - في الطبقات الكبرى: سرية عليّ بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك^(٥) في شعبان سنة ستّ من مهاجر رسول الله ﷺ.

قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر، فبعث إليهم عليّ بن أبي طالب في مائة رجل، فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهَمَج؛ وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ستّ ليالٍ، فوجدوا به رجلاً، فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أنكم تؤمنوني، فأمنوه فدلّهم، فأغاروا عليهم، فأخذوا خمسمائة

(١) مجمع الزوائد: ١٦٥/٩/١٤٧١٧ وراجع الإفصاح: ٨٦ والمناقب للكوفي: ٢/٤٩٨/١٠٠١ والخراج والخراج: ١/١٥٩/٢٤٩.

(٢) العجوة: ضرب من أجود التمر بالمدينة (لسان العرب: ١٥/٣١).

(٣) القديد: اللحم المملوح المجفّف في الشمس (النهاية: ٤/٢٢).

(٤) مسند ابن حنبل: ٤/٣٤/١١١٢٢، فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/٥٨٣/٩٨٧ وليس فيه «وفدك»، مسند أبي يعلى: ٢/١١٧/١٣٤١، تاريخ دمشق: ٤٢/١٠٤/٨٤٦١، البداية والنهاية: ٧/٣٣٩؛ شرح الأخبار: ١/٣٢١/٢٨٦، المناقب للكوفي: ٢/٤٩٥/٩٩٥ وفيهما «فجاء الزبير» بدل «فجاء فلان» وكلاهما نحره.

(٥) قرية من قرى اليهود بينها وبين المدينة يومان، وكانت لرسول الله ﷺ لآته فتحها هو وأمير المؤمنين عليه السلام فزال عنها حكم الفيء ولزمها اسم الانفال، فلمّا نزل ﴿وَمَا تَذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾ أي أعطى فاطمة عليها السلام فدكاً، أعطاه رسول الله ﷺ إياها، وكانت في يد فاطمة عليها السلام إلى أن توفي رسول الله ﷺ فأخذت من فاطمة بالقهر والغلبة (مجمع البحرين: ٣/١٣٧٠).

بعير وألّفي شاة، وهربت بنو سعد بالظُّعْن^(١) ورأسهم وَبَر بن عُليم.
 فعزل عليّ صفيَّ النبيّ صلى الله عليه وآله، لقوحاً^(٢) تدعى الحفدة، ثمّ عزل الخمس، وقسّم سائر
 الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلقَ كيداً^(٣).

١٩٥ - في المغازي عن يعقوب بن عتبة: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام في مائة رجل إلى
 حيّ سعد بفدك، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهودَ خيبر، فسار
 الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الهَمَج، فأصاب عيناً فقال: ما أنت؟ هل لك علم بما
 وراءك من جمع بني سعد؟ قال: لا علم لي به.

فشدّوا عليه فأقرّ أنّه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم
 على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم، فقالوا له: فأين
 القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمع منهم مائتا رجل، ورأسهم وَبَر بن عُليم. قالوا: فسبّر بنا
 حتى تدلّنا. قال: على أن تؤمّنوني. قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم^(٤) أمّناك، وإلاّ
 فلا أمان لك. قال: فذاك.

فخرج بهم دليلاً لهم حتى ساء ظنّهم به، وأوفى بهم على فدافِد وآكام^(٥)، ثمّ أفضى
 بهم إلى سهولةٍ فإذا نَعَمٌ كثيرٌ وشاء، فقال: هذا نَعَمهم وشأؤهم. فأغاروا عليه فضمّوا
 النَعَمَ والشاء. قال: أرسلوني. قالوا: لا، حتى نأمن الطلب.

وتذرّ بهم الراعي رِعاء^(٦) الغنم والشاء، فهربوا إلى جمعهم فحذّروهم، فتفرّقوا
 وهربوا، فقال الدليل: علام تحبّسني؟ قد تفرّقت الأعراب وأنذرهم الرِّعاء. قال عليّ عليه السلام:

(١) الظُّعْن: النساء، وأصل الظُّعينة: الراحلة التي يُرحل ويُسار عليها (النهاية: ١٥٧/٣).

(٢) ناقة لُقوح: إذا كانت غزيرة اللبن (النهاية: ٢٦٢/٤).

(٣) الطبقات الكبرى: ٨٩/٢ وراجع تاريخ الطبري: ٦٤٢/٢ والكامل في التاريخ: ٥٨٩/١ وتاريخ
 الإسلام للذهبي: ٣٥٥/٢ وتاريخ البيهقي: ٧٣/٢.

(٤) السرح: المشاة (النهاية: ٣٥٨/٢).

(٥) فدافِد: جمع فدَد؛ الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع. وآكام جمع أكم؛ وهي جمع إكام؛ وهي جمع
 أكمة؛ وهي الراية (النهاية: ٤٢٠/٣ وج ٥٩/١).

(٦) الرِّعاء: جمع راعي الغنم (النهاية: ٢٣٥/٢).

لم نبلغ معسكرهم. فانتهى بهم إليه فلم يَزْ أحدًا، فأرسلوه وساقوا النَّعْمَ والشَّاءَ؛ النَّعْمَ خمسمائة بعير، وألفا شاة^(١).

١٩٦ - في المستدرك على الصحيحين عن جابر بن عبد الله: لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا فَجِبِنَ، فَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ الْيَوْمَ قَطًّا!...

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِأَبْعَثَنَّ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّانِي لَا يُوَلِّي الدُّبْرَ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ وَعَلَيَّ ﷺ يَوْمَئِذٍ أُرْمَدُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِير. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَبْصُرُ مَوْضِعًا. فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَعَقَدَ لَهُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّايَةَ^(٢).

١٩٧ - في السيرة النبوية لابن هشام: عن سفيان بن فروة الأسلمي عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق برايته - وكانت بيضاء، فيما قال ابن هشام - إلى بعض حصون خيبر، فقاتل، فرجع ولم يكُ فَتْحٌ، وقد جهد؛ ثُمَّ بَعَثَ الْغَدَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقاتل، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَكُ فَتْحًا، وَقَدْ جَهْدَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسَ بِفَرَّارٍ.

قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمَد، فتقل في عينه، ثُمَّ قَالَ: خُذْ هَذِهِ الرَّايَةَ، فَاْمْضِ بِهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح^(٣)، يُهْرِوِلُ هَرِوَلَةً، وَإِنَّا لَخَلْفَهُ نَتَّبِعُ أَثْرَهُ، حَتَّى رَكَّزَ رايته فِي رَضْمٍ^(٤) مِنْ حِجَارَةٍ تَحْتَ الْحِصْنِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِ يَهُودِيٌّ مِنْ رَأْسِ الْحِصْنِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ: يَقُولُ الْيَهُودِيُّ: عَلَوْتُمْ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى

(١) المغازي: ٥٦٢/٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٤٣٤٢/٤٠/٣، المعجم الصغير: ١٠/٢.

(٣) مِنَ الْأَنْوَحِ؛ وَهُوَ صَوْتٌ يَسْمَعُ مِنَ الْجَوْفِ مَعَهُ نَفْسٌ وَيُهْرُ وَنَهِيحٌ يَعْتَرِي السُّمَيْنَ مِنَ الرِّجَالِ (النهاية: ٧٤/١).

(٤) الرَضْمُ: هِيَ دُونَ الْهَضَابِ، وَقِيلَ: صَخْرٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ (النهاية: ٢٣٦/٢).

موسى، أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه^(١).

١٩٨ - في الكامل في التاريخ عن بريدة الأسلمي: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ربّما أخذته الشقيقة^(٢) فيلبث اليوم اليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يأخذها عنوة^(٣). وليس ثمّ عليّ؛ كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته هذه تناولت لها قريش، فأصبح فجاء عليّ بن أبي طالب حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أرمد قد عصب عينيه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مالك؟ قال: رمدتُ بعدك، فقال له: ادن منّي. فدنا منه، فتفل في عينيه، فما شكاً وجعاً حتى مضى لسبيله. ثمّ أعطاه الراية، فنهض بها وعليه حلة حمراء، فأتى خيبر، فأشرف عليه رجل من يهود فقال: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود!!
وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِعْفَر^(٤) يمانيّ قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

شاكِي السِّلَاحِ بَطْلَ مَجْرَبُ

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرَ أَنِّي مَرْحَبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَكِيلِكُمْ بِالسِّيفِ كَيْلَ السُّنْدُرَةِ^(٥)

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدِرَهُ

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٣٤٩، تاريخ دمشق: ٤٢/٩٠/٨٤٣٤، دلائل النبوة للبيهقي:

٢٠٩٤؛ شرح الأخبار: ١/٣٠٢/٢٨٣ وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٤/٥٦.

(٢) الشقيقة: نوع من صداع يعرض في مقدّم الرأس وإلى أحد جانبيه (النهاية: ٢/٤٩٢).

(٣) العنوة: الغهر، وأخذت البلاد عنوةً بالقهر والإذلال (لسان العرب: ١٥/١٠١).

(٤) زرد أي حلقوا ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (لسان العرب: ٥/٢٦).

(٥) السندرة: ضرب من الكيل غزاف جزاف واسع، يقول: أقاتلكم بالعجلة، وأبادركم قبل الفرار

(تاج العروس: ٦/٥٤٧).

ليثٌ بغاباتٍ شديدٍ قسوره

فاختلفا ضربتین، فبدره عليّ فضربه فقدّ الحَجَفَة^(١) والمِعْفَرُ ورأسه حتى وقع في الأرض. وأخذ المدينة^(٢).

١٩٩ - في صحيح البخاري عن سهل بن سعد: إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

قال: فبات الناس يدوكون^(٣) ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ^(٤).

٢٠٠ - في صحيح مسلم عن أبي هريرة: إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينَ هذه الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطّاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ. قال: فتساورت لها^(٥) رجاء أن أدعى لها. قال: فدعا رسول الله ﷺ عليّ

(١) الحَجَفَة: الثُّرْس (النهاية: ١ / ٣٤٥). وهو صفحة من الفولاذ تُحمل للوقاية من السيف وغيره.

(٢) الكامل في التاريخ: ١ / ٥٩٦، تاريخ الطبري: ٣ / ١٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٤١٠، دلائل النبوة للبيهقي: ٤ / ٢١١ كلها نحوه وفيها «الأضراس» بدل «الأرض» وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٥٨ / ١٥.

(٣) أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه. يقال: وقع الناس في دُوكة: أي في خوض واختلاط (النهاية: ٢ / ١٤٠).

(٤) صحيح البخاري: ٤ / ١٥٤٢ / ٣٩٧٣، صحيح مسلم: ٤ / ١٨٧٢ / ٢٤٠٦، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٦٠ / ١٦، تاريخ دمشق: ٤٢ / ٨٥ / ٨٤٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٤٠٦، دلائل النبوة للبيهقي: ٤ / ٢٠٥.

(٥) تساورت لها: أي رفعت لها شخصي (النهاية: ٢ / ٤٢٠).

ابن أبي طالب فأعطاه إياها، وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله! على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله^(١).

٢٠١ - في صحيح البخاري عن سلمة: كان علي بن أبي طالب عليه السلام تخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! فلحق به، فلما بتنا الليلة التي فتحت قال:

لأعطين الراية غداً - أو: لياخذن الراية غداً - رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه. فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه^(٢).

٢٠٢ - في صحيح مسلم عن سلمة: أرسلني [النبي صلى الله عليه وآله وسلم] إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله^(٣). قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد. حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبسط^(٤) في عينه فبرأ، وأعطاه الراية. وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أنني مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمعتني أمي حيدره
كليت غابات كرية المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندره

(١) صحيح مسلم: ٤/١٨٧١/٣٣، مسند ابن حنبل: ٣/٣٣١/٩٠٠٠، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٩/٦٤، الطبقات الكبرى: ٢/١١٠ وزاد فيه «ويحبه الله ورسوله»، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٠٧٢، دلائل النبوة للبيهقي: ٤/٢٠٦، تاريخ دمشق: ٤٢/٨٢/٨٤٢٣.

(٢) صحيح البخاري: ٤/١٥٤٢/٣٩٧٢ وج ٣/١٠٨٦/٢٨١٢، صحيح مسلم: ٤/١٨٧٢/٣٥، دلائل النبوة للبيهقي: ٤/٢٠٦.

(٣) كذا في المصدر، والمناسب: «ويحبه» كما ورد في السنن الكبرى، والطبقات والمناقب.

(٤) لغة في بَرَّق، وبَصَق (النهاية: ١/١٢٨).

قال: فضرب رأس مرحب فقتله. ثمّ كان الفتح على يديه^(١).

٢٠٣ - في الاستيعاب: روى سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر وعمران بن الحصين وسلمة بن الأكوع، كلّهم بمعنى واحد، عن النبي ﷺ أنّه قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، ليس بفرّار، يفتح الله على يديه، ثمّ دعا بعليّ وهو أرمّد، فتقل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه. وهذه كلّها آثار ثابتة^(٢).

٢٠٤ - في الإرشاد عن عبد الملك بن هشام ومحمّد بن إسحاق وغيرهم من أصحاب الآثار: حاصر رسول الله ﷺ خيبر بضعاً وعشرين ليلة، وكانت الراية يومئذٍ لأمير المؤمنين ﷺ، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب، وكان المسلمون يناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم وجنبااتها. فلمّا كان ذات يوم فتحوا الباب وقد كانوا خندقوا على أنفسهم، وخرج مرحب برجله يتعرّض للحرب.

فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر فقال له: خذ الراية، فأخذها - في جمع من المهاجرين - فاجتهد ولم يغن شيئاً، فعاد يؤتّب القوم الذين اتّبعوه ويؤتّبونه! فلمّا كان من الغد تعرّض لها عمر، فسار بها غير بعيد، ثمّ رجع يجنّ أصحابه ويجبّونه!

فقال النبي ﷺ: ليست هذه الراية لمن حملها، جيؤوني بعليّ بن أبي طالب. فقيل له: إنّه أرمّد.

قال: أرونيه تُروني رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّ الله ورسوله، يأخذها بحقّها

(١) صحيح مسلم: ٣/١٤٤١/١٣٢، مسند ابن حنبل: ٥/٥٥٧/١٦٥٣٨، السنن الكبرى: ٩/٢٢٢/١٨٣٤٦، المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/٥٢٠/٢، الطبقات الكبرى: ٢/١١١، المستدرک علی الصحیحین: ٣/٤١/٤٣٤٣ نحوه؛ المناقب للكوفي: ٢/٥٠٠/١٠٠٢ وفيه «أكيلكم بالسيف» بدل «أوفيهم بالصاع».

(٢) الاستيعاب: ٣/٢٠٣/١٨٧٥.

ليس بفرار.

فجاؤوا بعلي بن أبي طالب عليه السلام يقولونه إليه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما تشتهي يا علي؟ قال: رمداً ما أبصر معه، وصداع برأسي. فقال له: اجلس وضع رأسك على فخذي. ففعل علي عليه السلام ذلك، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله وتفل في يده فمسحها على عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع. وقال في دعائه له: اللهم قه الحرّ والبرد. وأعطاه الراية - وكانت راية بيضاء - وقال له: خذ الراية وامض بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبعوث في صدور القوم، واعلم - يا علي - أنهم يجدون في كتابهم: إن الذي يدمر عليهم اسمه آلياً، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يخذلون إن شاء الله.... وجاء في الحديث: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما قال: أنا علي بن أبي طالب، قال حبر من أحبار القوم: غلبتم وما أنزل على موسى. فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به^(١).

٢٠٥ - في المغازي: كان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته^(٢)، فانكشف المسلمون وثبت علي عليه السلام، فاضطربا ضربات، فقتله علي عليه السلام، ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، فدخلوه وأغلقوا عليهم، فرجع المسلمون إلى موضعهم^(٣).

٢٠٦ - في المغازي: برز عامر وكان رجلاً طويلاً جسيماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين طلع عامر: أترونه خمسة أذرع؟ وهو يدعو إلى البراز، يخطر بسيفه وعليه درعان، يقنع في الحديد يصيح: من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، فبرز إليه علي عليه السلام فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذف عليه فأخذ سلاحه^(٤).

٢٠٧ - في الإرشاد: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه، وأكثر الناس من

(١) الإرشاد: ١/١٢٥ وراجع تاريخ دمشق: ٤٢/١٠٧.

(٢) العاديّة: الخيل تعدو وقد تكون العاديّة الرجال يعدون (النهاية: ٣/١٩٤).

(٣) المغازي: ٢/٦٥٤.

(٤) المغازي: ٢/٦٥٧.

جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم. فلما انصرفوا من الحصون أخذه أمير المؤمنين بيمناه فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يُغلقه عشرون رجلاً منهم^(١).

٢٠٨ - في المصنّف عن جابر بن عبد الله: إنَّ عليّاً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون ففتحوها، وأتته جُرْب فلم يحمله إلا أربعون رجلاً^(٢).

٢٠٩ - في مسند ابن حنبل عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله - في معركة خيبر: خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح تُرْسَه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترس به نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفرٍ معي سبعة أنا ثامنهم نَجْهُدُ على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه^(٣)!

٢١٠ - في الأمالي للصدوق عن عبد الله بن عمرو بن العاص: إنّه لما دنا من القموص^(٤) أقبل أعداء الله من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة، فحمل عليهم عليّ عليه السلام حتى دنا من الباب، فثنى رجله ثم نزل مغضباً إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه، ثم رمى به خلف ظهره

(١) الإرشاد: ١/١٢٧، كشف اليقين: ١٧٠/١٧٧، كشف الغمّة: ١/٢١٥.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ٧/٥٠٧/٧٦، تاريخ بغداد: ١١/٣٢٤/٦١٤٢، دلائل النبوة للبيهقي: ٤/٢١٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٤١٢، البداية والنهاية: ٧/٢٢٥ وج ٤/١٩٠، المناقب للخوارزمي: ١٧٢/٢٠٧؛ مجمع البيان: ٩/١٨٣ وليس فيه «إلا» وكلها عن ليث بن أبي سليم عن الإمام الباقر عليه السلام عنه، روضة الواعظين: ١٤٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٩٤ وراجع الإرشاد: ١/١٢٩ و ص ٣٣٣.

(٣) مسند ابن حنبل: ٩/٢٢٨/٢٣٩١٩، تاريخ الطبري: ٣/١٣، السيرة النبوية لابن هشام: ٣/٣٤٩، تاريخ دمشق: ٤٢/١١٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٤١١، الكامل في التاريخ: ١/٥٩٧، دلائل النبوة للبيهقي: ٤/٢١٢، المغازي: ٢/٦٥٥ وليس فيه «ثم ألقاه من يده...»، البداية والنهاية: ١٨٩٤، المناقب للخوارزمي: ١٧٢/٢٠٦؛ مجمع البيان: ٩/١٨٢ عن رافع، شرح الأخبار: ١/٢٨٣/٣٠٢.

(٤) القموص: وهو جبل بخيبر عليه حصن أبي الحُفَيْق اليهودي (معجم البلدان: ٤/٣٩٨).

أربعين ذراعاً!

قال ابن عمرو: وما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي علي عليه السلام، ولكننا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه! فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال: والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً^(١).

٢١١- في الإرشاد عن أبي عبد الله الجدلي: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لما عالجت باب خيبر جعلته مجنناً^(٢) لي وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم، فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً! فقال: ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام^(٣).

٢١٢- قال الإمام علي عليه السلام: والله ما قلعت باب خيبر، ودكدكت حصن يهود بقوة جسمانية، بل بقوة إلهية^(٤).

٢١٣- عنه عليه السلام - في رسالته إلى سهل بن حنيف -: والله ما قلعتُ باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة^(٥).

٢١٤- في مشارق أنوار اليقين: في ذلك اليوم لما سأله عمر فقال: يا أبا الحسن، لقد

(١) الأمالي للصدوق: ٨٣٩/٦٠٤، روضة الواعظين: ١٤٢، الدعوات: ١٦٠/٦٤ نحوه، كلاهما عن عبد الله بن عمر.

(٢) الميجن: الترس، والميم زائدة؛ لأنه من الجنة: السُّنْرة (النهاية: ٣٠١/٤).

(٣) الإرشاد: ١٢٨/١، الثاقب في المناقب: ٢٢٤/٢٥٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٦٢٦/٣١٦/٢٠ وج ٧/٥؛ الطرائف: ٥١٩ وليس فيهما «دكدكت حصن يهود».

(٥) الأمالي للصدوق: ٨٤٠/٦٠٤ عن يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام، بشارة المصطفى: ١٩١، عيون المعجزات: ١٦ عن إبراهيم عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه عنه عليه السلام وفيه «غريزية بشرية» بدل «غذائية»، روضة الواعظين: ١٤٢، الخرائج والجرائح: ٢/٥٤٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣٩/٢ وليس في الثلاثة الأخيرة من «ورميت» إلى «ذراعاً»، بحار الأنوار: ٢/٣١٨/٤٠.

اقتلعت منيعاً ولك ثلاثة أيام خميصاً^(١)، فهل قلعتها بقوة بشرية؟ فقال: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية^(٢).

٢١٥ - في تفسير الفخر الرازي: إنَّ كلَّ من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقلَّ ضعفاً، ولهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولكنَّ بقوة ربانية. ذلك لأنَّ علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد، وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوى روحه، وتشبهه بجواهر الأرواح الملكية، وتألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم^(٣) حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره.

وكذلك العبد إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الذي يقول الله: كنت له سمعاً وبصراً.

فإذا صار نور جلال الله سمعاً له سمع القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور بصراً له رأى القريب والبعيد، وإذا صار ذلك النور يداً له قدر على التصرف في الصعب والسهل والبعيد والقريب^(٤).

٢١٦ - في الإرشاد: لما فتح أمير المؤمنين عليه السلام الحصن وقتل مرحباً، وأغنم الله المسلمين أموالهم، استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شعراً: فقال له: قل. فأنشأ يقول:

وكان عليّ أرمد العين يبتغي	دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً	كمياً ^(٥) محباً للرسول مواليا

(١) يقال: رجل خميص: إذا كان ضامر البطن (النهاية: ٢/ ٨٠).

(٢) مشارق أنوار اليقين: ١١٠، بحار الأنوار: ٢١/ ٤٠/ ٣٧.

(٣) لا جرم: أي لا بد، ولا محالة، وقيل: معناه: حقاً (لسان العرب: ١٢/ ٩٣).

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٢١/ ٩٢.

(٥) الكمي: اللابس السلاح وقيل هو الشجاع المقدم الجري (لسان العرب: ١٥/ ٢٣٢).

يحبّ إلهي وإلهه يحبه

به يفتح الله الحصون الأوابيا^(١)

فأصفي بها دون البرية كلها

علياً وسمّاه الوزير المؤاخيا^(٢)

٢١٧- في تذكرة الخواص: ذكر أحمد في الفضائل أنهم سمعوا تكبيراً من السماء في

ذلك اليوم وقائلاً يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار

ر ولا فتى إلا علي

فاستأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينشد شعراً فأذن له، فقال:

جبريل نادى معلناً

والنقع ليس بمنجلي

والمسلمون قد أحدقوا

حول النبي المرسل

لا سيف إلا ذو الفقار

ر ولا فتى إلا علي

فإن قيل: قد ضعّفوا الفظة لا سيف إلا ذو الفقار، قلنا: الذي ذكروه أنّ الواقعة كانت

في يوم أحد، ونحن نقول: إنّها كانت في يوم خيبر، وكذا ذكر أحمد بن حنبل في

الفضائل ولا كلام في يوم أحد؛ فإنّ ابن عباس قال: لما قتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة

حامل لواء المشركين صاح صائح من السماء: لا سيف إلا ذو الفقار.

قالوا: في إسناد هذه الرواية عيسى بن مهران، تكلم فيه، وقالوا: كان شيعياً.

أمّا يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء. وقيل: إنّ ذلك كان يوم بدر. والأوّل

أصحّ^(٣).

(١) من الأبياء؛ وهو أشدّ الامتناع (لسان العرب: ٤/١٤).

(٢) الإرشاد: ١٢٨/١، روضة الواعظين: ١٤٦ وفيه «والرسول يحبه» بدل «والإله يحبه»، المناقب

للكوفي: ١٠٠١/٤٩٩/٢ وفيه «النبي» بدل «إلهي»، المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٣٠ عن خزيمة

بن ثابت؛ المناقب لابن المغازلي: ١٨٥/٢٢٠ وفي كلّها الأبيات فقط.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦؛ الصراط المستقيم: ١/٢٥٨ نحوه.

حكمة علي في فتح مكة

٢١٨ - في تاريخ الطبري عن عروة بن الزبير وغيره: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة... وجعل لها جُعلاً على أن تبليغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به. وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب والزبير ابن العوام، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم.

فخرجتا حتى أدركاها بالحليفة - حليفة ابن أبي أحمد - فاستنزلاها، فالتمسا في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي بن أبي طالب: إني أحلف ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبتنا، ولتخرجن إلي هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأته الجدة منه قالت: أعرض عني. فأعرض عنها، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منه، فدفعته إليه، فجاء به إلى رسول الله ﷺ (١).

٢١٩ - في صحيح البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (٢)، فإن بها ظعينة (٣) معها كتاب، فخذوه منها. فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتاب! فقلنا: لتخرجن الكتاب أو

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٣، السيرة النبوية لابن هشام: ٤٠/٤ وفيه «خليقة» بدل «حليفة» وراجع المستدرک علی الصحیحین: ٥٣٠٩/٣٤١/٣ والكامل في التاريخ: ٦١١/١.

(٢) روضة خاخ: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (معجم البلدان: ٢/٣٢٥).

(٣) الظعينة: المرأة في اليهودج (لسان العرب: ١٣/٢٧١).

لنُلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها^(١). فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢).

٢٢٠ - في تاريخ الطبري عن عبد الله بن أبي نجيح: إن النبي صلى الله عليه وآله حين فرّق جيشه من ذي طوى، أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كدي^(٣)، وكان الزبير على المجنبة^(٤) اليسرى، فأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء^(٥). فزعم بعض أهل العلم أن سعداً قال حين وجّه داخلاً: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلّ الحُرمة» فسمعها رجل من المهاجرين، فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بن عبادة! وما نأمن أن تكون له في قريش صولة!! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ ابن أبي طالب: أدركه فخذ الراية، فكُن أنت الذي تدخل بها^(٦).

٢٢١ - في أنساب الأشراف: أمّا الحويرث بن نقيذ، فكان يعظم القول في رسول الله صلى الله عليه وآله، وينشد الهجاء فيه، ويكثر أذاه، وهو بمكة. فلما كان يوم الفتح هرب من بيته، فلقية عليّ بن أبي طالب فقتله^(٧).

-
- (١) العُقَص: ضرب من الصُّفَر؛ وهو أن يلوى الشعر على الرأس؛ ولهذا تقول النساء: لها عِقْصَة، وجمعها عِقْصٌ وعِقَاصٌ وعِقَائِصٌ، ويقال: هي التي تَتَّخِذُ من شعرها مثل الرَّمَانَة (لسان العرب: ٥٦/٧).
- (٢) صحيح البخاري: ٤/١٥٥٧/٤٠٢٥، صحيح مسلم: ٤/١٩٤١/١٦١، مسند ابن حنبل: ١/١٧٣/٦٠٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/٥٢٥.
- (٣) كُداء - بالضم والقصر: الثنية السفلى مما يلي باب العمرة (لسان العرب: ٢١٨/١٥).
- (٤) الْمُجَنَّبَتَانِ من الجيش: الميمنة والميسرة (لسان العرب: ٢٧٦/١).
- (٥) كُداء - بالفتح والمد: الثنية العليا بمكة ممّا يلي المقابر، وهو المعلى (لسان العرب: ٢١٨/١٥).
- (٦) تاريخ الطبري: ٣/٥٦، السيرة النبوية لابن هشام: ٤/٤٨، الكامل في التاريخ: ١/٦١٤ وراجع المغازي: ٢/٨٢١ والإرشاد: ١/١٣٤ وشرح الأخبار: ١/٣٠٥، وإعلام الوري: ١/٣٨٥ والمناقب لابن شهر آشوب: ١/٢٠٧.
- (٧) أنساب الأشراف: ١/٤٥٦، الكامل في التاريخ: ١/٦١٦ وراجع المغازي: ٢/٨٥٧.

شجاعة علي ودوره في غزوة حنين

٢٢٢ - في تاريخ اليعقوبي: بلغ رسول الله وهو بمكة أن هوازن قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً، ورئيسهم مالك بن عوف النصري، ومعهم دريد بن الصمة من بني جشم؛ شيخ كبير يتبركون برأيه، وساق مالك مع هوازن أموالهم وحرملهم. فخرج إليهم رسول الله في جيش عظيم عدتهم اثنا عشر ألفاً؛ عشرة آلاف أصحابه الذين فتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعاً وكرهاً، وأخذ من صفوان بن أمية مائة درع وقال: «عارية مضمونة». فأعجبت المسلمين كثرتهم، وقال بعضهم: ما نوتى من قلة. فكره رسول الله ذلك من قولهم.

وكانت هوازن قد كمنت في الوادي، فخرجوا على المسلمين؛ وكان يوماً عظيم الخطب، وانهزم المسلمون عن رسول الله، حتى بقي في عشرة من بني هاشم، وقيل تسعة، وهم: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وأبوسفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيع بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبدالله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل: أيمن بن أم أيمن. قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ (١)(٢).

٢٢٣ - في تاريخ الإسلام عن الواقدي: سار رسول الله ﷺ من مكة لست خلون من شوال في اثني عشر ألفاً، فقال أبو بكر: لا تغلب اليوم من قلة. فانتهوا إلى حنين لعشر خلون من شوال. وأمر النبي ﷺ أصحابه بالتعبئة، ووضع الألوية والرايات في أهلها، وركب بغلته، ولبس برعين والمِغفر والبيضة. فاستقبلهم من هوازن شيء لم يروا

(١) التوبة: ٢٥ و ٢٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٦٢/٢، الإرشاد: ١٤٠/١ نحوه.

مثله من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح. وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وشعبه، فحملوا حملةً واحدة، فانكشفت خيل بني سليم مُولِيَةً، وتبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس^(١).

٢٢٤ - في السيرة النبوية عن جابر بن عبد الله: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَاْدِي حَنْبِنِ انْحَدَرْنَا فِي وَاْدٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تَهَامَةَ أَجُوفَ حَطُوطٍ^(٢)، إِنَّمَا نُنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا، - قَالَ: - وَفِي عَمَايَةِ الصَّبْحِ^(٣). وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى الْوَادِي، فَكَمَنُوا النَّافِي شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ وَمُضَايِقِهِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّؤُوا وَأَعَدُّوا. فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مَنحَطُونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْتَشَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ لَا يَلُوي أَحَدٌ عَلَيَّ أَحَدٍ، وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ!! أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَيَّ! أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: فَلَا شَيْءَ؛ حَمَلَتِ الْإِبِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، فَانطَلَقَ النَّاسُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. وَفِيْمَنْ ثَبِتَ مَعَهُ... مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٤).

٢٢٥ - في مسند أبي يعلى عن جابر: كَانَ أَيَّامَ هُوَازِنِ رَجُلٍ جَسِيمٍ، عَلَيَّ جَمَلٌ أَحْمَرٌ، فِي يَدِهِ رَايَةُ سُودَاءٍ، إِذَا أُدْرِكَ طَعَنَ بِهَا، وَإِذَا فَاتَهُ شَيْءٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ دَفَعَهَا مِنْ خَلْفِهِ فَأَبْعَدَهُ. فَعَمِدَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كِلَاهِمَا يَرِيدُهُ - قَالَ: - فَضْرِبَهُ عَلِيُّ عَلَيَّ عِرْقُوبِي الْجَمَلِ، فَوَقَعَ عَلَيَّ عَجْزُهُ، - قَالَ: - وَضْرِبَ الْأَنْصَارِي سَاقَهُ - قَالَ: - فَطَرَحَ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَوَقَعَ، وَاقْتَتَلَ النَّاسُ^(٥).

٢٢٦ - في الإرشاد: أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ هُوَازِنِ عَلَيَّ جَمَلٌ لَهُ أَحْمَرٌ، بِيَدِهِ رَايَةُ سُودَاءٍ فِي

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٥٧٤ / ٢، وراجع المغازي: ٣ / ٨٩٠.

(٢) أجوف: واسع الجوف والخطوط: الأكمة الصعبة الانحدار (لسان العرب: ٣٥ / ٩ وج ٢٧٤ / ٧).

(٣) عمماية الصبح: بقية ظلمة الليل (لسان العرب: ٩٨ / ١٥).

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٥ / ٤، تاريخ الطبري: ٧٤ / ٣.

(٥) مسند أبي يعلى: ١٨٥٨ / ٣٤٤ / ٢، تاريخ الطبري: ٧٦ / ٣، السيرة النبوية لابن هشام: ٨٨ / ٤ كلاهما نحوه.

رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرول لا بَراح^(١) حتى تُبيحَ القومَ أو تُباحَ

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام، فضرب عجز بغيره فصرعه، ثمّ ضربه فقطره، ثمّ

قال:

قد علمَ القومُ لدى الصباحِ أني في الهيجاءِ ذو نصاحِ

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله^(٢).

٢٢٧ - في الإرشاد: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أبا جرول وخُذِلَ القوم لقتله، وضع

المسلمون سيوفهم فيهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمهم حتى قتل أربعين رجلاً من القوم، ثمّ كانت الهزيمة والأسر حينئذٍ^(٣).

٢٢٨ - في مسند أبي يعلى عن أنس: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يومئذٍ [أي يوم حنين]

أشدّ الناس قتالاً بين يديه عليه السلام [٤].

٢٢٩ - قال الإمام الصادق عليه السلام: قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده يوم حنين أربعين^(٥).

٢٣٠ - في الإرشاد - في ذكر وقائع بعد غزوة حنين - ثمّ سار بنفسه إلى الطائف

فحاصره أياماً ... -: ثمّ خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن معتب في خيل من

ثقيف، فلقى أمير المؤمنين عليه السلام ببطن وَّج^(٦) فقتله، وانهزم المشركون، ولحق القوم

الرعب، فنزل منهم جماعة إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلموا. وكان حصار النبي صلى الله عليه وآله الطائف

(١) البراح: الظهور والبيان (لسان العرب: ٤٠٩/٢).

(٢) الإرشاد: ١٤٢/١، كشف الغمّة: ٢٢٢/١.

(٣) الإرشاد: ١٤٤/١، كشف الغمّة: ٢٢٣/١، إعلام الوری: ٣٨٧/١، كشف اليقين: ١٧٥ نحوه.

(٤) مسند أبي يعلى: ٣/٤٤٣/٣٥٩٤، المعجم الأوسط: ٣/١٤٨/٢٧٥٨ وفيه «من أشدّ» بدل «أشدّ».

(٥) الكافي: ٨/٣٧٦/٥٦٦ عن عجلان، كشف الغمّة: ٨٣/٢ من دون إسناد إلى معصوم.

(٦) وَّج: الطائف (معجم البلدان: ٣٦١/٥).

بضعة عشر يوماً^(١).

عدل أمير المؤمنين عليه السلام

٢٣١- في الجمل: دخل [ابن عباس] على أمير المؤمنين عليه السلام فابتدأه عليه السلام وقال: يا بن

عبّاس، أعندك خبر؟

فقال: قد رأيت طلحة والزبير.

فقال له: إنهما استأذناني في العمرة، فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالأيمان ألا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً. والله يا بن عبّاس ما قصد إلا الفتنة، فكأنني بهما وقد صارا إلى مكة ليستعينا على حربي، فإنّ يعلى بن منية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيفسد هذان الرجلان عليّ أمري، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري.

فقال عبدالله بن عبّاس: إذا كان عندك الأمر كذلك فلم أذنت لهما؟ وهلا حبستهما

وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المسلمين شرّهما؟

فقال له عليه السلام: يا بن عبّاس، أتأمرني أن أبدأ بالظلم وبالسّيئة قبل الحسنة، وأعاقب على الظنة والتهمة وأخذ بالفعل قبل كونه؟ كلا! والله لا عدلتُ عمّا أخذ الله عليّ من الحكم بالعدل، ولا القول بالفصل. يا بن عبّاس، إنني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، لكنني استظهرتُ بالله عليهما، والله لأقتلنّهما وليخيبنّ ظنّهما، ولا يلقيان من الأمر مناهما، فإنّ الله يأخذهما بظلمهما لي، ونكثهما بيعتي، وبغيهما عليّ^(٢).

٢٣٢- في تاريخ الطبري عن جندب: لمّا بلغ عليّاً مصابُ بني ناجية وقتل صاحبهم،

قال: هوت أمّه! ما كان أنقص عقله، وأجرأه على ربّه! فإنّ جائباً جاءني مرّة فقال لي: في

(١) الإرشاد: ١٥٣/١، المناقب لابن شهر آشوب: ١٤٥/٣، إعلام الوری: ٢٣٣/١ وليس فيهما من

«ولحق القوم...».

(٢) الجمل: ١٦٦.

أصحابك رجال قد خشيتُ أن يفارقوك، فما ترى فيهم؟
 فقلت له: إنِّي لا آخذ على التهمة، ولا أعاقب على الظنِّ، ولا أقاتل إلا من خالفني
 وناصبني وأظهر لي العداوة، ولستُ مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه، فإن تاب ورجع
 إلينا قبلنا منه، وهو أخونا، وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله، وناجزناه،
 فكفَّ عني ما شاء الله.

ثمَّ جاءني مرّة أخرى فقال لي: قد خشيتُ أن يفسد عليك عبدالله بن وهب الراسبي
 وزيدُ بن حصين، إنِّي سمعتُهما يذكرانك بأشياء لو سمعتُها لم تفارقهما عليها حتى
 تقتلها أو توبقهما، فلا تفارقهما من حبسك أبداً.

فقلت: إنِّي مستشيرك فيهما، فماذا تأمرني به؟
 قال: فإنِّي أمرُك أن تدعو بهما، فتضرب رقابهما، فعلمتُ أنه لا ورع ولا عاقل، فقلت:
 والله ما أظنُّك ورعاً، ولا عاقلاً نافعاً، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول: اتَّق
 الله، لِمَ تستحلّ قتلهم ولم يقتلوا أحداً، ولم ينادوك، ولم يخرجوا من طاعتك؟! (١)
 ٢٣٣ - في الغارات - في خبر مفارقة الخريّيت بن راشد (وهو من الخوارج)
 أمير المؤمنين عليه السلام -: قال عبدالله بن قعين: ... أتيت أمير المؤمنين عليه السلام... فأخبرته بما
 سمعت من الخريّيت وما قلت لابن عمّه وما ردّ عليّ.

فقال عليه السلام: دعه، فإن قبل الحقّ ورجع عرفنا ذلك له وقبلناه منه؛ وإن أبى طلبناه.

فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تأخذه الآن فتستوثق منه؟

فقال: إنّا لو فعلنا هذا لكلّ من نتهمه من الناس ملأنا السجون منهم، ولا أراني
 يسعني الوثوب على الناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لنا الخلاف (٢).

٢٣٤ - قال الإمام عليّ عليه السلام: من ضرب رجلاً سوطاً ظملاً، ضربه الله تبارك وتعالى

(١) تاريخ الطبري: ١٣١/٥، شرح نهج البلاغة: ١٤٨/٣ عن حبيب؛ الغارات: ٣٧١/١ وفيهما

«توثقهما» بدل «توبقهما» وكلاهما نحوه.

(٢) الغارات: ٣٣٣/١ و ص ٣٣٥، بحار الأنوار: ٣٣/٤٠٧/٦٢٨؛ شرح نهج البلاغة: ١٢٩/٣.

بسوطٍ من نار^(١).

٢٣٥ - عنه عليه السلام: أبيض الخلق إلى الله عزَّ وجلَّ من جرَّد ظهر مسلم بغير حقٍّ، ومن ضرب في غير حقٍّ من لم يضربه أو قتل من لم يقتله^(٢).

٢٣٦ - عنه عليه السلام - من كتابه إلى أمراء الخراج -: لو لم يكن فيما نُهي عنه من الظلم والعدوان عقاب يخاف، كان في ثوابه ما لا عذر لأحدٍ بترك طلبته، فارحموا تُرحموا، ولا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوق طاقتهم^(٣).

٢٣٧ - عنه عليه السلام: أيها الناس! إنِّي دعوتكم إلى الحقِّ فتولَّيتم عني، وضربتكم بالدرّة فأعيبتموني. أما إنّه سيليكم بعدي ولاة لا يرضون منكم بهذا حتى يعذبوكم بالسياط والحديد، فأما أنا فلا أعدبكم بهما؛ إنّه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة^(٤).

٢٣٨ - في مسند زيد عن زيد بن عليّ عن أبيه عن جدّه عن الإمام عليّ عليه السلام - أنّه قال لعمر في امرأة حامل اعترفت بالفجور فأمر بها أن ترحم -: فلعلك انتهرتها أو أخفتها؟ قال: قد كان ذلك، فقال: أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا حدّ على معترف بعدّ بلاءٍ، إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار له. قال: فخلّى عمر سبيلها، ثمّ قال: عجزت النساء أن تلد مثل عليّ بن أبي طالب، لولا عليّ لهلك عمر^(٥).

٢٣٩ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من خطبة له في أوائل خلافته -: إنّ الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحلّ حلالاً غير مدخول، وفضّل حرمة المسلم على الحرّم كلّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها، «فالمسلم من سلم المسلمون من

(١) دعائم الإسلام: ١٩٢٧/٥٤١/٢.

(٢) دعائم الإسلام: ١٥٥١/٤٤٤/٢، تهذيب الأحكام: ٥٨٨/١٤٨/١٠ عن السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وليس فيه «ومن ضرب في غير...».

(٣) وقعة صفين: ١٠٨، نهج البلاغة: الكتاب ٥١ نحوه؛ المعيار والموازنة: ١٢٢.

(٤) الغارات: ٤٥٨/٢ عن زيد بن عليّ بن أبي طالب، الإرشاد: ٣٢٢/١ وليس فيه «فأما أنا فلا أعدبكم بهما»؛ شرح نهج البلاغة: ٣٠٦/٢ عن زيد بن عليّ.

(٥) مسند زيد: ٣٣٥، كشف اليقين: ٥٥/٧٣، كشف الغمّة: ١١٣/١؛ ذخائر العقبى: ١٤٦ وليس فيه

«ثمّ قال...»، المناقب للخوارزمي: ٦٥/٨١.

لسانه ويده» إلا بالحق، ولا يحلّ أذى المسلم إلا بما يجب^(١).

أحكام علي على أعدائه

٢٤٠- في تاريخ الطبري عن المجلّ بن خليفة: أنّ رجلاً منهم من بني سدوس يقال له العيزار بن الأخنس كان يرى رأي الخوارج، خرج إليهم، فاستقبل وراء المدائن عدي بن حاتم ومعه الأسود بن قيس والأسود بن يزيد المراديّان، فقال له العيزار حين استقبله: أسالمت غانم، أم ظالم آتم؟ فقال عدي: لا، بل سالمت غانم، فقال له المراديّان: ما قلت هذا إلا لشتر في نفسك، وإنك لنعرفك يا عيزار برأي القوم، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبره خبرك. فلم يكن بأوشك أن جاء عليّ فأخبراه خبره، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّه يرى رأي القوم، قد عرفناه بذلك.
فقال: ما يحلّ لنا دمه، ولكنّا نحبسه.

فقال عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين، ادفعه إليّ وأنا أضمن ألاّ يأتيك من قبله مكروه. فدفعه إليه^(٢).

٢٤١- في شرح نهج البلاغة: قد روي أنّ عمران بن الحصين كان من المنحرفين عنه عليه السلام، وأنّ عليّاً سيّره إلى المدائن، وذلك أنّه كان يقول: إن مات عليّ فلا أدري ما موته، وإن قتل فعسى أنّي إن قتل رجوت له^(٣).

٢٤٢- في الغارات عن سعيد الأشعري: استخلف عليّ عليه السلام حين سار إلى النهروان رجلاً من النخع يقال له: هاني بن هوذة، فكتب إلى عليّ عليه السلام: إنّ غنياً وباهلة فتنوا، فدعوا الله عليك أن يظفر بك عدوك، قال: فكتب إليه عليّ عليه السلام: اجلبهم من الكوفة ولا تدع منهم أحداً^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧، بحار الأنوار: ٣٢/٤٠/٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٨٩/٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٧٧/٤.

(٤) الغارات: ١٨/١، بحار الأنوار: ٣٣/٣٥٦/٥٨٨.

القداير العسكرية عند علي عليه السلام

تدريب المقاتلين على فنون الحرب

٢٤٣ - قال الإمام علي عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى صفين -: اعلم أنّ مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم، فإذا أنت خرجت من بلادك وذنوت من عدوك فلا تسأم^(١) من توجيهه، الطلائع في كلّ ناحية، وفي بعض الشعاب والشجر والخمر^(٢)، وفي كلّ جانب، حتى لا يُغيركم عدوكم، ويكون لكم كمين.

ولا تُسيّر الكتائب والقبائل من لُذُن الصبح إلى المساء إلاّ تعبياً، فإن دهمكم أمر أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية^(٣).

٢٤٤ - قال الإمام علي عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى صفين -: وإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا رحلتم فارحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فنزلتم فحقوا عسكريكم بالرماح والترسة، واجعلوا رُماتكم يلوون ترستكم؛ كيلا تصاب لكم غرّة، ولا تلقى لكم غفلة^(٤).

٢٤٥ - قال الإمام علي عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى

(١) سَيِّمَ مِنْهُ: مَلَّ (لسان العرب: ١٢/٢٨٠).

(٢) الخمر: ما وارك من الشجر والجبال ونحوها (لسان العرب: ٤/٢٥٦).

(٣) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛ الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

(٤) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛ الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

صَفَيْنَ - : واحرس عسكرك بنفسك، وإيّاك أن ترقد أو تصبح إلا غِراراً^(١) أو مَضْمُضَةً^(٢). ثُمَّ لِيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكَ وَدَأْبُكَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى عَدُوِّكَ^(٣).

٢٤٦ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى

صَفَيْنَ - : وعليك بالتأني في حربك، وإيّاك والعجلة إلا أن تتمكنك فرصة. وإيّاك أن تقاتل إلا أن يبدؤوك، أو يأتيك أمري. والسلام عليك ورحمة الله^(٤).

٢٤٧ - عنه عليه السلام : - ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في

ثلاثة آلاف مقدمة له - اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه... ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكننا وقدره مقاما لا ظعنا. فأرح فيه بدنك وروح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله^(٥).

أفضل أمكنة وأوقات القتال

٢٤٨ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى

صَفَيْنَ - : ولا تُسَيِّرِ الْكُتَائِبَ وَالْقَبَائِلَ مِنْ لَدُنِّ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ إِلَّا تَعْبِيَةً، فَإِنْ دَهَمَكَمْ أَمْرٌ أَوْ غَشِيَكُمْ مَكْرُوهٌ كُنْتُمْ قَدْ تَقَدَّمْتُمْ فِي التَّعْبِيَةِ^(٦).

٢٤٩ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدّمته إلى

(١) الغرار: النوم القليل، وقيل: هو القليل من النوم وغيره (لسان العرب: ١٧/٥).

(٢) ولا تذوقوا النوم... لما جعل للنوم ذوقاً أمرهم أن لا ينالوا منه إلا بألستهم ولا يسيفوه فشبهه

بالمضمضة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع (لسان العرب: ٢٢٤/٧).

(٣) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛

الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

(٤) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛

الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب ١٢.

(٦) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛

الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

صَفَيْنِ - : وإذا نزلتُم بعدوَّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في أقبال الأشراف، أو في سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار؛ كيما تكون لكم رداءً ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحدٍ واثنين.

واجعلوا رُقباءكم في ضياصي^(١) الجبال، وبأعلى الأشراف، وبمناكب الأنهار؛ يريئون لكم؛ لئلا يأتیکم عدوٌّ من مكان مخافةٍ أو أمن^(٢).

٢٥٠- عنه عليه السلام - : ومن وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أتفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له - اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه. ولا تقاتلن إلا من قاتلك. وسر البردين. وغور بالناس. ورفه بالسير. ولا تسر أول الليل فإن الله جعله سكناً و قدره مقاماً لا ظعنأ. فأرح فيه بدنك وروح ظهرك. فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله. فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتیک أمری، ولا يحملنكم شنائهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم^(٣).

أقول: قوله: «وسر البردين». البردان الصبح والعصر، وهو أفضل أوقات المسير للحرب وغيره، نعم قد لا يصلح في بعض المهمات القتالية كما لو كان العدو يراقب تلك الطرق أو كان في منطقة مأهولة بالسكان فعندها يكون السير في الليل أو بعيداً عن أعين الناس أصح وأمن.

قوله: «وغور بالناس» أي أنزل بهم وقت شدة الحرّ (نصف النهار) لكي لا ينهكهم المسير تحت أشعة الشمس.

قوله: «ورفه بالسير» أي هو ولا تتعب نفسك وأصحابك ودوابك أو معداتك. وعلى كلِّ فإن تقدير هذه الأمور يختلف من زمن لزمن ومن مكان لمكان بل ومن

(١) ضياصي الجبال: أطرافها العالية (مجمع البحرين: ٢/١٠٦٣).

(٢) تحف العقول: ١٩١، نهج البلاغة: الكتاب ١١، وقعة صفين: ١٢٣ عن يزيد بن خالد بن قطن؛ الأخبار الطوال: ١٦٦ كلها نحوه.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ١٢.

حرب لأخرى.

العمل عند خوف المجاهدين أو هزيمتهم

٢٥١- عنه عليه السلام: إن كانت - وأعوذ بالله - فيكم هزيمة فتداعوا، واذكروا الله وما توعد به من فر من الزحف، وبكثوا^(١) من رأيتموه ولّى. واجمعوا الألوية، واعتقدوا. وليسرع المخفون في رد من انهزم إلى الجماعة وإلى المعسكر، فلينفرد من فيه إليكم، فإذا اجتمع أطرافكم، وأتت أمدادكم، وانصرف فلّكم، فألحقوا الناس بقوادهم، وأحكموا تعابيحهم، وقاتلوا، واستعينوا بالله، واصبروا؛ وفي الثبات عند الهزيمة، وحمل الرجل الواحد الواثق بشجاعته على الكتيبة، فضلٌ عظيم^(٢).

نصائح للمجاهدين عند القتال

٢٥٢- في تاريخ دمشق عن ابن عباس: عُقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، والله، ما رأيت ولا سمعتُ رئيساً يوزن به، لرأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها، كأنّ عينيه سراجا سليط، وهو يقف على شردمة يحضّهم، حتى انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس فقال:

معاشر المسلمين! استشعروا الخشية، وعضوا الأصوات، وتجلّبوا السكينة، وأعملوا^(٣) الأسنّة، وأقلقوا^(٤) السيوف قبل السلّة، وأطعنوا الرخر^(٥)، وناقحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله ومع ابن عمّ نبيّه عليه السلام.

(١) التبكيث: كالتفريع والتعنيف (لسان العرب: ١١/٢).

(٢) دعائم الإسلام: ٣٧٣/١.

(٣) في تاريخ دمشق «ترجمة الإمام عليّ عليه السلام» تحقيق محمد باقر المحمودي: «وأعلموا» (١١٩١/١٤٥/٢).

(٤) أقلق الشيء من مكانه وقلّقه: حرّكه (لسان العرب: ١٠/٣٢٤).

(٥) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة: «واطعنوا الشؤر».

عاودوا الكَرَّ، واستحيوا من الفرَّ؛ فَإِنَّه عَارٌّ بَاقٍ فِي الْأَعْقَابِ وَالْأَعْنَاقِ، وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ. وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْفُسًا، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ أُسْحًا^(١).
 وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَالرَّوَاقِ الْمَطِيبِ^(٢)، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ^(٣)؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رَاكِبٌ صَعْبِهِ، وَمَفْرَشٌ ذِرَاعِيهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلوِثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنَّكُوصِ رِجْلًا، فَصَمْدًا صَمْدًا حَتَّى يَتَجَلَّى لَكُمْ عَمُودَ الدِّينِ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَغْمَلِكُمْ﴾^{(٤)(٥)}.

تنظيم حركة الجيش واتخاذ المواقع

٢٥٣- في دعائم الإسلام- عن علي عليه السلام :- إِنَّه كَانَ إِذَا زَحَفَ لِلْقِتَالِ جَعَلَ مِيْمَنَةً وَمَيْسِرَةً وَقَلْبًا يَكُونُ هُوَ فِيهِ، وَيَجْعَلُ لَهَا رَوَاطِبَ، وَيَقْدِّمُ عَلَيْهَا مَقْدِّمِينَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِخَفْضِ الْأَصْوَاتِ، وَالِدَعَاءِ، وَاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ، وَشَهْرِ السِّيُوفِ، وَإِظْهَارِ الْعِدَّةِ، وَلِزُومِ كُلِّ قَوْمٍ مَكَانَهُمْ، وَرَجُوعِ كُلِّ مَنْ حَمَلَ إِلَى مِصَافِهِ بَعْدَ الْحَمَلَةِ^(٦).

٢٥٤- في دعائم الإسلام- في علي عليه السلام :- إِنَّه كَانَ إِذَا زَحَفَ لِلْقِتَالِ يَعْبِي الْكِتَائِبَ، وَيَفْرِقُ بَيْنَ الْقِبَائِلِ، وَيَقْدِّمُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ رِجْلًا، وَيَصَفِّفُ الصَّفُوفَ، وَيُكْرِدِسُ الْكِرَادِيْسَ^(٧)، ثُمَّ يَزْحَفُ إِلَى الْقِتَالِ^(٨).

(١) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة: «سُجْحًا». ومِشِيَّةٌ سُجْحٌ: أي سهلة (لسان العرب: ٤٧٥/٢).

(٢) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة: «المطنب» وهو أنسب.

(٣) الثَّبَجُ: الوسط، وما بين الكاهل إلى الظهر (لسان العرب: ٢٢٠/٢).

(٤) محمد: ٣٥.

(٥) تاريخ دمشق: ٤٢/٤٦٠، مروج الذهب: ٢/٣٨٩، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/١١٠؛

نهج البلاغة: الخطبة ٦٦ وفيه من «معاشر المسلمين...»، خصائص الأئمة عليهم السلام: ٧٥، بشارة المصطفى: ١٤١ كلُّها نحوه.

(٦) دعائم الإسلام: ١/٣٧٢.

(٧) الكردوس: الخيل العظيمة، وقيل: القطعة من الخيل العظيمة. والكرديس: الفِرَقُ منهم، ويقال:

كردس القائد خيله أي جعلها كنيبة كنيبة (لسان العرب: ١٩٥/٦).

(٨) دعائم الإسلام: ١/٣٧٢.

٢٥٥ - قال الإمام عليّ عليه السلام : قدّموا الرّجالة والرّماة؛ فليرشقوا بالنبل، وليتناوش الجنبان^(١)، واجعلوا الخيل الروابط والمنتجبة^(٢) رداءً للواء والمقدّمة، ولا تنتشزوا^(٣) عن مراكزكم لفارس شذ من العدو^(٤).

٢٥٦ - عنه عليه السلام - في وصيّة له عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو - : فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبّل^(٥) الأشراف، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار؛ كيما يكون لكم رداء، ودونكم مرداً. ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين. واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب؛ لئلا يأتكم العدو من مكان مخافة أو أمن.

وأعلموا أنّ مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم. وإياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً. وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كقفة، ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة^(٦).

أثر قوة وصلابة يد المجاهدين

٢٥٧ - عنه عليه السلام - ممّا كان يقوله لأصحابه عند الحرب - : لا تشدّن عليكم قرّة بعدها كزّة، ولا جولة بعدها حملة، وأعطوا السيوف حقوقها. ووطئوا للجنوب مصارعها، واذمّروا^(٧) أنفسكم على الطعن الدّعسي^(٨) والضرب الطلّحي^(٩).^(١٠)

(١) الجنّب: الناحية (لسان العرب: ٢٧٨/١).

(٢) المنتجب: المختار من كل شيء (لسان العرب: ٧٤٨/١).

(٣) يقال: تشزّ من مكانه تشوزاً؛ إذا ارتفع عنه. وتشزّ الرجل من امرأته: تركها (المصباح المنير: ٦٠٥).

(٤) دعائم الإسلام: ٣٧٢/١.

(٥) القبّل - بالضم - من الجبل: سفحه؛ يقال: انزل بقبّل هذا الجبل أي بسفحه (تاج العروس: ٥٩٥/١٥).

(٦) نهج البلاغة: الكتاب ١١، تحف العقول: ١٩٢، وقعة صفين: ١٢٤ عن يزيد بن خالد بن قطن؛ الأخبار الطوال: ١٦٦ كلّها نحوه.

(٧) الذمّر: اللوم والحضّ معاً، ذمّره يذمّره ذمراً: لامه وحضّه وحثّه (لسان العرب: ٣١١/٤).

(٨) الدّعس: الحشو، ودّعست الوعاء: حشوته (لسان العرب: ٨٤/٦) فلعل المراد من الطعن الدّعسي: أي

عدم مفارقة السلاح في الحرب

٢٥٨- في دعائم الإسلام: إنّه [علياً عليه السلام] كرهه أن يُلقي الرجلُ سلاحه عند القتال؛ وقد قال الله عزّ وجلّ عند ذكر صلاة الخوف: «وَلِيّاً خَدَوْا أَسْلِحَتَهُمْ»، وقال: «وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً»^(١١)، فأفضل الأمور لمن كان في الجهاد أن لا يفارقه السلاح على كل الأحوال^(١٢).

انتهاز الفرصة

٢٥٩- قال الإمام عليّ عليه السلام - في وصف القتال - : من رأى فرصة من العدو فليتنشز، ولينتهز الفرصة بعد إحكام مركزه، فإذا قضى حاجته عاد إليه^(١٣).

٢٦٠- في وقعة صفين: أقبل الأحنف بن قيس السعدي [في حرب صفين] فقال: يا أهل العراق، والله لا تصيبون هذا الأمر أنلَّ عنقاً منه اليوم، قد كشف القوم عنكم قناع الحياء، وما يقاتلون على دين، وما يصبرون إلا حياء؛ فتقدّموا.

فقالوا: إنا إن تقدّمنا اليوم فقد تقدّمنا أمس، فما تقول يا أمير المؤمنين؟

قال: تقدّموا في موضع التقدّم، وتأخّروا في موضع التأخّر؛ تقدّموا من قبل أن يتقدّموا إليكم^(١٤).

= الذي يحشى به أجواف الأعداء .

(٩) صرّبه صرّباً طلّحفاً: أي شديداً (لسان العرب: ٢٢٣/٩).

(١٠) نهج البلاغة: الكتاب ١٦، عيون الحكم والمواعظ: ٩٦٤٤/٥٣٠ نحوه وليس فيه من «فوالذي...».

(١١) النساء: ١٠٢.

(١٢) دعائم الإسلام: ١/٣٧١.

(١٣) دعائم الإسلام: ١/٣٧٢.

(١٤) وقعة صفين: ٤٠٦، بحار الأنوار: ٣٢/٥١١/٤٣٧.

الانسحاب التاكتيكي

٢٦١- قال الإمام عليّ عليه السلام: الفرار في أوانه يعدل الظفر في زمانه ^(١).

٢٦٢- عنه عليه السلام - كان يقول لأصحابه عند الحرب -: لا تشتدّن عليكم فرّة بعدها كزرة، ولا جولة بعدها حملة ^(٢).

تأسيس القوة الضاربة

٢٦٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: كانوا - شرطة ^(٣) الخميس - ستة آلاف رجل أنصاره [أي عليّ عليه السلام] ^(٤).

٢٦٤- في الاختصاص عن عليّ بن الحكم: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين قال لهم: تشرطوا، فأنا أشرطكم على الجنة، ولست أشرطكم على ذهب ولا فضة؛ إن نبينا صلى الله عليه وآله فيما مضى قال لأصحابه: تشرطوا، فإني لست أشرطكم إلا على الجنة وهم: سلمان الفارسي، والمقداد، وأبوذر الغفاري، وعقار بن ياسر، وأبوساسان وأبو عمرو الأنصاريان، وسهل - بدري - وعثمان ابنا حنيف الأنصاري، وجابر بن عبدالله الأنصاري.

ومن أصفياء أصحابه، عمرو بن الحمق الخزاعي عربي، وميثم التمار - وهو ميثم ابن يحيى، مولى - ورشيد الهجري، وحبيب بن مظهر الأسدي، ومحمد بن أبي بكر. ومن أوليائه: العلم الأزدي، وسويد بن غفلة الجعفي، والحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، وأبو عبدالله الجدلي، وأبو يحيى حكيم بن سعد الحنفي.

(١) غرر الحكم: ٢٠٠٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٦، عيون الحكم والمواعظ: ٩٦٤٤/٥٣٠ وفيه «صولة» بدل «حملة».

(٣) شرط السلطان: نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده. وقال ابن الأعرابي: هم الشرط، والنسبة إليهم: شرطية؛ والشرطة، والنسبة إليهم: شرطية (النهاية: ٤٦٠/٢).

(٤) الاختصاص: ٢.

وكان من شرطة الخميس: أبو الرضيّ عبدالله بن يحيى الحضرمي، وسليم بن قيس الهلالي، وعبيدة السلماني المرادي، عربي.

ومن خواصّه: تميم بن حذيم الناجي - وقد شهد مع عليّ عليه السلام - [و] قنبر مولى عليّ ابن أبي طالب صلوات الله عليه، [و] أبوفاخته مولى بني هاشم، وعبيدالله بن أبي رافع - وكان كاتبه - ^(١).

٢٦٥ - في رجال الكشي عن أبي الجارود: قلت للأصبغ بن نباتة: ما كان منزلة هذا الرجل [عليّ عليه السلام] فيكم؟

قال: ما أدري ما تقول! إلا أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومى إليه ضربناه بها.

وكان يقول لنا: تشرطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا لفضّة، وما اشتراطكم إلا للموت، إنّ قوماً من قبلكم من [بني إسرائيل] ^(٢) تشارطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبيّ قومه، أو نبيّ قريته، أو نبيّ نفسه، وإنكم ليمنزلتهم، غير أنكم لستم بأنبياء ^(٣).

٢٦٦ - في رجال الكشي: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لعبدالله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: أبشر يا بن يحيى؛ فإنّك وأبوك من شرطة الخميس حقاً، لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سمّاكم شرطة الخميس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله. وذكر أنّ شرطة الخميس كانوا ستّة آلاف رجل، أو خمسة آلاف ^(٤).

(١) الاختصاص: ٢؛ الفهرست لابن النديم: ٢٢٣ وفيه إلى «إلا على الجنة».

(٢) سقط ما بين المعقوفين من المصدر وأثبتناه من بحار الأنوار.

(٣) رجال الكشي: ١/١٩/٨، بحار الأنوار: ٤٢/١٥٠/١٦.

(٤) رجال الكشي: ١/٢٤/١٠، بحار الأنوار: ٤٢/١٥١/١٨.

عناية المسؤول الخاصة بالقوات المسلحة

٢٦٧- قال الإمام عليّ عليه السلام - في عهده إلى مالك الأشتر -: تمّ تفقّد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمَنَّ في نفسك شيء قوّيتهم به. ولا تحقّرَنَّ لطفاً تعاهدتهم به وإن قلّ؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظنّ بك. ولا تدعُ تفقّد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها؛ فإنّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه.

وليكن أثر رؤوس جنّدك عندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدّته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو؛ فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك. وإنّ أفضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعيّة، وإنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم، ولا تصحّ نصيحتهم إلّا بحيطتهم على ولاة أمورهم، وقلة استتقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدّتهم.

فافسح في آمالهم، وواصل في حسن الثناء عليهم، وتعدد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإنّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع، وتحرّض الناكل إن شاء الله. ثمّ اعرف لكلّ امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفنّ بلاء امرئ إلى غيره، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه، ولا يدعوتك شرف امرئ إلى أن تُعظّم من بلائه ما كان صغيراً، ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً^(١).

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣، تحف العقول: ١٣٧، دعائم الإسلام: ١ / ٣٦١ كلاهما نحوه.

ذم الفرار من المعركة

أجزأ امرؤ قرنه^(١)، وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه، فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه. وأيم الله لئن فررتُم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة، وأنتم لهاميم^(٢) العرب، والسنام الأعظم؛ إن في الفرار موجدة الله، والذل اللازم، والعار الباقي. وإن الفارَ لغير مزيدي في عمره، ولا محجوز بينه وبين يومه. من الرائح إلى الله كالظمان يرد الماء؟ الجنة تحت أطراف العوالي! اليوم تبلى الأخبار! والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم!!^(٣)

ما يستحب قوله عند المسير الى الحرب

٢٦٨ - في وقعة صفين عن تميم: كان عليّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب... ثم يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، يا الله، يا أحد، يا صمد، يا رب محمد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اللهم كُفِّ عَنَّا بِأَسِ الظالمين. فكان هذا شعاره بصفيين^(٤).

(١) أجزاء الشيء: كفاه (لسان العرب: ٤٦/١).

(٢) لهميم ولهموم: جواد سابق يجري أمام الخيل؛ لالتهامه الأرض، الجمع لهاميم (لسان العرب: ٥٥٤/١٢).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٤ وراجع الإرشاد: ٢٦٦/١ ووقعة صفين: ٢٣٥.

(٤) وقعة صفين: ٢٣٠؛ شرح نهج البلاغة: ١٧٦/٥ عن جابر الجعفي.

رفع معنويات المجاهدين وأثره

١- التحريض

٢٦٩- في الكافي عن أبي صادق: سمعت علياً عليه السلام يحرّض الناس في ثلاثة مواطن: الجمل، وصفين، ويوم النهر؛ يقول: عباد الله، اتقوا الله، وعضّوا الأبصار، واخفضوا الأصوات، وأقلّوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المُنازلة، والمجادلة، والمبارزة، والمنازلة، والمنايذة، والمعانقة، والمكادمة^(١)، واثبتوا ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَّعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) (٣).

٢٧٠- قال الإمام علي عليه السلام - من كلام له عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل -: تزول الجبال ولا تنزل، عَضَّ على ناجذك. أَعِرَ الله جُمُجْمَتَكَ. تَدُ في الأرض قدمك. أرم ببصرك أقصى القوم، وعضّ بصرك، واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه^(٤).

٢٧١- عنه عليه السلام - ممّا كان يقوله لأصحابه عند الحرب -: لا تَشْتَدَنَّ عليكم قَرَّةٌ بعدها كَرَّةٌ، ولا جَوْلَةٌ بعدها حَمَلَةٌ، وأعطوا السيوفَ حقوقَها. ووطنوا للجُنُوبِ مصارعَها،

(١) الكَدَمُ: العَضُّ بأدنى الفم كما يكدمُ الحمار، وقيل: هو العَضُّ عامة، أو كدَمَه: أشر فيه بحديدة، وكدَمَ الصيّدَ كدماً: طرده وجدّ في طلبه حتى يغلبه (تاج العروس: ١٧/٦٠٤).

(٢) الكافي: ٢/٣٨/٥، الإرشاد: ١/٢٦٥، وقعة صفين: ٢٠٤ عن الحضرمي؛ المعيار والموازنة: ١٥٨، شرح نهج البلاغة: ٤/٢٦/٤ كلّها نحوه.

(٣) الأنفال: ٤٥-٤٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١١، المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٥٥.

وَأَذْمُرُوا^(١) أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ^(٢) وَالضَّرْبِ الطَّلْحِيِّ^(٣). وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ مَا أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ^(٤).

٢٧٢ - عَنْهُ عليه السلام - فِي حَتِّ أَصْحَابِهِ عَلَى الْقِتَالِ - : قَدَمُوا الدَّارِعَ، وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْتَبَى^(٥) لِلسَّيْفِ عَنِ الْهَامِ. وَالتَّوَّأَ فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ؛ فَإِنَّهُ أَمُورٌ^(٦) لِلْأَسِنَّةِ. وَعَضُّوا الْأَبْصَارَ؛ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ، وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ. وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تَمِيلُوهَا، وَلَا تُخَلِّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ؛ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نَزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحْفَوْنَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَهَا؛ حَقَاقِيهَا وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا، لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا.

أَجْزَاءُ أَمْرٍ وَقِرْنُهُ^(٧)، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لِهَامِيمٌ^(٨) الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ؛ إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ، وَالذَّلَّ الْإِلْزَامَ، وَالْعَارَ الْبَاقِيَّ. وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرٍ مَزِيدٍ فِي عَمْرِهِ، وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ. مَنْ الرَّائِحُ

(١) الذَّمْرُ: اللُّومُ وَالْحَضُّ مَعًا، ذَمَّرَهُ يَذْمُرُهُ ذَمْرًا: لَامَهُ وَحَضَّهُ وَحَتَّهُ (لسان العرب: ٣١١/٤).

(٢) الدَّعْسُ: الْحَشْوُ، وَدَعَسْتُ الْوِعَاءَ: حَشَوْتَهُ (لسان العرب: ٨٤/٦) فَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنَ الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ: أَيِ الَّذِي يَحْشَى بِهِ أَجْوَابَ الْأَعْدَاءِ.

(٣) ضَرَبَهُ ضَرْبًا طَلْحِيًّا: أَيِ شَدِيدًا (لسان العرب: ٢٢٣/٩).

(٤) نَهَجُ الْبَلَاغَةِ: الْكِتَابُ ١٦، عِيُونَ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظُ: ٩٦٤٤/٥٣٠ نَحْوَهُ وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ «فَوَالَّذِي...».

(٥) نَبَا السَّيْفِ عَنِ الضَّرْبَةِ نَبْوًا وَنَبْوَةٌ: كُلٌّ وَلَمْ يَجِجْ فِيهَا (لسان العرب: ٣٠١/١٥).

(٦) مَارَ الشَّيْءُ يَمُورُ مَوْرًا: تَرَهَّبًا؛ أَيِ تَحَرَّكَ وَجَاءَ وَذَهَبَ كَمَا تَتَكَفَّمُ النَّخْلَةُ الْعِيدَانَةَ (لسان العرب: ١٨٦/٥). أَقُولُ: لَعَلَّهُ يَرِيدُ عليه السلام أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَرُونَةً عِنْدَ ائْتِمَالِ السَّلَامِ، كَمَا يُقَالُ: يَدُهُ خَفِيفَةٌ فِي اسْتِعْمَالِ السَّلَاحِ.

(٧) أَجْزَاءُ الشَّيْءِ: كَفَاهُ (لسان العرب: ٤٦/١).

(٨) لِهَامِيمٍ وَتُهْمُومٍ: جَوَادٍ سَابِقٍ يَجْرِي أَمَامَ الْخَيْلِ؛ لِاتِّهَامِهِ الْأَرْضَ، الْجَمْعُ لِهَامِيمٍ (لسان العرب: ٥٥٤/١٢).

إلى الله كالظمان يرد الماء؟ الجنة تحت أطراف العوالي! اليوم تُبلى الأخبار! والله لأننا أشوقُ إلى لقائهم منهم إلى ديارهم!!

اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم، وشئت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك؛ يخرج منهم النسيم، وضرب يفلق الهام، ويطيح العظام، ويُنذر^(١) السواعد والأقدام، وحتى يرموا بالمناسير تتبعها المناسير، ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب، وحتى يُجرَّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى تدعق^(٢) الخيول في نواحر أرضهم، وبأعنان مساريهم ومسارحهم^(٣).

٢٧٣- في الكافي عن مالك بن أعين: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس بصفين، فقال: إن الله عزّ وجلّ دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، وتُشفي^(٤) بكم على الخير، والإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفرة للذنوب، ومساكن طيبة في جنّات عدن، وقال: عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾^(٥). فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص.

فقدّموا الدارع، وأخروا الحاسر، وعضّوا على النواجذ؛ فإنه أنبى للسيوف على الهام، والتّوّوا على أطراف الرماح؛ فإنه أمور للأسنّة، وعضّوا الأبصار؛ فإنه أربط للجأش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات؛ فإنه أطرّد للفشل، وأولى بالوقار^(٦).

٢٧٤- قال الإمام عليّ عليه السلام: في الحكم المنسوبة إليه: لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة: مستبصر في دين، أو غيران على حرمة، أو ممتعض^(٧) من ذلّ^(٨).

(١) نذر الشيء يُنذِرُ نذورا: سقط (لسان العرب: ١٩٩/٥).

(٢) قال الشريف الرضي: الدعق: الدق؛ أي تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم. ونواحر أرضهم: متقابلاتها، ويقال: منازل بني فلان تتناحر، أي تتقابل (نهج البلاغة: ذيل الخطبة ١٢٤).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٤ وراجع الإرشاد: ١/٢٦٦ وورقة صفين: ٢٣٥.

(٤) أشفى على الشيء: أشرف عليه (لسان العرب: ٤٣٦/١٤).

(٥) الصّف: ٤.

(٦) الكافي: ٤/٣٩/٥.

(٧) مِعْضٌ مِنَ الْأَمْرِ يَمْعُضُ مَعْضًا وَمَعْضًا، وَمَتَعَضُّ مِنْهُ: غَضِبَ وَشَقَّ عَلَيْهِ وَأَوْجَعَهُ

٢- اتخاذ الشعار واستعماله عند القتال

٢٧٥- قال الإمام علي عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بإعلان الشعار قبل الحرب، وقال: ليكن في شعاركم اسم من أسماء الله ^(٩).

٢٧٦- في وقعة صفين عن الأصبع بن نباتة: ما كان علي في قتال قط إلا نادى: ﴿كَهَيْعِص﴾ ^(١٠).

٢٧٧- قال الإمام الصادق عليه السلام: شعارنا: «يا محمد يا محمد»، وشعارنا يوم بدر: «يا نصر الله اقترب اقترب»، وشعار المسلمين يوم أحد: «يا نصر الله اقترب»، ويوم بني النضير: «يا روح القدس ارح»، ويوم بني قينقاع: «يا ربنا لا يغلبتك»، ويوم الطائف: «يا رضوان»، وشعار يوم حنين: «يا بني عبدالله يا بني عبدالله»، ويوم الأحزاب: «حم لا يبصرون»، ويوم بني قريظة: «يا سلام أسلمهم»، ويوم المريسيع: وهو يوم بني المصطلق: «ألا إلى الله الأمر».

ويوم الحديبية: «ألا لعنة الله على الظالمين»، ويوم خيبر: يوم القموص: «يا علي آتيم من علي ^(١١)».

ويوم الفتح: «نحن عباد الله حقاً حقاً»، ويوم تبوك: «يا أحد يا صمد»، ويوم بني الملوح: «أمت أمت»، ويوم صفين: «يا نصر الله»، وشعار الحسين عليه السلام: «يا محمد»، وشعارنا: «يا محمد» ^(١٢).

= (لسان العرب: ٧/٢٢٤).

(٨) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٢٨٨/٢٩٢.

(٩) دعائم الإسلام: ١/٣٧٠.

(١٠) وقعة صفين: ٢٣١، بحار الأنوار: ٣٢/٤٦١/٣٩٨ وج ١٠٠/٣٦/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ١٧٦/٥.

(١١) أتيتُه من عَلِ الدار - بكسر اللام وضمها -، وأتيتُه من عَلِي، ومن عَلِي، كل ذلك أي من فوق (ناج العروس: ١٩/٦٩٦).

(١٢) الكافي: ١/٤٧/٥ عن معاوية بن عمّار، بحار الأنوار: ١٩/١٦٣/١.

٢٧٨- في شرح نهج البلاغة عن سلام بن سويد عن الإمام عليّ عليه السلام - في كلمة «الله أكبر» قال :- هي آية النصر.

قال سلام: كانت شعاره عليه السلام، يقولها في الحرب، ثمّ يحمل فيورد - والله - من اتبعه ومن حادّه حياض الموت ^(١).

٢٧٩- في وقعة صفّين عن تميم: كان عليّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب... ثمّ يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر، يا الله، يا أحد، يا صمد، يا ربّ محمّد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اللهمّ كفّ عنا بأس الظالمين. فكان هذا شعاره بصفّين ^(٢).

٢٨٠- في وقعة صفّين: كانت علامة أهل العراق بصفّين الصوف الأبيض: قد جعلوه في رؤوسهم، وعلى أكتافهم. وشعارهم: «يا الله، يا أحد، يا صمد، يا ربّ محمّد، يا رحمن يا رحيم».

وكان علامة أهل الشام خرقاً صُفراً قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم، وكان شعارهم: «نحن عباد الله حقّاً حقّاً، يا لثارات عثمان» ^(٣).

٣- تحديث النفس بالغلبة

٢٨١- في الجمل عن عمرو بن دينار: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمّد: خذ الراية وامض. وعليّ عليه السلام خلفه، فناداه: يا أبا القاسم! فقال: لبيك يا أبة. فقال: يا بني لا يستقرّك ما ترى، قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استقرّني عدوّي وذلك أنّي لم ألق أحداً إلاّ حدّثني نفسي بقتله، فحدّث نفسك - بعون الله - بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس باليقين؛ فإنّ ذلك أشدّ الخذلان. قال: فقلت: يا أبة، أرجو أن أكون كما تحبّ، إن

(١) شرح نهج البلاغة: ١٧٧/٥؛ بحار الأنوار: ٣٢/٤٦١/٤٠٠ وج ٣٧/١٠٠/٣٥.

(٢) وقعة صفّين: ٢٣٠؛ شرح نهج البلاغة: ١٧٦/٥ عن جابر الجعفي.

(٣) وقعة صفّين: ٣٣٢، بحار الأنوار: ٣٣/٢٧/٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ٨/١٥.

شاء الله ^(١).

٤ - بيان حرمة الفرار

٢٨٢ - قال الإمام علي عليه السلام : الفرار من الزحف من الكبائر ^(٢).

٢٨٣ - عنه عليه السلام : الفرار أحد الذلّين ^(٣).

٢٨٤ - عنه عليه السلام : عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ؛ فإنّه عار في الأعقاب، و نار يوم

الحساب. وطيبوا عن أنفسكم نفساً، و امشوا إلى الموت مشياً سجحاً ^(٤).

٢٨٥ - عنه عليه السلام : ليعلم المنهزم بأنّه مسخّط ربّه، و موبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة

الله، و الذلّ اللازم، و العار الباقي، و فساد العيش عليه. و إنّ الفارّ لغير مزيّد في عمره، و لا

محجوز بينه و بين يومه، و لا يرضي ربّه. و لموت الرجل محقّقاً قبل إتيان هذه الخصال

خيرّ من الرضى بالتلبيس بها، و الإقرار عليها! ^(٥)

٢٨٦ - في الكافي عن مالك بن أعين : حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس

بصقّين فقال: ...رحم الله امرأً و اسى أخاه بنفسه، و لم يكِل قرنه إلى أخيه؛ فيجتمع قرنه

و قرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة، و يأتي بدناءة؛ و كيف لا يكون كذلك و هو يقاتل

الإثنين، و هذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه، هارباً منه، ينظر إليه و هذا!! فمن يفعله

يمقتّه الله، فلا تعرّضوا لمقتب الله عزّ و جلّ؛ فإنّما ممرّكم إلى الله، و قد قال الله عزّ و جلّ:

﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٦).

و أيم الله، لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا

(١) الجمل : ٣٦٨ .

(٢) دعائم الإسلام : ١ / ٣٧٠ ؛ المصنّف لابن أبي شيبة : ٧ / ٧٣٣ / ٦ عن مالك بن جبرير الحضرمي .

(٣) غرر الحكم : ١٦٦٣ .

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ٦٦ ؛ تاريخ دمشق : ٤٢ / ٤٦٠ وفيه «فإنّه عار باق في الأعقاب و الأعناق» .

(٥) الكافي : ٤ / ٤١ / ٥ ، عن مالك بن أعين ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٤٧٢ / ٤١١ عن زيد بن وهب نحوه

وفيه «الإصرار» بدل «الإقرار» و راجع المعيار و الموازنة : ١٥٠ .

(٦) الأحزاب : ١٦ .

بالصبر والصدق؛ فإنّما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حقّ جهاده. ولا قوّة إلاّ بالله^(١).

هـ - إخفاء المعلومات التي تضرّ بمعنويّات المجاهدين

٢٨٧ - في وقعة صفّين عن أبي روق: قال زياد بن النصر الحارثي لعبدالله بن بديل بن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليوم عصيب؛ ما يصبر عليه إلاّ كلّ مشيّع القلب، صادق النية، رابط الجأش، وأيم الله، ما أظنّ ذلك اليوم يُبقي منّا ومنهم إلاّ الرّذال!
قال عبدالله بن بديل: والله أظنّ ذلك.

فقال عليّ عليه السلام: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركم، لا تُظهروه، ولا يسمعه منكم سامع؛ إنّ الله كتب القتل على قوم، والموت على آخرين، وكلّ آتية منّيته كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته^(٢).

٢٨٨ - في الكافي عن عديّ بن حاتم: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصفّين - ورفع بها صوته ليُسمع أصحابه -: والله لأقتلنّ معاوية وأصحابه، ثمّ يقول في آخر قوله: إنّ شاء الله - يخفض بها صوته -

وكنّت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين إنّك حلفت على ما فعلت، ثمّ استثنيت، فما أردتَ بذلك؟! فقال لي: إنّ الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردتُ أن أحرّض أصحابي عليهم؛ كيلا يفشلوا، وكي يطمعوا فيهم، فأفقههم يتتفعُ بها بعد اليوم إن شاء الله^(٣).

(١) الكافي: ٤/٣٩/٥، وقعة صفّين: ٢٣٥ عن عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي؛ تاريخ الطبري: ١٦/٥ عن أبي عمرة الأنصاري وكلاهما نحوه وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٢٤.

(٢) وقعة صفّين: ١١١، بحار الأنوار: ٤٠٣/٣٢-٣٦٩-٣٧٣؛ شرح نهج البلاغة: ١٨٣/٣ وفيه

«عصيب» بدل «عصيب».

(٣) الكافي: ١/٤٦٠/٧، تهذيب الأحكام: ٢٩٩/١٦٣/٦، تفسير القمي: ٦٠/٢ نحوه وفيهما

«فأفقههم» بدل «فأفقههم»، بحار الأنوار: ٣٣/٢٧/١٠٠ نقلاً عن تفسير العياشي وفيه «فأفعلهم» بدل

«فأفقههم».

أقول: مراده عليه السلام أنه لن يقتل معاوية لأن الله كتب له عمراً أطول، أو لم يشأ الله له ذلك، وعليه فمحل الشاهد أن أمير المؤمنين عليه السلام كتم عدم قتله لمعاوية لأنه يضر بمعنويات الجيش.

٦- استعمال أساليب توهم العدو (الخدعة)

٢٨٩- قال الإمام علي عليه السلام: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً، فوالله لأن أجز من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه. وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة^(١).

٢٩٠- قال الإمام الباقر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: لأن تخطفني الطير أحب إلي من أن أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في يوم الخندق: الحرب خدعة. يقول: تكلموا بما أردتم^(٢).

٢٩١- قال الإمام علي عليه السلام: في الحكم المنسوبة إليه -: كن في الحرب بحيلتك أو ثق منك بشدتك، ويحذر ك أفرح منك بنجدةك؛ فإن الحرب حرب المتهور، وغنيمة المتحذر^(٣).

٢٩٢- في الكافي عن عدي بن حاتم: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصفين - ورفع بها صوته ليُسمع أصحابه -: والله لأقتلن معاوية وأصحابه، ثم يقول في آخر قوله: إن شاء الله - يخفض بها صوته -
وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على ما فعلت، ثم استثنيت، فما

(١) صحيح البخاري: ٦/٢٥٣٩/٦٥٣١ وج ٣/١٣٢٢/٣٤١٥، صحيح مسلم: ٢/٧٤٦/١٠٦٦،

سنن أبي داود: ٤/٢٤٤/٤٧٦٧، مستد ابن حنبل: ١/١٧٧/٦١٦ وفيه «عن غيره فإنا أنا رجل محارب» بدل «فيما بيني وبينكم»، و ص ٢٧٦/١٠٨٦ كلها عن سويد بن غفلة.

(٢) تهذيب الأحكام: ٦/١٦٢/٢٩٨ عن إسحاق بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام، قرب الإسناد: ١٣٣/٤٦٦ عن أبي البخري عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام نحوه.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣١٢/٥٨٨.

أردت بذلك؟! فقال لي: إنَّ الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردتُ أن أُحرض أصحابي عليهم؛ كيلا يفشلوا، وكي يطمعوا فيهم، فأفقههم ينتفعُ بها بعد اليوم إن شاء الله^(١).

٢٩٣ - في تفسير القمّي - في ذكر غزوة الخندق :- مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه... فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب؛ ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وختنه. فقال: والله إنَّ أباك كان لي صديقاً قديماً وإنّي أكره أن أقتلك، ما آمنَ ابن عمّك - حين بعثك إليّ - أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض؛ لا حيّ ولا ميّت!!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد علم ابن عمّي أنّك إن قتلتنني دخلتُ الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا عليّ! تلك إذا قسمة ضيزى!!

قال عليّ عليه السلام: دع هذا يا عمرو، إني سمعتُ منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: «لا يعرضنّ عليّ أحدٌ في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبتهُ إلى واحدة منها»، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال، فأجِبني إلى واحدة! قال: هاتِ يا عليّ! قال: أحدها تشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله. قال: نحّ عنيّ هذه، فاسأل الثانية.

فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره! فقال: إذا لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد^(٢) الشعراء في أشعارها أنّي جينتُ

(١) الكافي: ١/٤٦٠/٧، تهذيب الأحكام: ٦/١٦٣/٢٩٩، تفسير القمّي: ٦٠/٢ نحوه وفيهما «فأفقههم» بدل «فأفقههم»، بحار الأنوار: ١٠٠/٢٧/٣٣ نقلاً عن تفسير العياشي وفيه «فأفقههم» بدل «فأفقههم».

(٢) في بحار الأنوار نقلاً عن المصدر: «إذا تتحدّث نساء قريش بذلك، وينشد الشعراء...»، وهو الأنسب.

ورجعتُ على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم!!
فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إليّ؛ فإنك راكب وأنا راجل؛ حتى أنابذك!
فوثب عن فرسه وعرّقه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني
عليها.

ثمّ بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه، فاتّقاء أمير المؤمنين
بدرقته، فقطعها، وثبت السيف على رأسه. فقال له عليّ عليه السلام: يا عمرو، أما كفاك أنّي
بارزتُك وأنت فارس العرب، حتى استعنت عليّ بظهير؟! فالتفت عمرو إلى خلفه،
فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه [ف] ^(١) قطعهما جميعاً، وارتفعت بينهما
عجاجة، فقال المنافقون: قُتل عليّ بن أبي طالب. ثمّ انكشفت ^(٢) العجاجة فنظروا فإذا
أمير المؤمنين عليه السلام على صدره، قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فذبحه، ثمّ أخذ رأسه
وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه
الدم، وهو يقول - والرأس بيده -:

الموتُ خيرٌ للفتى من الهزب

أنا عليّ وابنُ عبدِ المُطلب

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ ما كرتّه؟ قال: نعم يا رسول الله؛ الحرب خديعة ^(٣).

(١) ما بين المعقوفين إضافة يقتضيهما السياق.

(٢) في المصدر: «انكشف»، والتصحيح من بحار الأنوار.

(٣) تفسير القمي: ٢/١٨٣، بحار الأنوار: ٢٠/٢٢٦.

آداب ومستحبات الحرب

أ: عدم الابتداء بالقتال

٢٩٤- في تاريخ الطبري عن جندب الأزدي: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ يَأْمُرُنَا فِي كُلِّ مَوْطِنٍ لَقِينَا فِيهِ مَعَهُ عَدُوًّا فَيَقُولُ: لَا تَقَاتِلُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَبْدَأُواكُمْ، فَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى حِجَّةٍ، وَتَرْكِكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأَكُمْ حِجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ، فَإِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَهَزِمْتُمُوهُمْ فَلَا تَقْتُلُوا مَدْبِرًا، وَلَا تَجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَكْشِفُوا عَوْرَةَ، وَلَا تَمْتَلُوا بِقَتِيلٍ. فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى رِحَالِ الْقَوْمِ فَلَا تَهْتَكُوا سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلُوا دَارًا إِلَّا بِإِذْنٍ، وَلَا تَأْخُذُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا وَجَدْتُمْ فِي عَسْكَرِهِمْ، وَلَا تَهَيِّجُوا امْرَأَةً بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْتُمْ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْتُمْ أَمْرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُمْ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ ^(١).

٢٩٥- قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام - فِي كِتَابِهِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ قَبْلَ وَقْعَةِ صَفِّينَ -: إِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ الْقَوْمَ بِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ يَبْدُؤُوكَ، حَتَّى تَلْقَاهُمْ، وَتَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَا يَجْرِمَنَّكَ شَنَاَنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دَعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ! ^(٢)

٢٩٦- عَنْهُ عليه السلام - مِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ لِعَسْكَرِهِ قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ بِصَفِّينَ -: لَا تَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُؤُوكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حِجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُؤُوكُمْ حِجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - فَلَا تَقْتُلُوا مَدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مَعُورًا، وَلَا تَجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ ^(٣).

أقول: هذا يصلح في مثل الجيوش المقابلة بعضها البعض عند الحرب، وهو إنما

(١) تاريخ الطبري: ١٠/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧٠/٢، الفتوح: ٣٢/٣ نحوه.

(٢) وقعة صفين: ١٥٣، بحار الأنوار: ٣٢/٤١٤/٣٧٤.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ١٤، وقعة صفين: ٢٠٣.

يصح في بعض الحروب التي تعتمد على الدعوة أو في البغاة والمرتدين الذين تؤثر فيهم الدعوة إلى الإسلام أو الإيمان.
على أن بعض الحروب أو المقاومات تعتمد على المباغته وعنصر المفاجأة، وإلا لما تمكن المؤمنون من تحقيق العديد من الانتصارات على المشركين، سواء في صدر الإسلام أم في هذه الأزمنة.

ب : عدم دعوة العدو إلى المبارزة

٢٩٧- قال الإمام علي عليه السلام - لابنه الحسن عليه السلام :- لا تدعون إلى مبارزة، وإن دُعيت إليها فأجب؛ فإنّ الداعي إليها باغ، والباغي مصروع^(١).

ج : احترام رسل الحرب والسياسة

٢٩٨- قال الإمام علي عليه السلام : إن ظفرتُم برجل من أهل الحرب فزعم أنّه رسول إليكم؛ فإن عُرِف ذلك منه وجاء بما يدلّ عليه فلا سبيل لكم عليه حتى يُبلغ رسالاته ويرجع إلى أصحابه، وإن لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا منه^(٢).

د : إقامة الحجّة قبل بدء الحرب

٢٩٩- في السنن الكبرى عن البراء بن عازب : بعثني علي عليه السلام إلى النهر إلى الخوارج، فدعوتهم ثلاثاً قبل أن نقاتلهم^(٣).
٣٠٠- عنه عليه السلام - من كتابه إلى من شاقّ وغدر من أهل الجند^(٤) وصنعاء^(٥) :- إذا أتاكم

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٢٣٣، عيون الحكم والمواعظ: ٩٥٨٧/٥٢٧، بحار الأنوار: ٦٦٨/٤٥٤/٣٣.

(٢) دعائم الإسلام: ٣٧٦/١.

(٣) السنن الكبرى: ١٦٧٣٩/٣٠٩/٨.

(٤) الجند : مدينة شمالي تعز، وهي عن صنعاء (عاصمة اليمن) ثمانية وأربعون فرسخاً، وهو بلد جليل

به مسجد جامع لمعاذ بن جبل، وغالب أهلها شيعة (تقويم البلدان : ٩١).

رسولي فتفرّقوا وانصرفوا إلى رحالكم أعف عنكم، وأصفح عن جاهلكم، وأحفظ قاصيكم، وأعمل فيكم بحكم الكتاب. فإن لم تفعلوا فاستعدّوا لقدم جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان، يقصد لمن طغى وعصى، فتطحنوا كطحن الرحا؛ فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد^(١)(٢).

ه: الدعاء والتوسل بالله

٣٠١ - قال الإمام الصادق عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: اللهم إنك أعلمت سبيلاً من سبلك، جعلت فيه رضاك، وندبت إليه أوليائك، وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمها لديك مآباً، وأحبها إليك مسلكاً، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً، فاجعني ممن اشترى فيه منك نفسه ثم وقى لك ببيعه الذي بايعك عليه، غير ناكثٍ ولا ناقض عهداً، ولا مبدلاً تديلاً، بل استيجاباً لمحبتك، وتقرباً به إليك، فاجعله خاتمة عملي، وصير فيه فناء عمري، وارزقني فيه لك وبه^(٣) مشهداً توجب لي به منك الرضا، وتحطّ به عني الخطايا، وتجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة والعصاة، تحت لواء الحق وراية الهدى، ماضياً على نصرتهم قدماً، غير مولّ دبراً، ولا محدث شكاً، اللهم وأعوذ بك عند ذلك من الجبن عند موارد الأهوال، ومن الضعف عند مساورة^(٤) الأبطال، ومن الذنب المحبط للأعمال، فأحجم

(٥) صنعاء: عاصمة اليمن، وتقع جنوب الحجاز، وشمال مدينة عدن. كانت من أهم مدن اليمن والحجاز آنذاك.

(١) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة فصلت.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٥ / ٢.

(٣) قوله عليه السلام: «وبه مشهداً» عطف على «فيه»، ولعله زيد من النسخ أو صُحّف (مرآة العقول: ١٨ / ٣٨٤).

وفى تهذيب الأحكام «وارزقني فيه لك وبك مشهداً» ولعله أصوب.

(٤) ساورة مساورة ويسواراً: وأثبه، والإنسان يساور إنساناً: إذا تناول رأسه (لسان العرب: ٤ / ٣٨٥).

من شكّ، أو أمضى^(١) بغير يقين، فيكون سعيي في تباب، وعملي غير مقبول^(٢).

٣٠٢- في وقعة صفين عن تميم: كان عليّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب، ثم يقول: الحمد لله على نعمه علينا، وفضله العظيم، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ^(٣)، ثم يستقبل القبلة، ويرفع يديه إلى الله، ثم يقول: اللهم إليك نُقِلت الأقدام، وأتعبت الأبدان، وأفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، وشخصت الأبصار، ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٤)، سيروا على بركة الله.

ثم يقول: الله اكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، يا الله، يا أحد، يا صمد، يا ربّ محمّد، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ^(٥)، اللهم كُفّ عنا بأس الظالمين.

فكان هذا شعاره بصفيين^(٦).

و: توقيت القتال عند الزوال

٣٠٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه لا يقاتل حتى تزول الشمس ويقول: تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُقْبَلُ الرَّحْمَةُ، وَيُنزَلُ النُّصْرُ. ويقول: هو أقرب

(١) في الطبعة المعتمدة: «مضى»، والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٢) الكافي: ١/٤٦/٥ عن ميمون، تهذيب الأحكام: ٣/٨١/٢٣٧ عن عبد الله بن ميمون عن الإمام

الصادق عن أبيه عن الإمام زين العابدين عن الإمام عليّ عليه السلام نحوه، تفسير العياشي: ١٤٣/١١٣/٢

عن عبد الله بن ميمون القُدّاح وفيه إلى «تبديلاً»، بحار الأنوار: ٣٣/٤٥٢/٦٦٤.

(٣) الزخرف: ١٣ و ١٤.

(٤) الأعراف: ٨٩.

(٥) الفاتحة: ٢-٥.

(٦) وقعة صفين: ٢٣٠ و ٢٣١ نحوه، بحار الأنوار: ٣٢/٤٦٠/٣٩٧ و ج ١٠٠/٣٦/٣١.

إلى الليل، وأجدر أن يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم^(١).

ز : مساعدة المقاوم الضعيف

٣٠٤ - قال الإمام عليّ عليه السلام - لأصحابه في ساحة الحرب بصقّين - : أيّ امرئ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من أخوانه فشلاً، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضّل بها عليه، كما يذبّ عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله^(٢).

٣٠٥ - عنه عليه السلام : إذا رأيتم من إخوانكم في الحرب الرجل المجروح، أو من قد نُكِّل به، أو من قد طمع عدوّكم فيه، فقوّوه بأنفسكم^(٣).

أقول : سواء المساعدة المعنوية، كرفع معنوياته القتالية وأنه إنما يتاجر مع الله ويلتزم بالتكليف الشرعي، أم المساعدة المادية كحمل عنه بعض الأمتعة الثقيلة أو تدريبه على نوع السلاح الذي يجهله أو تذكيره ببعض المهارات القتالية .

ح : التعامل مع الأسرى والمستسلمين بالحسنى

٣٠٦ - في تاريخ اليعقوبي عن إسماعيل بن عليّ : إنّ أوّل من علّم قتال أهل القبلة عليّ بن أبي طالب، ولم يكن يقتل أسيراً، ولا يتبع منهزماً، ولا يُجهز على جريح^(٤).

٣٠٧ - في العقد الفريد عن أبي الحسن - في ذكر حوادث وقعة صفّين - : كان منادي عليّ يخرج كلّ يوم وينادي : أيّها الناس، لا تُجهزّنّ عليّ جريح، ولا تتبعنّ مولياً، ولا تسلبنّ قتيلاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن^(٥).

(١) الكافي : ٥ / ٢٨ / ٥ ، علل الشرائع : ٧٠ / ٦٠٣ وفيه «التوبة» بدل «الرحمة» وكلاهما عن يحيى بن أبي العلاء .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٣ ، الإرشاد : ٢٥٣ / ١ ، الجمل : ٣٣٤ وليس فيهما «بفضل نجدته» .

(٣) الخصال : ١٠ / ٦١٧ عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام ، تحف العقول : ١٠٧ ، بحار الأنوار : ٨ / ٢١ / ١٠٠ .

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٣٨٣ / ٢ .

(٥) العقد الفريد : ٣ / ٣٣٣ ، هذا الموقف من العدو كان يمثل السيرة العملية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام

٣٠٨- في الكافي عن عبد الله بن شريك عن أبيه: لما هُزم الناس يوم الجمل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتبعوا مولياً، ولا تجيزوا^(١) على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن. فلمّا كان يوم صفّين، قتل المقبل والمدبر، وأجاز على جريح. فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان! فقال: إنّ أهل الجمل قُتل^(٢) طلحة والزبير، وإنّ معاوية كان قائماً بعينه وكان قائدهم^(٣).

٣٠٩- في السنن الكبرى عن أبي فاخنة: إنّ علياً عليه السلام أتى بأسير يوم صفّين، فقال: لا تقتلني صبراً. فقال علي عليه السلام: لا أقتلك صبراً؛ إنّني أخاف الله ربّ العالمين. فخلّى سبيله، ثمّ قال: أفيك خير تباع؟^(٤)

٣١٠- في المصنّف عن يزيد بن بلال: شهدت مع عليّ يوم صفّين، فكان إذا أتى بالأسير قال: لن أقتلك صبراً؛ إنّني أخاف الله ربّ العالمين. وكان يأخذ سلاحه، ويحلفه لا يقاتله، ويعطيه أربعة دراهم^(٥).

٣١١- في المصنّف عن أبي جعفر: كان عليّ إذا أتى بأسير صفّين أخذ دابّته وسلاحه،

= في حروبه جميعها، راجع وقعة صفّين: ٢٠٤ والغيبة للنعماني: ١٥/٢٣١ وتفسير القمّي: ٣٢١/٢. كما فعل مع عدوّه في حرب الجمل، راجع الكافي: ٣/٣٣/٥ وح ٥ وص ٢/١٢ وتهذيب الأحكام: ٢٧٤/١٥٥/٦ وص ٢٧٦/١٥٦ وص ٢٣٠/١٣٧ والخصال: ١٨/٢٧٦ والأُمالي للمفيد: ٣/٥٩ والجمل: ٣٤١ و ٣٤٢ و ٤٠٣ ودعائم الإسلام: ١/٣٩٤ وتحف العقول: ٢٩٠ والمناقب لابن شهر آشوب: ١/٢٧٤ وشرح الأخبار: ١/٣٨٨/٣٣٠ وص ٣٣٤/٣٩٥ والاختصاص: ٩٥ والمستدرک علی الصحیحین: ٢/١٦٨/٢٦٦١ وتذكرة الخواص: ٧٢ وكنز العمال: ٤/٤٧٨/١١٤٢٤ وح ٣١٦٧٥/٣٣٥/١١ وكذلك في حرب صفّين راجع: المستدرک علی الصحیحین: ٢/١٦٧/٢٦٦٠ والسنن الكبرى: ٨/٣١٥/١٦٧٥٣ وتحف العقول: ٤٨٠. وقد استلهم الإمام عليه السلام هذا الموقف حيال العدو من سيرة النبي صلى الله عليه وآله، الكافي: ٥/١٢/٢ و ٣ وتهذيب الأحكام: ٢٣٠/١٣٧٦ وص ٢٧٤/١٥٥ وتحف العقول: ٢٩٠.

(١) أجزت على الجريح: لغة في أجهزت. وجهز على الجريح وأجهز: أثبت قتله (تاج العروس: ٨/٤٠١ و٤٠٢).

(٢) كذا في جميع المصادر، ولعلّ المراد: «قتل قادتهم» أو نحو ذلك.

(٣) الكافي: ٥/٣٣/٥، رجال الكشي: ٢/٤٨٢/٣٩٢، بحار الأنوار: ٣٣/٤٤٦/٦٥٧.

(٤) السنن الكبرى: ٨/٣١٥/١٦٧٥٤، كنز العمال: ١١/٣٤٨/٣١٧٠٦.

(٥) المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/٧٢٥/٢٥، كنز العمال: ١١/٣٤٥/٣١٧٠٣.

وأخذ عليه أن [لا] (١) يعود، وخلقى سبيله (٢).

٣١٢- قال الإمام عليّ (عليه السلام) - بعد التحريض على القتال في صفين -: ولا تُمثلوا بقتيل، وإذا وصلتُم إلى رحال (٣) القوم فلا تهتكوا سترأ، ولا تدخلوا أدارأ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنَّهنَّ ضعاف القوى والأنفس والعقول، وقد كنَّا نؤمر بالكفِّ عنهنَّ وهُنَّ مشركات! وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيُعير (٤) بها وعقبه من بعده (٥).

٣١٣- في تاريخ الطبري - في ذكر وقعة الجمل -: خرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمَّرين قد منعوا حرقوص بن زهير - ولا يرون القتال مع عليّ بن أبي طالب - فقال: يا عليّ، إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم، وتسبي نساءهم! فقال: ما مثلي يُخاف هذا منه، وهل يحلّ هذا إلا ممَّن تولَّى وكفر!! ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ» (٦) (٧)!!

٣١٤ - في الكامل في التاريخ: كان في الخوارج أربعون رجلاً جرحى، فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا (٨).

(١) إضافة يقتضيها السياق أثبتناها من كنز العمال.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة: ٢٣/٧٢٤/٨، كنز العمال: ١١/٣٤٥/٣١٧٠٢.

(٣) في المصدر: «رجال»، والصحيح ما أثبتناه كما في فروع الكافي، الطبعة الحجرية: ١/٣٣٨.

(٤) في المصدر: «فيُعير» والصحيح ما أثبتناه كما في فروع الكافي، الطبعة الحجرية: ١/٣٣٨.

(٥) الكافي: ٤/٣٩/٥ عن مالك بن أعين، وقعة صفين: ٢٠٤ عن جندب وزاد فيه «إلا بإذني» بعد

«دارأ»، نهج البلاغة: الكتاب ١٤ وفيه من «ولا تهيجوا...»، بحار الأنوار: ٣٢/٥٦٣/٤٦٨؛ شرح

نهج البلاغة: ٤/٢٥ وزاد فيه «إلا بإذن» بعد «دارأ».

(٦) الغاشية: ٢٢ و ٢٣.

(٧) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٦، الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٤.

(٨) الكامل في التاريخ: ٢/٤٢٤، أنساب الأشراف، ٣/٢٤٨.

الحرب الأولى:

حرب الجمل

معلومات عامة عنها:

ذكر بعض المؤرخين أنّ معركة الجمل وقعت في جمادى الأولى^(١) عام (٥٣٦هـ)، بينما أكد بعض آخر أنّها وقعت في جمادى الثانية^(٢) من العام نفسه، ولم تدم أكثر من يوم واحد^(٣).

وتاريخ الرسالتين اللتين بعثهما الإمام إلى أهالي المدينة والكوفة بعد انتهاء الحرب يؤيد الرأي الأوّل. فقد جاء في ختام هاتين الرسالتين: «وكتب عبيدالله بن أبي رافع في جمادى الأولى من سنة ستّ وثلاثين من الهجرة»^(٤). ومكانها البصرة: وهي مدينة تقع في أقصى الجنوب الشرقي للعراق قرب الحدود مع إيران والكويت.

بُنيت البصرة مع الكوفة في عهد الخليفة الثاني وبأمره. وكانت مركزاً عسكرياً

(١) التاريخ الصغير: ١٢٠ / ١، مروج الذهب: ٣٦٠ / ٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٨٥ / ٣، أسد الغابة:

٣١٠ / ٢؛ تاريخ اليعقوبي: ١٨٢ / ٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ٤١١ / ٣، الطبقات الكبرى: ٢٢٤ / ٣، تاريخ خليفة بن خياط: ١٣٥ و ص ١٣٨، تاريخ الطبري: ٥٠١ / ٤ و ص ٥١٤ و ٥٣٤، الأخبار الطوال: ١٤٧، الكامل في

التاريخ: ٣٣٣ / ٢، العقد الفريد: ٣١٤ / ٣، البداية والنهاية: ٢٣٩ / ٧.

(٣) ذكرت بعض المصادر أنّ الحرب استغرقت أربع ساعات، راجع: تاريخ اليعقوبي: ١٨٣ / ٢، وحدّه زمانها بما بين الظهر والمغرب في مصادر أخرى نظير أنساب الأشراف: ٣٨ / ٣، كما ذكر أنّها استمرت يوماً في بعضها كما في تاريخ الطبري: ٥٢٣ / ٤. ولا تعارض بين هذه الأقوال.

(٤) الجمل: ٣٩٦ و ص ٣٩٩.

تنطلق منه الجيوش الإسلامية لدى فتحها بلاد الشرق^(١).

وعندما عزم الناكثون على محاربة أمير المؤمنين عليه السلام، صاروا يبحثون عن مدينة عسكرية. ولم تكن هناك مدينة تحمل هذه الخصوصية غير البصرة والكوفة. ونظراً لطبيعة علاقة أهالي الكوفة بالإمام علي عليه السلام، وتنقذ بعض رؤوس الناكثين بين أهالي البصرة، فقد وقع اختيارهم على البصرة.

وقعت معركة الجمل في الزابوقة^(٢) التي هي في ضواحي البصرة، أو في الزاوية^(٣) التي كانت واحدة من أحياء البصرة أو في الخريبة^(٤).

ومبلغ عدد المشاركين فيها من الجيشين في معركة الجمل خمسين ألفاً، شكّل جيش الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عشرين ألفاً منهم^(٥)، وشكّل جيش الناكثين ثلاثين ألفاً^(٦). ومن اللافت للنظر في جيش الإمام عليه السلام أنّ بين أمرائه عدداً من وجوه الصحابة المعروفين بطهرهم، وجلالتهم، والتزامهم، وتعبدتهم.

وكان قائد الخيالة في جيش أمير المؤمنين عليه السلام: عمّار بن ياسر^(٧).
وقائد الرجالة: محمد بن أبي بكر^(٨).

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٥٩٠ و ٥٩١، مروج الذهب: ٢/ ٣٢٨، البداية والنهاية: ٧/ ٤٨ وفي كلّها قول آخر في تمصيرها سنة ست عشرة، معجم البلدان: ١/ ٤٣٢ لمزيد الاطلاع على البصرة وتمصيرها راجع كتاب «موسوعة تاريخ البصرة»، الجزء الأول.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٦٦ و ص ٤٧٠ و ٥٠٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٣٦، معجم البلدان: ٣/ ١٢٥، معجم ما استعجم: ٢/ ٦٩١، الفتوح: ٢/ ٤٦٣.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ٣٧٠، تاريخ خليفة بن خيَّاط: ١٣٥.

(٤) الأخبار الطوال: ١٤٦؛ تاريخ يعقوبي: ٢/ ١٨٢.

(٥) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٠٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٣٦، الفتوح: ٢/ ٤٦٤، البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٠؛ الجمل: ٣٢١ وفيه «فأحاط العسكر يومئذٍ من الفرسان المعروفين والرجالة المشهورين على ستة عشر ألف رجل».

(٦) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٠٥، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٣٦، الفتوح: ٢/ ٤٦٤، البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٠.

(٧ و ٨) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/ ٤٨٥، العقد الفريد: ٣/ ٣١٤، تاريخ خليفة بن خيَّاط: ١٣٨، الإمامة والسياسة: ١/ ٩٠؛ الجمل: ٣١٩.

- وقائد الساقية: هند المرادي^(١).
- وقائد المقدّمة: عبدالله بن عباس^(٢).
- وقائد الميمنة: الإمام الحسن عليه السلام^(٣).
- وقائد الميسرة: الإمام الحسين عليه السلام^(٤).
- وكان صاحب الراية: محمّد ابن الحنفية^(٥).
- وكان قائد الحرب في جيش الناكثين: الزبير بن العوّام^(٦).
- وقائد خيالة: طلحة بن عبيدالله^(٧).
- وقائد خيالة الميمنة: مروان بن الحكم^(٨).
- وقائد خيالة الميسرة: هلال بن وكيع الدارمي^(٩).

- (١) الإمامة والسياسة: ٩٠ / ١؛ الجمل: ٣١٩؛ وزاد فيه «ثمّ الجملي».
- (٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٨٥ / ٣، العقد الفريد: ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨، الإمامة والسياسة: ٩٠ / ١، تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٠ وفيه «أبو ليلي بن عمر بن الجراح»؛ الجمل: ٣١٩.
- (٣) العقد الفريد: ٣ / ٣١٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٤٨٥، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨ وفيهما: «علاء بن الهيثم السدوسي ويقال عبد الله بن جعفر ويقال الحسن بن عليّ» على نحو التردد بينهم، تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٠ وفيه «عبد الله بن عباس»، الأخبار الطوال: ١٤٧ وفيه «الأشتر»، هامش تاريخ دمشق: ٢٦٠ / ١٣.
- (٤) تاريخ دمشق: ١٤ / ١٨٧، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد: ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨، تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٠ وفيه «عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد»، الأخبار الطوال: ١٤٧ وفيه «عمّار بن ياسر».
- (٥) تاريخ الطبري: ٤ / ٤٨٠، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد: ٣ / ٣١٤، الأخبار الطوال: ١٤٧، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨.
- (٦) الإمامة والسياسة: ٨٩ / ١؛ الجمل: ٣٢٤.
- (٧) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد: ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨، الإمامة والسياسة: ٨٩ / ١، الفتوح: ٢ / ٤٦١، الأخبار الطوال: ١٤٦ وفيه «محمّد بن طلحة».
- (٨) الجمل: ٣٢٤؛ الفتوح: ٢ / ٤٦١، الإمامة والسياسة: ٨٩ / ١ وفيه «على المقدّمة مروان»، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣ / ٤٨٥، تاريخ خليفة بن خيَاط: ١٣٨ وفيهما «على الميسرة».
- (٩) الجمل: ٣٢٤؛ الفتوح: ٢ / ٤٦١.

وقائد الرّجّالة: عبدالله بن الزبير^(١).

وقائد رجّالة الميمنة: عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد^(٢).

وقائد رجّالة الميسرة: عبدالرحمن بن الحارث^(٣).

وكان صاحب الراية: عبدالله بن حكيم^(٤).

بعض من شارك في الحرب

شارك الكثير من أكابر أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله في معركة الجمل إلى جانب الإمام علي عليه السلام، إلا أنّ الروايات تختلف في ذكر عددهم؛ فبعض المصادر يصرّح بأنّ عددهم كان ثمانون من أهل بدر، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. ويذكر آخر أنّ عدد المشاركين في هذه المعركة من أصحاب الرسول كان ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممّن شهدوا بيعة الرضوان.

ومن بين الشخصيات البارزة التي شاركت في جيش الإمام علي عليه السلام يمكن الإشارة إلى كلّ من:

أبي أيّوب الأنصاري، أبي الهيثم بن التّيهان، خزيمة بن ثابت، عبدالله بن بديل، عبدالله بن عباس، عثمان بن حنيف، عديّ بن حاتم، عمّار بن ياسر، عمرو بن الحمق،

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٨٥/٣، العقد الفريد: ٣١٤/٣، الأخبار الطوال: ١٤٦، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٣٨، الإمامة والسياسة: ٨٩/١، الفتوح: ٤٦١/٢.

(٢) الجمل: ٣٢٤؛ الفتوح: ٤٦١/٢، الإمامة والسياسة: ٨٩/١ وفيه «عبد الرحمن بن عبادة»، تاريخ الطبري: ٥٠٧/٤ وفيه «إلى الميسرة».

(٣) الجمل: ٣٢٤؛ الأخبار الطوال: ١٤٧ وفيه «إلى الميسرة»، تاريخ الطبري: ٥٠٧/٤، الكامل في التاريخ: ٣٣٧/٢ وفيهما «كان قائد الميمنة، وفي الأخير: عبد الرحمن بن الحرث»، الفتوح: ٤٦١/٢ وفيه «حاتم بن بكير الباهلي»، الإمامة والسياسة: ٨٩/١ وفيه «وعلى الميسرة هلال بن وكيع».

(٤) الجمل: ٣٢٤؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٨٥/٣، العقد الفريد: ٣١٤/٣، تاريخ خليفة بن خيّاط: ١٣٨، الأخبار الطوال: ١٤٦ وفيه «عبد الله بن حرام بن خويلد».

عمر بن أبي سلمة، هاشم بن عتبة.

وشخصيات كبيرة أخرى مثل:

أويس القرني، جارية بن قدامة، حجر بن عدي، زيد بن صوحان، سيحان بن صوحان، صعصعة بن صوحان، مالك الأشتر، شريح بن هاني، محمد بن أبي بكر، محمد ابن الحنفية.

وكان بين أولئك الذين وقفوا إلى جانب الإمام عليه السلام شخصيتان مؤثرتان جداً:

الأولى: عمّار بن ياسر، فبالنظر إلى اشتهاه ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وآله حول مصيره، كان وجوده في جيش الإمام علي عليه السلام كفيلاً بعدم وقوف كل من يؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله ضدّ جيش الإمام. ولهذا يُروى أنّ الزبير لما بلغه أنّ عمّاراً مع علي عليه السلام «ارتاب بما كان فيه».

والثانية: ابن أمّ سلمة، وكان وجوده دليلاً على تأييد زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله لجبهة الإمام. وهذا التأييد وإن كان لا يرقى إلى مكانة عائشة الحساسة يوم الجمل، ولكن كان له تأثير كبير في أذهان عموم الناس.

٣١٥- في الأمالي للطوسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلي: شهد مع علي عليه السلام يوم الجمل ثمانون من أهل بدر، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

٣١٦- في تاريخ الإسلام عن سعيد بن جبير: كان مع علي عليه السلام يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار، وأربعمائة ممّن شهد بيعة الرضوان ^(٢).

٣١٧- في الأخبار الطوال: إنّ الزبير لما علم أنّ عمّاراً مع علي عليه السلام ارتاب بما كان فيه؛

(١) الأمالي للطوسي: ١٥٢٧/٧٢٦، شرح الأخبار: ١/٤٠١/٣٥٠؛ مروج الذهب: ٣٦٧/٢ وفيه «أربعمائة من المهاجرين والأنصار منهم: سبعون بدرياً وبقية من الصحابة»، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٤٨٤ عن السدي وفيه «مائة وثلاثون بدرياً وسبعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله».

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٤٨٤، تاريخ خليفة بن خياط: ١٣٨، العقد الفريد: ٣/٣١٤؛ شرح الأخبار: ٢/٩/٣٩٣ وفيه «وتسعمائة» بدل «وأربعمائة» وج ١/٣٨٢/٣٢٤ نحوه وفيه «سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار» بدل «ثمانمائة من الأنصار».

لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحق مع عمّار»، و«تقتلك الفئة الباغية»^(١).

٣١٨ - في تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن أبي عمرة: قامت أم سلمة فقالت: يا أمير المؤمنين لو لا أن أعصى الله عزّ وجلّ وأنك لا تقبله منّي لخرجت معك، وهذا ابني عمر - والله، لهو أعزّ عليّ من نفسي - يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج فلم يزل معه^(٢).

عدد من قتل في حرب الجمل

قُتل في معركة الجمل من جيش الإمام عليّ عليه السلام خمسة آلاف^(٣). وتُجمع النصوص التاريخية كلّها على هذا العدد بدون أدنى اختلاف.

ولكن هناك اختلاف كبير بين هذه النصوص حول عدد قتلى جيش الجمل بحيث لا يمكن التعويل كثيراً على أيّ منها.

فقد ذكرت بعض الأخبار التاريخية أنّ عدد من قُتل منهم عشرون ألفاً^(٤)، بينما جاء في أخبار أخرى أنّه قُتل منهم ثلاثة عشر ألفاً^(٥)، وعلى خيرٍ آخر عشرة آلاف^(٦)، أو خمسة آلاف^(٧).

وذكر الشيخ المفيد في كتاب الجمل أنّ مجموع القتلى بلغ خمسة وعشرين ألفاً، فإذا نقص منها خمسة آلاف ممّن قتلوا في جيش الإمام يبقى العدد عشرون ألفاً، وهذا

(١) الأخبار الطوال: ١٤٧، الكامل في التاريخ: ٣٣٥/٢ و ص ٣٣٧، نهاية الأرب: ٦٨/٢٠، البداية والنهاية: ٢٤٠/٧ وفيها «كفّ الزبير عن قتال عمّار لقوله صلى الله عليه وآله» وراجع تاريخ الطبري: ٥١٠/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٥١/٤، الكامل في التاريخ: ٣٢٣/٢ وفيه «هذا ابن عمّي» بدل «ابني عمر»، الفتح: ٤٥٦/٢ نحو وفيه كتابها إلى الإمام عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤، العقد الفريد: ٣٢٤/٣، الكامل في التاريخ: ٣٤٦/٢، مروج الذهب: ٣٦٠/٢، البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

(٤) العقد الفريد: ٣٢٤/٣.

(٥) مروج الذهب: ٣٦٠/٢.

(٦) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤.

(٧) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤، الكامل في التاريخ: ٣٤٦/٢، البداية والنهاية: ٢٤٥/٧.

يؤيد النصّ الوارد في أنّ عدد من قُتل منهم عشرون ألفاً.

وواصل الشيخ المفيد يقول: وروى عبدالله بن الزبير رواية شاذّة أنّهم كانوا

خمسة عشر ألفاً. قيل: ويوشك أن يكون قول ابن الزبير أثبت. ولكنّ القول بذلك باطل؛

لبعده عن جميع ما قاله أهل العلم به^(١).

كم دامت الحرب ؟

٣١٩- في تاريخ اليعقوبي: كانت الحرب أربع ساعات من النهار. فروى بعضهم أنّه

قتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً^(٢).

٣٢٠- في أنساب الأشراف: كانت الحرب من الظهر إلى غروب الشمس^(٣).

٣٢١- في تاريخ الطبري عن عوانة: اقتتلوا يوم الجمل يوماً إلى الليل، فقال بعضهم:

شَفَى السِّيفُ مِنْ زَيْدٍ وَهَنْدٍ نَفُوسَنَا شِفاءً وَمِنْ عَيْنِي عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ

صَبَرْنَا لَهُمْ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ كُلِّهِ بَضْمَ القَنَا والمُرَهفَاتِ الصَّوَارِمِ^(٤)

دور معاوية في حرب الجمل

٣٢٢- في شرح نهج البلاغة عن قيس بن عرفة: لما حُصر عثمان أبرد مروان بن الحكم

بخبره بريدين: أحدهما إلى الشام والآخر إلى اليمن - وبها يومئذ يعلى بن منية - ومع

كلّ واحد منهما كتاب فيه:

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ فِي النَّاسِ كَالشَّامَةِ الحَمراءِ، وَإِنَّ النَّاسَ قَدْ قَعَدُوا لَهُمْ بِرَأْسِ كُلِّ

مَحَجَّةٍ، وَعَلَى كُلِّ طَرِيقٍ، فَجَعَلُوهُمْ مَرْمِي العُرِّ^(٥) والعَصِيئَةِ^(٦)، وَمَقْدَفِ القَتِّيبِ^(٧)

(١) الجمل: ٤١٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٨٣/٢.

(٣) أنساب الأشراف: ٣٨/٣.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٣١/٣.

(٥) العُرّة: اللطخ والعيب (كتاب العين: ٥٢٧).

والأفيكة، وقد علمتم أنها لم تأت عثمان إلا كرها تجبذ من ورائها، وإني خائف إن قتل أن تكون من بني أمية بمناط الثريا إن لم نصير كرصيف الأساس المحكم، ولئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانه، والذي عيب عليه إطعامكما الشام واليمن، ولا شك أنكما تابعا إن لم تحذرا، وأما أنا فمساءف كل مستشير، ومعين كل مستصرخ، ومجيب كل داع، أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفلة مقتنصة، ولولا مخافة عطب البريد وضياح الكتب لشرحت لكما من الأمر ما لا تفزعان معه إلى أن يحدث الأمر، فجدا في طلب ما أنتما ولياه، وعلى ذلك فليكن العمل إن شاء الله....

فلما ورد الكتاب على معاوية أذن في الناس الصلاة جامعة، ثم خطبهم خطبة المستنصر المستصرخ، وفي أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان بقتل عثمان....

فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس، ثم خطبهم خطبة أبكى منها العيون، وقلقل القلوب، حتى علت الرثة، وارتفع الضجيج، وهم النساء أن يتسلحن. ثم كتب إلى طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن عامر بن كرين، والوليد بن عقبة، ويعلى بن منية؛ وهو اسم أمه، وإنما أسم أبيه أمية. فكان كتاب طلحة: أما بعد؛ فإنك أقل قريش في قريش وتراً، مع صياحة وجهك، وسماحة كفك، وفصاحة لسانك؛ فأنت بإزاء من تقدمك في السابقة، وخامس المبشرين بالجنة، ولك يوم أحد وشرقته وفضله، فسارع رحمك الله إلى ما تقلدك الرعية من أمرها ممّا لا يسعك التخلف عنه، ولا يرضى الله منك إلا بالقيام به، فقد أحكمت لك الأمر قبلي، والزبير فغير متقدم عليك بفضل، وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام والأمر من بعده للمقدم له، سلك الله بك قصد المهتدين، ووهب لك رشد الموفقين، والسلام.

(٦) الغصية: الإنك (المحيط في اللغة: ١/١٠٩).

(٧) الثَّشْب من الكلام: الفَرَى؛ يقال: قَشَبْنَا فلاناً؛ أي رمانا بأمر لم يكن فينا. وعن ابن الأعرابي: القاشب: الذي يعيب الناس بما فيه (لسان العرب: ١/٦٧٣).

و كتب إلى الزبير: أمّا بعد؛ فإنّك الزبير بن العوام بن أبي خديجة، وابن عمّة رسول الله ﷺ، وحواريّه وسلفه، وصهر أبي بكر، وفارس المسلمين، وأنت الباذل في الله مهجته بمكّة عند صيحة الشيطان، بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت، تخبط خبط الجمل الرديع^(١)، كلّ ذلك قوّة إيمان وصدق يقين، وسبقت لك من رسول الله ﷺ البشارة بالجنّة، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمّة.

واعلم يا أبا عبد الله، أنّ الرعيّة أصبحت كالغنم المتفرّقة لغيبة الراعي، فسارغُ رحمك الله إلى حقن الدماء، ولمّ الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين قبل تفاقم الأمر، وانتشار الأمّة؛ فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عمّا قليل ينهار إن لم يُرأب^(٢)، فشمّر لتأليف الأمّة، وابتغ إلى ربك سبيلاً، فقد أحكمت الأمر على من قبلي لك ولصاحبك، على أنّ الأمر للمقدّم، ثمّ لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمّة الهدى، وبيّعة الخير والتقوى، والسلام^(٣).

٣٢٣- في شرح نهج البلاغة: بعث [معاوية] رجالاً من بني عميس، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك. أمّا بعد؛ فإنّي قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا^(٤) كما يستوسق الجلب^(٥)، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب؛ فإنّه لا شيء بعد هذين المصيرين.

وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرها الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفر كما الله، وخذل مناوئكما!!
فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُرّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكّ في

(١) أي المردوع؛ من ردّعه إذا كفّه (هامش المصدر).

(٢) الرأب: الجمع والشدّ برفق (النهاية: ١٧٦/٢).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٣٣/١٠.

(٤) استوسقوا: استجمعوا وانضمّوا (النهاية: ١٨٥/٥).

(٥) الجلب: ما يجلب من خيل وإبل ومتاع (لسان العرب: ٢٦٨/١).

النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام ^(١).

٣٢٤- قال الإمام علي عليه السلام - من خطبته قبل حرب الجمل في شأن طلحة والزبير -: ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليّ، وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت. ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عني، وخرجا يوهمان الطّعام ^(٢) أنّهما يطلبان بدم عثمان ^(٣).

أول البغي!

٣٢٥- في الإمامة والسياسة: ذكروا أنّ الزبير وطلحة أتيا عليّاً - بعد فراغ البيعة - فقالا:

هل تدري علي ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟

قال عليّ: نعم، على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان.

فقالا: لا، ولكننا بايعناك على أنّنا شريكك في الأمر.

قال عليّ: لا، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز

والأود ^(٤)(٥).

٣٢٦- قال الإمام علي عليه السلام - لما قال طلحة والزبير له عليه السلام: نبايعك على أنّنا شركاؤك في

هذا الأمر، قال -: لا ولكنكما شريكان في القوّة والاستعانة، وعونان على العجز

والأود ^(٦).

٣٢٧- في تاريخ اليعقوبي: أتاه طلحة والزبير فقالا: إنّه قد نالقتنا بعد رسول الله

جفوة ^(٧)، فأشركنا في أمرك!

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٣١ / ١.

(٢) الطّعام: من لا عقل له ولا معرفة. وقيل: هم أوغاد الناس وأراذلهم (النهاية: ١٢٨ / ٣).

(٣) الجمل: ٢٦٨، بحار الأنوار: ٦٣ / ٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٣١٠ / ١ عن زيد بن صوحان.

(٤) في المصدر: «والأولاد» وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتناه. والأود: العوج (النهاية: ٧٩ / ١).

(٥) الإمامة والسياسة: ٧٠ / ١.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ٢٠٢، خصائص الأئمة عليهم السلام: ١١٤، بحار الأنوار: ٣٢ / ٤٨ / ٣١.

(٧) الجفء: ترك الصلة والبرّ (لسان العرب: ١٤ / ١٤٨).

فقال: أنتما شريكاي في القوّة والاستقامة، وعوناي على العجز والأود^(١).

٣٢٨- في الإمامة والسياسة: كان الزبير لا يشكّ في ولاية العراق، وطلحة في اليمن، فلمّا استبان لهما أنّ عليّاً غير موليّهما شيئاً، أظهرتا الشكّاة؛ فتكلّم الزبير في ملأ من قريش، فقال: هذا جزاؤنا من عليّ! قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر. فلمّا نال بنا ما أراد، جعل دوننا غيرنا.

فقال طلحة: ما اللوم إلّا أنا كُنّا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده؛ فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا.

قال: فانتهى قولهما إلى عليّ، فدعا عبدالله بن عباس وكان استوزره، فقال له: بلغك قول هذين الرجلين؟ قال: نعم، بلغني قولهما. قال: فما ترى؟ قال: أرى أنّهما أحبّبا الولاية؛ فولّ البصرة الزبير، وولّ طلحة الكوفة؛ فإنّهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان. فضحك عليّ، ثمّ قال: ويحك، إنّ العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكنا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقوياً على القويّ بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضرّره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية، لكان لي فيهما رأي^(٢).

٣٢٩- قال الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بهما -: لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً. ألا تُخبراني، أيّ شيء كان لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه؟ أم أيّ قسَمٍ استأثرت عليكما به؟ أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله، ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إزبة^(٣)، ولكنكم دعوتموني

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٧٩/٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ٧١/١ وراجع الجمل: ١٦٤ والمسترشد: ١٤١/٤١٨.

(٣) أي حاجة (النهاية: ٣٦/١).

إليها، وحملتوني عليها، فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته، وما استنّ النبي صلى الله عليه وآله فاقديته، فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة؛ فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليّته هوى منّي، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسّمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما - والله - عندي ولا لغيركما في هذا عُتْبَى ^(١). أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ، وألهمنا وإياكم الصبر.

ثمّ قال عليه السلام: رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فردّه، وكان عوناً بالحقّ على صاحبه ^(٢).

مسير طلحة والزبير إلى مكة

٣٣٠ - في الجمل عن بكر بن عيسى: إنّ عليّاً عليه السلام أخذ عليهما العهد والميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه ألا يخالفا ولا ينكثا، ولا يتوجّها وجهاً غير العمرة حتى يرجعا إليه، فأعطياه ذلك من أنفسهما، ثمّ أذن لهما فخرجا ^(٣).

٣٣١ - في الجمل: فلما دخلا [طلحة والزبير] عليه قالوا: يا أمير المؤمنين! قد جنناك نستأذنك للخروج في العمرة، فلم يأذن لهما.

فقالا: نحن بعيدي العهد بها، ائذن لنا فيها.

فقال لهما: والله، ما تريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة! وإتّما تريدان البصرة! فقالا: اللهمّ غفراً، ما نريد إلا العمرة.

فقال لهما عليه السلام: احلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان عليّ أمور المسلمين، ولا

(١) العُتْبَى: الرجوع من الذنب والإساءة (النهاية: ١٧٥/٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥، بحار الأنوار: ٣٢/٥٠/٣٤؛ المعيار والموازنة: ١١٣ و ١١٤.

(٣) الجمل: ٤٣٧، الكافية: ١٤/١٥، بحار الأنوار: ٣٢/٣٢/١٨.

تنكثان لي بيعة، ولا تسعيان في فتنة. فبذلا ألسنتهما بالأيمان الوكيدة فيما استحلّفهما عليه من ذلك.

فلمّا خرّجا من عنده لقيهما ابن عبّاس فقال لهما: فأذن لكما أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم.

فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام فابتدأه عليه السلام وقال: يا ابن عبّاس، أعندك خبر؟ فقال: قد رأيت طلحة والزبير.

فقال له: إنهما استأذنانني في العمرة، فأذنت لهما بعد أن استوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يُحدثا فساداً، والله يا ابن عبّاس ما قصدا إلا الفتنة، فكأني بهما وقد صارا إلى مكة ليستعينا على حربي؛ فإن يعلى بن منية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيُفسد هذان الرجلان عليّ أمري، ويسفكان دماء شيعتي وأنصاري.

فقال عبدالله بن عبّاس: إذا كان عندك الأمر كذلك فلم أذنت لهما؟ وهلا حبستهما وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المسلمين شرّهما! فقال له عليه السلام: يا ابن عبّاس! أتأمرني أن أبدأ بالظلم، وبالسيئة قبل الحسنة، وأعاقب على الظنة والتهمّة، وأخذ بالفعل قبل كونه؟ كلاً! والله لا عدلت عمّا أخذ الله عليّ من الحكم بالعدل، ولا القول بالفصل^(١).

تشااور الزبير وطلحة وأصحابهما في الحرب

٣٣٢ - في الفتوح: شااوروا في المسير فقال الزبير: عليكم بالشام! فيها الرجال والأموال، وبها معاوية؛ وهو عدوّ لعليّ.

فقال الوليد بن عُقبّة: لا والله ما في أيديكم من الشام قليل ولا كثير! وذلك أنّ عثمان

(١) الجمل: ١٦٦ وراجع الكفاية: ١٣/١٤ والاحتجاج: ١/٣٧٣/٦٧ ومروج الذهب: ٣٦٦/٢ وأنساب الأشراف: ٢٢/٣ والفتوح: ٤٥١/٢.

ابن عقّان قد كان استعان بمعاوية لينصره وقد حوصره، فلم يفعل وتربّص حتى قُتل، لذلك يتخلّص له الشام، أفتطمع أن يُسلّمها^(١) إليكم؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم غيرها^(٢).

٣٣٣- في الإمامة والسياسة: قال الزبير: الشام بها الرجال والأموال، وعليها معاوية، وهو ابن عمّ الرجل، ومتى نجتمع يولّنا عليه.

وقال عبدالله بن عامر: البصرة؛ فإن غلبتم علياً فلكم الشام، وإن غلبكم عليٌّ كان معاوية لكم جنة، وهذه كتب أهل البصرة إليّ.

فقال يعلى بن منية^(٣) - وكان داهياً - : أيّها الشيخان! قدّرا قبل أن ترحلا أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة، وهو ابن عمّ عثمان دونكم؛ رأيتم إن دفعكم عن الشام، أو قال: أ جعلها شورى، ما أنتم صانعون؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجوا منها؟ وأقبح من ذلك أن تأتي أرجلاً في يديه أمر قد سبقكما إليه، وتريدا أن تخرجاه منه.

فقال القوم: فإلى أين؟

قال: إلى البصرة^(٤).

٣٣٤- في تاريخ الطبري: ثمّ ظهرا - يعني طلحة والزبير - إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر وابن عامر بها يجرّ الدنيا، وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير، وزيادة على أربعمئة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة، فأرادوا الرأي، فقالوا: نسير إلى عليّ فنقاتله.

فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة، ولكننا نسير حتى ندخل البصرة

(١) في المصدر: «أسلمها»، والصحيح ما أثبتناه كما يقتضيه السياق.

(٢) الفتح: ٤٥٣/٢.

(٣) في المصدر: «منبه» وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) الإمامة والسياسة: ٧٩/١ وراجع تاريخ الطبري: ٤٥٠/٤ والكامل في التاريخ: ٣١٤/٢ والبداية

والنهاية: ٢٣١/٧.

والكوفة، وطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة.
فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة. فأعطاهم عبدالله بن عامر
مألاً كثيراً وإبلاً، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة، ولحقهم الناس
حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل^(١).

دخول عائشة في المخطط

٣٣٥- في أنساب الأشراف عن صالح بن كيسان وأبي مخنف: قالوا: قدم طلحة والزبير
على عائشة، فدعواها إلى الخروج، فقالت: أتأمراني أن أقاتل؟
فقالا: لا، ولكن تعلمين الناس أن عثمان قُتل مظلوماً، وتدعيهم إلى أن يجعلوا الأمر
شورى بين المسلمين؛ فيكونوا على الحالة التي تركهم عليها عمر بن الخطاب،
وتصلحين بينهم^(٢).

٣٣٦- في الفتوح: خرج الزبير وطلحة إلى مكة، وخرج معهما عبدالله بن عامر بن
كريز وهو ابن خال عثمان، فجعل يقول لهما: أبشرا! فقد نلتما حاجتكما، والله لأمدنكما
بمائة ألف سيف.

قال: وقدموا مكة وبها يومئذ عائشة، وحرّضوها على الطلب بدم عثمان، وكان
معها جماعة من بني أمية، فلما علمت بقدم طلحة والزبير فرحت بذلك واستبشرت،
وعزمت على ما أرادت من أمرها^(٣).

٣٣٧- في الجمل: لما عرف طلحة والزبير من حالها [أي عائشة] وحال القوم عملاً

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٢، أنساب الأشراف: ٣/٢١ نحوه وزاد فيه «قالوا: فנסير إلى الشام فيه
الرجال والأموال وأهل الشام شيعة لعثمان، فنطلب بدمه ونجد على ذلك أعواناً وأنصاراً ومشايخين.
فقال قائل منهم: هناك معاوية وهو والي الشام والمطاع به، ولن تنالوا ما تريدون، وهو أولى منكم
بما تحاولون لأنه ابن عمّ الرجل» بعد «بأهل المدينة».

(٢) أنساب الأشراف: ٣/٢٣.

(٣) الفتوح: ٢/٤٥٢.

على اللحاق بها والتعاقد على شقاق أمير المؤمنين عليه السلام، فاستأذناه في العمرة... وسارا إلى مكة خالعين الطاعة، ومفارقين الجماعة.

فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طافا بالبيت طواف العمرة، وسعيا بين الصفا والمروة، وبعثا إلى عائشة عبدالله بن الزبير وقالاه: امضِ إلى خالتك، فاهدِ إليها السلام منّا وقل لها: إنّ طلحة والزبير يُقرئانك السلام ويقولان لك: إنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً، وإنّ عليّ بن أبي طالب ابتزّ الناس أمرهم، وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولّوا قتل عثمان، ونحن نخاف انتشار الأمر به؛ فإن رأيت أن تسيري معنا لعلّ الله يرتق بك فتق هذه الأمة، ويشعب بك صدعهم، ويلمّ بك شعثهم^(١)، ويصلح بك أمورهم.

فأتاها عبدالله، فبلّغها ما أرسله به، فأظهرت الامتناع من إجابتهما إلى الخروج عن مكة، وقالت: يا بني، لم أمر بالخروج، لكنّي رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما فعل بعثمان إمامهم، وأنّه أعطاهم التوبة، فقتلوه تقيّاً نقيّاً بريّاً، ويرون في ذلك رأيهم، ويُشيرون إلى من ابتزّهم أمرهم، وغضبهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة، بتكبر وتجبّر، ويظنّ أنّ الناس يرون له حقّاً كما كانوا يرونه لغيره.

هيهات هيهات! يظنّ ابن أبي طالب يكون في هذا الأمر كابن أبي قحافة، لا والله، ومن في الناس مثل ابن أبي قحافة؟ تخضع إليه الرقاب، ويلقى إليه المقداد، وليها والله ابن أبي قحافة فخرج منها كما دخل، ثمّ وليها أخو بني عدّيّ، فسلك طريقه، ثمّ مضى فوليا ابن عفّان؛ فركبها رجل له سابقة ومصاهرة برسول الله صلى الله عليه وآله، وأفعال مع النبي صلى الله عليه وآله مذكورة، لا يعمل أحد من الصحابة مثل ما عمله في ذات الله، وكان محبّاً لقومه، فمال بعض الميل، فاستتبناه فتاب ثمّ قتل، فيحقّ للمسلمين أن يطلبوا بدمه.

فقال لها عبدالله: فإذا كان هذا قولك في عليّ يا أمّه، ورأيك في قاتلي عثمان، فما الذي

(١) الرثق: إلحام الفتن وإصلاحه. وشعب الصدع في الإناء: إصلاحه وملاءمته. ويلمّ بك شعثهم أي:

يجمع ما تفرّق منه (انظر لسان العرب: ١٠/١١٤ وج ١/٤٩٨ وج ٢/١٦١).

يُقعديك عن المساعدة على جهاد عليّ بن أبي طالب وقد حضرِك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدان؟

فقلت: يا بنيّ أفكر فيما قلت وتعود إليّ.

فرجع عبدالله إلى طلحة والزبير بالخبر، فقالا له: قد أجابت أمنا والحمد لله إلى ما نريد، ثم قالاه: باكرها في الغد، فذكرها أمر المسلمين، وأعلمها أننا قاصدان إليها لنجدد بها عهداً، ونحكم معها عقداً، فباكرها عبدالله، وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول إليها، فاجابت إلى الخروج ونادى منادياها: إن أم المؤمنين تريد أن تخرج تطلب بدم عثمان، فمن كان يريد أن يخرج فليتها للخروج معها.

وصار إليها طلحة، فلما بصرت به قالت له: يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً؟ فقال لها: يا أمّة، ما مثلي إلا كما قال الأوّل:

ندمتُ ندامة الكُسعيّ^(١) لما
رأت عيناه ما صنعت يداهُ

وجاءها الزبير فسلم عليها، فقالت له: يا أبا عبدالله! شركت في دم عثمان، ثم بايعت علياً، وأنت والله أحقّ منه بالأمر؟

فقال لها الزبير: أمّا ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي في ذلك، ولن أترك الطلب بدم عثمان. والله ما بايعت علياً إلا مكرها، التفّ به السفهاء من أهل مصر والعراق، وسلّوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه.

وصار إلى مكة عبدالله بن أبي ربيعة - وكان عامل عثمان على صنعاء - فدخلها وقد انكسر فخذه، وكان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله: أنه لما اتّصل بابن أبي ربيعة حصر الناس لعثمان أقبل سريعاً لنصرته، فلقية صفوان بن أمية، وهو على فرس يجري وعبدالله بن أبي ربيعة على بغلة، فدنا منها الفرس، فحادت فطرح ابن أبي ربيعة وكسرت فخذه، وعرف أنّ الناس قد قتلوا عثمان، فصار إلى مكة بعد الظهر،

(١) الكُسعيّ: يُضرب به المثل في الندامة، وهو رجل رام رمى بعد ما أسدّف الليل عيراً، فأصابه وظنّ أنه أخطأ، فكسر قوسه، وقيل: وقطع إصبعه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولاً وسهمه فيه

فوجد عائشة يومئذٍ بها تدعو إلى الخروج للطلب بدم عثمان، فأمر بسرير فوضع له سرير في المسجد، ثم حُمِلَ ووُضِعَ عليه وقال للناس: من خرج للطلب بدم عثمان فعليّ جهازه، فجهّز ناساً كثيراً، فحملهم ولم يستطع الخروج معهم لما كان برجله ^(١).

موعظة أمّ سلمة لعائشة

٣٣٨ - في الجمل: بلغ أمّ سلمة اجتماع القوم وما خاضوا فيه، فبكت حتى اخضَلَّ خمارها، ثم دعت بثيابها، فلبستها وتخفّرت ومشّت إلى عائشة لتعظها وتصدّها عن رأيها في مظاهرة أمير المؤمنين عليه السلام بالخلاف، وتقعّد بها عن الخروج مع القوم. فلما دخلت عليها قالت: إنك سُدّة رسول الله صلى الله عليه وآله بين أمّته، وحجابك مضروب على حرمة، وقد جمع القرآن ذيلك؛ فلا تندحيه، ومكّنك خُفرتك؛ فلا تُضحّيها، الله الله من وراء هذه الآية!

قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك؛ فلو أراد أن يعهد إليك لفعل، بل نهاك عن الفرطة في البلاد.

إنّ عمود الدين لا يقام بالنساء إن مال، ولا يُرأب بهنّ إن صدع، حُماديات النساء: غضّ الأطراف، وخفّ الأعطاف، وقصر الوهازة، وضمّ الذبول.

ما كنت قائلة لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك ببعض الفلوات، ناصّة قلوّصاً من منهل إلى آخر! قد هتكت صداقته، وتركت حرمة وعهدته؛ إنّ بعين الله مهواك، وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله تردين.

والله لو سرتُ مسيرك هذا ثمّ قيل لي: ادخلي الفردوس، لاستحييت أن ألقى محمداً صلى الله عليه وآله هاتكة حجاباً قد ستره عليّ. اجعلي حصنك بيتك، وقاعة البيت قبرك، حتى تلقينه، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله لزمته، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه.

(١) انظر كتاب الجمل: ٢٢٩.

فقال لها عائشة: ما أعرفني بوعظك، وأقبلني لنصحك! ولنعيم المسير مسير فزعت إليه، وأنا بين سائرة أو متأخرة، فإن أقعد فعن غير حرج، وأن أسير فإلى ما لا بد من الازدياد منه^(١).

قال ابن أبي الحديد: تفسير غريب هذا الخبر: السُّدَّة: الباب. لا تندحيه: أي لا تفتحيه ولا توسع به بالحركة والخروج. الفرطة في البلاد: أي السفر والشخوص. حُماديات النساء: يقال: حُماداك أن تفعل كذا مثل قُصاراك؛ أي جهدك وغايتك. والوهازة: الخطوة.

ناصة قلو صاً: أي رافعة لها في السير، والقلوص من النوق: الشابة. والمنهل: الماء ترده الإبل. وإن بعين الله مهواك: أي إن الله يرى سيرك وحركتك. والضمير في «لزمته» يعود إلى الأمر الذي أمرت به. وحرج: إثم^(٢).

عائشة تشارك في الفتنة

٣٣٩- في تاريخ الطبري: كتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة، وكتبت إلى الأحنف ابن قيس، وصبرة بن شيمان، وأمثالهم من الوجوه، ومضت حتى إذا كانت بالحُفَيْر^(٣) انتظرت الجواب بالخبر^(٤).

٣٤٠- في الكامل في التاريخ: كتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم، وتأمرهم أن يثبّطوا الناس عن عليّ، وتحتّمهم على طلب قتلة عثمان، وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل

(١) الجمل: ٢٣٦، الاحتجاج: ١/٣٩١/٨٢ عن الإمام الصادق عليه السلام، معاني الأخبار: ١/٣٧٥ عن أبي الأحنس الأرحبي؛ الإمامة والسياسة: ١/٧٦، العقد الفريد: ٣/٣١٦، شرح نهج البلاغة: ٦/٢١٩ وفي الأربعة الأخيرة أنها كتبت بهذا إلى عائشة وص ٢٢٠ وكلها نحوه وراجع الاختصاص: ١١٦ وتاريخ يعقوبي: ٢/١٨٠.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة: ٦/٢٢١ - ٢٢٤.

(٣) الحُفَيْر: ماء لباهلة، بينه وبين البصرة أربعة أميال من جهة مكّة (راجع معجم البلدان: ٢/٢٧٧).

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٦١، الكامل في التاريخ: ٢/٣١٦ وراجع البداية والنهاية: ٧/٢٣٢.

المدينة بما كان منهم أيضاً^(١).

٣٤١- في تاريخ الطبري عن مجالد بن سعيد: لما قدمت عائشة البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم، فأنصرتنا على أمرنا هذا؛ فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ.

فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، أما بعد: فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر، ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين! أمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركنا ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه!^(٢)

٣٤٢- في الجمل: لما رأت عائشة اجتماع من اجتمع إليها بمكة على مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام، والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهبت للخروج.

وكانت في كل يوم تقيم مناديهما ينادي بالتأهب للمسير، وكان المنادي ينادي ويقول: من كان يريد المسير فليسير؛ فإن أم المؤمنين سائرة إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم^(٣).

٣٤٣- في تاريخ الطبري عن محمد وطلحة: نادى المنادي: إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن كان يريد إعزاز الإسلام، وقاتل المحلّين، والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن عنده مركب، ولم يكن له جهاز؛ فهذا جهاز، وهذه نفقة^(٤).

(١) الكامل في التاريخ: ٣٢٢/٢ وراجع تاريخ الطبري: ٤٧٢/٤ وفيه نصّ الكتاب والبداية والنهاية: ٢٣٤/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٧٦/٤، الكامل في التاريخ: ٣١٩/٢، العقد الفريد: ٣١٧/٣، شرح نهج البلاغة: ٢٢٦/٦ عن الحسن البصري؛ رجال الكشي: ١/٢٨٤/١٢٠، الجمل: ٤٣١ والأربعة الأخيرة نحوه وراجع البداية والنهاية: ٢٣٤/٧.

(٣) الجمل: ٢٣٣ وراجع شرح الأخبار: ١/٤٠١/٣٥١.

(٤) تاريخ الطبري: ٤٥١/٤، الكامل في التاريخ: ٣١٤/٢.

عائشة تتذكر قول النبي عن الجمل

٣٤٤- في شرح نهج البلاغة: لما عازمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بغيراً أيداً^(١) يحمل هودجها، فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمّى عَسْكَراً؛ وكان عظيم الخلق شديداً، فلما رآته أعجبها، وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدّته، ويقول في أثناء كلامه: عَسْكَر. فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم، ونهاها عن ركوبه، وأمرت أن يُطلب لها غيره، فلم يوجد لها ما يُشبهه، فعُيِّر لها بجِلال^(٢) غير جلاله وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خَلْقاً، وأشدّ قوّة، وأتيت به فرضيت^(٣).

قصة ماء الحَوَّاب!

٣٤٥- في تاريخ اليعقوبي: مرّ القوم في الليل بماء يقال له: ماء الحَوَّاب^(٤)، فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة: ما هذا الماء؟ قال بعضهم: ماء الحَوَّاب. قالت: إنّ الله وإنا إليه راجعون! ردّوني ردّوني! هذا الماء الذي قال لي رسول الله: «لا تكوني التي تنبحك كلاب الحَوَّاب».

فأتاها القوم بأربعين رجلاً، فأقسموا بالله أنّه ليس بماء الحَوَّاب^(٥).

٣٤٦- في شرح نهج البلاغة عن ابن عباس وعامر الشعبي وحبيب بن عمير: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكّة إلى البصرة، طرقت ماء الحَوَّاب - وهو ماء لبني عامر

(١) أيد: أي قويّ (النهاية: ١/٨٤).

(٢) جِلال كلّ شيء: غطاؤه (لسان العرب: ١١/١١٨).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/٢٢٤؛ بحار الأنوار: ٣٢/١٣٨/١١٢.

(٤) الحَوَّاب: موضع في طريق البصرة من جهة مكّة، وقيل: موضع بئر نبحت كلابه على عائشة عند مقبلها إلى البصرة (معجم البلدان: ٢/٣١٤).

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨١.

ابن صعصعة - فنبحتهم الكلاب، فتفرت صعاب إبلهم.

فقال قائل منهم: لعن الله الحوآب؛ فما أكثر كلابها! فلما سمعت عائشة ذكر الحوآب، قالت: أهذا ماء الحوآب؟ قالوا: نعم، فقالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها؟ ما بدالها؟

فقالت: إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كأنّي بكلاب ماء يُدعى الحوآب، قد نبحت بعض نسائي» ثم قال لي: «إياك يا حُميراء أن تكونيها!».

فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله؛ فإننا قد جزنا ماء الحوآب بفراسخ كثيرة. فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوآب؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلاً لهم جُعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوآب، فكانت هذه أوّل شهادة زور في الإسلام! فسارت عائشة لوجهها^(١).

٣٤٧- في الجمل عن العرنى - دليل أصحاب الجمل -: سرت معهم فلا أمرّ على وادٍ ولا ماءٍ إلّا سألوني عنه، حتى طرقتنا ماء الحوآب، فنبحتنا كلابها، قالوا: أيّ ماء هذا؟ قلت: ماء الحوآب.

قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوآب طروقاً، ردوني! تقول ذلك ثلاثاً، فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك، وهي تأبى، حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد. قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء^(٢)!! فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب! قال: فارتحلوا وشتمونني، فانصرفت^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٠/٩، مروج الذهب: ٣٦٦/٢، الإمامة والسياسة: ٨٢/١، الفتوح:

٤٥٧/٢ كلّها نحوه وراجع المناقب للخوارزمي: ٢١٧/١٨١.

(٢) أي أنجو بأنفسكم (النهاية: ٢٥/٥).

(٣) تاريخ الطبري: ٤٥٧/٤، الكامل في التاريخ: ٣١٥/٢، البداية والنهاية: ٢٣١/٧ كلاهما نحوه.

٣٤٨- قال رسول الله ﷺ - لنسائه -: ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب^(١)، التي تنبها كلاب الحوآب، فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة، ثمّ تنجو بعدما كادت؟! (٢)

٣٤٩- في المستدرک علی الصحیحین عن أم سلمة: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمّهات المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت. ثمّ التفت إلى عليّ فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فارق بها^(٣).

وصول خبر القوم الى أمير المؤمنين عليه السلام

٣٥٠- في تاريخ الطبري عن محمد وطلحة: كتب [عليّ ﷺ] إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام، وإلى عثمان بن حنيف، وإلى أبي موسى مثل ذلك، وأقبل على التهيؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة، فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال:... انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم؛ لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم.

فبينما هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكّة بنحو آخر وتمام عليّ خلاف فقام فيهم

(١) أراد الأدب، فأظهر الإدغام لأجل الحوآب. والأدب: الكثير وبر الوجه (النهاية: ٢/٩٦).

(٢) معاني الأخبار: ١/٣٠٥، الجمل: ٤٣٢، شرح الأخبار: ١/٣٣٨/٣٠٤، المناقب لابن شهر آشوب: ١٤٩/٣، تنبيه الخواطر: ٢٢/١ وليس فيه «فيقتل عن يمينها...»؛ مجمع الزوائد: ٧/٤٧٤/١٢٠٢٦، شرح نهج البلاغة: ٩/٣١١، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٤٩٠، الاستيعاب: ٤/٤٣٩/٣٤٦٣ كلاهما نحوه، البداية والنهاية: ٦/٢١٢ وراجع مسند ابن حنبل: ٩/٣١٠/٢٤٣٠٨ والمستدرک علی الصحیحین: ٣/١٣٠/٦٤١٣ وصحيح ابن حبان: ١٥/١٢٦/٦٧٣٢ والمصنّف لابن أبي شيبة: ٨/٧٠٨/١٥ والمصنّف لعبد الرزاق: ١١/٣٦٥/٢٠٧٥٣ ومسند أبي يعلى: ٤/٤٢٣/٤٨٤٨ وفتح الباري: ١٣/٥٥ وفيه «سنده على شرط الصحيح».

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٢٩/٤٦١٠، دلائل النبوة للبيهقي: ٦/٤١١، البداية والنهاية: ٦/٢١٢، المحاسن والمسارئ: ٤٩، المناقب للخوارزمي: ١٧٦/٢١٣؛ الجمل: ٤٣١، المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٤٨ والأربعة الأخيرة عن سالم بن أبي الجعد، شرح الأخبار: ١/٣٣٨/٣٠٥ نحوه.

بذلك فقال:.... ألا وإنّ طلحة والزبير وأمّ المؤمنين قد تمالؤوا على سحق إمارتي، ودَعُوا الناس إلى الإصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكفّ إن كفّوا، وأقتصر على ما بلغني عنهم^(١).

٣٥١ - في الجمل: ولَمَّا اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين عليه السلام والتأهب للمسير إلى البصرة، واتّصل الخبر إليه، وجاءه كتاب بخبر القوم، دعا ابن عباس، ومحمّد بن أبي بكر، وعمّار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وأخبرهم بالكتاب وبما عليه القوم من المسير.

فقال محمّد بن أبي بكر: ما يريدون يا أمير المؤمنين؟ فتبسّم عليه السلام وقال: يطلبون بدم عثمان! فقال محمّد: والله، ما قتل عثمان غيرهم، ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أشيروا عليّ بما أسمع منكم القول فيه.

فقال عمّار بن ياسر: الرأي المسير إلى الكوفة؛ فإنّ أهلها لنا شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة.

وقال ابن عباس: الرأي عندي يا أمير المؤمنين أن تُقدّم رجلاً إلى الكوفة فيبايعون لك، وتكتب إلى الأشعري أن يبايع لك، ثمّ بعده المسير حتى نلحق بالكوفة، وتعاجل القوم قبل أن يدخلوا البصرة، وتكتب إلى أمّ سلمة فتخرج معك؛ فإنّها لك قوّة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: بل أسير بنفسي ومن معي في اتّباع الطريق وراء القوم، فإنّ أدركتهم في الطريق أخذتهم، وإن فاتوني كتبت إلى الكوفة واستمددت الجنود من الأمصار وسرت إليهم. وأمّا أمّ سلمة فإنّي لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة.

فبينما هم في ذلك إذ دخل عليهم أسامة بن زيد بن حارثة وقال لأمر المؤمنين عليه السلام: فذاك أبي وأمّي! لا تسير سيراً واحداً، وانطلق إلى يتبّع، وخلف على المدينة رجلاً، وأقم

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٤٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣١١ و٣١٢ وراجع الإمامة والسياسة: ١/٧٤
والبداية والنهاية: ٧/٢٣٠.

بما لك؛ فإنّ العرب لهم جولة ثمّ يصيرون إليك.

فقال له ابن عباس: إنّ هذا القول منك يا أسامة إن كان على غير غلٍّ في صدرك فقد أخطأت وجه الرأي فيه، ليس هذا برأي بصير، يكون والله كهيئة الضبع في مغارتها. فقال أسامة: فما الرأي؟ قال: ما أشرتُ به، أو ما رآه أمير المؤمنين لنفسه.

ثمّ نادى أمير المؤمنين عليه السلام في الناس: تجهّزوا للمسير؛ فإنّ طلحة والزبير قد نكثا البيعة، ونقضوا العهد، وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة.

ثمّ رفع يديه إلى السماء فقال: اللهمّ إنّ هذين الرجلين قد بغيا عليّ، ونكثا عهدي، ونقضوا عقدي، وشقّاني بغير حقٍّ منهما كان في ذلك، اللهمّ خذهما بظلمهما لي، واظفرني بهما، وانصرني عليهما^(١).

٣٥٢- قال الإمام عليّ عليه السلام - لما أشير عليه بالألا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال -: والله لا أكون كالضبع؛ تنام على طول اللّدم^(٢) حتى يصل إليها طالبها، ويختلها راصدها، ولكنّي أضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى يأتي عليّ يومي. فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا^(٣).

خطبة الإمام عليه السلام

٣٥٣- في الإرشاد: ولما اتّصل به مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة من مكة حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: قد سارت عائشة وطلحة والزبير؛ كلّ واحد منهما يدّعي الخلافة دون صاحبه، لا يدّعي طلحة الخلافة إلاّ أنّه ابن عمّ عائشة، ولا يدّعيها الزبير إلاّ

(١) الجمل: ٢٣٩.

(٢) أي صوّب جحرها بحجر، إذا أرادوا صيد الضبع ضربوا جحرها بحجر، أو بأيديهم، فتحبسه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه، فتصطاد (النهاية: ٤/٢٤٦).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٦، بحار الأنوار: ٣٢/١٣٥/١١٠.

أنه صهر أبيها، والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربنّ الزبيرُ عنق طلحة، وليضربنّ طلحة عنق الزبير، ينازع هذا على الملك هذا، وقد - والله - علمتُ أنّها الراكبةُ الجمَل، لا تحلّ عقدة، ولا تُسير عقبةً، ولا تنزل منزلاً إلاّ إلى معصية، حتى تورّد نفسها ومن معها مورداً يُقتل ثلثهم، ويهرب ثلثهم، ويرجع ثلثهم، والله إنّ طلحة والزبير ليعلمان أنّهما مخطئان وما يجهلان، ولربّما عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه. والله لينبحتّها كلاب الحوآب، فهل يعتبر معتبر أو يتفكّر متفكّر، ثمّ قال: قد قامت الفئة الباغية؛ فأين المحسنون؟^(١)

٣٥٤- وقال عليه السلام - من خطبة له حين بلغه خبر الناكثين ببيعته -: ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر^(٢) حزبه، واستجلب جليبه؛ ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه، والله ما أنكروا عليّ منكرأ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً.

وإنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودمأ هم سفكوه؛ فلئن كنت شريكهم فيه؛ فإنّ لهم لنصيبهم منه، ولئن كانوا ولّوه دوني، فما التبعة إلاّ عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أمأً قد قطّمت، ويُحيون بدعة قد أميتت.

يا خيبة الداعي! من دعا! وإلامّ أُجيب! وإني لراضٍ بحجّة الله عليهم، وعلمه فيهم. فإنّ أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من الباطل، وناصرأ للحقّ.

ومن العجب بعثهم إليّ أن أبرز للطعان! وأن أصبر للجلاد! هبّلتهم الهبول! لقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أزهّب بالضرب! وإني لعلى يقين من ربّي، وغير شبيهة من ديني^(٣).

٣٥٥- عنه عليه السلام - في خطبته حين نهوضه إلى الجمل -: إني بليت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم؛ طلحة، وأشجع الناس؛ الزبير، وأطوع الناس في الناس؛ عائشة، وأسرع

(١) الإرشاد: ٢٤٦/١، الكافّة: ١٩/١٩، بحار الأنوار: ٣٢/١١٣/٨٨؛ المعيار والموازنة: ٥٣.

(٢) أي: حصّهم وشجّعهم (النهاية: ١٦٧/٢).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢، عيون الحكم والمواعظ: ٢٤٠١/١١٠ وفيه إلى «لعلى أنفسهم»، بحار الأنوار: ٣٢/٥٣/٣٩ وراجع جواهر المطالب: ٣٢٤/١.

الناس إلى فتنة؛ يعلى بن أمية.

والله، ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً، ولا استأثرتُ بمال، ولا ملتُ بهوى، وإتّهم ليطلبون حقاً تركوه، ودماً سفكوه، ولقد ولّوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه.

وما تبعه عثمان إلا عندهم، وإتّهم لهم الفئة الباغية؛ بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استأنوا بي حتى يعرفوا جورى من عدلي، وإتّي لراضٍ بحجة الله عليهم، وعلمه فيهم، وإتّي مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم؛ فإن قبلوا فالتوبة مقبولة، والحق أولى ما انصرف إليه، وإن أتوا أعطيتهم حدّ السيف، وكفى به شافياً من باطل وناصر^(١).

٣٥٦ - عنه عليه السلام - من كلام له في معنى^(٢) طلحة بن عبيدالله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله -: قد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما قد وعدني ربّي من النصر، والله ما استعجل متجرّداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب بدمه؛ لأنّه مظنّته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه؛ ليلتبس الأمر، ويقع الشكّ.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عقان ظالماً - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن يناذب ناصريه. ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المُنْهَنِّهين^(٣) عنه، والمعدّرين فيه، ولئن كان في شكّ من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركذ جانباً، ويدع الناس معه. فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلّم معاذيره^(٤).

(١) الاستيعاب: ١٢٨٩/٣١٨/٢ عن صالح بن كيسان وعبد الملك بن نوفل بن مساحق والشعبي وابن أبي ليلى، أسد الغابة: ٢٦٢٧/٨٧/٣.

(٢) معنى كلّ شيء: ميخته وحاله التي يصير إليها أمره (لسان العرب: ١٥/١٠٦).

(٣) نهته عنه: منعه وكفّه عن الوصول إليه (النهاية: ٥/١٣٩).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٤، الأمالي للطوسي: ٢٨٤/١٦٩ نحوه.

توجه أمير المؤمنين عليه السلام للحرب

٣٥٧- في المستدرک علی الصحیحین عن أبي الأسود الدؤلي عن الإمام علي عليه السلام: أتاني عبدالله بن سلام وقد وضعت رجلي في العُرْز^(١) وأنا أريد العراق فقال: لا تأتِ^(٢) العراق؛ فإنك إن أتيتَه أصابك به ذباب السيف. قال علي: وأيم الله، لقد قالها لي رسول الله صلى الله عليه وآله قبلك. قال أبو الأسود: فقلت في نفسي، يا الله ما رأيت كاللّوم رجل محارب يُحدّث الناس بمثل هذا^(٣).

٣٥٨- في تاريخ الطبري: بلغ عليّاً الخبر - وهو بالمدينة - باجتماعهم على الخروج إلى البصرة، وبالذي اجتمع عليه ملؤهم؛ طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج عليّ يبادرهم في تعبيته التي كان تعبى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيّين والبصريّين متخفّفين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم، فيحول بينهم وبين الخروج، فلقية عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها؛ فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها، ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً، فسبّوه فقال: دعوا الرجل؛ فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله. وسار حتى انتهى إلى الرّبذة فبلغه ممرّهم، فأقام حين فاتوه يأتمر بالرّبذة^(٤).

٣٥٩- في الجمل: ثمّ خرج في سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة تمام بن العباس، وبعث قُثم بن العباس إلى مكّة، ولمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام التوجّه إلى المسير طالباً للقوم ركب جملاً أحمر وقاد كُميتاً^(٥) وسار

(١) العُرْز: ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب (النهاية: ٣/٣٥٩).

(٢) في المصدر: «تأتي»، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٥١/٤٦٧٨، صحيح ابن حبان: ١٥/١٢٧/٦٧٣٣، مسند

أبي يعلى: ١/٢٥٩/٤٨٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/٤٥٥ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٢/٦١١.

(٥) الكُميت: أقوى الخيل (لسان العرب: ٢/٨١).

وهو يقول:

سيروا أباييل وحنّوا السيرا
كي نلحق التّيميّ والزبيرا
إذ جلبا الشرّ وعافا الخيرا
يا ربّ أدخلهم غداً سعيرا

وسار مُجَدًّا في السير حتى بلغ الرّبذة، فوجد القوم قد فاتوا، فنزل بها قليلاً ثمّ توجه نحو البصرة، والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله، محدقون به مع من سمع بمسيرهم، فاتّبعهم حتى نزل بذي قار فأقام بها^(١).

٣٦٠ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة - : من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة؛ جبهة الأنصار، وسنام العرب.

أما بعد؛ إنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه: إنّ الناس طعنوا عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه، وأقلّ عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف^(٢)، وأرفق جدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلتة غضب. فأُتيح له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مُستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين.

واعلموا أنّ دار الهجرة قد قلّعت بأهلها وقلّعوا بها، وجاشت جيش المِرْجَل^(٣)، وقامت الفتنة على القطب، فأسرِعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوّكم، إن شاء الله عزّ وجلّ^(٤).

(١) الجمل : ٢٤٠.

(٢) الوجيف : هو ضَرْبٌ من السير سريع (النهاية : ١٥٧/٥).

(٣) المِرْجَل : قِدْرٌ من نحاس، وقيل : يطلق على كلّ قدر يُطبخ فيها (المصباح المنير : ٢٢١).

(٤) نهج البلاغة : الكتاب ١، الأمالي للطوسي : ١٥١٨/٧١٨ عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري وليس فيه من «ولا مجبرين...»، المناقب لابن شهر آشوب : ١٥١/٣ كلاهما نحوه، بحار الأنوار : ٥٦/٨٤/٣٢؛ شرح نهج البلاغة : ٨/١٤ وفيه «روى محمد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشي قال : لما نزل عليّ عليه السلام الرّبذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن

الإمام عليه السلام يبرق الى واليه عثمان

٣٦١- قال الإمام علي عليه السلام - في كتابه إلى عثمان لما بلغه مشاركة القوم البصرة -: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف، أما بعد؛ فإنّ البغاة عاهدوا الله ثمّ نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به. والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً، فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه، فإنّ أجابوا فأحسب جوارهم ما داموا عندك، وإنّ أبوا إلاّ التمسك بحبل النكت والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين، وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة، وأنا معجلّ المسير إليك إن شاء الله. وكتبه عبيدالله ابن أبي رافع في سنة ستّ وثلاثين^(١).

أمير المؤمنين يستنصر أهل الكوفة

٣٦٢- في تاريخ الطبري عن محمد وطلحة: لما قدم عليّ الربذة أقام بها، وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر وكتب إليهم:

إنّي اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث؛ فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وأيدونا وانهضوا إلينا؛ فالإصلاح ما نريد؛ لتعود الأمة إخواناً، ومن أحبّ ذلك وآثره فقد أحبّ الحقّ وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحقّ وعمّصه^(٢).

فمضى الرجلان وبقي عليّ بالربذة يتهياً، وأرسل إلى المدينة، فلحقه ما أراد من

= أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وكتب إليهم هذا الكتاب، وزاد في آخره: فحسبي بكم إخواناً وللدين أنصاراً، ﴿انفروا خفاً وثقالاً وجهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ التوبة: ٤١.

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٢/٩.

(٢) عمّصه: احتقره ولم يره شيئاً (النهاية: ٣/٣٨٦).

دابّة وسلاح، وأمير^(١) أمره وقام في الناس فخطبهم وقال:

إنّ الله عزّ وجلّ أعزّنا بالإسلام، ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً بعد ذلّة وقلّة وتباغض وتباعد، فجري الناس على ذلك ما شاء الله؛ الإسلام دينهم، والحقّ فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا إنّ هذه الأمة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فتعود بالله من شرّ ما هو كائن.

ثمّ عاد ثانية فقال: إنّّه لا بدّ ممّا هو كائن أن يكون، ألا وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ شرّها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعلمي، فقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم ﷺ، واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن؛ فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردّوه، وارضوا بالله عزّ وجلّ ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً^(٢).

٣٦٣- في تاريخ الطبري: عن يزيد الضخم قال: لما أتى عليّاً الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنّهم قد توجهوا نحو العراق، خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم، فلمّا انتهى إلى الرّبذة أتاه عنهم أنّهم قد أمعنوا^(٣)، فأقام بالرّبذة أيّاماً، وأتاه عن القوم أنّهم يريدون البصرة، فسرّي^(٤) بذلك عنه، وقال: إنّ أهل الكوفة أشدّ إليّ حبّاً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم....

[و] عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كتب عليّ إلى أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّي اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحقّ

(١) أمير أمره: أي كثر وارتفع شأنه (النهاية ١/٦٥).

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٨، الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٤، البداية والنهاية: ٧/٢٣٥ كلاهما نحوه.

(٣) أمعنوا في الطلب: أي جدّوا وأبعدوا (النهاية: ٤/٣٤٤).

(٤) سرّي عنه: أي كُشف عنه الخوف (النهاية: ٢/٣٦٥).

وقضى الذي عليه^(١).

٣٦٤- في شرح نهج البلاغة عن عبد الرحمن بن يسار القرشي - في ذكر كتاب علي عليه السلام إلى أهل الكوفة -: لما نزل علي عليه السلام الربذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمّد بن أبي بكر الصديق، وكتب إليهم هذا الكتاب^(٢) وزاد في آخره:

فحسبي بكم إخواناً، وللدين أنصاراً - فأنفروا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَهْدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قال: لما قدم محمّد بن جعفر، ومحمّد بن أبي بكر الكوفة استنفر الناس، فدخل قوم منهم على أبي موسى ليلاً فقالوا له: أشير علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى علي عليه السلام، فقال: أمّا سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأمّا سبيل الدنيا فاشخصوا معهما! فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج، وبلغ ذلك المحمّدين، فأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما، ولو أردنا قتالاً ما كنا لنبدأ بأحد قبل قتلة عثمان، فخرجا من عنده، فلحقا بعلي عليه السلام فأخبراه الخبر^(٤).

الحسن عليه السلام يتوجه إلى الكوفة

٣٦٥- في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف عن موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار^(٥) حتى نزلنا القادسيّة، فنزل الحسن وعمّار ونزلنا معهما، فاحتبى^(٦) عمّار بحمائل سيفه، ثمّ جعل يسأل الناس عن أهل

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٧٧.

(٢) الكتاب الأول من نهج البلاغة.

(٣) التوبة: ٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٨/١٤ وراجع الإمامة والسياسة: ٨٤/١ و ٨٥.

(٥) ذوقار: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب، فيه كان «يوم ذي قار» بين الفرس والعرب (تقويم البلدان: ٢٩٢).

(٦) الاحتباء: هو أن يضمّ الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشدّه عليها

الكوفة وعن حالهم، ثم سمعته يقول: ما تركت في نفسي حزة أهم إلي من ألا نكون نبشنا عثمان من قبره، ثم أحرقناه بالنار.

قال: فلما دخل الحسن وعمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن فاستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم قال:

أيها الناس! إنا جننا ندعوكم إلى الله، وإلى كتابه، وسنة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة. إلى من قرّبه الله تعالى إلى رسوله قرابتين: قرابة الدين، وقرابة الرحم. إلى من سبق الناس إلى كلّ ما أثره. إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم مُحجمون، وصدّقه وهم يكذبون. إلى من لم تُردّ له رواية ولا تُكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعمّاله، وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف، وانّهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون.

قال أبو مخنف: حدّثني جابر بن يزيد قال: حدّثني تميم بن حذيم الناجي قال: قدم علينا الحسن بن عليّ عليه السلام وعمّار بن ياسر يستنفران الناس إلى عليّ عليه السلام ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن - وهو فتى حدّث والله إنّي لأرثي له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه - فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطلق ابن بنت نبينا، فوضع يده على عمود يتساند إليه - وكان عليلاً من شكوى به - فقال:

الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ^(١) أحمدده على حسن البلاء،

= (النهاية: ١ / ٣٣٥).

(١) الرعد: ١٠.

وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، امتنّ علينا بنبوته، واختصّه برسالته وأنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجنّ حين عبثت الأوثان، وأطيع الشيطان، وجحد الرحمن، فصلى الله عليه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جرى للمسلمين.

أمّا بعد؛ فإنّي لا أقول لكم إلا ما تعرفون؛ إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره، وأعزّ نصره، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون؛ فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله، ولقد علمتم أنّ علياً صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وأنّه يوم صدّق به لفي عاشرة من سنة، ثمّ شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتى غمّضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته وغير ذلك من أمورهِ، كلّ ذلك من الله عليه، ثمّ والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تذاكّ الناس عليه تذاكّ الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثمّ نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه.

فعلَيْكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجِدِّ والصبر والاستعانة بالله، والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم. ثمّ مضى إلى الرحبة^(١) فهياً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين.

قال جابر: فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: ولما

(١) الرُّحْبَة: قرية بحذاء القادسيّة على مرحلة من الكوفة، على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكّة (معجم البلدان: ٢/٣٣).

سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت.

قال أبو مخنف: ولما فرغ الحسن بن علي عليه السلام من خطبته، قام بعده عمّار، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال:

أيها الناس! أخو نبيكم وابن عمّته يستنفركم لنصر دين الله، وقد بلاكم الله بحق دينكم وحرمة أمّكم، فحقّ دينكم أوجب وحرمة أعظم.

أيها الناس! عليكم بإمام لا يؤدّب، وفقية لا يعلم، وصاحب بأس لا ينكل، وذو سابقة في الإسلام ليست لأحد، وإنكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله ^(١).

٣٦٦ - في تاريخ الطبري عن أبي ليلى: بعث عليّ الحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر يستنفران الناس، وبعث قرظة بن كعب الأنصاري أميراً على الكوفة، وكتب معه إلى أبي موسى:

أمّا بعد؛ فقد كنت أرى أنّ بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ لك منه نصيباً سيمنعك من ردّ أمري، وقد بعثت الحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر يستنفران الناس، وبعثت قرظة بن كعب والياً على مصر، فاعتزل مذموماً مدحوراً؛ فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن يناديك؛ فإن نادته فظفر بك أن يقطعك آراباً.

فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل، ودخل الحسن وعمّار المسجد، فقالا:

أيها الناس، إنّ أمير المؤمنين يقول: إنّي خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإنّي أذكر الله عزّ وجلّ رجلاً رعى الله حقّاً إلّا نفر؛ فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ منّي. والله إنّ طلحة والزبير لأوّل من بايعني، وأوّل من غدر، فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً؟ فانفروا؛ فمروا بمعروف، وانفروا عن منكر ^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة: ١١/١٤ وراجع الإمامة والسياسة: ١/٨٦ و ٨٧ وبحار الأنوار: ٨٨/٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٩٩ وراجع الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٨، وشرح نهج البلاغة: ١٠/١٤ -

اعتراض أبي موسى الأشعري

٣٦٧- في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: لما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار قام فصعد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد؛ فجمعنا بعد الفرقة، وجعلنا إخواناً متحابين بعد العداوة، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ فاتقوا الله عباد الله، وضعوا أسلحتكم وكفوا عن قتال إخوانكم.

أما بعد؛ يا أهل الكوفة! إن تطيعوا الله باديًا، وتطيعوني ثانيًا تكونوا جرثومة^(٢) من جراثيم العرب، يأوي إليكم المضطرّ، ويأمن فيكم الخائف، إن عليًا إنما يستنفركم لجهاد أممكم عائشة وطلحة والزبير حوارِي رسول الله ومن معهم من المسلمين، وأنا أعلم بهذه الفتن؛ إنها إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت أسفرت. إنني أخاف عليكم أن يلتقي غارّان منكم فيقتلا، ثم يتركا كالأحلاس^(٣) الملقاة بنجوة^(٤) من الأرض، ثم يبقى رجرجة^(٥) من الناس لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن منكر، إنها قد جاءتكم فتنة كافرة لا يُدرى من أين تؤتى! تترك الحليم حيران، كأني أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفتن فيقول: «أنت فيها نائمًا خير منك قاعدًا، وأنت فيها جالسًا خير منك قائمًا، وأنت فيها قائمًا خير منك ساعيًا». فتلّموا سيوفكم، وقصّفوا رماحكم، وانصلوا سهامكم، وقطّعوا أوتاركم، وخلّوا قريشًا ترتق فتقها وترأب صدعها؛ فإن فعلت فلا نفسها ما فعلت، وإن أبت فعلى أنفسها ما جنت، سمئها في أديمها، استنصحنوني ولا

(١) البقرة: ١٨٨.

(٢) الجرثومة: الأصل (النهاية: ١/٢٥٤).

(٣) الأحلاس: جمع جلس؛ وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب (النهاية: ١/٤٢٣).

(٤) النجوة: ما ارتفع من الأرض (لسان العرب: ١٥/٣٠٧).

(٥) الرجرجة - في الأصل -: بقية الماء الكثرة في الحوض المختلطة بالطين، فلا يتنفع بها. والمراد

هنا: رذالة الناس ورعاعهم الذين لا عقول لهم (انظر النهاية: ٢/١٩٨).

تستغشونني، وأطيعوني ولا تعصوني، يتبين لكم رشدكم، ويصلى هذه الفتنة من جناها.

فقام إليه عمّار بن ياسر، فقال: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك؟ قال: نعم، هذه يدي بما قلت، فقال: إن كنت صادقاً فإنّما عناك بذلك وحدك، واتخذ عليك الحجّة، فالزم بيتك ولا تدخلن في الفتنة، أما إنّي أشهد أنّ رسول الله ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين، وسمّى له فيهم من سمّى، وأمره بقتال القاسطين، وإن شئت لأقيمّن لك شهوداً يشهدون أنّ رسول الله ﷺ إنّما نهاك وحدك، وحدرك من الدخول في الفتنة، ثمّ قال له: أعطني يدك على ما سمعت، فمدّ إليه يده، فقال له عمّار: غلب الله من غالبه وجاهده. ثمّ جذبه فنزل عن المنبر (١).

٣٦٨- في تاريخ الطبري عن محمد وطلحة: خرج أبو موسى فلقى الحسن، فضمّه إليه وأقبل على عمّار، فقال: يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين؛ فأحلت نفسك مع الفجار! فقال: لم أفعل ولمّ تسوؤني؟ وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال: يا أبا موسى! لمّ تثبّط الناس عنّا؟ فوالله ما أردنا إلاّ الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي أنت وأمّي، ولكنّ المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّها ستكون فتنة؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، قد جعلنا الله عزّ وجلّ إخواناً، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ... وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢) وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ لَهُ جَهَنَّمُ﴾ (٣).

فغضب عمّار وساءه وقام وقال: يا أيّها الناس! إنّما قال له خاصّة: «أنت فيها قاعداً

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/١٤؛ الدرجات الرفيعة: ٢٦٥ وراجع الأخبار الطوال: ١٤٥ والجمل:

٢٤٧.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) النساء: ٩٣.

خير منك قائماً»...

وقام أبو موسى فقال: أيها الناس! أطيعوني تكونوا جرثومة من جراثيم العرب؛ يا أوي إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف، إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم بما سمعنا، إنَّ الفتنة إذا أقبلت شَبَّهت، وإذا أدبرت بيَّنت، وإنَّ هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصبأ والديبور، فتسكن أحياناً فلا يُدرى من أين تؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصدوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطعوا أوتاركم، والزموا بيوتكم، خلّوا قريشاً - إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالإمرة - ترتق فتقها، وتشعب صدعها؛ فإن فعلت فلأنفسها سعت، وإن أبت فعلى أنفسها مئت، سمنها تُهريق في أديمها^(١)، استنصحوني ولا تستغشوني، وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم، ويشقى بحرّ هذه الفتنة مَنْ جناها.

فقام زيد فثال يده المقطوعة^(٢)، فقال: يا عبدالله بن قيس، رُدَّ الفرات عن دراجه^(٣)، ارده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ، فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه، ثم قرأ: «الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا»^(٤) - إلى آخر الآيتين - سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، وانفروا إليه أجمعين تُصيبوا الحقّ. فقام القعقاع بن عمرو فقال: إنّي لكم ناصح، وعليكم شفيق، أحبّ أن ترشدوا، ولأقولنّ لكم قولاً هو الحقّ؛ أمّا ما قال الأمير فهو الأمر لو أنّ إليه سبيلاً، وأمّا ما قال زيد فزيد في الأمر فلا تستنصحوه؛ فإنّه لا يتنزع أحدٌ من الفتنة طعن فيها وجرى إليها. والقول الذي هو القول إنّه لا بدّ من إمارة تنظّم الناس، وتزع الظالم، وتُعزّ المظلوم، وهذا

(١) قال الميداني: سمنكم هُريق في أديمكم: يُضرب للرجل ينفق ماله على نفسه ثمّ يريد أن يمتنّ به (مجمع الأمثال: ١١٢/٢/١٧٩٩) والأديم - هنا - هو طعامهم المأدوم.

(٢) قُطعت في معركة اليرموك.

(٣) قال الميداني: «مَنْ يردّ الفرات عن دراجه» هو جمع دَرَج؛ أي وجهه الذي توجّه له. يعني أنّ الأمر خرج من يده وأنّ الناس عزموا على الخروج من الكوفة، فهو لا يقدر أن يردهم من فورهم هذا (مجمع الأمثال: ٣/٣٢٦/٤٠٩٤).

(٤) العنكبوت: ١ و ٢.

عليّ يلي بما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإتّما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع.

وقال سيحان: أيّها الناس! إنّه لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ يدفع الظالم، ويُعزّز المظلوم، ويجمع الناس، وهذا واليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه، وهو المأمون على الأمّة، الفقيه في الدين؛ فمن نهض إليه فإتّا سائرون معه^(١).

٣٦٩- في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة: قام الحسن بن عليّ فقال: يا أيّها الناس! أجيّبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم؛ فإنّه سيُوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيّبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا وابتليتم.

فسامح الناس وأجابوا ورضوا به، وأتى قوم من طيّب عديّاً فقالوا: ماذا ترى وما تأمر؟ فقال: ننتظر ما يصنع الناس، فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون.

وقام هند بن عمرو فقال: إنّ أمير المؤمنين قد دعانا، وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، وأعينوه برأيكم.

وقام حجر بن عديّ فقال: أيّها الناس! أجيّبوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقالاً، مُروا أنا أو لكم^(٢).

الأشتر يقمع الأشعري ويأتي بجيش الكوفة

٣٧٠- في تاريخ الطبري عن نصر بن مزاحم: قد كان الأشتر قام إلى عليّ فقال: يا أمير

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢، الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٧، البداية والنهاية: ٧/٢٣٦ كلاهما نحوه.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٨ و٣٢٩ نحوه.

المؤمنين، إنِّي قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلاً قبل هذين، فلم أره أحكم شيئاً ولا قدر عليه، وهذان أخلق من بعثت أن يُنشَبَ^(١) بهم الأمر على ما تحبّ، ولست أدري ما يكون؛ فإن رأيت - أكرمك الله يا أمير المؤمنين - أن تبعثني في أثرهم؛ فإنّ أهل المصر أحسن شيء لي طاعة، وإن قدمت عليهم رجوت ألا يخالفني منهم أحد. فقال له عليّ: الحقّ بهم.

فأقبل الأشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمرّ بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: اتبعوني إلى القصر، فانتهي إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر، فدخله وأبوموسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبّطهم؛ يقول:

أيّها الناس! إنّ هذه فتنة عمياء صمّاء تطأ خطامها^(٢)، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب. إنّها فتنة باقرة كداء البطن، أتكم من قبل ما منكم، تدع الحلیم فيها حيران كابن أمس. إنّنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أعلم بالفتنة؛ إنّها إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت أسفرت.

وعمّار يخاطبه، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أمّ لك! وتنعّج عن منبرنا. وقال له عمّار: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال أبوموسى: هذه يدي بما قلت.

فقال له عمّار: إنّما قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله هذا خاصّة، فقال: «أنت فيها قاعداً خير منك قائماً». ثمّ قال عمّار: غلب الله من غالبه وجاحده.

قال نصر بن مزاحم؛ حدّثنا عمر بن سعيد قال: حدّثني رجل عن نعيم عن أبي مريم الثقفي قال: والله إنّي لفي المسجد يومئذٍ وعمّار يخاطب أباموسى ويقول له ذلك القول، إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدونّ ينادون: يا أباموسى! هذا الأشر قد دخل

(١) نَشِبَ في الشيء: إذا وقع فيما لا مخلص له منه (النهاية: ٥/ ٥٢).

(٢) الخِطَام: الحبل الذي يُتقاد به البعير (النهاية: ٥١/ ٢) وقال المجلسي: الوطاء في الخِطَام كناية عن نقد القائد وإذا خلت الناقة من القائد تعثر وتخبّط وتفسد ما تمرّ عليه بقوائمها (بحار الأنوار: ٦٩ / ٢٣٤).

القصر فضربتنا وأخرجنا. فنزل أبو موسى، فدخل القصر، فصاح به الأشتر: اخرج من قصرنا لا أم لك! أخرج الله نفسك! فوالله إنك لمن المنافقين قديماً. قال: أجّلني هذه العشيّة. فقال: هي لك، ولا تبيتنّ في القصر الليلة.

ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر وأخرجهم من القصر، وقال: إني قد أخرجته، فكفّ الناس عنه^(١).

٣٧١- في تاريخ الطبري عن أبي الطفيل: قال عليّ: «يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل»، فقعدت على نجفة ذي قار، فأحصيتهم، فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً^(٢).

٣٧٢- في الإرشاد: قال [عليّ] [بذي قار] وهو جالس لأخذ البيعة: يأتكم من قبل الكوفة ألف رجل؛ لا يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني على الموت.

قال ابن عباس: فجزعت لذلك، وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه؛ فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم، حتى ورد أوائلهم، فجعلت أُحصيهم، فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم.

فقلت: إنّ الله وإنا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا مفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتى دنا؛ فإذا هو راجل عليه قباء صوف معه سيفه وثرسُه وإداوته^(٣)، فقرب من أمير المؤمنين [عليّ] فقال له: امدد يدك أبايُك.

فقال له أمير المؤمنين [عليّ]: وعلام تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك.

فقال له: ما اسمك؟ قال: أُويس.

(١) تاريخ الطبري: ٤/٤٨٦؛ الجمل: ٢٥١ نحوه وراجع تاريخ الطبري: ٤/٤٨٢ والكامل في

التاريخ: ٢/٣٢٩ وشرح نهج البلاغة: ١٤/٢١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٠، الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٩، شرح نهج البلاغة: ١٤/٢١.

(٣) الإداوة: إناء صغير من جلد يُتخذ للماء (النهاية: ١/٣٣).

قال: أنت أويس القرني؟ قال: نعم.

قال: الله أكبر، أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أتى أدرك رجلاً من أمته يقال له: أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

قال ابن عباس: فسُرِّي عني ^(١)(٢).

احتلال عائشة للبصرة

٣٧٣- في أنساب الأشراف عن أبي مخنف في إسناده: ولما قربت عائشة ومن معها من البصرة بعث إليهم عثمان بن حنيف عمران بن الحصين الخزاعي أبا نجيد، وأبا الأسود الدؤلي، فلقياهم بحفر أبي موسى ^(٣) فقالا لهم: فيما قدمتم؟ فقالوا: نطلب بدم عثمان، وأن نجعل الأمر شورى؛ فإننا غضبنا لكم من سوطه وعصاه؛ أفلا نغضب له من السيف؟! من السيف!!

وقالا لعائشة: أمرك الله أن تقرّي في بيتك؛ فإنك حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وحليلته وحرمة. فقالت لأبي الأسود: قد بلغني عنك يا أبا الأسود ما تقول في!! فانصرف عمران وأبو الأسود إلى ابن حنيف، وجعل أبو الأسود يقول:

يا بن حنيف قد أتيت فانقر
وطاعن القوم وضارب واصبر

وابرز لهم مستلماً وشمر

فقال عثمان: إي وربّ الحرمين لأفعلن ^(٤).

(١) سُرِّي عنه: أي كُشف عنه الخوف (النهاية: ٢/٣٦٤).

(٢) الإرشاد: ١/٣١٥، الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠/٣٩، الشاقب في المناقب: ٢٦٦/٢٣٠، إعلام

الورى: ١/٣٣٧ وليس فيه من «فجزعت لذلك» إلى «حتى ورد أوائلهم» وراجع إرشاد القلوب: ٢٢٤.

(٣) حَفْرُ أَبِي مَوْسَى: وهي ركايا أحفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة (معجم

البلدان: ٢/٢٧٥).

(٤) أنساب الأشراف: ٣/٢٤ وراجع بلاغات النساء: ١٧ والمعيان والموازنة: ٥٧.

٣٧٤- في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: أرسل [عثمان بن حنيف] إلى أبي الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي، فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذي أقدمهم، فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى وبه معسكر القوم، فدخلوا على عائشة، فنالها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله، فقالت لهما: القيا طلحة والزبير.

فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه، فقال لهما: إننا جئنا للطلب بدم عثمان وندعوا الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شورى؛ ليختار الناس لأنفسهم، فقالا له: إن عثمان لم يُقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها، وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم، وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه، وأعظمهم إغراء بدمه، فأقيدوا من أنفسكم.

وأما إعادة أمر الخلافة شورى؛ فكيف وقد بايعتم علياً طائعين غير مكرهين؟ وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله ﷺ وأنت أخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحق بالخلافة منه، ولا أولى بها منه، وامتنعت من بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟!

فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة، فوجداه أخشن الملمس، شديد العريكة، قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرار نار الحرب، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه، وقال له أبو الأسود:

يابن حنيفٍ قد أتيت فانقرِ وطاعن القوم وجالد واصبرِ

وابرز لها مستلثماً وشمراً

فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلن^(١).

٣٧٥- في الجمل عن الواقدي وأبي مخنف عن أصحابهما والمدائني وابن دأب عن مشايخهما بالأسانيد: إن عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أغدوا^(٢) السير مع من اتبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش، حتى صاروا إلى

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٣/٩.

(٢) أغد: أسرع في السير (النهاية: ٣/٣٤٧).

البصرة، فنزلوا حفر أبي موسى، فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ، وخليفة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عنده حُكَيْم بن جَبَلَة، فقال له حُكَيْم: ما الذي بلغك؟ فقال: خُبِرْتُ أَنَّ القوم قد نزلوا حفر أبي موسى، فقال له حكيم: ائذن لي أن أسير إليهم؛ فإنِّي رجل في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له عثمان: توقّف عن ذلك حتى أرسلهم، فقال له حكيم: إنّ الله، هلكت والله يا عثمان!

فأعرض عنه وأرسل إلى عمران بن حصين وأبي الأسود الدؤلي، فذكر لهما قدوم القوم البصرة وحلولهم حفر أبي موسى، وسألهما المسير إليهم وخطابهم على ما قصدوا به، وكفّهم عن الفتنة، فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها:

يا أمّ المؤمنين! ما حملك على المسير؟ فقالت: غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا أغضب أن يقتل!

فقالا لها: وما أنت من سوط عثمان وعصاه وإنما أنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ نذكرك الله أن تُهراق الدماء بسببك. فقالت: وهل من أحد يقاثلني؟ فقال لها أبو الأسود: نعم والله قتالاً أهونه شديداً!

ثم خرجا من عندها، فدخلا على الزبير فقالا: يا أبا عبد الله! ننتشدك الله أن تُهراق الدماء بسببك! فقال لهما: ارجعا من حيث جئتما، لا تُفسدا علينا، فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له: ننتشدك الله أن تُهراق الدماء بسببك! فقال لهما طلحة: أياحبّ عليّ بن أبي طالب أنّه إذا غلب على أمر المدينة أنّ الأمر له، وأنّه لا أمر إلاّ أمره؟ والله ليعلمنّ، فانصرفا من حيث جئتما. فانصرفا من عنده إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر.

وروى ابن أبي سبرة عن عيسى بن أبي عيسى عن الشعبي أنّ أبا الأسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالوا لها: ما الذي أقدمك هذا البلد وأنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمرك أن تقرّي في بيتك؟ فقالت: غضبت لكم من السوط والعصا، ولا أغضب لعثمان من السيف! فقالا لها: ننتشدك الله أن تُهراق الدماء بسببك، وأن تحملي الناس بعضهم على بعض، فقالت لهما: إنّما جئت لأصلح بين الناس. وقالت لعمران بن

الحصين: هل أنت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة؟ فقال: لا أبلغه عنك إلا خيراً. فقال لها أبو الأسود: أنا أبلغه عنك فهاتي، قالت: قل له: يا طليق ابن أبي عامر بلغني أنك تريد لقائي لتقاتلني! فقال لها أبو الأسود: نعم والله ليقاتلتك. فقالت: وأنت أيضاً أيها الدؤلي؟! يبلغني عنك ما يبلغني، قم فانصرف عني.

فخرجوا من عندها إلى طلحة فقالوا له: يا أبا محمد! ألم يجتمع الناس إلى بيعة ابن عم رسول الله الذي فضله الله تعالى كذا وكذا؟ وجعلنا يعدان مناقب أمير المؤمنين ﷺ وفضائله وحقوقه، فوقع طلحة بعليّ ﷺ وسبّه ونال منه وقال: إنه ليس أحد مثله، أم والله ليعلمنّ غيب^(١) ذلك، فخرجوا من عنده وهما يقولان: غضب هذا النبي، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامهما لصاحبه، فوقع أيضاً في عليّ ﷺ وسبّه، وقال لقوم كانوا بمحضر منه: صبّحوهم قبل أن يمسوكم، فخرجوا من عنده حتى صاروا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر، فأذن عثمان للناس بالحرب^(٢).

٣٧٦- في الإمامة والسياسة: ذكروا أنّ طلحة والزبير لما نزلا بالبصرة، قال عثمان بن حنيف: نعدر إليهما برجلين، فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله، وأبا الأسود الدؤلي، فأرسلهما إلى طلحة والزبير، فذهبا إليهما فتاديا: يا طلحة! فأجابهما.

فتكلم أبو الأسود الدؤلي، فقال: يا أبا محمد! إنكم قتلتم عثمان غير مؤمرين لنا في قتله، وبايعتم علياً غير مؤمرين في بيعته، فلم تغضب لعثمان إذ قتل، ولم تغضب لعليّ إذ بويع، ثمّ بدا لكم، فأردتم خلع عليّ، ونحن على الأمر الأوّل، فعليكم المخرج ممّا دخلتم فيه.

ثمّ تكلم عمران، فقال: يا طلحة! إنكم قتلتم عثمان ولم تغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم علياً وبايعنا من بايعتم؛ فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا؟ وإن كان خطأ فحظّكم منه الأوفر، ونصيبكم منه الأوفى.

(١) غيب كل شيء: عاقبه (السان العرب: ١/٦٣٥).

(٢) الجمل: ٢٧٣ وراجع تاريخ الطبري: ٤/٤٦٢ - ٤٦٦ والكامل في التاريخ: ٢/٣١٦ وشرح

فقال طلحة: يا هذان! إن صاحبكما لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، وليس علي هذا بايعناه، وأيم الله ليسفكنّ دمه. فقال أبو الأسود: يا عمران! أما هذا فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك.

ثمّ أتيا الزبير فقالا: يا أبا عبد الله! إنّنا أتينا طلحة. قال الزبير: إنّ طلحة وإيّاي كروح في جسدين، وإنّ الله يا هذان، قد كانت ممّا في عثمان فلتات، احتجنا فيها إلى المعاذير، ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا نصرناه^(١).

٣٧٧- في شرح نهج البلاغة عن ابن عباس: إنّ الزبير وطلحة أغذا السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة، وكتبوا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري -وهو عامل عليّ عليه السلام على البصرة- أن أخل لنا دار الإمارة، فلمّا وصل كتابهما إليه بعث [إلى] ^(٢) الأحنف بن قيس فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله، والناس إليها سراع كما ترى.

فقال الأحنف: إنهم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه، وأراهم والله لا يُزايلون^(٣) حتى يُلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دمائنا، وأظنهم والله سيركبون منك خاصّة ما لا قبيل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة؛ فإنك اليوم الوالي عليهم، وأنت فيهم مطاع، فسبر إليهم بالناس، وبادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة؛ فيكون الناس لهم أطوع منهم لك.

فقال عثمان بن حنيف: الرأي ما رأيت، لكنني أكره الشرّ وأن أبدأهم به، وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به.

ثمّ أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وداعة، فأقرأه كتاب طلحة والزبير، فقال له مثل قول الأحنف، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف، فقال له

(١) الإمامة والسياسة: ٨٣/١.

(٢) ما بين المعترفين سقط من المصدر، وأثبتناه من الدرجات الرفيعة.

(٣) زاي لوهم: أي فارقوهم في الأطفال التي لأترضني الله ورسوله (النهاية: ٣٢٥/٢).

حكيم: فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلا نابتهم على سواء، فقال عثمان: لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي. قال حكيم: أما والله إن دخلوا عليك هذا المصير لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم، وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم، فأبى عليه عثمان^(١).

الحرب بين ابن حنيف وجيش عائشة

٣٧٨- في أنساب الأشراف: ونادى عثمان بن حنيف في الناس فتسلحوا، وأقبل طلحة والزبير وعائشة حتى دخلوا المربد ممّا يلي بني سليم، وجاء أهل البصرة مع عثمان ركبانا ومشاة، وخطب طلحة فقال: إن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة من المهاجرين الأولين، وأحدث أحداثاً نقمناها عليه، فبايناه ونافرناه، ثم أعتب حين استعتبناه، فعدا عليه امرؤ ابتزّ هذه الأمة أمرها بغير رضى ولا مشورة، فقتله، وساعده على ذلك رجال غير أبرار ولا أتقياء، فقتلوه بريئاً تائباً مسلماً، فنحن ندعوكم إلى الطلب بدمه؛ فإنه الخليفة المظلوم. وتكلم الزبير بنحوٍ من هذا الكلام.

فاختلف الناس فقال قائلون: نطقاً بالحق، وقال آخرون: كذبا ولهما كانا أشدّ الناس على عثمان!! وارتفعت الأصوات.

وأتي بعائشة على جملها في هودجها فقالت: صه صه^(٢)، فخطبت بلسان نلق وصوت جهوري فأسكت^(٣) لها الناس فقالت: إن عثمان خليفتم قتل مظلوماً بعد أن تاب إلى ربه، وخرج من ذنبه، والله ما بلغ من فعله ما يستحلّ به دمه؛ فينبغي في الحق أن يؤخذ قتلته فيقتلوا به، ويجعل الأمر شورى. فقال قائلون: صدقت. وقال آخرون: كذبت حتى تضاربوا بالنعال وتمايزوا، فصاروا فرقتين: فرقة مع عائشة وأصحابها،

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١١/٩؛ الدرجات الرفيعة: ٣٨١.

(٢) هي كلمة زجر تقال عند الإسكات بمعنى اسكت (النهاية: ٦٣/٣).

(٣) أسكت: أي أعرض ولم يتكلم. يقال: تكلم الرجل ثم سكت بغير ألف، فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم

قيل: أسكت (النهاية: ٣٨٣/٢).

وفرقه مع ابن حنيف، وكان على خيل ابن حنيف حكيم بن جبلة، فجعل يحمل ويقول:
 خيلي إلي إنَّها قريشٌ
 ليردينها نعيمها والطيشُ^(١)

وتأهبوا للقتال، فانتهروا إلى الزابوقة^(٢)، وأصبح عثمان بن حنيف، فزحف إليهم، فقاتلهم أشدَّ قتال، فكثرت بينهم القتلى، وفشت فيهم الجراح. ثمَّ إنَّ الناس تداعوا إلى الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة إلى قدوم عليّ على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة، وأنَّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة وبيت المال والمسجد، وأنَّ طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شاءوا، ثمَّ انصرف الناس وألقوا السلاح^(٣).

تصالح عثمان مع الناكثين وغدرهم به

٣٧٩- في الجمل: ثمَّ إنَّهم تداعوا إلى الصلح، ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به، فتصالحوا على أنَّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد وبيت المال، وطلحة والزبير وعائشة ما شاءوا من البصرة ولا يهاجون حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فإنَّ أحبوا عند ذلك الدخول في طاعته، وإنَّ أحبوا أن يقاتلوا، وكتبوا بذلك كتاباً بينهم، وأوثقوا فيه العهود وأكدها، وأشهدوا الناس على ذلك، ووُضع السلاح، وأمن عثمان بن حنيف على نفسه وتفرَّق الناس عنه^(٤).

٣٨٠- في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف - في بيان نصِّ معاهدة الصلح -: هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما! أنَّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر، وأنَّ لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة، ولا يضارَّ بعضهم

(١) كذا ورد في المصدر وعجز البيت مختل الوزن.

(٢) الزابوقة: موضع قريب من البصرة، كانت فيه وقعة الجمل (معجم البلدان: ٣/١٢٥).

(٣) أنساب الأشراف: ٣/٢٥ وراجع تاريخ الطبري: ٤/٤٦٣ والكامل في التاريخ: ٢/٣١٧.

(٤) الجمل: ٢٧٩ وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٥٠ وتاريخ خليفة بن خياط: ١٣٦.

بعضاً في طريق ولا فُرْضَة^(١) ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فإن أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة، وإن أحبّوا لحق كلّ قوم بهوهم وما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه، وأشدّ ما أخذه على نبيّ من أنبيائه من عهد وذمّة. وختم الكتاب، ورجع عثمان ابن حنيف حتى دخل دار الإمارة، وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم، وضعوا سلاحكم، وداووا جرحاكم، فمكثوا كذلك أيّاماً^(٢).

٣٨١- في مروج الذهب - في ذكر أصحاب الجمل - : فأتوا البصرة، فخرج إليهم عثمان ابن حنيف فمانعهم، وجرى بينهم قتال، ثمّ إنهم اصطلحوا بعد ذلك على كفّ الحرب إلى قدوم عليّ.

فلما كان في بعض الليالي بيّتوا عثمان بن حنيف، فأسروه وضربوه وנתقوا لحيته، ثمّ إنّ القوم استرجعوا وخافوا على مخلفيهم بالمدينة من أخيه سهل بن حنيف وغيره من الأنصار، فخلّوا عنه.

وأرادوا بيت المال، فمانعهم الخزّان والموكّلون به وهم السبّابجة^(٣)، فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر، وهؤلاء أوّل من قُتل ظلماً في الإسلام وصبراً.

وقتلوا حُكَيْم بن جَبَلَة العبدي، وكان من سادات عبدالقيس، وزهّاد ربيعة ونسّاكها^(٤).

٣٨٢- في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: ثمّ إنّ طلحة والزبير قالوا: إن قدم عليّ ونحن على هذه الحال من القلّة والضعف ليأخذنّ بأعناقنا، فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب، فأرسلنا إلى وجوه الناس وأهل الرياسة والشرف يدعوانهم إلى

(١) الفُرْضَة : المُشْرَعَة (لسان العرب : ٢٠٦/٧).

(٢) شرح نهج البلاغة : ٣١٩/٩.

(٣) السبّابجة : قوم من السند كانوا بالبصرة حرّاس السجن (الصحاح : ٣٢١/١).

(٤) مروج الذهب : ٣٦٧/٢ وراجع الكافّة : ١٧/١٧.

الطلب بدم عثمان وخلع عليّ وإخراج ابن حنيف من البصرة، فبايعهم علي ذلك الأزدي وضبة وقيس بن عيلان كلّها إلا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي، فلم يأتيهم، فجاءه طلحة والزبير إلى داره، فتوارى عنهما، فقالت له أمّه: ما رأيت مثلك! أتاك شيخا قريش، فتواريت عنهما، فلم تزل به حتى ظهر لهما، وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلّهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع؛ فإنّ عامتهم كانوا شيعة لعليّ عليه السلام، وبايعهم بنو دارم كلّهم إلا نفرًا من بني مجاشع ذوي دين وفضل. فلمّا استوسق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب، فانتهاوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان ليصليّ بهم، فأخّره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير^(١).

٣٨٣ - في تاريخ الطبري عن الزهري - في ذكر أصحاب الجمل - : فقدموا البصرة وعليها عثمان بن حنيف، فقال لهم عثمان: ما نعمتم علي صاحبكم؟

فقالوا: لم نره أولى بها منّا، وقد صنع ما صنع.

قال: فإنّ الرجل أمرني، فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له، علي أن أصليّ بالناس حتى يأتينا كتابه، فوقفوا عليه وكتب.

فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق^(٢)، فظهروا وأخذوا عثمان، فأرادوا قتله، ثمّ خَشُوا غضب الأنصار، فنالوه في شعره وجسده^(٣).

٣٨٤ - في أنساب الأشراف عن أبي مخنف: صاروا [أهل البصرة] فرقتين: فرقة مع عائشة وأصحابها، وفرقة مع ابن حنيف... وتأهبوا للقتال، فانتهاوا إلى الزابوقة، وأصبح عثمان بن حنيف، فزحف إليهم، فقاتلهم أشدّ قتال، فكثرت بينهم القتلى، وفشت فيهم الجراح.

(١) شرح نهج البلاغة: ٣٢٠ / ٩؛ الدرجات الرفيعة: ٣٨٦.

(٢) هي إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يخطّها المسلمون (معجم البلدان: ٤١/٣).

(٣) تاريخ الطبري: ٤٦٩ / ٤، الكامل في التاريخ: ٣١٩ / ٢ وراجع تاريخ اليعقوبي: ١٨١ / ٢.

ثمَّ إنَّ الناسَ تداعوا إلى الصلح، فكتبوا بينهم كتاباً بالموادعة إلى قدوم عليّ، على أن لا يعرض بعضهم لبعض في سوق ولا مشرعة، وأنَّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة وبيت المال والمسجد، وأنَّ طلحة والزبير ينزلان ومن معهما حيث شأوا، ثمَّ انصرف الناس وألقوا السلاح.

وتناظر طلحة والزبير، فقال طلحة: والله لئن قدم عليّ البصرة ليأخذنَّ بأعناقنا، فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطأ أصحابهما على ذلك، حتى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاؤوا إلى ابن حنيف وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة فأخذوه وأمروا به فوطئ وطئاً شديداً، وبتفوا لحيته وشاربيه، فقال لهما: إنَّ سهلاً حيّ بالمدينة والله لئن شاكني شوكة ليضعنَّ السيف في بني أبيكما؛ يخاطب بذلك طلحة والزبير، فكفّا عنه وحبساه.

وبعثا عبدالله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال وعليه قوم من السباجة يكونون أربعين، ويقال: أربعمائة، فامتنعوا من تسليمه دون قدوم عليّ، فقتلوهم ورئيسهم أباسلمة الزُّطّي، وكان عبداً صالحاً^(١).

٣٨٥- في الجمل - في ذكر ما حدث بعد مصالحة عثمان بن حنيف وأصحاب الجمل :- طلب طلحة والزبير عُذْرَتَهُ، حتى كانت ليلة مظلمة ذات رياح، فخرج طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة وعثمان بن حنيف غافل عنهم، وعلى الباب السباجة يحرسون بيوت الأموال - وكانوا قوماً من الزُّطّ^(٢) قد استبصروا وأكل السجود جباههم، وائتمنهم عثمان على بيت المال ودار الإمارة - فأكبّ عليهم القوم وأخذوهم من أربع جوانبهم، ووضعوا فيهم السيف، فقتلوا منهم أربعين رجلاً صبراً! يتولّى منهم ذلك الزبير خاصّة، ثمَّ هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً، وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخاً كثّ اللحية - فنتفوها حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة.

(١) أنساب الأشراف: ٢٦/٣ وراجع تاريخ الطبري: ٤/٤٦٤ و ص ٤٦٧ و ٥٠٦ والكامل في التاريخ:

٣١٨/٢.

(٢) الزُّطّ: جنس من السودان والهنود (النهاية: ٢/٣٠٢).

وقال طلحة: عذبوا الفاسق، وانتفوا شعر حاجبيه، وأشفا عيني، وأوثقوه بالحديد! (١)
 ٢٨٦- في الإمامة والسياسة: ذكروا أنه لما اختلف القوم اصطالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة ومسجدها وبيت المال، وأن ينزل أصحابه حيث شاؤوا من البصرة، وأن ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤوا حتى يقدم علي؛ فإن اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإن يتفرقوا يلحق كل قوم بأهوائهم، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه، وذمة نبيه، وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً.
 فانصرف عثمان، فدخل دار الإمارة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنزلهم، ويضعوا سلاحهم، وافترق الناس... فمكث عثمان بن حنيف في الدار أياماً، ثم إن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم - في ليلة مظلمة سوداء مطيرة - وعثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس، فخرج عثمان بن حنيف، فشد عليه مروان فأسرّه، وقتل أصحابه (٢).

عائشة تحاول قتل ابن حنيف وأصحابه

٣٨٧- في تاريخ الطبري عن سهل بن سعد: لما أخذوا عثمان بن حنيف، أرسلوا أبا بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه. فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبه لرسول الله ﷺ! قالت: ردوا أبا بن، فردوه.
 فقالت: احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع. فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته. فضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفا عيني وحبسوه (٣).
 ٣٨٨- في الجمل: قال طلحة والزبير لعائشة [بعدما أخذ عثمان بن حنيف]: ما تأمرين في عثمان؟ فإنه لما به.

(١) الجمل: ٢٨١.

(٢) الإمامة والسياسة: ٨٨/١.

(٣) تاريخ الطبري: ٤٦٨/٤، الكامل في التاريخ: ٣١٩/٢ نحره.

فقالت: اقتلوه قتله الله! وكانت عندها امرأة من أهل البصرة فقالت لها: يا أمّاه! أين يُذهَب بك؟! أتأمرين بقتل عثمان بن حنيف، وأخوه سهل خليفة علي المدينة، ومكانه من الأوس والخزرج ما قد علمت! والله، لئن فعلت ذلك لتكوننّ له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش.

فنبأ إلى عائشة رأيها وقالت: لا تقتلوه، ولكن احبسوه وضيّقوا عليه حتى أرى رأيي.

فحبس أياماً ثمّ بدالهم في حبسه، وخافوا من أخيه أن يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم، فتركوا حبسه^(١)..

٣٨٩- في تاريخ الطبري عن الزهري: قام طلحة والزبير خطيبين فقالا: يا أهل البصرة! توبة بحوية، إنّما أردنا أن يُستعتب أمير المؤمنين عثمان، ولم نرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه.

فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد، قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: فهل جاءكم منّي كتاب في شأنه؟ ثمّ ذكر قتل عثمان وما أتى إليه وأظهر عيب عليّ. فقام إليه رجل من عبدالقيس فقال: أيّها الرجل! أنصت حتى نتكلّم، فقال عبدالله بن الزبير: وما لك وللكلام؟ فقال العبدي:

يامعشر المهاجرين، أنتم أوّل من أجاب رسول الله ﷺ، فكان لكم بذلك فضل، ثمّ دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلمّا توفّي رسول الله ﷺ بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عزّ وجلّ للمسلمين في إمارته بركة، ثمّ مات واستخلف عليكم رجلاً منكم فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلّمنا، فلمّا توفّي الأمير جعل الأمر إلى ستّة نفر، فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منّا؛ ثمّ أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منّا، ثمّ بايعتم عليّاً عن غير مشورة منّا، فما الذي تقمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بغيء؟ أو عمل بغير

الحق؟ أو عمل شيئاً تُنكرونه فنكون معكم عليه؟ وإلا فما هذا؟ فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً^(١).

رأي أبي بكر بعائشة

٣٩٠- في صحيح البخاري عن أبي بكر^(٢): لقد نفعتني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال: «لن يُفْلِح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(٣).

٣٩١- في المستدرک علی الصحیحین عن أبي بكر: لما كان يوم الجمل أردت أن آتيهم أقاتل معهم حتى ذكرت حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ أنه بلغه أن كسرى أو بعض ملوك الأعاجم مات، فولّوا أمرهم امرأة، فقال رسول الله ﷺ: «لا يُفْلِح قوم تملكهم امرأة»^(٤).

وصول أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة

٣٩٢- في الإرشاد - من كلامه عليه السلام حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرّضهم على الجهاد:-

- (١) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٩، الكامل في التاريخ: ٢/٣٢٠ وراجع أنساب الأشراف: ٣/٢٨.
- (٢) أبو بكر هو الذي كان يحث الأحنف بن قيس على الاعتزال وينهاه عن الوقوف إلى جانب الامام علي عليه السلام، استناداً إلى الحديث النبوي: «إذا تواجه المسلمان بسيفيها فكلاهما من أهل النار» (صحيح البخاري: ٦/٢٥٩٤/٦٧٢).
- لكنه شخصياً كان يميل إلى نصره عائشة، غير أنه بعد ذكر هذا الحديث اعتزل الفريقين.
- نقل ابن حجر عن ابن التين: كلام أبي بكر يدل على أنه لولا عائشة لكان مع طلحة والزبير؛ لأنه لو تبين له خطأهما لكان مع علي (فتح الباري: ١٣/٥٦).
- (٣) صحيح البخاري: ٦/٢٦٠٠/٦٦٨٦، السنن الكبرى: ٣/١٢٧/٥١٢٨، البداية والنهاية: ٦/٢١٢؛ العمدة: ٤٥٤/٩٤٨ كلّها نحوه، بحار الأنوار: ٣٢/١٩٤/١٤٣.
- (٤) المستدرک علی الصحیحین: ٤/٥٧٠/٨٥٩٩، شرح نهج البلاغة: ٦/٢٧٧؛ الجمل: ٢٩٧ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٣٢/٢١٢/١٦٨.

عباد الله! انهدوا^(١) إلى هؤلاء القوم منشرحةً صدوركم بقتالهم، فإنّهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة، وقتلوا السبابجة^(٢) وقتلوا حكيم بن جبلة العبيدي وقتلوا رجالاً صالحين، ثمّ تتبّعوا منهم من نجا يأخذونهم في كلّ حائط وتحت كلّ رابية، ثمّ يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً، ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟!

انهدوا إليهم وكونوا أشدّاء عليهم، والقوهم صابرين محتسبين، تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم، وقد وطّنتم أنفسكم على الطعن الدعسي^(٣) والضرب الطلخفي^(٤) ومبارزة الأقران، وأيّ امرئ منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً، فليذّب عن أخيه الذي فضّل عليه كما يذّب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله^(٥).

٣٩٣- في مروج الذهب عن المنذر بن الجارود: لما قدم عليّ عليه السلام البصرة دخل ممّا يلي الطّف - إلى أن قال - : فساروا حتى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات، وعقر خديّه على التراب، وقد خالط ذلك دموعه، ثمّ رفع يديه يدعو:

اللهم ربّ السموات وما أظلت والأرضين وما أقلت، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرّها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إنّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبعغوا عليّ ونكثوا بيعتي، اللهم احقن دماء المسلمين^(٦).

(١) نَهَدَ القوم لعدوّهم: إذا صمدوا له وشرعوا في قتاله (النهاية: ٥ / ١٣٤).

(٢) كذا في المصدر، والظاهر أنّ الصحيح: «السّبابجة» كما في بقية المصادر.

والسّبابجة: كانوا قوماً من الرُّطّ قد استبصروا وأكل السجود جباههم واثمنهم عثمان [بن حنيف] على بيت المال ودار الإمارة (الجمل: ٢٨١).

(٣) الدّعسيّ: الطعن الشديد (لسان العرب: ٦ / ٨٣).

(٤) الطلّخف والطلّخف والطلّخف: الشديد من الضرب والطعن (لسان العرب: ٩ / ٢٢٣).

(٥) الإرشاد: ١ / ٢٥٢، بحار الأنوار: ٣٢ / ١٧١ / ١٣١ وراجع الجمل: ٣٣١.

(٦) مروج الذهب: ٢ / ٣٦٨ و ٣٧٠.

الصلح قبل الحرب

قيل إنه عندما تحرّك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع قوّاته من ذي قار، بعث صَعْصَعَةَ ابن صُوحان إلى طلحة والزبير وعائشة، ومعه كتاب تحدّث فيه عن إثارتهم للفتنة، وذكر فيه موقفهم الحاقد الماكر من عثمان بن حنيف، وحذّرهم من مغبّة عملهم، وعاد صعصعة فأخبره قائلاً: «رأيتُ قوماً ما يريدون إلّا قتالك»^(١).

وتأهّبت قوّات الطرفين للحرب، بيد أنّ الإمام سلام الله عليه منع أصحابه من أن يبدؤوهم بقتال، وحاول في بادئ أمره أن يردع أولي الفتنة عن الحرب. وإنّ حديثه عليه السلام مع قادة جيش الجمل، ومع الجيش نفسه يجلب الانتباه^(٢). وبذل قصارى جهوده في سبيل المحافظة على الهدوء، والحوّول دون اشتعال نار الحرب، فبعث إلى قادة الجيش رسائل يحثّهم فيها على عدم الاصطدام^(٣)، ثمّ أوفد مبعوثيه للتفاوض معهم^(٤). ولمّا لم تثمر جهوده شيئاً، ذهب بنفسه إليهم^(٥). ونلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد ترجم لنا في تلك الرسائل والمحاورات شخصيّته وأبان عظيم قدره، وأماط اللثام عن الموقف السابق الذي كان عليه مساعير الحرب، وتحدّث مرّة أخرى عن قتل عثمان وكيفيّته بدقّة تامّة، وكشف أبعاد ذلك الحادث، وأغلق على مثيري الفتنة تشبّثهم بالمعاذير الواهية. ولمّا وجد ذلك عقيماً وتأهّب الفريقان للقتال، أوصى عليه السلام أصحابه بمُلك أنفسهم والمحافظة على الهدوء، وقال: «لا تعجلوا حتى أعذّر إلى القوم...». فقام إليهم فاحتجّ عليهم فلم يجد عند القوم إجابة.

(١) الجمل: ٣١٣ و ٣١٤ وراجع الأخبار الطوال: ١٤٧.

(٢) قرب الإسناد: ٣٢٧/٩٦، تفسير العياشي: ٢/٧٧/٢٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٤، كشف الغمّة: ١/٢٣٩؛ الإمامة والسياسة: ١/٩٠، الفتوح: ٢/٤٦٥.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٣١؛ البيان والتبيين: ٣/٢٢١.

(٥) تاريخ الطبري: ٤/٥٠٨ و ٥٠٩، الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٤ و ٣٣٥، مسند أبي يعلى:

١/٣٢٠/٦٦٢، مروج الذهب: ٢/٣٧١.

وبعد اللتيا والتي، بعث ابن عباس ثانية من أجل التفاوض الأخير؛ لعلّه يردعهم عن الحرب؛، لئلا تُسفك دماء المسلمين هدرًا، بيد أنّ القوم حُتم على سماعهم، فلم يصغوا إلى رسول الإمام، كما لم يصغوا إلى الإمام ﷺ من قبل^(١). وقد كان لعائشة وعبدالله بن الزبير خاصّة الدور الأكبر في ذلك.

محاولة أمير المؤمنين عليه السلام لحقن الدماء

٣٩٤- في الأخبار الطوال: أقام عليّ ﷺ ثلاثة أيّام يبعث رسله إلى أهل البصرة، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فلم يجد عند القوم إجابة^(٢).

٣٩٥- في الجمل: لمّا سار أمير المؤمنين ﷺ من ذي قار قدّم صعصعة بن صوحان بكتاب إلى طلحة والزبير وعائشة، يعظّم عليهم حرمة الإسلام، ويخوّفهم فيما صنعوه، ويذكر لهم قبيح ما ارتكبه من قتل من قتلوا من المسلمين، وما صنعوا بصاحب رسول الله ﷺ عثمان بن حنيف، وقتلهم المسلمين صبرًا، ويعظّم ويدعوهم إلى الطاعة.

قال صعصعة: فقدمت عليهم فبدأت بطلحة فأعطيته الكتاب وأدّيت إليه الرسالة، فقال: الآن؟! حين عضّت ابن أبي طالب الحرب يرفق لنا!

ثمّ جئتُ إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثمّ جئتُ إلى عائشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ، فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان، والله لأفعلنّ وأفعلنّ!

فعدت إلى أمير المؤمنين ﷺ فلقيته قبل أن يدخل البصرة، فقال: ما وراءك يا صعصعة؟

قلت: يا أمير المؤمنين، رأيت قوماً ما يريدون إلاّ قتالك!

فقال: الله المستعان.

(١) الجمل: ٣٣٦ - ٣٣٨.

(٢) الأخبار الطوال: ١٤٧.

ثمّ دعا عبدالله بن عباس فقال: انطلق إليهم فناشدهم وذكرهم العهد الذي لي في رقابهم^(١).

٣٩٦- قال الإمام علي عليه السلام - من كتاب له إلى طلحة والزبير -: أمّا بعد، فقد علمتُما وإن كتمتُما، أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أباعهم حتى بايعوني. وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتُماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتُماني كارهين، فقد جعلتُما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة، وإسراركما المعصية. ولعمري، ما كنتما بأحقّ المهاجرين بالتقيّة والكتمان، وإنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلت فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وقد زعمتُما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثمّ يلزم كلّ امرئٍ بقدر ما احتمل. فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما، فإنّ الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يتجمّع العار والنار، والسلام^(٢).

٣٩٧- عنه عليه السلام - في كتابه إلى عائشة قبل الحرب -: أمّا بعد، فإنك خرجتِ غاضبة لله ولرسوله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ما بال النساء والحرب والإصلاح بين الناس؟ تطلبين بدم عثمان، ولعمري لمن عرضك للبلاء، وحملك على المعصية، أعظم إليك ذنباً من قتل عثمان! وما غضبتِ حتى أغضبتِ، وما هجتِ حتى هيّجتِ، فانّقي الله وارجعي إلى بيتك^(٣).

٣٩٨- في الجمل عن صفوان: لما تصافّ الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: يا معاشر شباب قريش! أراكم قد لججتم وغلبتم

(١) الجمل: ٣١٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٤، كشف الغمّة: ٢٣٩/١؛ الإمامة والسياسة: ٩٠/١، الفتوح: ٤٦٥/٢، كلّها نحوه.

(٣) الإمامة والسياسة: ٩٠/١، الفتوح: ٤٦٥/٢، المناقب للخوارزمي: ٢٢٣/١٨٤؛ كشف الغمّة: ٢٣٩/١، المناقب لابن شهر آشوب: ١٥٢/٣، كلّها نحوه.

على أمركم هذا، وإنِّي أنشدكم الله أن تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا أنفسكم، اتقوا الأشر النخعي وجندب بن زهير العامري، فإنَّ الأشر نشر درعه حتى يعفو أثره، وإنَّ جندباً يخرم درعه حتى يشمّر عنه، وفي رايته علامة حمراء، فلما التقى الناس أقبل الأشر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح حتى قتلا عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد ومعبد ابن زهير بن خلف بن أمية، وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال: أتركك لعائشة...

وروى محمد بن موسى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: سمعت معاذ بن عبيدالله التميمي، وكان قد حضر الجمل يقول: لما التقينا واصطفقنا نادي منادي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام: يا معاشر قريش! اتقوا الله على أنفسكم، فإنِّي أعلم أنكم قد خرجتم وظننتم أنّ الأمر لا يبلغ إلى هذا، فإله الله في أنفسكم! فإنَّ السيف ليس له بقاء، فإن أحببتهم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء القوم، وإن أحببتهم فإليّ فإنكم آمنون بأمان الله. فاستحيينا أشدّ الحياء وأبصرنا ما نحن فيه، ولكنّ الجفاظ^(١) حملنا على الصبر مع عائشة حتى قُتل من قُتل منّا، فوالله، لقد رأيت أصحاب عليّ عليه السلام وقد وصلوا إلى الجمل وصاح منهم صائح: إعقروه، فعقروه فوق، فنادى عليّ عليه السلام: «من طرح السلاح فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن». فوالله ما رأيت أكرم عفواً منه.

وروى سليمان بن عبدالله بن عويمر الأسلمي قال: قال ابن الزبير: إنني لواقف في يمين رجل من قريش إذ صاح صائح: يا معاشر قريش! أهدركم الرجلين: جندباً العامري والأشر النخعي. وسمعت عمّاراً يقول لأصحابنا: ما تريدون وما تطلبون؟ فنادينا: نطلب بدم عثمان، فإن خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم. فقال عمّار: لو سألتمونا أن ترجعوا عنّا بنس الفحل، فإنه الأم الغنم فحلاً وشرّها لجماً ما أعطيناكموه. ثمّ التحم القتال وناديناهم: مكّنونا من قتلة عثمان ورجع عنكم. فنادانا عمّار: قد فعلنا، هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشاً، فايدؤوا بهم، فإذا فرغتم منهم

(١) الجفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، والأسم الحفيظة. والحفاظ: المحافظة على العهد. (لسان العرب: ٧/٤٤٢).

تعالوا إلينا نبذل لكم الحقّ. فأسكت والله أصحاب الجمل كلهم^(١).

٣٩٩- في تاريخ الطبري عن القاسم بن محمّد: خرج غلام شابّ من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أمّا أنت يا زبير فحواريّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك، وأرى أمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالوا: لا، قال: فما أنا منكما في شيء، واعتزل. وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدمتم أممكم	هذا لعمرك قلة الإنصاف
أمرت بجرّ ذيولها في بيتها	فهوت تشقّ البيد بالإيجاف ^(٢)
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها	بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها	هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمّد بن طلحة - وكان محمّد رجلاً عابداً - فقال:

أخبرني عن قتلة عثمان!

فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة الهدج - يعني عائشة - وثلث

على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - وثلث على عليّ بن أبي طالب.

وضحك الغلام وقال: ألا أراني على ضلال؟! ولحق بعليّ، وقال في ذلك شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالك	بجوف المدينة لم يقبر
فقال: ثلاثة رهط هم	أماتوا ابن عفان واستعبر
فثلث على تلك في خدرها	وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالب	ونحن بدوية قرقر
فقلت: صدقت على الأولين	وأخطأت في الثالث الأزهر ^(٣)

(١) الجمل: ٣٦٤ وراجع تاريخ اليعقوبي: ١٨٣/٢ وأنساب الأشراف: ٥٧/٣ والأخبار الطوال: ١٥١.

(٢) الإيجاف: سُرعَة السَّير، وقد أُوجِفَ دَابَّتُهُ يُوجِفُهَا إِيْجَافاً، إِذَا حَثَّهَا (النهاية: ١٥٧/٥).

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٥، الكامل في التاريخ: ٣١٨/٢ وفيه إلى «والكافي» وراجع تاريخ المدينة:

١١٧٣/٤ والإمامة والسياسة: ٨٤/١.

محاولة مع الزبير

٤٠٠ - في البيان والتبيين عن عبد الله بن مصعب: أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال له:

ايت الزبير ولا تأت طلحة فإن الزبير ألين، وإنك تجد طلحة كالثور عاقصاً^(١) قرنه، يركب الصعوبة ويقول: هي أسهل، فأقرئه السلام، وقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدالك؟ قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحباً يا ابن لبابة، أزائراً جئت أم سفيراً؟ قلت: كلّ ذلك. وأبلغته ما قال عليّ.

فقال الزبير: أبلغه السلام وقل له: بيننا وبينك عهد خليفة، ودم خليفة، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد، وأمّ مبرورة، ومشاورة العشيرة، ونشر المصاحف، فنحلّ ما أحلّت، ونحرّم ما حرّمت^(٢).

محاولة مع عائشة

٤٠١ - في الفتوح: فلما كان من الغد دعا عليّ رضي الله عنه زيد^(٣) بن صوحان وعبد الله بن عباس، فقال لهما:

امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟ فخذعت وانخدعت، واستنفرت فنفرت، فاتقى الله الذي إليه مرجعك ومعادك، وتوبي إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بك إلى النار.

(١) العَقِصُ: الألوى الصعْبُ الأخلاقِ، تشبيهاً بالقرن المُلتوي (النهاية: ٢٧٦/٣).

(٢) البيان والتبيين: ٢٢١/٣، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٩٥/١، العقد الفريد: ٣١٤/٣ وراجع نهج البلاغة: الخطبة ٣١.

(٣) في المصدر: «يزيد»، والصحيح ما أثبتناه.

قال: فانطلقا إليها وبلغاها رسالة علي عليه السلام، فقالت عائشة: ما أنا برادة عليكم شيئاً فإنني أعلم أنني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب؛ فرجعا إليه وأخبراه بالخبر^(١).

٤٠٢ - في تاريخ الطبري عن القاسم بن محمد: أقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين! والله، لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك، وإن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس^(٢).

٤٠٣ - في المحاسن والمساوي عن الحسن البصري: إن الأحنف بن قيس قال لعائشة يوم الجمل: يا أم المؤمنين هل عهد عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المسير؟ قالت: اللهم لا. قال: فهل وجدته في شيء من كتاب الله جلّ ذكره؟ قالت: ما نقرأ إلا ما تقرؤون. قال: فهل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بشيء من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة؟ قالت: اللهم لا. قال الأحنف: فإذا ما هو ذنبنا؟!^(٣)

٤٠٤ - في فتح الباري عن الحسن: إن عائشة أرسلت إلى أبي بكر فقال: إنك لأمّ، وإن حقك لعظيم، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لن يفلح قوم تملكهم امرأة^(٤).

٤٠٥ - في مروج الذهب: قام عمّار بن ياسر بين الصقيين فقال: أيها الناس! ما أنصفتم نبيكم حين كففتهم عقائلكم في الخدور وأبرزتم عقيلته للسيوف، وعائشة على جمل في هودج من دقوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع، فدنا عمّار من موضعها، فنادى: إلى ماذا تدعين؟ قالت: إلى الطلب بدم عثمان، فقال: قاتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق، ثم قال: أيها

(١) الفتح: ٤٦٧/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٤٦٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣١٨، الإمامة والسياسة: ١/٨٨، البداية والنهاية: ٧/٢٣٣ وفيه «حارثة» بدل «جارية» وكلاهما نحوه.

(٣) المحاسن والمساوي: ٤٩.

(٤) فتح الباري: ١٣/٥٦.

الناس! إنكم لتعلمون أينا المماليء في قتل عثمان^(١).

٤١٦ - في مجمع الزوائد عن سعيد بن كوز: كنت مع مولاي يوم الجمل، فأقبل فارس فقال: يا أم المؤمنين، فقالت عائشة: سلوه من هو؟ قيل: من أنت؟ قال: أنا عمّار بن ياسر، قالت: قولوا له: ما تريد؟ قال: أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسول الله ﷺ في بيتك، أتعلمين أن رسول الله ﷺ جعل علياً وصياً على أهله، وفي أهله؟ قالت: اللهم نعم. قال: فما لك؟ قالت: أطلب بدم عثمان أمير المؤمنين. قال: فتكلم.

ثم جاء فوارس أربعة فهتف بهم رجل منهم. ثم قال: تقول عائشة: ابن أبي طالب ورب الكعبة، سلوه من هو؟ ما يريد؟ قالوا: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب.

قالت: سلوه ما يريد؟

قالوا: ما تريد؟

قال: أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسول الله ﷺ في بيتك، أتعلمين أن رسول الله ﷺ جعلني وصياً على أهله، وفي أهله؟ قالت: اللهم نعم.

قال: فما لك؟

قالت: أطلب بدم أمير المؤمنين عثمان!

قال: أريني قتلة عثمان!! ثم انصرف والتحم القتال^(٢).

٤١٧ - في المحاسن والمسائى عن سالم بن أبي الجعد: فلما كان حرب الجمل أقيمت [عائشة] في هودج من حديد وهي تنظر من منظر قد صير لها في هودجها، فقالت لرجل من ضبّة وهو آخذ بخطام جملها أو بعيرها: أين ترى علي بن أبي طالب؟ قال: ها هو ذا واقف رافع يده إلى السماء، فنظرت فقالت: ما أشبهه بأخيه!

(١) مروج الذهب: ٢ / ٣٧٠.

(٢) مجمع الزوائد: ٧ / ٤٧٩ / ١٢٠٣٨ وراجع الايضاح: ٧٧ وسعد السعود: ٢٣٧.

قال الضبّي: ومن أخوه؟

قالت: رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فلا أراني أقاتل رجلاً هو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله. فنبت خطام راحلتها من يده ومال

إليه^(١).

قد أعذر من أنذر

٤٠٨ - في الأمالي للطوسي عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي: لما رجعت رسل أمير

المؤمنين عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة، يؤذنونه بالحرب، قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، ثم قال:

يا أيها الناس! إنّي قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرعوا أو يرجعوا، وقد وبّختهم بنكتهم وعزّفتهم بغيهم، فليسوا يستجيبون، ألا وقد بعثوا إليّ أن أبرز للطعان، أصبر للجلاء، فإنّما منّتك نفسك من أبنائنا الأباطيل، هبّلتهم الهبول^(٢)، قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما وعدني ربّي من النصر والتأييد والظفر، وإنّي لعلّى يقين من ربّي، وفي غير شبهة من أمرى.

أيها الناس! إنّ الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، من لم يمت يُقتل، إنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من موت علي فراش!

يا عجبا لطلحة! ألب علي ابن عقان حتى إذا قُتل أعطاني صفقة يمينه طائعاً، ثم نكت بيعتي، وطفق ينعي ابن عقان ظالماً، وجاء يطلبني يزعم بدمه، والله، ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عقان ظالماً، كما كان يزعم حين حصره وألب عليه، إنّه لينبغي أن يوازر قاتليه وأن ينادي ناصرته، وإن كان في تلك الحال مظلوماً، إنّه

(١) المحاسن والمساوي: ٤٩.

(٢) هبّلتهم الهبول: أي نكّلتهم التّكول؛ وهي من النساء التي لا يبقى لها ولّد (النهاية: ٥ / ٢٤٠).

لينبغي أن يكون معه، وإن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي أن يعتزله ويلزم بيته ويدع الناس جانباً، فما فعل من هذه الخصال واحدة، وها هو ذا قد أعطاني صفقة يمينه غير مرّة ثم نكث بيعته، اللهم فخذها ولا تمهله.

ألا وإنّ الزبير قطع رحمي وقرابتي، ونكث بيعتي، ونصب لي الحرب، وهو يعلم أنّه ظالم لي، اللهم فاكفنيه بما شئت^(١).

اعتزال الزبير للحرب

٤١٩- في مروج الذهب: خرج عليّ بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله ﷺ لا سلاح عليه، فنادى: يا زبير، اخرج إليّ، فخرج إليه الزبير شاكاً في سلاحه، فقيل ذلك لعائشة، فقالت: وا ثلك يا أسماء، فقيل لها: إنّ علياً حاسر، فاطمأنت. واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه.

فقال له عليّ: ويحك يا زبير! ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان، قال: قتل الله أولانا بدم عثمان، أما تذكر يوم لقيت رسول الله ﷺ في بني بياضة وهو راكب حماره، فضحك إليّ رسول الله، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله، ما يدع عليّ زهو.

فقال لك: ليس به زهو، أتعبه يا زبير؟

فقلت: إني والله لأحبه.

فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم.

فقال الزبير: أستغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت.

فقال له ﷺ: يا زبير، ارجع، فقال: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان^(٢)؟ هذا

والله العار الذي لا يغسل.

(١) الأمالي للطوسي: ١٦٩/ ٢٨٤ وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٧٤.

(٢) البطان: الحزام الذي يلي البطن. وأيضاً: حزام الرّجل والقنّب (لسان العرب: ١٣/ ٥٦).

فقال عليه السلام: يا زبير، ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار.

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نارٍ مؤجَّجة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى عليّ بأمرٍ لست أجهله عارٍ لعمرٍك في الدنيا وفي الدين

فقلت: حسبك من عدل أياحسن فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني.

فقال ابنه عبدالله: أين تذهب وتدعنا؟ فقال: يا بني، أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته، فقال: لا والله، ولكنك فررت من سيوف بني عبدالمطلب؛ فإنها طوال حداد، تحملها فتية أنجاد، قال: لا والله، ولكني ذكرت ما أنسانيه الدهر، فاخترت العار على النار، أبالجبن تعيرني لا أباك؟ ثمّ أمال سنانه وشدّ في الميمنة.
فقال عليّ: افرجوا له فقد هاجود.

ثمّ رجع فشدّ في الميسرة، ثمّ رجع فشدّ في القلب، ثمّ عاد إلى ابنه، فقال: أيفعل هذا جبان؟ ثمّ مضى منصرفاً^(١).

٤١٠- في تاريخ الطبري عن الزهري: خرج عليّ على فرسه، فدعا الزبير، فتواقفا، فقال

عليّ للزبير: ما جاء بك؟

قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً، ولا أولى به منّا.

فقال عليّ عليه السلام: لست له أهلاً بعد عثمان! قد كنّا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك. وعظّم عليه أشياء، فذكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله مرّ عليهما فقال لعليّ عليه السلام: ما يقول ابن عمّتك؟ ليقاتلنك وهو لك ظالم.
فانصرف عنه الزبير، وقال: فإنّي لا أقاتلك.

فرجع إلى ابنه عبدالله فقال: ما لي في هذه الحرب بصيرة، فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة، ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب، وعرفت أنّ تحتها الموت،

(١) مروج الذهب: ٣٧١/٢ وراجع أنساب الأشراف: ٥١/٣ والفتوح: ٤٦٩/٢ والإمامة والسياسة:

٩٢/١ والمنابح للخوارزمي: ٢١٦/١٧٩ وتاريخ يعقوبي: ١٨٢/٢.

فجبتت. فأحفظه^(١) حتى أُرعد و غضب، وقال: ويحك! إني قد حلفت له ألا أقاتله، فقال له ابنه: كَفَّر عن يمينك بعثق غلامك سرجس، فأعتقه، وقام في الصفِّ معهم.
وكان عليّ قال للزبير: أتطلب متي دم عثمان وأنت قتلتته؟! سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره^(٢).

٤١١ - في تاريخ الطبري عن قتادة: سار عليّ من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا من الفرضة يريدون عليّاً، فالتقوا عند موضع قصر عبيدالله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ستّ وثلاثين يوم الخميس، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعليّ: هذا الزبير، قال: أما إنّه أحرى الرجلين إن نكّر بالله أن يذكره، وخرج طلحة، فخرج إليهما عليّ فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابّهم، فقال عليّ: لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً، إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه، ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوّة أنكثاناً، ألم أكن أخاكما في دينكما؟ تحرّمان دمي وأحرّم دماءكما! فهل من حديثٍ أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألبت الناس على عثمان، قال عليّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٣) يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان^(٤).

٤١٢ - في شرح نهج البلاغة: برز عليّ عليه السلام يوم الجمل، ونادى بالزبير: يا أبا عبد الله، مراراً، فخرج الزبير، فتقاربا حتى اختلفت أعناق خيلهما.
فقال له عليّ عليه السلام: إنّما دعوتك لأذكرك حديثاً قاله لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟

(١) أحفظه: أغضبه، من الحفيظة: الغضب (النهاية: ٤٠٨/١).

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٨/٤، الكامل في التاريخ: ٣٣٥/٢ نحوه وراجع أسد الغابة: ١٧٣٢/٣١٠/٢
ومسند أبي يعلى: ١/٣٢٠/٦٦٢ والبداية والنهاية: ٧/٢٤١ والأمالى للطوسي: ١٣٧/٢٢٣
والصراط المستقيم: ٣/١٢٠.

(٣) النور: ٢٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٥٠١/٣، الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٤ وفيه من «فلما تراءى الجمعان» وراجع البداية والنهاية: ٧/٢٤١.

قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي؟!

فقال: أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له.

فاسترجع الزبير، وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر، ورجع إلى صفوفه، فقال له

عبدالله ابنه: لقد رجعت إلينا بغير الوجه الذي فارقتنا به!

فقال: أذكرني عليّ حديثاً أنسانيه الدهر، فلا أحرابه أبداً، وإني لراجع وتارككم منذ

اليوم.

فقال له عبدالله: ما أراك إلا جبت عن سيوف بني عبدالمطلب، إنها لسيوف حداد،

تحملها فتية أنجاد.

فقال الزبير: ويلك! أتهيجني على حربته! أما إنني قد حلفت ألا أحرابه.

قال: كقر عن يمينك، لا تتحدّث نساء قريش أنك جبت، وما كنت جباناً.

فقال الزبير: غلامي مكحول حرّ كفارة عن يميني، ثم أنصل سنان رمحه، وحمل

على عسكر عليّ عليه السلام برمح لا سنان له.

فقال عليّ عليه السلام: أفرجوا له، فإنه محرج.

ثم عاد إلى أصحابه، ثم حمل ثانية، ثم ثالثة، ثم قال لابنه: أجبناً ويلك ترى؟! فقال:

لقد أعذرت^(١).

٤١٣ - في تاريخ اليعقوبي: قال عليّ بن أبي طالب للزبير: يا أبا عبدالله، ادنُ إليّ أدكرك

كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله!

فقال الزبير لعليّ: لي الأمان؟

قال عليّ: عليك الأمان، فبرز إليه فذكره الكلام.

فقال: اللهم إنني ما ذكرت هذا إلا هذه الساعة، وثني عنان فرسه لينصرف، فقال له

عبدالله: إلى أين؟ قال: ذكرني عليّ كلاماً قاله رسول الله. قال: كلاً، ولكنك رأيت سيوف

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٣٣/١ وراجع الأخبار الطوال: ١٤٧ والفصول المختارة: ١٤٢ والأمالى

للطوسي: ٢٢٣/١٣٧ وبشارة المصطفى: ٢٤٧.

بني هاشم حداً تحملها شداد. قال: ويلك! ومثلي يعير بالجبين؟ هلم إليّ الرمح. وأخذ الرمح وحمل على أصحاب عليّ.

فقال عليّ: افرجوا للشيخ، إنّه محرج.

فشقّ الميمنة والميسرة والقلب ثمّ رجع فقال لابنه: لا أمّ لك! أيفعل هذا جبان؟ وانصرف^(١).

اغتيال الزبير

٤١٤ - في الجمل عن مروان بن الحكم: هرب الزبير فارّاً إلى المدينة حتى أتى وادي السباع، فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع بالزبير! قد لفّ بين غارين^(٢) من الناس حتى قتل بعضهم بعضاً، ثمّ هو يريد اللحاق بأهله.

فسمع ذلك ابن جرموز، فخرج في طلبه واتّبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه، فلمّا رأهما الزبير حدّزهما.

فقالا: يا حواريّ رسول الله، أنت في ذمتنا لا يصل إليك أحد، وسائره ابن جرموز، فبينما هو يسائره ويستأخر، والزبير يفارقه، قال: يا أبا عبد الله، انزع درعك فاجعلها على فرسك فإنّها تتقلك وتُعِيك، فنزعها الزبير وجعل عمرو بن جرموز ينكص ويتأخر، والزبير يناديه أن يلحقه وهو يجري بفرسه، ثمّ ينحاز عنه حتى اطمأنّ إليه ولم ينكر تأخره عنه، فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من ثدييه، ونزل فاحتزّ رأسه وجاء به إلى الأحنف، فأنفذه إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فلمّا رأى رأس الزبير وسيفه قال: ناولني السيف، فناوله، فهزّه وقال:

سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ الحين ومصارع السوء!

ثمّ تفرّس في وجه الزبير وقال:

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٨٢/٢.

(٢) الغار: الجمع الكثير من الناس، والقبيلة العظيمة (المحيط في اللغة: ٥/١٢٤).

لقد كان لك برسول الله صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة، ولكن الشيطان دخل منخريك، فأوردك هذا المورد! (١)

محاولة أمير المؤمنين عليه السلام مع طلحة

٤١٥- في مروج الذهب: ثم نادى علي عليه السلام طلحة حين رجع الزبير: يا أبا محمد، ما الذي أخرجك؟

قال: الطلب بدم عثمان.

قال علي: قتل الله أولنا بدم عثمان، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللهم! وال من والاه، وعاد من عاداه»؟ وأنت أول من بايعني ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (٢)(٣).

٤١٦- في الإمامة والسياسة - في ذكر مخاطبة الإمام عليه السلام لطلحة -: قال طلحة: اعتزل هذا الأمر، ونجعله شورى بين المسلمين، فإن رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن رضوا غيرك كنت رجلاً من المسلمين.

قال علي: أولم تبايعني يا أبا محمد طائعاً غير مكره؟ فما كنت لأترك بيعتي.

قال طلحة: بايعتك والسيوف في عنقي.

قال: ألم تعلم أنني ما أكرهت أحداً على البيعة؟ ولو كنت مكرهاً أحداً لأكرهت

سعداً، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، أبوا البيعة واعتزلوا، فتركهم.

قال طلحة: كنا في الشورى سنة، فمات اثنان وقد كرهناك، ونحن ثلاثة.

(١) الجمل: ٣٩٠ و ص ٣٨٧ عن محمد بن إبراهيم؛ الطبقات الكبرى: ١١١/٣ عن خالد بن سمير

وكلاهما نحوه وراجع تاريخ الطبري: ٤٩٨/٤ و ص ٥٣٤ وأنساب الأشراف: ٤٩/٣ - ٥٤ ومروج

الذهب: ٣٧٢/٢ والكامل في التاريخ: ٣٣٨/٢.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) مروج الذهب: ٣٧٣/٢ وراجع المستدرک علی الصحیحین: ٥٥٩٤/٤١٩/٣ والمناقب للخوارزمي:

قال عليّ: إنّما كان لكما ألا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة، وأمّا الآن فليس لكما غير ما رضيتما به، إلا أن تخرجا ممّا بويعت عليه بحدث، فإن كنت أحدثت حدثاً فسّمّوه لي. وأخرجتم أمّكم عائشة، وتركتم نساءكم، فهذا أعظم الحدث منكم، أَرْضِي هذا لرسول الله ﷺ أن تهتكوا سترأ ضربه عليها، وتخرجوها منه؟! فقال طلحة: إنّما جاءت للإصلاح.

قال عليّ عليه السلام: هي لعمر الله إلى من يصلح لها أمرها أحوج. أيها الشيخ اقبل النصح وارض بالتوبة مع العار، قبل أن يكون العار والنار^(١).

أمير المؤمنين عليه السلام يعرض كتاب الله حكماً

٤١٧ - في الجمل: قال ابن عباس: قلت [لأمير المؤمنين عليه السلام]: ما تنتظر؟ والله، ما يعطيك القوم إلا السيف، فأحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك. فقال: نستظهر بالله عليهم.

قال ابن عباس: فوالله، ما رمت من مكاني حتى طلع عليّ نشابهم كأنه جراد منتشر، فقلت: أما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم؟ مرنا ندفعهم. فقال: حتى أعذر إليهم ثانية. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟

فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض، حدث السنّ من عبدالقيس يقال له مسلم كأنّي أراه، فقال: أنا أعرضه عليهم يا أمير المؤمنين، وقد احتسبت نفسي عند الله تعالى.

فأعرض عنه إشفاقاً عليه ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنّه مقتول وله الجنة؟ فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه. فأعرض، ونادى الثالثة فلم يقم غير الفتى، فدفع

إليه المصحف.

وقال: امض إليهم واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه.

فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف، وقال: هذا كتاب الله عز وجل، وأمير المؤمنين عليه السلام يدعوكم إلى ما فيه.

فقال عائشة: اشجروه بالرماح قبّحه الله! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب، وكانت أمّه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرّته من موضعه، ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحوه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وأمّه تبكي وتندبه وتقول:

يا ربّ إنّ مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه قناهم وأمّهم قائمة تراهم
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم^(١)

٤١٨ - في المناقب للخوارزمي عن مجزأة السدوسي: لما تقابل العسكران: عسكر أمير

المؤمنين عليّ عليه السلام وعسكر أصحاب الجمل، جعل أهل البصرة يرمون أصحاب عليّ بالنبل حتى عقروا منهم جماعة، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، إنّه قد عقرونا نبلهم فما انتظارك بالقوم؟

فقال عليّ: اللهمّ إنّي أشهدك أنّي قد أعذرت وأنذرت، فكن لي عليهم من الشاهدين.

ثمّ دعا عليّ بالدرع، فأفرغها عليه، وتقلّد بسيفه واعتجر بعمامته واستوى على بغلة النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ دعا بالمصحف فأخذه بيده، وقال: يا أيّها الناس، من يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟

فوثب غلام من مجاشع يقال له: مسلم، عليه قباء أبيض، فقال له: أنا أخذه يا أمير

المؤمنين، فقال له عليّ: يا فتى إنّ يدك اليمنى تقطع، فتأخذه باليسرى فتقطع، ثمّ تضرب

(١) الجمل: ٣٣٩، إرشاد القلوب: ٣٤١؛ تاريخ الطبري: ٥١١/٤ عن عمّار بن معاوية الدهني نحوه

وراجع تاريخ الطبري: ٥٠٩/٤ والكامل في التاريخ: ٣٥٠/٢ ومروج الذهب: ٣٧٠/٢.

عليه بالسيف حتى تقتل.

فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك يا أمير المؤمنين.

فنادى عليّ ثانية والمصحف في يده، فقام إليه ذلك الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين. فأعاد عليه عليّ مقالته الأولى، فقال الفتى: لا عليك يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله، ثم أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم، فقال: يا هؤلاء، هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فضرب رجل من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بشماله فقطعت شماله، فاحتضن المصحف ب صدره فضرب عليه حتى قتل -رحمة الله عليه- (١).

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٢٣/١٨٦، الفتوح: ٤٧٢/٢ وفيه من «ثم دعا عليّ بالدرع...»، شرح نهج البلاغة: ١١١/٩ عن أبي مخنف وكلاهما نحوه.

بدء الجرب

قتال علي عليه السلام للناكثين

٤١٩- في الأمالي للطوسي عن بكير بن عبد الله الطويل وعمّار بن أبي معاوية عن أبي عثمان البجلي مؤذن بني أفضى: سمعت علياً عليه السلام يقول يوم الجمل: «وَإِنْ نَكَّثُوا أَيَّمَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (١)، ثُمَّ حلف - حين قرأها - أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم.

قال بكير: فسألت عنها أبا جعفر عليه السلام، فقال: صدق الشيخ، هكذا قال علي عليه السلام، وهكذا كان (٢).

٤٢٠- في الأمالي للمفيد عن أبي عثمان مؤذن بني أفضى: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام حين خرج طلحة والزبير لقتاله يقول: عذيري من طلحة والزبير؛ بايعاني طائعين غير مكرهين، ثم نكثا بيعتي من غير حدث، ثم تلا هذه الآية: «وَإِنْ نَكَّثُوا أَيَّمَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (٣).

٤٢١- في قرب الإسناد عن حنان بن سدير: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر؛ إن علياً عليه السلام يوم البصرة لما صفّ الخيول، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ وبينهم.

فقام إليهم فقال: يا أهل البصرة! هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا.

(١) التوبة: ١٢.

(٢) الأمالي للطوسي: ٢٠٧/١٣١، بشارة المصطفى: ٢٦٧ وراجع تفسير العياشي: ٢٣/٧٨/٢.

(٣) الأمالي للمفيد: ٧/٧٣، تفسير العياشي: ٢٨/٧٩/٢ عن أبي عثمان مولى بني قصي وراجع

قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليّ فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمتُ فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بالُ بيعتي تُنكثُ وبيعة غيري لا تنكثُ؟! إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثمّ ثنى إلى صاحبه فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمداً بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت ^(١).

دعاء أمير المؤمنين قبل القتال

٤٢٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: لمّا توافق الناس يوم الجمل، خرج عليّ صلوات الله عليه حتى وقف بين الصقّين، ثمّ رفع يده نحو السماء، ثمّ قال: يا خير من أفضت إليه القلوب، ودُعي بالألسن، يا حسن البلايا، يا جزيل العطاء، احكم بيننا وبين قومنا بالحقّ، وأنت خير الحاكمين ^(٢).

٤٢٣- في الجمل: لمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما قدم عليه القوم من العناد واستحلّوه من سفك الدم الحرام، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ اليك شخّصت الأبصار، وبسطت الأيدي، وأفضت القلوب، وتقرّبت إليك بالأعمال، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ^{(٣)(٤)}.

٤٢٤- قال الإمام عليّ عليه السلام - في دعائه يوم الجمل -: اللهمّ إنّي أحمدك - وأنت للحمد أهل - على حسن صنعك إليّ، وتعطفك عليّ، وعلى ما وصلتني به من نورك، وتداركتني

(١) قرب الإسناد: ٣٢٧/٩٦، تفسير العياشي: ٢/٧٧/٢٣.

(٢) شرح الأخبار: ١/٣٨٧/٣٢٨.

(٣) الأعراف: ٨٩.

(٤) الجمل: ٣٤١.

به من رحمتك، وأسبغت عليّ من نعمتك، فقد اصطنعتْ عندي - يا مولاي - ما يحقّ لك به جهدي وشكري؛ لحسن عفوك، وبلائك القديم عندي، وتظاهر نعمائك عليّ، وتتابع أياديك لديّ، لم أبلغ إحراز حظّي، ولا صلاح نفسي، ولكنك يا مولاي بدأتني أولاً بإحسانك فهديتني لدينك، وعزفتني نفسك، وثبتتني في أموري كلّها بالكفاية والصنع لي، فصرفت عني جهد البلاء، ومنعت منّي محذور الأشياء، فلستُ أذكر منك إلاّ جميلاً، ولم أرَ منك إلاّ تفضيلاً.

يا إلهي كم من بلاء وجهد صرفته عني، وارىتني في غيري، فكم من نعمة أقررت بها عيني، وكم من صنعة شريفة لك عندي.

إلهي أنت الذي تجيب عند الاضطرار دعوتي، وأنت الذي تنفّس عند الغموم كُرْبتي، وأنت الذي تأخذني من الأعداء بظلامتي، فما وجدتك ولا أجدك بعيداً مني حين أريدك، ولا مُنقبضاً عني حين أسألك، ولا معرضاً عني حين أدعوك، فأنت إلهي، أجد صنيعك عندي محموداً، وحسن بلائك عندي موجوداً، وجميع أفعالك عندي جميلاً، يحمذك لساني وعقلي وجوارحي وجميع ما أقلت الأرض منّي.

يا مولاي أسألك بنورك الذي اشتققتَه من عظمتك، وعظمتك التي اشتققتها من مشيئتك، وأسألك باسمك الذي علا أن تمنّ عليّ بواجب شكري نعمتك.

ربّ ما أحرصني على ما زهدتني فيه وحثثتني عليه! إن لم تُعني على دنياي بزهد، وعلى آخرتي بتقواي، هلكتُ.

ربّي، دعنتني دواعي الدنيا؛ من حرث النساء والبنين، فأجبتّها سريعاً، وركنتُ إليها طائعاً. ودعنتني دواعي الآخرة من الزهد والاجتهاد فكَبّوت لها، ولم أُسارع إليها مسارعتي إلى الحطام الهامد، والهشيم البائد، والسراب الزاهب عن قليل.

ربّ خوِّفتني وشوّقتني واحتجبت^(١) عليّ فما خفتك حقّ خوفك، وأخاف أن أكون قد تنبّطتُ عن السعي لك، وتهاونت بشيء من احتجابك. اللهمّ فاجعل في هذه الدنيا

(١) كذا، وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر: «احتججت» وهو أنسب.

سعيي لك وفي طاعتك، واملأ قلبي خوفك، وحوّل تثبيطي وتهاوني وتفريطي وكلّ ما أخافه من نفسي فَرَقاً^(١) منك، وصبراً على طاعتك، وعملاً به، يا ذا الجلال والاكرام. واجعل جُنَّتِي من الخطايا حصينة، وحسناتي مضاعفة؛ فَإِنَّكَ تضاعف لمن تشاء. اللهم اجعل درجاتي في الجنان رفيعة، وأعوذ بك ربّي من رفيع المطعم والمشرب، وأعوذ بك من شرّ ما أعلم ومن شرّ ما لا أعلم، وأعوذ بك من الفواحش كلّها؛ ما ظهر منها وما بطن، وأعوذ بك ربّي أن أشتري الجهل بالعلم كما اشتري غيري، أو السّفه بالحلم، أو الجزع بالصبر، أو الضلالة بالهدى، أو الكفر بالإيمان. يا ربّ مَنْ عَلِيّ بذلك؛ فَإِنَّكَ تتولّى الصالحين، ولا تُضيع أجر المحسنين، والحمد لله ربّ العالمين^(٢).

حَثُّ الْأَصْحَابِ عَلَى الْجِهَادِ

٤٢٥- في الجمل: إِنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أَنْظَرَهُمْ [أصحاب الجمل] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ لِيَكْفُوا وَيَرْعُوا، فَلَمَّا عَلِمَ إِصْرَارَهُمْ عَلَى الْخِلَافِ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ:

عباد الله! انهدّوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم، فإنّهم نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، ونكّلوا بعاملي، وأخرجوه من البصرة بعد أن آلموه بالضرب المبرح، والعقوبة الشديدة، وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء، ولم يرعوا له حرمة، وقتلوا السيابجة رجالاً صالحين، وقتلوا حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً؛ لغضبه الله، ثمّ تتبّعوا شيعتي بعد أن هربوا منهم وأخذوهم في كلّ غائطة^(٣)، وتحت كلّ رابية، يضربون أعناقهم صبراً، ما لهم ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٤)!!

فانهدّوا إليهم عباد الله، وكونوا أسوداً عليهم؛ فإنّهم شيرار، ومساعدوهم على الباطل شيرار، فالقوهم صابرين محتسبين موطنين أنفسكم، إنكم مُنَارِلُونَ ومقاتلون،

(١) الفَرَقُ: الخوف والفرع (النهاية: ٤٣٨/٣).

(٢) مهج الدعوات: ١٢٥، بحار الأنوار: ٩٤/٢٣٤/٩.

(٣) الغائط: المتسع من الأرض مع طمأنينة (لسان العرب: ٣٦٤/٧).

(٤) التوبة: ٣٠.

قد وطنتم أنفسكم على الضرب والطعن ومنازلة الأقران. فأني امرئ أحسن من نفسه رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلاً ووهناً، فليذب عنه كما يذب عن نفسه؛ فلو شاء الله لجعلته مثله^(١).

٤٢٦ - قال الإمام علي عليه السلام - من خطبته يوم الجمل -: أيها الناس! إنني أتيت هؤلاء القوم، ودعوتهم، واحتججت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجِلال، وأبرز للطَّعان، فلا أمهم الهبل! وقد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، أنصف القارة من رامها^(٢)، فلغيري فليبرقوا وليرعدوا؛ فأنا أبو الحسن الذي قُلت^(٣) حدّهم، وفرقت جماعتهم، وبذلك القلب ألقى عدوي، وأنا على ما وعدني ربّي من النصر والتأييد والظفر، وإنّي لعلى يقين من ربّي، وغير شبهة من أمري.

أيها الناس! إن الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص، ومن لم يمّت يُقتل، وإنّ أفضل الموت القتل. والذي نفسي بيده، لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش.

واعجباً لطلحة! ألب^(٤) الناس على ابن عفان، حتى إذا قُتل أعطاني صفاقته بيمينه طائعاً، ثم نكث بيعتي، اللهم خذ ولا تمهله. وإنّ الزبير نكث بيعتي، وقطع رحمي، وظاهر عليّ عدوي، فاكفنيه اليوم بما شئت^(٥).

(١) الجمل : ٣٣٤، الإرشاد : ٢٥٢/١ نحوه، بحار الأنوار : ٣٢/١٧١/١٣١.

(٢) القارة : قبيلة من بني الهون بن خزيمة، سُموا قارة لاجتماعهم والتفافهم، ويوصفون بالرمي، وفي المثل : أنصف القارة من رامها (النهاية : ٤/١٢٠).

(٣) فله فانتل أي كسره فانكسر (لسان العرب : ١١/٥٣١).

(٤) من التأليب : التحريض (لسان العرب : ١/٢١٦).

(٥) الكافي : ٥/٥٣/٤ عن ابن محبوب رفعه، الأمالي للطوسي : ٢٨٤/١٦٩ عن إسماعيل بن رجاء

الزبيدي نحوه وراجع نهج البلاغة : الخطبة ١٧٤.

اشتداد القتال ونزول الإمام الى الميدان

٤٢٧ - في الجمل عن محمد بن عبد الله عن عمرو بن دينار: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد: خذ الراية وامض - وعلي عليه السلام خلفه - فناداه يا أبا القاسم! فقال: لبيك يا أبة. فقال: يا بني لا يستفزك ماترى؛ قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي، وذلك أنني لم ألق أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله، فحدثت نفسك - بعون الله - بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس باليقين؛ فإن ذلك أشد الخذلان.

قال فقلت: يا أبة أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله. قال: فالزم رايتك، فإذا اختلطت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك، فإن لم تر أصحابك فسيرونك. قال: والله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني، وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم، فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرد سيفه وهو يقول: لا تقدم حتى أكون أمامك. فتقدم عليه السلام بين يدي يهرول ومعه طائفة من أصحابه، فضربوا الذين في وجهي حتى أنهضوهم ولحققتهم بالراية، فوقفوا وقفة، واختلط الناس، وركدت السيوف ساعة، فنظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالاً ويسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلفه^(١).

٤٢٨ - في مروج الذهب: جاء ذو الشهداءتين خزيمة بن ثابت إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد، واردد إليه الراية! فدعا به، ورد عليه الراية، وقال: **إطعنهم طعن أبيك تحمداً لا خير في الحرب إذا لم تؤقداً**
بالمشرفي والقنا المسرد^(٢)

٤٢٩ - في تاريخ الطبري عن التتعاغ: ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم

(١) الجمل: ٣٦٨.

(٢) مروج الذهب: ٣٧٦/٢؛ وقعة الجمل لضمامن بن شدقم: ١٤٣ وراجع شرح نهج البلاغة: ٢٤٣/١

والمناقب للخوارزمي: ١٨٧ والمناقب لابن شهر آشوب: ١٥٥/٣ والصراط المستقيم: ٢٦٧/٢

وبحار الأنوار: ١٧٥/٣٢ وج ٩٩/٤٢.

الجمال بقتال صفين، لقد رأيتنا ندافعهم بأستتنا وتكئ على أزجتنا^(١)، وهم مثل ذلك، حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم^(٢).

٤٣٠- في البداية والنهاية: قال [علي عليه السلام] لابنه محمد ابن الحنفية: ويحك! تقدم بالراية. فلم يستطع، فأخذها علي من يده، فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي؛ فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، وقُتل خلق كثير وجم غفير ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة^(٣).

٤٣١- في الإمامة والسياسة: اقتتل القوم قتالاً شديداً، فهزمت يمن البصرة يمن علي، وهزمت ربيعة البصرة ربيعة علي... ثم تقدم علي فنظر إلى أصحابه يهزمون ويُقتلون، فلما نظر إلى ذلك صاح بابنه محمد - ومعه الراية -: أن اقتحم! فأبطأ وثبت، فأتى علي من خلفه فضربه بين كتفيه، وأخذ الراية من يده، ثم حمل فدخل عسكرهم، وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان، في إحداهما عمّار، وفي الأخرى عبدالله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر.

قال: فشق علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج... ثم أعطى الراية لابنه وقال: هكذا فاصنع. فتقدم محمد بالراية ومعه الأنصار، حتى انتهى إلى الجمل والهودج وهزم ما يليه، فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً، حتى كانت الواقعة والضرب على الركب^(٤).

٤٣٢- في الجمل عن محمد ابن الحنفية: التقينا وقد عجل أصحاب الجمل وزحفوا علينا، فصاح أبي عليه السلام: امض. فمضيت بين يديه أقطو^(٥) بالراية قَطُوا.

(١) الرُّج: الحديدية التي تُركب في أسفل الرمح، والسنان يُركب عاليته والجمع أزجاج وأزجة (لسان العرب: ٢/٢٨٥).

(٢) تاريخ الطبري: ٤/٥٣٢، الكامل في التاريخ: ٢/٣٤٨ وراجع العقد الفريد: ٣/٣٢٥.

(٣) البداية والنهاية: ٧/٢٤٣.

(٤) الإمامة والسياسة: ١/٩٦.

(٥) القَطُّ: مقاربة الخطوط مع النشاط، يقال منه: قَطَا في مِشِيته يَقَطُو (لسان العرب: ١٥/١٩٠).

وتقدّم سرعان أصحابنا، فلاذ أصحاب الجمل، ونشب القتال، واختلفت السيوف، وأبي بين كتفيّ يقول: يا بنيّ تقدّم! ولستُ أجد متقدّماً، وهو يقول: تقدّم. فقلت: ما أجد متقدّماً إلاّ على الأسنّة!!

فغضب أبي عليه السلام وقال: أقول لك: تقدّم، فتقول: على الأسنّة!! ثوق يا بنيّ، وتقدّم بين يديّ على الأسنّة!!

وتناول الراية منّي، وتقدّم يهرول بها، فأخذتني حدة، فلحقته وقلت: أعطني الراية. فقال لي: خذها. وقد عرفت ما وصف لي ^(١).

٤٣٣ - في الفتوح: قاتل محمد ابن الحنفية ساعة بالراية ثمّ رجع، وضرب عليّ عليه السلام بيده إلى سيفه فاستلّه، ثمّ حمل على القوم، فضرب فيهم يميناً وشمالاً، ثمّ رجع وقد انحنى سيفه فجعل يسويّه بركبته، فقال له أصحابه: نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين! فلم يُجب أحداً حتى سواه، ثمّ حمل ثانية حتى اختلط بهم، فجعل يضرب فيهم قدماً قدماً حتى انحنى سيفه، ثمّ رجع إلى أصحابه، ووقف يسويّ السيف بركبته وهو يقول: والله ما أريد بذلك إلاّ وجه الله والدار الآخرة!

ثمّ التفت إلى ابنه محمد ابن الحنفية وقال: هكذا اصنع يا بني ^(٢).

٤٣٤ - في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: زحف عليّ عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد عليهم السلام، ودفع الراية إلى محمد، وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفنّ دونه.

فتقدّم محمد، فرشقته السهام، فقال لأصحابه: رويدا، حتى تنفذ سهامهم، فلم يبقّ لهم إلاّ رشقة أو رشقتان. فأنفذ عليّ عليه السلام ^(٣) إليه يستحثّه، ويأمره بالمناجزة، فلمّا أبطأ

(١) الجمل: ٣٦٠ وراجع تاريخ الطبري: ٥١٤/٤ والكمال في التاريخ: ٣٣٩/٢ والبداية والنهاية: ٢٤٣/٧ والأخبار الطوال: ١٤٩ ومروج الذهب: ٣٧٥/٢.

(٢) الفتوح: ٤٧٤/٢، المناقب للخوارزمي: ١٨٧ نحوه وراجع شرح نهج البلاغة: ٢٥٧/١.

(٣) في الطبعة المعتمدة: «فأنفذ إليه عليّ عليه السلام إليه»، والصحيح ما أثبتناه كما في طبعة دار الرشاد (٨٥/١).

عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له: أقدم، لا أم لك!

فكان محمد إذا ذكر ذلك بعد يبكي، ويقول: لكأنّي أجد ريح نفسه في قفائي، والله لا أنسى أبداً.

ثم أدركت علياً عليه السلام رقة على ولده، فتناول الراية منه بيده اليسرى وذوالفقار مشهور في يمين يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته. فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين! فلم يجب أحداً منهم، ولا ردّ إليهم بصره، وظلّ ينجط^(١) ويزار زئير الأسد، حتى فرّق من حوله، وتبادروه، وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يردّ حواراً.

ثم دفع الراية إلى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قُدماً قُدماً، والرجال تفرّ من بين يديه، وتنحاز عنه يمناً ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته، فاعصو صب^(٢) به أصحابه، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنك إن تُصّب يذهب الدين! فأمسك ونحن نكفيك.

فقال: والله، ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة. ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا ابن الحنفيّة. فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين!!^(٣)

٤٣٥ - في المصنّف عن الأعمش عن رجل قد سمّاه: كنت أرى علياً يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثني، ثم يرجع فيقول: لا تلوموني ولو موأ هذا. ثم يعود فيقومه^(٤).

٤٣٦ - في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: خرج عبدالله بن خلف الخزاعي - وهو

(١) النجط: شبه الزفير (لسان العرب: ٤١٢/٧).

(٢) اعصو صبوا: اجتمعوا وصاروا عصابةً واحدة (النهاية: ٢٤٦/٣).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٥٧/١ وراجع الفتح: ٤٧٣/٢.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة: ٢/٧٠٦/٨، العقد الفريد: ٣/٣٢٤.

رئيس البصرة، وأكثر أهلها مالا وضياعاً - فطلب البران، وسأل ألا يخرج إليه إلا عليّ عليه السلام، وارتجز فقال:

أباترابِ ادُنْ مِنِّي فِتْرًا فإِنِّي دَانٌ إِلَيْكَ شِيبْرًا

وإنَّ في صَدْرِي عَلَيْكَ غِمْرًا

فخرج إليه عليّ عليه السلام، فلم يُمهله أن ضربه ففلق هامته ^(١).

٤٣٧ - في الفتوح: انفرق عليّ يريد أصحابه، فصاح به صائح من ورائه، فالتفت وإذا

بعبد الله بن خلف الخزاعي وهو صاحب منزل عائشة بالبصرة، فلما رآه عليّ عرفه، فناداه: ما تشاء يا بن خلف؟

قال: هل لك في المبارزة؟

قال عليّ: ما أكره ذلك، ولكن ويحك يا بن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من

أنا!!

فقال عبدالله بن خلف: دعني من مدحك يا بن أبي طالب، وادُنْ مِنِّي لترى أينا يقتل

صاحبه! ثم أنشد شعراً، فأجابه عليّ عليه، والتقوا للضرب، فبادره عبدالله بن خلف بضربة دفعها عليّ بحَجَفَتِهِ ^(٢)، ثم انحرف عنه عليّ فضربه ضربة رمى بيمينه، ثم ضربه أخرى فأطار قحف رأسه ^(٣).

٤٣٨ - في شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف: تناول عبدالله بن أبزى خطام الجمل، وكان

كلّ من أراد الجدّ في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدّم إلى الجمل فيأخذ بخطامه، ثم شدّ على عسكر عليّ عليه السلام وقال:

أضربُهُمْ وَلَا أرى أَباحْسَنَ ها إنَّ هذا حَزَنٌ مِنَ الحَزَنِ

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٦١/١.

(٢) الحَجَفُ: ضرب من الترس، واحدها حَجَفَةٌ. ويقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب (لسان العرب: ٣٩/٩).

(٣) الفتوح: ٤٧٨/٢، المناقب للخوارزمي: ١٨٨؛ كشف اليقين: ١٨٩/١٩١، كشف الغمّة: ٢٤٢/١ وفيهما «ابن أبي خلف الخزاعي» وكلّها نحوه وراجع شرح نهج البلاغة: ٢٦١/١.

فشدّ عليه عليّ أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح، فطعنه، فقتله وقال: قد رأيت أبا حسن، فكيف رأيته! وترك الرمح فيه^(١).

السكينة الإلهية عند أمير المؤمنين عليه السلام

٤٣٩- في الجمل عن محمد ابن الحنفية: لما نزلنا البصرة - وعسكرنا بها - وصفنا صفوفنا، دفع أبي عليّ عليه السلام إليّ اللواء، وقال: لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم. ثمّ نام، فنالنا نبل القوم، فأفزعته، ففزع وهو يمسح عينيه من النوم، وأصحاب الجمل يصيحون: يا ثارات عثمان!

فبرز عليه السلام وليس عليه إلا قميص واحد، ثمّ قال: تقدّم باللواء! فتقدّمتُ وقلتُ: يا أبتِ أفي مثل هذا اليوم بقميص واحد؟!

فقال عليه السلام: أحرز أمراً أجله^(٢)، والله قاتلت مع النبي صلى الله عليه وآله وأنا حاسر^(٣) أكثر مما قاتلت وأنا دارع^(٤).

٤٤٠- في مروج الذهب: قد كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة عليّ وميسرته، فكشفوها، فأتاد بعض ولد عقيل وعليّ يخفق نعاساً على قربوس سرجه، فقال له: يا عمّ، قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى، وأنت تخفق نعاساً؟! قال: اسكت يا ابن أخي، فإنّ لعنك يوماً لا يعدّوه، والله ما يبالي عمّك وقع على الموت أو وقع الموت عليه!^(٥)

٤٤١- في دعائم الإسلام: روينا عن عليّ عليه السلام أنّه أعطى الراية يوم الجمل لمحمد ابن الحنفية، فقدّمه بين يديه، وجعل الحسن في الميمنة، وجعل الحسين في الميسرة،

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٥٦/١ وراجع أنساب الأشراف: ١٤٨/٣ وتاريخ الطبري: ٥١٩/٤.

(٢) أحرز أمراً أجله: يقال: هذا أصدق مثل ضربته العرب (مجمع الأمثال: ١/٣٨٢/١١٥٥).

(٣) الحاسر: خلاف الدارع، وهو من لا مغفر له ولا درع ولا بيضة على رأسه (تاج العروس: ٢٧٤/٦).

(٤) الجمل: ٣٥٥.

(٥) مروج الذهب: ٣٧٥/٢.

ووقف خلف الراية على بغلة رسول الله ﷺ.

قال ابن الحنفية: فدنا منا القوم، ورشقونا بالنبل وقتلوا رجلاً، فالتفتُ إلى أمير المؤمنين فرأيته نائماً قد استتقل نوماً، فقلت: يا أمير المؤمنين، على مثل هذه الحال تنام! قد نضحونا بالنبل وقتلوا منا رجلاً وقد هلك الناس!! فقال: لا أراك إلا تحنّ حنين العذراء، الراية راية رسول الله ﷺ، فأخذها وهزّها، وكانت الريح في وجوهنا، فانقلبت عليهم، فحسر عن ذراعيه وشدّ عليهم، فضرب بسيفه حتى صُبع كُمّ قبائه وانحنى سيفه^(١).

٤٤٢ - في الإمامة والسياسة - في ذكر عليّ ﷺ يوم الجمل - فشقّ عليّ في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثمّ خرج وهو يقول: الماء، الماء. فأتاه رجل بإداوة^(٢) فيها عسل، فقال له: يا أمير المؤمنين، أمّا الماء فإنّه لا يصلح لك في هذا المقام، ولكن أذوّك هذا العسل. فقال: هات، فحسا منه حسوة، ثمّ قال: إنّ عسلك لطائفي! قال الرجل: لعجباً منك - والله يا أمير المؤمنين - لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر!! فقال له عليّ: إنّ الله يابن أخي ما ملأ صدر عمك شيء قطّ، ولا هابه شيء^(٣).

٤٤٣ - في الجمل عن محمد ابن الحنفية: دعا [عليّ ﷺ] بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبي ﷺ إلا يومئذ، فكان بين كتفيه منها وهن. فجاء أمير المؤمنين ﷺ وفي يده شسع نعل، فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشّسع يا أمير المؤمنين؟ فقال: أربط بها ما قد تهى^(٤) من هذا الدرع من خلفي. فقال ابن عباس: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا! فقال ﷺ: ولم؟ قال: أخاف عليك. فقال: لا تخف أن أوتى من ورائي، والله يابن عباس ما

(١) دعائم الإسلام: ٣٩٣/١.

(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد يُتخذ للماء كالسطيحة ونحوها (النهاية: ٣٣/١).

(٣) الإمامة والسياسة: ٩٦/١، جواهر المطالب: ٣٤/٢ نحوه.

(٤) كل ما استرخى رباطه فقد وهى. وقد وهى الثوب يهي وهياً: إذا بلي وتحزق السان العرب:

وليت في زحف قط^(١).

نزول عمّار والأشتر الى الميدان

٤٤٤- في الفتوح: خرج محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر حتى وقفوا قدام الجمل. قال: وتبعهما الأشتر ووقف معهما.

قال: فقال رجل من أصحاب الجمل: من أنتم أيها الرهط؟ قالوا: نحن ممّن لا تُنكرونه! وأعلنوا بأسمائهم، ودعوا بأسمائهم، ودعوا إلى البراز، فخرج عثمان الضبّي وهو ينشد شعراً، فخرج إليه عمّار بن ياسر فأجابه على شعره، ثمّ حمل عليه عمّار فقتله^(٢).

٤٤٥- في الفتوح: خرج عمرو بن يثربي - من أصحاب الجمل - حتى وقف بين الصقّين قريباً من الجمل، ثمّ دعا إلى البراز وسأل النزال، فخرج إليه علباء بن الهيثم من أصحاب عليّ عليه السلام، فشدّ عليه عمرو فقتله. ثمّ طلب المبارزة، فلم يخرج إليه أحد، فجعل يجول في ميدان الحرب وهو يرتجز ويقول شعراً، ثمّ جال وطلب البراز، فتحاماه الناس واتّقوا بأسه، قال: فبَدَرَ إليه عمّار بن ياسر وهو يُجاوبه على شعره، والتقوا بضربتين، فبادره عمّار بضربة فأرداه عن فرسه، ثمّ نزل إليه عمّار سريعاً فأخذ برجله وجعل يجره حتى ألقاه بين يدي عليّ عليه السلام.

فقال عليّ: اضرب عنقه. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، استبقني حتى أقتل لك منهم كما قتلت منكم. فقال عليّ: يا عدوّ الله! أبعد ثلاثة من خيار أصحابي أستبقيك^(٣)!! لا كان ذلك أبداً. قال: فأدنتني حتى أكلّمك في أذنك بشيء. فقال عليّ: أنت رجل متمرّد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بكلّ متمرّد عليّ، وأنت أحدّهم. فقال عمرو بن يثربي: أما والله لو

(١) الجمل: ٣٥٥.

(٢) الفتوح: ٤٧٦/٢.

(٣) في المصدر: «استبقيتك»، والصحيح ما أثبتناه كما في شرح نهج البلاغة.

وصلتُ إليك لقطعْتُ أذنك - أو قال: أنفك - قال: فقدّمه عليّ فضرب عنقه^(١).

٤٤٦ - في تاريخ الطبري عن داود بن أبي هند عن شيخ من بني ضبّة: ارتجز يومئذ ابن

يثربي:

أنا لمن أنكرني ابنُ يثربي قاتِلُ علباءَ وهندِ الجملي

وابنِ لصوحانُ على دين عليّ

وقال: من يبارز؟ فبرز له رجل، فقتله، ثمّ برز له آخر فقتله. وارتجز وقال:

أقتلهم وقد أرى علياً ولو أشأ أوجرته عمرياً

فبرز له عمّار بن ياسر، وإنّه لأضعف من بارزه، وإنّ الناس ليسترجعون حين قام

عمّار، وأنا أقول لعمّار - من ضعفه - : هذا والله لاحقٌ بأصحابه! وكان قضيماً^(٢)،

حمش^(٣) الساقين، وعليه سيفٌ حمائله تشفّ عنه قريب من إبطه، فضربه^(٤) ابن يثربي

بسيفه، فنشّب في حَجَفَتِه، وضربه عمّار وأوهطه^(٥)، ورمى أصحاب عليّ ابن يثربي

بالحجارة حتى أثنوه وارتنّوه^{(٦)(٧)}.

٤٤٧ - في الجمل: لاذ بالجمل عبدالله بن الزبير وتناول خطامه بيده، فقالت عائشة: من

هذا الذي أخذ بخطام جملي؟ قال: أنا عبدالله ابن أختك. فقالت: واتكل أسماء!

ثمّ برز الأشتر إليه، فخلّى الخطام من يده وأقبل نحوه، فقام مقامه في الخطام عبد

أسود، واصطرع عبدالله والأشتر، فسقطا إلى الأرض، فجعل ابن الزبير يقول - وقد أخذ

(١) الفتوح: ٤٧٧/٢، شرح نهج البلاغة: ٢٥٩/١ نحوه.

(٢) القضييف: الدقيق العظم القليل اللحم (لسان العرب: ٢٨٤/٩).

(٣) حمش الساقين: دقيقهما (لسان العرب: ٢٨٨/٦).

(٤) في المصدر: «يفضربه»، وهو تصحيف.

(٥) وهطه: ضربه، وقيل: طعنه (لسان العرب: ٤٣٤/٧).

(٦) ارتث فلان: إذا ضرب في الحرب فأثخن وحمل وبه رمق ثمّ مات (لسان العرب: ١٥١/٢).

(٧) تاريخ الطبري: ٤/٥٣٠ و ص ٥١٧ عن عطية بن بلال، الكامل في التاريخ: ٣٤٠/٢، البداية

والنهاية: ٢٤٣/٧، الفتوح: ٤٧٧/٢ وليس فيهما الرجز وكلّها نحوه؛ المناقب لابن شهر آشوب:

١٥٦/٣ وفيه الرجز فقط وراجع الجمل: ٣٤٥.

الأشتر بعنقه -: اقتلوني ومالكاً، واقتلوا مالكاً معي!

قال الأشتر: فما سرّني إلا قوله «مالك»؛ لو قال «الأشتر» لقتلوني. ووالله لقد عجبت من حمق عبدالله؛ إذ ينادي بقتله وقتلي، وما كان ينفعه الموت إن قتلتُ وقتل معي، ولم تلد امرأة من النخع غيري!! فأفرجتُ عنه، فانهزم وبه ضربة مثخنة في جانب وجهه^(١).

٤٤٨ - في المصنّف عن عبدالله بن عبيد بن عمير: إنّ الأشتر وابن الزبير التقيا، فقال ابن الزبير: فما ضربته ضربة حتى ضربني خمساً أو ستّاً - قال: ثمّ قال: - وألقاني برجلي^(٢).

ثمّ قال: والله لو لا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله ما تركت منك عضواً مع صاحبه!^(٣)
٤٤٩ - في تاريخ دمشق عن زهير بن قيس: دخلت مع ابن الزبير الحمّام، فإذا في رأسه ضربة لو صبّ فيها قارورة من دهن لاستقرّت.

قال: تدري من ضربني هذه؟! قلتُ: لا. قال: ضربنيها ابن عمّك الأشتر^(٤).

مقتل طلحة

٤٥٠ - في الفتوح: جعل طلحة ينادي بأعلى صوته: عباد الله! الصبر الصبر! إنّ بعد الصبر النصر والأجر. فنظر إليه مروان بن الحكم، فقال لغلام له: ويلك يا غلام! والله إنّي لأعلم أنّه ما حرّض على قتل عثمان يوم الدار أحد كتحريض طلحة ولا قتله سواه!

(١) الجمل: ٣٥٠؛ تاريخ الطبري: ٥١٩/٤ عن عبدالله بن الزبير و ص ٥٣٠ عن الشعبي، الكامل في التاريخ: ٣٤٣/٢، البداية والنهاية: ٧/٢٤٤ كلّها نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٣/٣٩ وشرح نهج البلاغة: ١/٢٦٢ ومروج الذهب: ٢/٣٧٦ والإمامة والسياسة: ١/٩٦ والبداية والنهاية: ٣٣٦/٨.

(٢) كذا في المصدر، وفي العقد الفريد وجواهر المطالب: «ثمّ أخذ برجلي فألقاني في الخندق».

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/٧٠٧/١٠ و ج ٧/٢٦٠/٧١، جواهر المطالب: ٢/٢٢، العقد الفريد: ١/١١٢/١ و ج ٣/٣٢٤، النجوم الزاهرة: ١/١٠٥؛ الكني والألقاب: ٢/٣٠ نحوه.

(٤) تاريخ دمشق: ٥٦/٣٨٣، النجوم الزاهرة: ١/١٠٥؛ الكني والألقاب: ٢/٣٠.

ولكن استرني فأنت حرّ؛ فستره الغلام.

ورمى مروان بسهم مسموم لطلحة بن عبيدالله، فأصابه به، فسقط طلحة لما به وقد غمي عليه. ثمّ أفاق، فنظر إلى الدم يسيل منه فقال: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، أظنّ والله أننا عنينا بهذه الآية من كتاب الله عزّ وجلّ إذ يقول: **﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** (١)(٢).

٤٥١- في الجمل عن ابن أبي عون: سمعت مروان بن الحكم يقول: لمّا كان يوم الجمل قلت: والله لأدركنّ ثار عثمان! فرميت طلحة بسهم فقطعت نساها، وكان كلّما سدّ الموضوع غلب الدم وألمه، فقال لغلامه: دعه فهو سهم أرسله الله إليّ. ثمّ قال له: ويلك! اطلب لي موضعاً أحترز فيه، فلم يجد له مكاناً، فاحتمله عبيدالله ابن معمر فأدخله بيت أعرابية، ثمّ ذهب فصبر هنيئة ورجع، فوجده قد مات (٣).

عائشة تقود الحرب بعد مقتل طلحة

٤٥٢- في تاريخ الطبري عن محمّد وطلحة: كان القتال الأوّل يستحرّ إلى انتصاف النهار، وأصيب فيه طلحة، وذهب فيه الزبير، فلمّا أروا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلّا القتال ولم يريدوا إلّا عائشة، دمرتهم (٤) عائشة.

فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة (٥).

٤٥٣- في تاريخ الطبري عن الشعبي: حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الفتوح: ٤٧٨/٢.

(٣) الجمل: ٣٨٩ وراجع شرح الأخبار: ١/٤٠٣/٣٥٢ والطبقات الكبرى: ٣/٢٢٣ والمعجم الكبير: ١/١١٣/٢٠١ وأنساب الأشراف: ٣/٤٣ وتاريخ المدينة: ٤/١١٧٠ وتاريخ الإسلام للذهبي:

٣/٤٨٦ و ص ٥٢٨ وتاريخ الطبري: ٤/٥٠٩ والكامل في التاريخ: ٢/٣٣٧.

(٤) الذمّر: اللوم والحضّ معاً (لسان العرب: ٤/٣١١).

(٥) تاريخ الطبري: ٤/٥١٤ وراجع الكامل في التاريخ: ٢/٣٣٨.

البصرة فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة، أكثرهم ضبة والأزد. وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر، ويقال: إلى أن زالت الشمس، ثم انهزموا^(١).
 ٤٥٤ - في مروج الذهب: ذكر المدائني أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم^(٢) الأذن، فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف إلا ونحن رواء
 أطعنا بني تميم لشقوة جدنا وما تميم إلا أعبد وإماء

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت! قل: لا إله إلا الله!! فقال: يا ابن اللخاء، إيتني تأمر بالجزع عند الموت!! فوليت عنه متعجباً منه، فصاح بي ادن مني ولقني الشهادة، فصيرت إليه، فلما قربت منه استدناني، ثم التقم أذني فذهب بها، فجعلت ألعنه وأدعو عليه.

فقال: إذا صرت إلى أمك فقالت: من فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلبي الضبي، مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين^(٣).

أمر الإمام بعقر جمل عائشة

٤٥٥ - في الأخبار الطوال: لما رأى عليّ لوث^(٤) أهل البصرة بالجمل، وأنهم كلما كشفوا عنه عادوا فلاتوا به، قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وابن بديل ومحمد بن أبي بكر وأشباهم من حماة أصحابه: إن هؤلاء لا يزالون يقاتلون ما دام هذا الجمل نصب أعينهم، ولو قد عُقر فسقط لم تثبت له ثابتة.

(١) تاريخ الطبري: ٥١٢/٤.

(٢) الاضطلام: الاستئصال، وهو افتعال من الصلّم: وهو القطع المستأصل (مجمع البحرين: ١٠٤٦/٢).

(٣) مروج الذهب: ٣٧٩/٢، تاريخ الطبري: ٥٢٣/٤، أنساب الأشراف: ٦٠/٣ نحوه وكلاهما عن أبي رجاء وراجع الكامل في التاريخ: ٣٤٤/٢.

(٤) لاث بالشيء: إذا أطاف به، وفلان يلوث بي: أي يلوذ بي (لسان العرب: ١٨٧/٢).

فقصدوا بذوي الجدّ من أصحابه قصد الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه، وأفضى إليه رجل من مراد الكوفة يقال له: أعين بن ضبيعة، فكشف عرقوبه^(١) بالسيف، فسقط وله رغاء، فغرق في القتلى^(٢).

٤٥٦ - في الجمل عن محمد ابن الحنفية: ثمّ تقدّم [أبي] بين يديّ وجرّد سيفه وجعل يضرب به، ورأيته وقد ضرب رجلاً فأبان زنده، ثمّ قال: الزم رايتك يا بنيّ، فإنّ هذا استكفاء. فرمقتُ لصوت أبي ولحظته فإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً؛ وإذا هو يسرع إصداره فيسبق الدم.

وأحدقنا بالجمل، وصار القتال حوله، واضطربنا أشدّ اضطراب رآه راء حتى ظننت أنّه القتل. فصاح أبي عليه السلام: يا بن أبي بكر اقطع البطان! فقطعه، وألقى الهودج؛ فكأنّ - والله - الحرب جمرة صبّ عليها الماء^(٣).

٤٥٧ - في مروج الذهب: بعث [عليّ عليه السلام] إلى ولده محمد ابن الحنفية - وكان صاحب رايته -: احمل على القوم. فأبطأ محمد بحملته، وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاذ سهامهم، فأتاه عليّ فقال: هلاً حملت!

فقال: لا أجد متقدّماً إلّا على سهم أو سنان، وإنّي منتظر نفاذ سهامهم وأحمل.

فقال له احمل بين الأسنة؛ فإنّ للموت عليك جنة.

فحمل محمد، فشكّ بين الرماح والنبشاب، فوقف، فأتاه عليّ فضربه بقائم سيفه وقال: أدركك عرق من أمك! وأخذ الراية وحمل، وحمل الناس معه، فما كان القوم إلّا كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف^(٤).

٤٥٨ - في الجمل عن محمد ابن الحنفية: نظرت إلى أبي يفرج الناس يمينا وشمالاً،

(١) العرقوب: هو الوتر الذي خلف الكعبيين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع (النهاية: ٣ / ٢٢١).

(٢) الأخبار الطوال: ١٥٠.

(٣) الجمل: ٣٦٠ وراجع ص ٣٧٤ و ٣٧٥ ومروج الذهب: ٣٧٥ / ٢.

(٤) مروج الذهب: ٣٧٥ / ٢.

ويسوقهم أمامه... حتى انتهى إلى الجمل وحوله أربعة آلاف مقاتل من بني ضبّة والأزد وتميم وغيرهم، فصاح: اقطعوا البطان! فأسرع محمد بن أبي بكر فقطعه، واطّلع على اليهودج، فقالت عائشة: من أنت؟

فقال: أبغض أهلك إليك.

قالت: ابن الخثعمية؟

قال: نعم، ولم تكن دون أمّهاتك.

قالت: لعمرى، بل هي شريفة، دَع عنك هذا، الحمد لله الذي سلّمك.

قال: قد كان ذلك ما تكرهين.

قالت: يا أخي لو كرهته ما قلتُ ما قلتُ!

قال: كنتِ تحبّين الظفر وأنتي قتلت.

قالت: قد كنت أحبّ ذلك، لكن لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببتُ سلامتك؛ لقرابتي منك، فاكفف ولا تعقّب الأمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة، فإنّ أباك لم يكن لومة ولا عدلة.

وجاء عليّ عليه السلام ففرع اليهودج برمحه، وقال: يا شقيراء، أبهذا أوصاك رسول

الله صلى الله عليه وآله؟!

قالت: يا ابن أبي طالب قد ملكت فأسجح^(١).

وجاءها عمّار فقال لها: يا أمّاه! كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف؟

فصمتت ولم تجبه.

وجاءها مالك الأشتري وقال لها: الحمد لله الذي نصر وليّه، وكبت عدوّه، ﴿جَاءَ الْحَقُّ

وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٢) فكيف رأيت صنع الله بك يا عائشة؟

فقالت: من أنت ثكلتك أمك؟

(١) أي قدّرت فسّهّل وأحسن العفو، وهو مثل سائر (النهاية: ٢/٣٤٢).

(٢) الإسراء: ٨١.

فقال: أنا ابنك الأثتر.

قالت: كذبت لستُ بأثتر.

قال: بلى، وإن كرهت.

فقالت: أنت الذي أردت أن تتكل أختي أسماء ابنها؟

فقال: المعذرة إلى الله ثم إليك، والله إنني لولا كنت طاوياً ثلاثة لأرحتك منه، وأنشأ

يقول، بعد الصلاة على الرسول:

أعائشُ لولا أنني كنتُ طاوياً ثلاثاً لغادرتِ ابن اختكِ هالكا

غداة يُنادي والرماحُ تنوشهُ بأخر صوتٍ اقتلونني ومالكاً

فبكت وقالت: فخرتُم وغلبتُم، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(١).

ونادى أمير المؤمنين عليه السلام محمداً فقال: سلها: هل وصل إليها شيء من الرماح

والسهام. فسألها، فقالت: نعم، وصل إلي سهم خدش رأسي وسلمتُ منه، يحكم الله بيني وبينكم.

فقال محمد: والله، ليحكمنَّ الله عليك يوم القيامة، ما كان بينك وبين أمير

المؤمنين عليه السلام حتى تخرجي عليه وتؤلبي الناس على قتاله، وتنبذي كتاب الله وراء ظهرك!!

فقالت: دعنا يا محمد! وقل لصاحبك يحرسني.

قال: والهودج كالقنفذ من النبل، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بما جرى

بيننا وبينها، وما قلت وما قالت. فقال عليه السلام: هي امرأة، والنساء ضعاف العقول، تولّ

أمرها، واحملها إلى دار بني خلف حتى ننظر في أمرها. فحملتها إلى الموضع، وإن

لسانها لا يفتر عن السبِّ لي ولعلي عليه السلام والترحم على أصحاب الجمل^(٢).

٤٥٩ - في الجمل: لما تفرّق الناس عن الجمل أشفق أمير المؤمنين عليه السلام أن يعود إليه

(١) الأحزاب: ٣٨.

(٢) الجمل: ٣٦٨ وراجع الأمالي للمفيد: ٨/٢٤ والمناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٦١ وتاريخ

الطبري: ٤/٥١٩ و ص ٥٣٣ والأخبار الطوال: ١٥١ ونهاية الأرب: ٧٨/٢.

فتعود الحرب، فقال: عَرَقِبُوا^(١) الجمل. فتبادر إليه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فعرقبوه، ووقع لجنيه، وصاحت عائشة صيحة أسمعت من في العسكرين^(٢).

٤٦٠- في تاريخ الطبري عن ميسرة أبي جميلة: إنَّ محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر أتيا عائشة وقد عُقر الجمل، فقطعا غُرْضة^(٣) الرجل، واحتملا الهودج فنحّياه، حتى أمرهما عليّ فيه أمره بعد، قال: أدخلاها البصرة. فأدخلاها دار عبدالله بن خلف الخزاعي^(٤).

(١) تعرقبها: تقطع عرقوبها، والعرقوب هو الوتر الذي خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع (النهاية: ٢٢١/٣).

(٢) الجمل: ٣٥٠؛ تاريخ الطبري: ٥١٩/٤، الكامل في التاريخ: ٣٤٣/٢ كلاهما نحوه وراجع مروج الذهب: ٣٧٦/٢ والأخبار الطوال: ١٥٠ وشرح نهج البلاغة: ٢٦٢/١ والإمامة والسياسة: ٩٨/١.

(٣) الغُرْض: حزام الرجل، والغُرْضة كالغُرْض (لسان العرب: ١٩٣/٧).

(٤) تاريخ الطبري: ٥٣٣/٤ وراجع الكامل في التاريخ: ٣٤٦/٢ والبداية والنهاية: ٢٤٥/٧ والفتوح: ٤٨٥/٢.

أحداث بعد حرب الجمل

٤٦١- في الإرشاد: ومن كلامه [عليّ] عليه السلام عند تطوافه على قتلى الجمل: هذه قریش، جَدَعْتَ أَنْفِي، وَشَفَيْتُ نَفْسِي، لَقَدْ تَقَدَّمْتَ إِلَيْكُمْ أَحْذَرُكُمْ عَضَّ السَّيُوفِ، وَكُنْتُمْ أَحْدَاثًا لَا عِلْمَ لَكُمْ بِمَا تَرُونَ، وَلَكِنَّهُ الْحَيْنَ، وَسُوءَ الْمَصْرَعِ، فَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْمَصْرَعِ.

ثم مرّ على معبد بن المقداد فقال: رحم الله أباهذا، أما إنّه لو كان حيّاً لكان رأيه أحسن من رأي هذا.

فقال عمّار بن ياسر: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل، إنّا والله - يا أمير المؤمنين - ما نبالي من عندّ عن الحقّ من ولدٍ ووالد. فقال أمير المؤمنين: رحمك الله وجزاك عن الحقّ خيراً.

قال: ومرّ بعبد الله بن ربيعة بن درّاج - وهو في القتلى - فقال: هذا البائس، ما كان أخرجته؛ أدينّ أخرجته، أم نصرّ لعثمان؟! والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن.

ثم مرّ بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نحيزة^(١)، ولقد أخبرني من أدركه وإنّه ليُولول فرّقا من السيف.

ثم مرّ بمسلم بن قرظة فقال: البرّ أخرج هذا! والله، لقد كلّمني أن أكلم له عثمان في شيء كان يدّعيه قبله بمكّة، فأعطاه عثمان وقال: لو لآنت ما أعطيته، إنّ هذا - ما علمت - ببئس أخو العشيرة؛ ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثم مرّ بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضاً ممّن أوضع في قتالنا، زعم يطلب

(١) النحيزة: الطبيعة (مجمع البحرين: ٣/١٧٥٩).

الله بذلك، ولقد كتب إليّ كتباً يؤذي فيها عثمان، فأعطاه شيئاً، فرضي عنه.
ومرّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال: هذا خالف أباه في الخروج، وأبوه حيث لم
ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا، وإن كان قد كَفَّ وجلس حيث شكّ في القتال، وما ألوم
اليوم من كَفَّ عنّا وعن غيرنا، ولكن المليم الذي يقاتلنا!

ثمّ مرّ بعبد الله بن المغيرة بن الأحنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في
الدار، فخرج مغضباً لمقتل أبيه، وهو غلام حدث حين لقتله.

ثمّ مرّ بعبد الله بن أبي عثمان بن الأحنس بن شريق، فقال: أمّا هذا فإنّي أنظر إليه
وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصفّ، فنّهنت^(١) عنه، فلم يسمع من نهنت
حتى قتله. وكان هذا ممّا خفي على فتیان قريش، أعمار^(٢) لا علم لهم بالحرب، خدعوا
واستزّلوا، فلمّا وقفوا وقعوا فقتلوا.

ثمّ مشى قليلاً فمرّ بكعب بن سور^(٣) فقال: هذا الذي خرج علينا في عنقه
المصحف، يزعم أنّه ناصر أمّه، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه، ثمّ استفتح
وخاب كلّ جبار عنيد^(٤). أمّا إنّه دعا الله أن يقتلني، فقتله الله. أجلسوا كعب بن سور.
فأجلس، فقال أمير المؤمنين: يا كعب، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما
وعدك ربك حقّاً؟ ثمّ قال: أضجعوا كعباً.

ومرّ على طلحة بن عبيدالله فقال: هذا الناكث بيعتي، والمنشئ الفتنة في الأمة،
والمجلب عليّ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوا طلحة. فأجلس، فقال أمير
المؤمنين: يا طلحة بن عبيدالله، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعد ربك

(١) نهنت: إذا صحت به لتكفّه (مجمع البحرين: ٢/١٨٤١).

(٢) أعمار: جمع غمر: الذي لم يجزّب الأمور (المحيط في اللغة: ٥/٨١).

(٣) كعب بن سور من بني لقيط، قتل يوم الجمل، كان يخرج بين الصّفين معه المصحف يدعو إلى ما
فيه، فجاءه سهم غرب فقتله، ولأه عمر بن الخطّاب قضاء البصرة بعد أبي مریم (الجرح والتعديل:
٧/١٦٢/١٩١٢).

(٤) إشارة للآية ١٥ من سورة إبراهيم.

حقاً؟ ثم قال: أضجعوا طلحة، وسار.

فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين، أتكلم كعباً وطلحة بعد قتلها؟
قال: أم والله، إنهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب^(١) كلام رسول الله ﷺ
يوم بدر^(٢).

٤٦٢ - قال الإمام الباقر عليه السلام: أمر علي بن أبي طالب مناديه فنادى يوم البصرة: «لا يتبع مدبر، ولا يذقق^(٣) على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن»، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً^(٤).

٤٦٣ - في الأخبار الطوال: نادى علي بن أبي طالب في أصحابه: لا تتبعوا مولياً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تنتهبوا مالاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن^(٥).

٤٦٤ - في الجمل عن معاذ بن عبيد الله التميمي: فوالله، لقد رأيت أصحاب علي بن أبي طالب وقد وصلوا إلى الجمل، وصاح منهم صائح: اعقروه، فعقروه فوقع.

فنادى علي بن أبي طالب: من طرح السلاح فهو آمن، ومن دخل بيته فهو آمن.
فوالله، ما رأيت أكرم عفواً منه^(٦).

٤٦٥ - في شرح الأخبار عن موسى بن طلحة بن عبيد الله - وكان فيمن أسر يوم الجمل،

(١) القليب: البئر التي لم تطوّ (النهاية: ٩٨/٤) وأشار عليه السلام إلى كلام رسول الله ﷺ في غزوة بدر مع قتلى قريش الذين طرّحوا في البئر (راجع السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٢٩٢).

(٢) الإرشاد: ٢٥٤/١، الجمل: ٣٩١ نحوه مع تقديم وتأخير، بحار الأنوار: ١٦٣/٢٠٧/٣٢ وراجع تصحيح الاعتقاد: ٩٣ والشافي: ٤/٣٤٤ والاحتجاج: ١/٣٨١/٧٣ و٧٤ وشرح نهج البلاغة: ٢٤٨/١.

(٣) الذق: الإجهاز على الجريح (الصالح: ٤/١٢٦٢).

(٤) السنن الكبرى: ١٦٧٤٧/٣١٤/٨، المصنّف لابن أبي شيبة: ٦٠/٧١٨/٨ كلاهما عن حفص بن غياث عن الإمام الصادق عليه السلام وراجع الأمالي للمفيد: ٨/٢٥.

(٥) الأخبار الطوال: ١٥١؛ تاريخ يعقوبي: ١٨٣/٢، شرح الأخبار: ٣٣٤/٣٩٥/١ عن أبي البخري «و كلاهما نحوه وراجع فتح الباري: ٥٧/١٣ والعقد الفريد: ٣/٣٢٧.

(٦) الجمل: ٣٦٥ وراجع الأمالي للمفيد: ٨/٢٥ وتاريخ يعقوبي: ١٨٣/٢٠ وشرح الأخبار: ٢٨١/٢٩٥/١ ومروج الذهب: ٣٧٨/٢ والأخبار الطوال: ١٥١.

وحُبس مع من حُبس من الأسارى بالبصرة - كنت في سجن علي بالبصرة، حتى سمعت المنادي ينادي: أين موسى بن طلحة بن عبيدالله؟ فاسترجعت واسترجع أهل السجن، وقالوا: يقتلك.

فأخرجني إليه، فلمّا وقفت بين يديه قال لي: يا موسى! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: قل: أستغفر الله وأتوب إليه ثلاث مرّات. فقلت: أستغفر الله وأتوب إليه - ثلاث مرّات - فقال: لمن كان معي من رسله: خلّوا عنه، وقال لي: اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذ، واتّق الله فيما تستقبله من أمرك، واجلس في بيتك. فشكرت له وانصرفت^(١).

٤٦٦ - قال الإمام زين العابدين عليه السلام: دخلت على مروان بن الحكم، فقال: ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك، ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل، فنادى مناديه: لا يُقتل مدبر، ولا يُذفّف على جريح^(٢).

عفو علي عليه السلام عن المفتونين

٤٦٧ - في أنساب الأشراف: قام عليّ - حين ظهر وظفر - خطيباً فقال: يا أهل البصرة! قد عفوت عنكم؛ فإياكم والفتنة؛ فإنكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا الأُمّة. ثمّ جلس وبايعه الناس^(٣).

٤٦٨ - في الإرشاد: ومن كلامه [عليّ عليه السلام] بالبصرة حين ظهر على القوم، بعد حمد الله والثناء عليه:

(١) شرح الأخبار: ٣٣١/٣٨٩/١، المناقب لابن شهر آشوب: ١١٤/٢ وفيه من «قل: استغفر الله...».

(٢) السنن الكبرى: ١٦٧٤٦/٣١٤/٨ عن إبراهيم بن محمّد عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام، فتح

الباري: ٥٧/١٣، أنساب الأشراف: ٥٧/٣ عن أنس بن عياض نحوه؛ المبسوط: ٢٦٤/٧ كلاهما

عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام وفيه «يدنّف» بدل «يذفّف» وراجع الطبقات الكبرى: ٩٣/٥ والبداية

والنهاية: ٢٤٥/٧ والإمامة والسياسة: ٩٧/١.

(٣) أنساب الأشراف: ٥٨/٣.

أما بعد؛ فإن الله ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جمّ، وعقاب أليم، قضى أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه، وبرحمته اهتدى المهتدون، وقضى أنّ نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه، وبعد الهدى والبيّنات ما ضلّ الضالّون. فما ظنّكم - يا أهل البصرة - وقد نكثتم بيعتي، وظهرتم عليّ عدويّ؟

فقام إليه رجل فقال: نظنّ خيراً، ونراك قد ظفرت وقدرت، فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك، وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى الله.

فقال: قد عفوت عنكم؛ فإياكم والفتنة؛ فإنكم أوّل الرعيّة نكث البيعة، وشقّ عصا هذه الأمّة.

قال: ثمّ جلس للناس فبايعوه^(١).

ندم الناس

٤٦٩ - في الجمل عن هاشم بن مساحق القرشي: حدّثني أبي أنّه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم، فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل - يعنون أمير المؤمنين عليه السلام - ونكثنا بيعته من غير حدّث، والله لقد ظهر علينا، فما رأينا قطّ أكرم سيرةً منه، ولا أحسن عفواً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقوموا حتى ندخل عليه ونعتذر إليه ممّا صنعناه.

قال: فصرنا إلى بابه، فاستأذناه فأذن لنا، فلما مثلنا بين يديه جعل متكّماً يتكلم. فقال عليه السلام: أنصتوا أكفكم، إنّما أنا بشر مثلكم؛ فإن قلت حقاً فصدّقوني، وإن قلت باطلاً فردّوا عليّ.

أنشدكم الله! أتعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض كنت أنا أولى الناس به وبالناس من بعده؟ قلنا: اللهم نعم.

(١) الإرشاد: ٢٥٧/١، الجمل: ٤٠٧ عن الحارث بن سريع نحوه، بحار الأنوار: ٣٢/٢٣٠/١٨٢ وراجع الأخبار الطوال: ١٥١.

قال: فعدلتم عني وبايعتم أبا بكر، فأمسكتُ ولم أُحبَّ أن أشقَّ عصا المسلمين، وأفرق بين جماعتهم؛ ثم إنَّ أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت، ولم أهج الناس، وقد علمت أنَّي كنت أولى الناس بالله وبرسوله وبمقامه، فصبرت حتى قُتل عمر، وجعلني سادس سنة، فكففت ولم أُحبَّ أن أفرق بين المسلمين، ثمَّ بايعتم عثمان فطعنتم عليه فقتلتموه وأنا جالس في بيتي، فأتيتموني وبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر؛ فما بالكم وفيتم لهما ولم تفوا لي؟! وما الذي منعكم من نكث بيعتهما ودعاكم إلى نكث بيعتي؟

فقلنا له: كن يا أمير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(١).
فقال عليه السلام: لا تثريب عليكم اليوم، وإنَّ فيكم رجالاً لو بايعني بيده لنكث بأسته - يعني مروان بن الحكم -^(٢).

تأنيب عائشة من الصحابة

٤٧٠ - في تاريخ الطبري عن أبي يزيد المدني: قال عمّار بن ياسر لعائشة حين فرغ القوم: يا أم المؤمنين! ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليك!
قالت: أبو اليقظان! قال: نعم.
قالت: والله، إنَّك - ما علمت - قوَّالٌ بالحق. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك^(٣).

٤٧١ - في الأمالي للطوسي عن موسى بن عبد الله الأسدي: لمَّا انهزم أهل البصرة أمر علي بن أبي طالب عليه السلام أن تنزل عائشة قصر أبي خلف، فلمَّا نزلت جاءها عمّار بن ياسر

(١) يوسف: ٩٢.

(٢) الجمل: ٤١٦، الأمالي للطوسي: ١١٠٩/٥٠٦، شرح الأخبار: ١/٣٩٢/٣٣٣ عن هشام بن مساحق وكلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٣٢/٢٦٢/٢٠٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/٥٤٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٤٨، فتح الباري: ١٣/٥٨ كلاهما نحوه.

فقال لها: يا أمّت! كيف رأيت ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟
فقالت: استبصرت يا عمّار من أجل أنك غلبت.

قال: أنا أشدّ استبصاراً من ذلك، أما والله، لو ضربتمونا حتى تبلغونا سعفات هجر
لعلمنا أننا على الحقّ، وأنكم على الباطل.

فقالت له عائشة: هكذا يُخيّل إليك، اتق الله يا عمّار! فإن سنّك قد كبر، ودقّ عظمك،
وقني أجلك، وأذهبت دينك لابن أبي طالب.

فقال عمّار: إنّي والله، اخترت لنفسي في أصحاب رسول الله ﷺ، فرأيت عليّاً
أقرأهم لكتاب الله عزّ وجلّ، وأعلمهم بتأويله، وأشدّهم تعظيماً لحرمة، وأعرفهم
بالسنّة، مع قرابته من رسول الله ﷺ وعظم عنائه وبلائه في الإسلام. فسكنت^(١).

٤٧٢ - في تاريخ اليعقوبي: وجّه [عليّ] ابن عباس إلى عائشة يأمرها بالرجوع، فلمّا
دخل عليها ابن عباس قالت: أخطأت السنّة يا ابن عباس مرّتين: دخلت بيتي بغير إذني،
وجلست على متاعي بغير أمري.

قال: نحن علمنا إياك السنّة؛ إنّ هذا ليس ببيتك، بيتك الذي خلّفك رسول الله به،
وأمرك القرآن أن تقرّي فيه^(٢).

٤٧٣ - في مروج الذهب: بعث [عليّ] بعبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها
بالخروج إلى المدينة، فدخل عليها بغير إذنها، واجتذب وسادة فجلس عليها.
فقالت له: يا ابن عباس! أخطأت السنّة المأمور بها، دخلت إلينا بغير إذنا، وجلست
على رحلنا بغير أمرنا.

فقال لها: لو كنت في البيت الذي خلّفك فيه رسول الله ﷺ ما دخلنا إلا بإذنك، وما
جلسنا على رحلك إلا بأمرك، وإنّ أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب
للخروج إلى المدينة.

(١) الأمازي للطوسي: ٢٣٣/١٤٣، بشارة المصطفى: ٢٨١ وفيه «ابن أبي خلف» بدل «أبي خلف».

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٨٣/٢، شرح الأخبار: ٣٣٢/٣٩٠/١ عن ابن عباس نحوه، بحار الأنوار:

فقلت: أبيتُ ما قلت، وخالفت ما وصفت.

فمضى إلى عليّ، فخبّره بامتناعها، فردّه إليها، وقال: إنّ أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي، فأنعمت وأجابت إلى الخروج^(١).

٤٧٤- في رجال الكشي عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي: حدّثني بعض أشياخي قال: لما هزم عليّ بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل، بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل، وقلة العرجة^(٢).

قال ابن عباس: فأتيته وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة، قال: فطلبت الإذن عليها، فلم تأذن، فدخلت عليها من غير إذنها، فإذا بيت قفار لم يعدّ لي فيه مجلس، فإذا هي من وراء ستريين.

قال: فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رحل عليه طنفسة^(٣)، قال: فمددت الطنفسة فجلست عليها.

فقلت من وراء الستر: يا ابن عباس! أخطأت السنة؛ دخلت بيتنا بغير إذنا، وجلست على متاعنا بغير إذنا.

فقال لها ابن عباس: نحن أولى بالسنة منك، ونحن علمناك السنة، وإنّما بيتك الذي خلّقك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرجت منه ظالمةً لنفسك، غاشيةً لدينك، عاتيةً على ربك، عاصيةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلّا بإذتك، ولم نجلس على متاعك إلّا بأمرك. إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة، وقلة العرجة.

فقلت: رحم الله أمير المؤمنين! ذلك عمر بن الخطاب.

فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين، وإن تزبّدت^(٤) فيه وجوه، ورعّمت^(٥) فيه

(١) مروج الذهب: ٣٧٧/٢، العقد الفريد: ٣٢٦/٣ عن ابن عباس، الفتوح: ٤٨٦/٢ كلاهما نحوه.

(٢) العرجة: المَقام (لسان العرب: ٣٢١/٢).

(٣) هي البساط الذي له خَمَل رقيق (النهاية: ١٤٠/٣).

(٤) تزبّد الإنسان: إذا غضب وظهر على صماغية زيدتان (لسان العرب: ١٩٢/٣).

معاطس! أما والله، لهو أمير المؤمنين، وأمس برسول الله رحماً، وأقرب قرابة، وأقدم سبقاً، وأكثر علماً، وأعلى مناراً، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر.

فقالت: أبيت ذلك...

قال: ثم نهضت وأتيت أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بمقالتها، وما رددتُ عليها، فقال: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك ^(٦).

٤٧٥- في تاريخ اليعقوبي - في خبر عائشة -: أتاه عليٌّ، وهي في دار عبدالله بن خلف الخزاعي، وابنه المعروف بطلحة الطلحات، فقال: إيهاً يا حميراً! ألم تنتهي عن هذا المسير؟ فقالت: يا بن أبي طالب! قدرت فأسجح!

فقال: اخرجي إلى المدينة، وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله أن تقرِّي فيه. قالت: أفعل ^(٧).

٤٧٦- في مروج الذهب - في خبر عائشة -: جهّزها [عائشة] عليٌّ وأتاه في اليوم الثاني، ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم وغيرهم من شيعته من همدان، فلما بصرت به النسوان صحنَ في وجهه وقلن: يا قاتل الأحبة!

فقال: لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عامر، وغيرهم. فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لما علموا من في البيت مخافة أن يخرجوا منه فيغتالوه.

فقالت له عائشة - بعد خطب طويل كان بينهما -: إني أحب أن أقيم معك، فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك.

(٥) يقال رَغِمَ وارغَمَ الله أنفه: أي ألصقه بالرغام؛ وهو التراب. هذا هو الأصل. ثم استعمل في الدلّ والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره (النهاية: ٢/٢٣٨).

(٦) رجال الكشي: ١/٢٧٧/١٠٨.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٣.

فقال: بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فسألته أن يؤمن ابن أختها عبدالله بن الزبير، فأمنه، وتكلم الحسن والحسين في مروان، فأمنه، وأمن الوليد بن عتبة وولد عثمان وغيرهم من بني أمية، وأمن الناس جميعاً.

وقد كان نادى يوم الواقعة: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن^(١).

٤٧٧- في تاريخ الطبري عن محمد وطلحة: دخل عليّ البصرة يوم الإثنين، فانتهى إلى

المسجد، فصلّى فيه، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس، ثمّ راح إلى عائشة على بغلته، فلما

انتهى إلى دار عبدالله بن خلف - وهي أعظم دار بالبصرة - وجد النساء يبكين على

عبدالله وعثمان - ابني خلف - مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي.

فلما رآته قالت: يا عليّ، يا قاتل الأحبة، يا مفرّق الجمع! أيتّم الله بنيك منك كما أيتمت

ولد عبدالله منه!

فلم يردّ عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها، وقعد

عندها، وقال لها: جبهتنا صفية، أما إنّي لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم.

فلما خرج عليّ أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفّ بغلته وقال: أما لهممت -

وأشار إلى الأبواب من الدار - أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثمّ هذا فأقتل من فيه، ثمّ

هذا فأقتل من فيه - وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأخبر عليّ بمكانهم

عندها، فتعافل عنهم - فسكتت.

فخرج عليّ فقال رجل من الأزد: والله، لا تفلتنا هذه المرأة! فغضب وقال: صه! لا

تهتكنّ ستراً، ولا تدخلنّ داراً، ولا تهيجنّ امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسفهن

أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنهنّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنهنّ لمشركات،

وإنّ الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب، فيعيّر بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن

(١) مروج الذهب: ٣٧٧/٢ وراجع دعائم الإسلام: ١/٣٩٤ وتفسير فرات: ١١١/١١٣.

أحد عَرَضَ لامرأة، فأنكَلُ به شرار الناس^(١).

ترحيل عائشة وندمها

٤٧٨ - في مسند ابن حنبل عن أبي رافع: إن رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب: إنّه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أنا؟ قال: نعم. قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمّنها^(٢).

٤٧٩ - في الأخبار الطوال - في ذكر أحداث ما بعد حرب الجمل - قال [عليّ بن أبي طالب] لمحمّد ابن أبي بكر: سير مع أختك حتى توصلها إلى المدينة، وعجلّ اللحوق بي بالكوفة. فقال: أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال عليّ: لا أعفك منه، وما لك بُدُّ. فسار بها حتى أوردها المدينة^(٣).

٤٨٠ - في الجمل: لما عزم أمير المؤمنين ﷺ على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهنّ العمائم والقلانس^(٤)، وقلدهنّ السيوف، وأمرهنّ أن يحفظنها، ويكنّ عن يمينها وشمالها ومن ورائها.

فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعليّ بن أبي طالب بما فعل بي! بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله ﷺ.

فلما قدمنّ المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلنّ معها، فلما رأتهنّ ندمت على ما فرّطت بدمّ أمير المؤمنين ﷺ وسبّه.

(١) تاريخ الطبري: ٥٣٩/٤، الكامل في التاريخ: ٣٤٧/٢ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٢٤٦/٧ والفتوح: ٤٨٣/٢.

(٢) مسند ابن حنبل: ٢٧٢٦٨/٣٤٣/١٠، المعجم الكبير: ٩٩٥/٣٣٢/١، فتح الباري: ٥٥/١٣ شرح الأخبار: ٣٣٥/٣٩٥/١ نحوه.

(٣) الأخبار الطوال: ١٥٢.

(٤) القلنسوة: تلبس في الرأس والجمع قلانس (تاج العروس: ٤٢٤/٨).

وقالت: جرى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ في حرمته رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

٤٨١- في الكامل في التاريخ عن عائشة - بعد حرب الجمل -: والله، لو ددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة (٢).

٤٨٢- في نهاية الأرب: أتى وجوه الناس إلى عائشة وفيها: القعقاع بن عمرو، فسلم عليها فقالت: والله، لو ددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة! (٣)

٤٨٣- في فتح الباري عن محمد بن قيس: ذكر لعائشة يوم الجمل قالت: والناس يقولون يوم الجمل؟ قالوا: نعم، قالت: وددت أني جلست كما جلس غيري؛ فكان أحب إلي من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام (٤).

٤٨٤- في المستدرک علی الصحیحین عن عائشة: وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام، وأنني لم أسير مسيري مع ابن الزبير (٥).

٤٨٥- في الطبقات الكبرى عن عمارة بن عمير: حدثنني من سمع عائشة إذا قرأت هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (٦) بكت حتى تبل خمارها (٧).

(١) الجمل: ٤١٥؛ الإمامة والسياسة: ٩٨/١، مروج الذهب: ٣٧٩/٢ وفيه «بعث معها علي أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة...» بدل «لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير...»، تاريخ الطبري: ٥٤٤/٤ عن محمد وطلحة، الكامل في التاريخ: ٣٤٧/٢، البداية والنهاية: ٢٤٦/٧ وكلها نحوه وراجع تاريخ يعقوبي: ١٨٣/٢ والفتوح: ٤٨٧/٢.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٤٥/٢، شرح نهج البلاغة: ٢٦٤/١ عن جندب بن عبد الله، الفتوح: ٤٨٧/٢، المعيار والموازنة: ٦١.

(٣) نهاية الأرب: ٧٩/٢٠.

(٤) فتح الباري: ٥٥/١٣، مجمع الزوائد: ١٢٠٤٠/٤٨٠/٧، أسد الغابة: ٣٢٨٣/٤٢٩/٣، تاريخ دمشق: ٢٧٤/٣٤ وزاد في ذيله «أو مثل عبد الله بن الزبير».

(٥) المستدرک علی الصحیحین: ٤٦٠٩/١٢٩/٣، الاعتقاد والهداية: ٢٤٦ وفيه «مثل ولد الحارث بن هشام» بدل «مثل الحارث بن هشام» وراجع المصنّف لابن أبي شيبة: ٥٥/٧١٧/٨ وأنساب الأشراف: ٦٠/٣.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

(٧) الطبقات الكبرى: ٨١/٨، الزهد لابن حنبل: ٢٠٥، أنساب الأشراف: ٦٠/٣ كلاهما عن

٤٨٦- في تاريخ بغداد عن عروة: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطّ، إلا بكت حتى تبلّ خمارها وتقول: يا ليتني كنت نسياً منسياً^(١).

٤٨٧- في المناقب للخوارزمي عن أبي عتيق: قالت عائشة: إذا مرّ ابن عمر فأرونيه، فلما مرّ قيل لها: هذا ابن عمر، قالت: يا أبا عبد الرحمن، ما يمنعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: قد رأيت رجلاً قد غلب عليك [يعني ابن الزبير]، وظننت أن لا تخالفه. قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت^(٢).

غنائم الحرب لمن؟

٤٨٨- في شرح نهج البلاغة: اتفقت الرواة كلّها على أنّه [عليّاً عليه السلام] قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض، فقسّمه بين أصحابه، وأنّهم قالوا له: اقسّم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا. فقالوا: فكيف تحلّ لنا دماءهم، وتحرّم علينا سبيهم! فقال: كيف يحلّ لكم ذرّية ضعيفة في دار هجرة وإسلام! أمّا ما أجب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأمّا ما وارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه.

فلما أكثروا عليه قال: فاقرعوا على عائشة؛ لأدفعها إلى من تُصيبه القرعة!

فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين! ثمّ انصرفوا^(٣).

٤٨٩- في شرح الأخبار: كان عليّ صلوات الله عليه قد غنم أصحابه ما أجب به أهل البصرة إلى قتاله، وأجلبوا به: يعني أتوا به في عسكرهم - ولم يعرض لشيء غير ذلك من أموالهم، وجعل ما سوى ذلك من أموال من قُتل منهم لورثتهم، وخمس ما أُنغمه

= أبي الضحى عمّن سمع عائشة، سير أعلام النبلاء: ١٩/١٧٧/٢، الدرّ المثثور: ٦/٦٠٠ عن مسروق.

(١) تاريخ بغداد: ٤٧٦٦/١٨٥/٩، الاعتقاد والهداية: ٢٤٦، المناقب للخوارزمي: ١٨٢/٢٢٠.

(٢) المناقب للخوارزمي: ١٨٢/٢١٨، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/٧٧٦ عن ابن أبي عتيق.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/٢٥٠ وراجع الإمامة والسياسة: ١/٩٧.

مما أجليوا به عليه، فجرت أيضاً بذلك السنة^(١).

٤٩٠- في مروج الذهب: قبض [علي عليه السلام] ما كان في معسكرهم من سلاح ودابة ومتاع وآلة وغير ذلك، فباعه وقسّمه بين أصحابه، وأخذ لنفسه - كما أخذ لكل واحد ممّن معه من أصحابه وأهله وولده - خمسمائة درهم.

فأتاه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين! إني لم آخذ شيئاً، وخلفني عن الحضور كذا - وأدلى بعذر - فأعطاه الخمسمائة التي كانت له^(٢).

٤٩١- في الجمل: ثم نزل عليه السلام [أي بعد خطبته في أهل البصرة] واستدعى جماعة من أصحابه، فمشوا معه حتى دخل بيت المال، وأرسل إلى القراء، فدعاهم ودعا الخزّان وأمرهم بفتح الأبواب التي داخلها المال، فلما رأى كثرة المال قال: «هذا جناي وخياره فيه»^(٣).

ثم قسّم المال بين أصحابه فأصاب كل رجل منهم ستة آلاف ألف درهم، وكان أصحابه اثني عشر ألفاً، وأخذ هو عليه السلام كأحدهم، فبينما هم على تلك الحالة، إذ أتاه آتٍ فقال: يا أمير المؤمنين! إن اسمي سقط من كتابك، وقد رأيت من البلاء ما رأيت. فدفع سهمه إلى ذلك الرجل.

وروى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: لقد رأيت بالبصرة عجباً! لما قدم طلحة والزبير قد أرسلا إلى أناس من أهل البصرة وأنا فيهم، فدخلنا بيت المال معهما، فلما رأيا ما فيه من الأموال قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله. ثم

(١) شرح الأخبار: ٣٣١/٣٨٩/١.

(٢) مروج الذهب: ٣٨٠/٢ وراجع الأخبار الطوال: ٢١١.

(٣) قال ابن منظور: في الحديث: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دخل بيت المال فقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي، غرّي غيري.

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جناي يئده إلى فيه

قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلاً للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده. وأراد علي رضوان الله عليه بقول ذلك أنه لم يتلّخ بشيء من فيء المسلمين بل وضعه مواضعه. والجنى: ما يُجنى من الشجر (لسان العرب: ١٤/١٥٥ وراجع مجمع الأمثال: ٤٨٨/٣).

تلياً هذه الآية: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إلى آخر الآية وقالوا: نحن أحقّ بهذا المال من كلّ أحد.

فلما كان من أمر القوم ما كان دعانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخلنا معه بيت المال، فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: يا صفراء يا بيضاء، غري غيري! وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم عزلها لنفسه، فجاءه رجل فقال: إن اسمي سقط من كتابك. فقال عليه السلام: ردّها عليه. ثمّ قال:

الحمد لله الذي لم يصل إليّ من هذا المال شيء، ووفّره على المسلمين^(١).

الإمام يقسم الأموال

٤٩٢ - في الجمل: لما خرج عثمان بن حنيف من البصرة، وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأملاً ما فيه، فلما رأوا ما حواه من الذهب والفضّة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها، وأخبرنا أنّها يعجلها لنا.

قال أبو الأسود: فقد سمعت هذا منهما، ورأيت عليّاً عليه السلام بعد ذلك، وقد دخل بيت مال البصرة، فلما رأى ما فيه قال: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري! المال يعسوب^(٢) الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين.

فلا والله ما التفت إلى ما فيه، ولا فكّر فيما رآه منه، وما وجدته عنده إلا كالتراب هوأنا! فعجبت من القوم ومنه عليه السلام! فقلت: أولئك ممّن يريد الدنيا، وهذا ممّن يريد الآخرة، وقويت بصيرتي فيه^(٣).

٤٩٣ - في الجمل عن الواقدي: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيّها الناس! إنّي أحمد الله على نعمه؛ قُتل طلحة والزبير، وهُزمت عائشة. وأيم الله لو

(١) الجمل: ٤٠٠ وراجع مروج الذهب: ٣٨٠/٢ وشرح نهج البلاغة: ٢٤٩/١ وج ٣٢٢/٩.

(٢) يعسوب: السيّد والرئيس والمقدّم (النهاية: ٢٣٤/٣).

(٣) الجمل: ٢٨٥.

كانت عائشة طلبت حقاً وأهانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وإنَّ أوَّلَ خطئها في نفسها، وما كانت والله على القوم إلا أشام من ناقة الحِجْر^(١)، وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً، وما زادهم الشيطان إلا طغياناً. ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين، إنَّ إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله، وآمنوا به يرجون مغفرة من الله، وإننا لعلَى الحقِّ، وإنهم لعلَى الباطل، وسيجمعنا الله وإياهم يوم الفصل، وأستغفر الله لي ولكم^(٢).

خطبة الإمام بالبصرة بعد الحرب

٤٩٤- في الجمل: لما كتب أمير المؤمنين عليه السلام الكتب بالفتح قام في الناس خطيباً، فحمد

الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، ثم قال:

أما بعد؛ فإنَّ الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام، جعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته، وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف أمره، وابتدع في دينه ما ليس منه، وبرحمته نال الصالحون العون، وقد أمكنتني الله منكم يا أهل البصرة، وأسلمكم بأعمالكم؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها؛ فإنكم أوَّل من شرع القتال والشقاق، وترك الحقَّ والإنصاف^(٣).

٤٩٥- في الجمل عن الحارث بن سريع: لما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة

وقسم ما حواد العسكر، قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وقال:

أيها الناس! إنَّ الله عزَّ وجلَّ ذورحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أنَّ نعمته وعقابه على أهل معصيته.

(١) يشير بهذا إلى قصة ناقة صالح عليه السلام . والحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وفيها بئر ثمود (راجع: معجم البلدان: ٢/٢٢١).

(٢) الجمل: ٤٠٢.

(٣) الجمل: ٤٠٠ وراجع الإرشاد: ١/٢٥٧ وبحار الأنوار: ٣٢/٢٣٠/١٨٢.

يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة، وأتباع البهيمة! رغا فأجبتكم، وعُقر فانهزمتكم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مُزّاق.

يا أهل البصرة! أنتم شرّ خلق الله؛ أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء. خفّت عقولكم، وسفّهت أحلامكم. شهرتم سيوفكم، وسفكتم دماءكم، وخالفتم إمامكم؛ فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، فالنار لكم مدّخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة! نكتتم بيعتي، وظهرتم عليّ ذوي عداوتي، فما ظنكم يا أهل البصرة الآن^(١).

٤٩٦ - في الأخبار الطوال: دخل عليّ عليه السلام البصرة، فأتى مسجدها الأعظم، واجتمع

الناس إليه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

أما بعد؛ فإنّ الله نورحة واسعة وعقاب أليم، فما ظنكم بي يا أهل البصرة؛ جُند المرأة، وأتباع البهيمة؟ رغا فقاتلتكم، وعُقر فانهزمتكم، أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، وماؤكم زعاق^(٢). أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، وآيم الله ليأتين عليها زمان لا يُرى منها إلا شرفات مسجدها في البحر، مثل جوجؤ^(٣) السفينة، انصرفوا إلى منازلكم.

ثم نزل، وانصرف إلى معسكره^(٤).

٤٩٧ - قال الإمام عليّ عليه السلام - في ذمّ أهل البصرة بعد وقعة الجمل -: كنتم جند المرأة،

وأتباع البهيمة؛ رغا فأجبتكم، وعُقر فاهزمتكم. أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق، والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبيه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربّه. كأني بمسجدكم كجوجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها

(١) الجمل: ٤٠٧ وراجع تفسير القمي: ٣٣٩/٢ والاحتجاج: ٢٥٠/١ ونشر الدرر: ٣١٥/١ ومروج الذهب: ٣٧٧/٢.

(٢) ماء زعاق: مرّ غليظ لا يطاق شربه من أجوجته (لسان العرب: ١٠/١٤١).

(٣) الجوجؤ: الصدر (النهاية: ١/٢٢٢).

(٤) الأخبار الطوال: ١٥١.

ومن تحتها، وغرق من في ضمنها^(١).

٤٩٨ - في معجم البلدان: في رواية أنّ علياً عليه السلام لمّا فرغ من وقعة الجمل دخل البصرة فأتى مسجدها الجامع، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّ الله ذورحمة واسعة، فما ظنكم يا أهل البصرة؟ يا أهل السبخة، يا أهل المؤتفكة؛ ائتفكت^(٢) بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة، يا جند المرأة، ثم ذكر الذي قبله، ثمّ قال: انصرفوا إلى منازلكم وأطيعوا الله وسلطانكم.

وخرج حتى صار إلى المربد، والتفت وقال: الحمد لله الذي أخرجني من شرّ البقاع تراباً، وأسرعها خراباً^(٣).

٤٩٩ - في الجمل عن الواقدي عن رجاله: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام الخروج من البصرة استخلف عليها عبدالله بن العباس وأوصاه، فكان في وصيته له أن قال: يا ابن عباس، عليك بتقوى الله والعدل بمن ولىت عليه، وأن تبسط للناس وجهك، وتوسّع عليهم مجلسك وتسعهم بحلمك. وإياك والغضب؛ فإنّه طيرة من الشيطان، وإياك والهوى؛ فإنّه يصدك عن سبيل الله.

واعلم أنّ ما قرّبك من الله فهو مباعدك من النار، وما باعدك من الله فهو مقرّبك من النار. واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين.

وروى أبو مخنف لوط بن يحيى قال: لمّا استعمل أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس على البصرة خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثمّ قال: يا معاشر الناس، قد استخلفت عليكم عبدالله بن العباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله؛ فإن أحدث فيكم أو زاع عن الحقّ فأعلموني أعزّه عنكم؛ فإنّي أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإنّي لم أوله عليكم إلّا وأنا أظنّ ذلك به، غفر الله لنا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣؛ المناقب للخوارزمي: ١٨٩.

(٢) أي غرقت، فشبه غرقها بانقلابها (النهاية: ١/٥٦).

(٣) معجم البلدان: ٤٣٦/١.

ولكم.

فأقام عبدالله بالبصرة حتى عمل أمير المؤمنين عليه السلام على التوجه إلى الشام، فاستخلف عليها زياد ابن أبيه، وضم إليه أبا الأسود الدؤلي، ولحق بأمر المؤمنين عليه السلام، فسار معه إلى صفين ^(١).

(١) الجمل: ٤٢٠ وراجع نهج البلاغة: الكتاب ٧٦.

الإمام يتوجه الى الكوفة

٥٠٠ - قال الإمام علي عليه السلام - في كتابه إلى أهل الكوفة -: بسم الله الرحمن الرحيم، من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة: سلام عليكم، فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد؛ فإن الله حكّم عدل ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾^(١).

وإنني أخبركم عنّا، وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير بعد نكثهما صفقة أيمانهما.

فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم، وما صنعوه بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت نازقار، فبعثت إليكم ابني الحسن وعمّاراً وقيساً فاستنفروكم لحقّ الله وحقّ رسوله وحقّنا، فأجابني إخوانكم سراعاً حتى قدموا عليّ.

فسرت بهم وبالمسارعين منهم إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء، وأقمت الحجّة، وأقلت العثرة والزلة من أهل الردّة من قريش وغيرهم، واستتبتهم عن نكثهم بيعتي، وعهد الله لي عليهم، فأبوا إلا قتالي، وقتال من معي، والتمادي في الغي، فناهضتهم بالجهاد.

فقتل من قتل منهم، وولّى من ولّى إلى مصرهم، فسألوني ما دعوتهم إليه من كفّ القتال، فقبلت منهم، وغمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنة بينهم، واستعملت عبدالله بن العباس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

وقد بعثت إليكم زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنّا وعنهم، وردّهم الحقّ

علينا، وردّهم الله وهم كارهون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكتب عبيدالله بن أبي رافع في جمادى الأولى من سنة ستّ وثلاثين من الهجرة^(١).

٥٠١- في وقعة صفين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود وغيره: لما قدم عليّ بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ستّ وثلاثين، وقد أعزّ الله نصره، وأظهره على عدوّه، ومعه أشرف الناس وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة وفيهم قرآؤهم وأشرفهم، فدعوا له بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين، أين تنزل؟ أتتزل القصر؟ فقال: لا، ولكنّي أنزل الرحبة. فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين، ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال:

أما بعد؛ يا أهل الكوفة! فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا. دعوتكم إلى الحقّ فأجبتكم، وبدأتم بالمنكر فغيّرتكم. ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم. فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه. ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى، وطول الأمل. فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأما طول الأمل فيئسي الآخرة. ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة، والآخرة ترحّلت مقبلة، وكلّ واحدة منها بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة. اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. الحمد لله الذي نصر وليّه، وخذل عدوّه، وأعزّ الصادق المحقّ، وأذلّ الناكث المبطل.

عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه، من المنتحلين المدّعين المقابلين إلينا، يتفضّلون بفضلنا، ويجاهدونا أمرنا، وينازعوننا حقّنا، ويدافعونا عنه. فقد ذاقوا وبال ما اجتروا فسوف يلقون غيًّا. ألا إنّ الله قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارٍ. فهاجروهم وأسبعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا، ليُعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

(١) الجمل: ٣٩٨، الإرشاد: ٢٥٨/١، الشافي: ٣٢٩/٤، معادن الحكمة: ١/٤٤٧/٨٥ كلّها نحوه،

بحار الأنوار: ١٨٢/٢٣١/٣٢.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي - وكان صاحب شرطته - فقال: والله إنني لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلاً. والله لئن أمرتنا لنقتلنهم. فقال علي: سبحان الله يا مال! جزت المدى، وعدوت الحد، وأغرقت في النزاع! فقال: يا أمير المؤمنين! لبعض الغشم^(١) أبلغ في أمور تنوبك من مهادنة الأعداء. فقال علي: ليس هكذا قضى الله يا مال، قتل النفس بالنفس؛ فما بال الغشم؟ وقال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٢) والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك؛ فقد نهى الله عنه، وذلك هو الغشم^(٣).

٥٠٢- في وقعة صفين عن الأصبع بن نباتة: إن علياً لما دخل الكوفة قيل له: أي القصرين تُنزلك؟ قال: قصر الخبال لا تُنزلونيّه. فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي^(٤).

(١) الغشم: الظلم والغصب (لسان العرب: ١٢/٤٢٧).

(٢) الإسراء: ٣٣.

(٣) وقعة صفين: ٣، الأمالي للمفيد: ١٢٧، بحار الأنوار: ٣٢/٣٥٤/٣٣٧؛ شرح نهج البلاغة:

٣/١٠٢ نحوه وراجع المعيار والموازنة: ٩٧.

(٤) وقعة صفين: ٥، بحار الأنوار: ٣٢/٣٥٥/٣٣٧.

الحرب الثانية

حرب القاسطين

معلومات عامة عنها:

قيل إنه بعد مضي حوالي أربعة أشهر على إخماد فتنة الناكثين بقيادة عائشة وطلحة والزبير وفي وقت لم تكن جراحها قد اندملت ودمائها قد جفّت، واجه الإسلام العلوي فتنة القاسطين بقيادة معاوية. فخرج الإمام عليّ عليه السلام في الخامس من شوال عام ٣٦ للهجرة من الكوفة لإخماد هذه الفتنة^(١). وفي أواخر ذي القعدة^(٢) وأثناء حطّ الرحال في صفّين وقعت معركة خاطفة للسيطرة على شريعة الفرات التي سيطر عليها جيش معاوية قبل وصول الإمام وجيشه، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار جيش الإمام عليّ عليه السلام.

وفي شهر ذي الحجة وقعت مناوشات بين الجيشين^(٣)، إلى أن أعلنت الهدنة بين الفريقين في محرّم من عام ٣٧^(٤)، وما إن انتهت حتى وقعت الحرب الحقيقية بينهما في بداية صفر عام ٣٧^(٥) وحمي وطيسها في الثامن من صفر. وفي العاشر منه^(٦) حينما

(١) مروج الذهب: ٣٨٤/٢؛ وقعة صفّين: ١٣١.

(٢) راجع تاريخ الطبري: ٥٧٣/٤ والكامل في التاريخ: ٣٦٥/٢ ومروج الذهب: ٣٨٦/٢.

(٣) راجع تاريخ الطبري: ٥٧٥/٤، البداية والنهاية: ٢٦٠/٧؛ وقعة صفّين: ١٩٦.

(٤) راجع تاريخ الطبري: ٥٧٥/٤ و٥/٥ والكامل في التاريخ: ٣٦٧/٢ والبداية والنهاية: ٢٦٠/٧.

ومروج الذهب: ٣٨٧/٢ ووقعة صفّين: ١٩٦.

(٥) راجع تاريخ الطبري: ١٠/٥ ومروج الذهب: ٣٨٧/٢ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٥٣٨/٣ ووقعة

صفّين: ٢٠٢.

كان جيش الإمام علي وشك إحراز الانتصار الحاسم، إلا أنها انفضت بحيلة من عمرو ابن العاص، وعاد الإمام الى الكوفة.

وكان مكان الحرب صِغَيْن - بكسرتين وتشديد الفاء - موضع بقرب الرقة^(١) على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس^(٢) ^(٣).

وتبلغ المسافة بين دمشق والرقة - وهي بقرب صغين - ٥٥٠ كيلو متراً تقريباً^(٤). وأما عدد المشاركين فيها فقد ذكرت أعداد متضاربة عن عدد جيشي الإمام علي عليه السلام ومعاوية. ولعل سبب ذلك يعود إلى أن بعضهم ذكر عدد المقاتلين فقط، بينما أضاف بعض آخر الخدم والغلمان. وزاد عليهم آخرون كل من يرافق الجيوش عادةً من جماعات الميرة، والنساء والأطفال.

ومع أن النصوص التاريخية أشارت إلى أن جيش الإمام علي عليه السلام بلغ قوامه ١٢٠ ألفاً^(٥) أو ١٥٠ ألفاً^(٦) أو ٩٥ ألفاً^(٧) أو أكثر من ١٠٠ ألف^(٨) أو ٥٠ ألفاً^(٩) على اختلاف بينها، إلا أن المشهور هو أن عدد جيش الإمام كان تسعين ألفاً^(١٠).

وتضاربت الروايات أيضاً بخصوص عدد جيش معاوية ما بين ٦٠ ألفاً^(١١) و ٧٠

(٦) راجع مروج الذهب: ٢ / ٤٠٠ وتاريخ الطبري: ٥ / ٤٨ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٧٣.

(١) الرقة: من مدن سوريا الحالية، وهي مدينة مشهورة تقع على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، وهي قريبة من صغين (راجع معجم البلدان: ٣ / ٥٩).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة في الساحل الغربي من الفرات أسفل صغين (راجع معجم البلدان: ١ / ٣٢٨).

(٣) معجم البلدان: ٣ / ٤١٤.

(٤) جدول المسافات للقطر العربي السوري: ١٢٧.

(٥) معجم البلدان: ٣ / ٤١٤، البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٥ عن صفوان بن عمرو.

(٦) البداية والنهاية: ٧ / ٢٦١ عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام وزيد بن أنس وغيرهما.

(٧) العقد الفريد: ٣ / ٣٣٢ عن ابن أبي شيبه.

(٨) البداية والنهاية: ٧ / ٢٦١.

(٩) أنساب الأشراف: ٣ / ٩٧.

(١٠) مروج الذهب: ٢ / ٣٨٤، الفتوح: ٢ / ٥٤٤، معجم البلدان: ٣ / ٤١٤.

(١١) البداية والنهاية: ٧ / ٢٧٥ عن صفوان بن عمرو.

ألفاً^(١) و ٨٣ ألفاً^(٢) و ٩٠ ألفاً^(٣) ومائة ألف^(٤) ومائة وعشرين ألفاً^(٥) و ١٣٠ ألفاً^(٦)، إلا أن الروايات التي تصرّح بأن عددهم كان خمسةً وثمانين ألفاً هي الأشهر^(٧).
 أما القادة فكان قائد خيالة الكوفة: مالك الأشتر^(٨).
 وقائد خيالة البصرة: سهل بن حنيف.
 وقائد رجالة الكوفة: عمّار بن ياسر.
 وقائد قرّاء أهل البصرة: مسعر بن فدكي التميمي^(٩).
 وقائد قرّاء أهل الكوفة: عبدالله بن بُذيل وعمّار بن ياسر^(١٠).
 وكان صاحب اللواء: هاشم بن عتبة^(١١).
 وأمر الميمنة: الأشعث بن قيس.
 وأمر الميسرة: عبدالله بن عباس.
 وأمر رجالة الميمنة: سليمان بن صُرد الخزاعي.
 وأمر رجالة الميسرة: الحارث بن مُرّة العبدي.
 وقلب الجيش: قبيلة مُضَر^(١٢).

(١) أنساب الأشراف: ٩٧/٣.

(٢) الإمامة والسياسة: ١٢٣/١، الفتوح: ٥٣٨/٢.

(٣) معجم البلدان: ٤١٤/٣.

(٤) أنساب الأشراف: ٩٧/٣.

(٥) معجم البلدان: ٤١٤/٣.

(٦) البداية والنهاية: ٢٦١/٧.

(٧) مروج الذهب: ٣٨٤/٢، العقد الفريد: ٣٣٢/٣ وفيه «بضع وثمانون ألفاً».

(٨) تاريخ الطبري: ١١/٥، الأخبار الطوال: ١٧١؛ وقعة صفّين: ٢٠٥ و ص ٢٠٨ وفيها «على الخيل: عمّار بن ياسر».

(٩) تاريخ الطبري: ١١/٥؛ وقعة صفّين: ٢٠٨ وفيه «مسعود» بدل «مسعر».

(١٠) تاريخ الطبري: ١١/٥، الأخبار الطوال: ١٧١؛ وقعة صفّين: ٢٠٥ وفيهما «على الرجالة: عبدالله بن بُذيل» و ص ٢٠٨.

(١١) تاريخ الطبري: ١١/٥، الأخبار الطوال: ١٧١؛ وقعة صفّين: ٢٠٥.

(١٢) الأخبار الطوال: ١٧١؛ وقعة صفّين: ٢٠٥.

وميمنة الجيش: أهل اليمن^(١).

وميسرة الجيش: قبيلة ربيعة^(٢).

وأما قادة جيش القاسطين فكان قائد الميمنة: ابن ذي الكلاع الحميري^(٣).

وقائد الميسرة: حبيب بن مسلمة الفهري^(٤).

وقائد خيالة الشام: عمرو بن العاص^(٥).

وقائد رجالة الشام: الضحّك بن قيس^(٦).

وقائد الخيالة: عبيدالله بن عمر بن الخطّاب^(٧).

وقلب الجيش: أهل دمشق، وعليهم الضحّك بن قيس الفهري^(٨).

وميمنة الجيش: أهل حمص^(٩) وقنّسرين^(١٠)(١١).

وميسرة الجيش: أهل الأردنّ وفلسطين^(١٢).

وكان صاحب اللواء: عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(١٣).

وشارك في حرب صفّين إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام الكثير من أكابر صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وغيرهم ممّن بذل كلّ غالٍ ونفيس في سبيل إرساء دعائم الإسلام. وتختلف الروايات في ذكر عددهم؛ فمنها ما يشير إلى أنّ عددهم كان بين ٧٠ و ٨٠ من البدريّين، و ٨٠٠ ممّن شهدوا بيعة الرضوان، و ٤٠٠ من سائر الصحابة.

(٢) قعة صفّين: ٢٠٥؛ الأخبار الطوال: ١٧١ وفيه «وفي الميمنة: ربيعة وفي الميسرة: أهل اليمن».

(٢) قعة صفّين: ٢٠٥؛ الأخبار الطوال: ١٧١ وفيه «وفي الميمنة: ربيعة وفي الميسرة: أهل اليمن».

(٣) تاريخ الطبري: ١١/٥؛ وقعة صفّين: ٢١٣ و ص ٢٠٦ وفيهما «ذا الكلاع الحميري».

(٤) تاريخ الطبري: ١١/٥، الأخبار الطوال: ١٧٢؛ وقعة صفّين: ٢١٣ و ص ٢٠٦.

(٥) تاريخ الطبري: ١٢/٥؛ وقعة صفّين: ٢١٣.

(٦) وقعة صفّين: ٢١٣؛ تاريخ الطبري: ١٢/٥، الأخبار الطوال: ١٧٢.

(٧) وقعة صفّين: ٢٠٦.

(٨) وقعة صفّين: ٢٠٦.

(٩) حمص: بلد مشهور في سوريا بين دمشق وحلب (راجع معجم البلدان: ٣٠٢/٢).

(١٠) قنّسرين: مدينة في سوريا تقع بين حلب وحمص.

(١٣-٤) وقعة صفّين: ٢٠٦.

وفي مقابل ذلك كان عدد الذين شاركوا في جيش معاوية من الصحابة لا يتجاوز عدد أصابع اليد وهم مئتين أسلموا بعد الفتح.

من الشخصيات الصحابيَّة البارزة التي وقفت إلى جانب الإمام عليٍّ عليه السلام يمكن الإشارة إلى كلِّ من: الإمام الحسن عليه السلام، الإمام الحسين عليه السلام، عمَّار بن ياسر، سهل بن حنيف، قيس بن سعد، عديّ بن حاتم، هاشم بن عتبة، عبدالله بن بديل، عبدالله بن عباس، أويس القرني، أبو الهيثم مالك بن التيهان، عبدالله بن جعفر، خزيمة بن ثابت، سليمان ابن صرد الخزاعي، عمرو بن حمق الخزاعي.

ومن الأعلام الآخرين الذين لم يدركوا عهد الرسول صلى الله عليه وآله وكانوا في جيش الإمام عليه السلام في معركة صفين: محمَّد ابن الحنفية، مالك الأشتر، الأحنف بن قيس، سعيد ابن قيس الهمداني، حجر بن عديّ، الأصبع بن نباتة، صعصعة بن صوحان، شريح بن هانئ، عبدالله بن هاشم بن عتبة، جعدة بن هبيرة، زياد بن النضر.

٥٠٣- في المستدرك على الصحيحين عن الحكم: شهد مع عليٍّ عليه السلام صفين ثمانون بدرياً، وخمسون ومائتان مئتين بايع تحت الشجرة^(١).

٥٠٤- في تاريخ اليعقوبي: كان مع عليٍّ يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، ومئتين بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل^(٢).

٥٠٥- في تاريخ خليفة بن خياط عن عبد الرحمن بن أبزي: شهدنا مع عليٍّ ثمانمائة مئتين بايع بيعة الرضوان، قتل مئتين وثلاث وستون؛ منهم: عمَّار بن ياسر^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين: ٣/١١٢/٤٥٥٩، الفتوح: ٢/٥٤٤ عن الحكم بن عتيبة وذكر أيضاً عن سليمان بن مهران الأعمش وفيه «كان مع عليٍّ يومئذ ثمانون بدرياً، وثمانمائة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله»، البداية والنهاية: ٧/٢٥٥ وفيه «مائة وخمسون» بدل «خمسون ومائتان»؛ شرح الأخبار: ٢/٣٩٢/٩ عن الحكم.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/١٨٨؛ تاريخ دمشق: ١٩/٤٤٢ نحوه وفيه «في حربه» بدل «يوم صفين».

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٥٤٥، الفتوح: ٢/٥٤٤ وفيه «وهم يومئذ تسعون ألفاً وثمانمائة رجل مئتين بايع النبي صلى الله عليه وآله تحت الشجرة، قال سعيد بن جبير: كان مع

٥٠٦ - في العقد الفريد: قال معاوية يوماً: يا معشر الأنصار! لم تطلبون ما عندي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً مع عليّ، ولقد قلتُم حدّي يوم صفّين، حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم^(١).

٥٠٧ - في مروج الذهب: كان ممّن شهد صفّين مع عليّ من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممّن بايع تحت الشجرة؛ وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة^(٢).

أما من شارك مع معاوية فلم يكونوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولا السابقين إلى الإسلام، بل كان بعضهم ممّن حارب النبي صلى الله عليه وآله سنوات عديدة أو ممّن طرده أو لعنه النبي صلى الله عليه وآله، أمثال:

عمرو بن العاص، عبدالله بن عمرو بن العاص، عبيدالله بن عمر، حبيب بن مسلمة، ذوالكلاع الحميري، الضحّاك بن قيس، الوليد بن عقبة، عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور، بُسر بن أرطاة، عبدالله بن عامر، مروان بن الحكم، عتبة بن أبي سفيان.

٥٠٨ - في وقعة صفّين: اجتمع عند معاوية: عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عُقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات، فقال عتبة -: إنّ أمرنا وأمر عليّ لعجب، ليس منّا إلا موتور محاجّ؛ أمّا أنا فقتل جدّي، واشترك في دم عمومتي يوم بدر. وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك يوم الجمل، وأيتّم إخوتك. وأمّا أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

= عليّ صلى الله عليه وآله يومئذ ثمانمائة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممّن بايع تحت الشجرة؛ شرح الأخبار: ٣٩١/٩/٢.

(١) العقد الفريد: ٩١/٣.

(٢) مروج الذهب: ٣٦١/٢.

وأفلتَهَنَ علباءٌ جريضاً ولو أدركنه صَفِرَ الوِطابُ^(١)

قال معاوية: هذا الإقرار فأين الغُيرُ^(٢)؟ قال مروان: أيُّ غُيرٍ تريد؟ قال: أريد أن يُشجر^(٣) بالرماح. فقال: والله إنك لهازل، ولقد ثقلنا عليك^(٤).

وأما عدد القتلى فالمشهور أن القتلى من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً^(٥) وفي قبالتها أقوال آخر - كما نقل عن ابن أبي شيبة -: خمسون ألفاً من أهل الشام، وعشرون ألفاً من أهل العراق^(٦) وعن يحيى ابن معين: من أهل العراق عشرون ألفاً، ومن أهل الشام تسعون ألفاً، ومجموع من قتل بها من الفريقين - في مائة يوم وعشرة أيام - مائة ألف وعشرة آلاف^(٧).

٥٠٩ - في أنساب الأشراف: كان عليّ عليه السلام بصفين في خمسين ألفاً، ويقال: في مائة ألف. وكان معاوية في سبعين ألفاً، ويقال: في مائة ألف. فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً^(٨).

٥١٠ - في معجم البلدان: قتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقتل مع عليّ خمسة وعشرون صحابياً بدريةً، وكانت مدّة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام،

(١) علباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس، وهو علباء بن حارث الكاهلي، والجريض: الذي يأخذ بريقه. صفر وطابه: قُتِل (هامش المصدر).

(٢) هو جمع غيور، من الغيرة؛ وهي الحمية والأنفة (النهاية: ٤٠١/٣).

(٣) شجرناهم بالرماح: أي طعنناهم بها حتى اشتبكت فيهم (النهاية: ٤٤٦/٢).

(٤) وقعة صفين: ٤١٧.

(٥) أنساب الأشراف: ٩٨/٣، مروج الذهب: ٤٠٥/٢ عن الهيثم بن عدي والشرقي بن القطامي وأبي مخنف، معجم البلدان: ٤١٤/٣، البداية والنهاية: ٢٧٥/٧ عن ابن سيرين وسيف؛ وقعة صفين: ٥٥٨.

(٦) العقد الفريد: ٣٣٧/٣.

(٧) مروج الذهب: ٤٠٤/٢.

(٨) أنساب الأشراف: ٩٧/٣.

وكانت الوقائع تسعين وقعة^(١).

٥١١- في تهذيب الكمال عن الحسن بن عثمان عن عدّة من الفقهاء وأهل العلم: كانت وقعة صفين بين عليّ ومعاوية، فقُتلت بينهما جماعة كبيرة يقال: إنهم كانوا سبعين ألفاً في صفر، ويقال: في ربيع الأوّل، منهم من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، وكان ممّن عُرف من أشرف الناس عمّار بن ياسر^(٢).

٥١٢- في مروج الذهب عن يحيى بن معين: إنّ عدّة من قُتل بها من الفريقين - في مائة يوم وعشرة أيّام - مائة ألف وعشرة آلاف من الناس؛ من أهل الشام تسعون ألفاً، ومن أهل العراق عشرون ألفاً^(٣).

(١) معجم البلدان: ٤١٤/٣.

(٢) تهذيب الكمال: ٤١٧٤/٢٢٦/٢١.

(٣) مروج الذهب: ٤٠٤/٢.

الإمام يعدّ أصحابه للتوجه إلى صفّين

٥١٣- في تاريخ الطبري عن أبي بكر الهذلي: **إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا اسْتَخْلَفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ سَارَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ فَتَهَيَّأَ فِيهَا إِلَى صَفِّينَ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ قَوْمٌ أَنْ يَبْعَثَ الْجُنُودَ وَيَقِيمَ وَأَشَارَ آخَرُونَ بِالْمَسِيرِ، فَأَبَى إِلَّا الْمَبَاشِرَةَ فَجَهَّزَ النَّاسَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ فَدَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ فَاسْتَشَارَهُ فَقَالَ: أَمَّا إِنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ يَسِيرُ فَسِرْ بِنَفْسِكَ وَلَا تَغِبْ عَنْهُ بِرَأْيِكَ وَمَكِيدَتِكَ. قَالَ: أَمَّا إِذَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَجَهَّزَ النَّاسَ. فَجَاءَ عَمْرُو فَحَضَّضَ النَّاسَ وَضَعَّفَ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ قَدْ فَرَّقُوا جَمْعَهُمْ وَأَوْهَنُوا شُوكَتَهُمْ وَقَلَّوْا حُدَّهْمَ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ مَخَالَفُونَ لِعَلِيِّ قَدْ وَتَرَهُمْ وَقَتَلَهُمْ، وَقَدْ تَفَانَتْ صِنَادِيدُهُمْ وَصِنَادِيدُ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَإِنَّمَا سَارَ فِي شَرْذِمَةِ قَلِيلَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ قَتَلَ خَلِيفَتَكُمْ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي حَقِّكُمْ أَنْ تَضَيِّعُوهُ وَفِي دِمِّكُمْ أَنْ تُبْطَلُوهُ^(١).**

٥١٤- في وقعة صفّين عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود: **لَمَّا أَرَادَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الشَّخُوصَ مِنَ النَّخِيلَةِ، قَامَ فِي النَّاسِ - لَخْمَسِ مَضِيِّينَ مِنْ شَوَّالٍ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ - فَقَالَ:**

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرُ مَفْقُودِ النِّعَمِ، وَلَا مَكَافَأُ الْإِفْضَالِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ مَقْدَمَاتِي، وَأَمْرَتُهُمْ بِلِزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ^(٢)، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، فَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّطْفَةَ^(٣) إِلَى شَرْذِمَةِ مِنْكُمْ مُوْطَنِينَ بِأَكْتَانَفِ^(٤) دَجَلَةَ،

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٣/٤.

(٢) قال الشريف الرضي: يعني عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا: السَّمْتُ الَّذِي أَمْرُهُمْ بِلِزُومِهِ؛ وَهُوَ شَاطِئُ الْفِرَاتِ، وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضاً لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ (نهج البلاغة: ذيل الخطبة ٤٨).

(٣) قال الشريف الرضي: ويعني بالنطفة: ماء الفرات، وهو من غريب العبارات وعجيبها (نهج البلاغة: ذيل الخطبة ٤٨).

(٤) أكتانف: الكتف: ناحية الشيء، وناحيتا كل شيء، كنفاه، والجمع أكتانف (لسان العرب: ٣٠٨/٩).

فأنهضهم معكم إلى أعداء الله إن شاء الله، وقد أمرت علي المصر عقبة بن عمرو الأنصاري، ولم ألكم ولا نفسي، فإياكم والتخلف والتربص؛ فإنني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي، وأمرته ألا يترك متخلفاً إلا الحقه بكم عاجلاً إن شاء الله.

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين! والله لا يتخلف عنك إلا ظنين، ولا يتربص بك إلا منافق. فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلفين. قال علي عليه السلام: قد أمرته بأمرى، وليس مقصراً في أمري إن شاء الله.

وأراد قوم أن يتكلموا فدعا بدابته فجاءته، فلما أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال: «بسم الله». فلما جلس على ظهرها قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»^(١). ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحيرة بعد اليقين، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. اللهم أنت صاحب في السفر، والخليفة في الأهل، ولا يجمعهما غيرك؛ لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً^(٢).

٥١٥- في الأخبار الطوال: لما أجمع علي عليه السلام على المسير إلى أهل الشام، وحضرت الجمعة، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: أيها الناس! سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار، سيروا إلى الجفافة الطغام الذين كان إسلامهم خوفاً وكرهاً، سيروا إلى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم^(٣).

٥١٦- قال الإمام علي عليه السلام - من خطبة له عند المسير إلى الشام، وقيل: هو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفين -: الحمد لله كلما وقب ليلاً وغسق، والحمد لله كلما لاح نجمٌ وخفق، والحمد لله غير مفقود الإنعام، ولا مكافئ الإفضال. أما بعد؛ فقد بعثت مقدّمتي، وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتى يأتيهم أمري، وقد

(١) الزخرف: ١٣ و ١٤.

(٢) وقعة صفين: ١٣١.

(٣) الأخبار الطوال: ١٦٤ وراجع الفتوح: ٢/ ٥٥٠ ووقعة صفين: ٩٤.

رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شزيمة منكم، مُوطّنين أكناف دجلة، فأنهضهم معكم إلى عدوّكم، وأجعلهم من أمداد القوّة لكم^(١).

قصة ردّ الشمس بدعاء الإمام

٥١٧- في وقعة صفّين عن ابن مخنف: إنّي لأنظر إلى أبي، مخنف بن سليم وهو يساير عليّاً ببابل، وهو يقول: إنّ ببابل أرضاً قد خُسِفَ بها، فحرّك دابتك لعلنا أن نصليّ العصر خارجاً منها.

فحرّك دابته وحرّك الناس دوابّهم في أثره، فلمّا جاز جسر الصراة نزل فصليّ بالناس العصر.

[و] عن عبدخير: كنت مع عليّ أسير في أرض بابل. وحضرت الصلاة صلاة العصر. فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناها أفتح^(٢) من الآخر، حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. فنزل عليّ ونزلت معه، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، فصليّنا العصر، ثمّ غابت الشمس^(٣).

الإمام في كربلاء

٥١٨- في وقعة صفّين عن الحسن بن كثير عن أبيه: إنّ عليّاً أتى كربلاء فوقف بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء.

قال: ذات كربٍ وبلاء.

ثمّ أوماً بيده إلى مكان فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومُنّاخ ركابهم. وأوماً بيده إلى موضع آخر فقال: ها هنا مُهراق دمائهم^(٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٨ وراجع وقعة صفّين: ١٣٤.

(٢) كلّ موضع واسع يقال له: أفتح (النهاية: ٤٨٤/٣).

(٣) وقعة صفّين: ١٣٥ وراجع تهذيب التهذيب: ٣/٢٣٧/٤١٤٤.

(٤) وقعة صفّين: ١٤٢، بحار الأنوار: ٣٢/٤٢٠ وج ٤١/٣٣٩/٥٨؛ شرح نهج البلاغة: ٣/١٧١.

٥١٩- في الفتوح: سار [علي عليه السلام] حتى نزل بدير كعب فأقام هنالك باقي يومه وليلته. وأصبح سائراً حتى نزل بكربلاء، ثم نظر إلى شاطئ الفرات وأبصر هنالك نخيلاً فقال: يا بن عباس! أتعرف هذا الموضع؟

فقال: لا يا أمير المؤمنين! ما أعرفه.

فقال: أما إنك لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجاوزه حتى تبكي لباكائي.

قال: ثم بكى علي عليه السلام بكاءً شديداً، حتى اخضلت لحيته بدموعه وسالت الدموع على صدره، ثم جعل يقول:

واوا! مالي ولآل أبي سفيان! ثم التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: إصبر أبا عبد الله! فلقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى من بعدي.

قال: ثم جعل علي عليه السلام يجول في أرض كربلاء كأنه يطلب شيئاً، ثم نزل ودعا يماء فتوضأ وضوء الصلاة، ثم قام فصلى ما شاء أن يصلي والناس قد نزلوا هنالك من قرب نينوى^(١) إلى شاطئ الفرات. قال: ثم خفق برأسه خفقة فنام وانتبه فزعاً فقال:

يا بن عباس! ألا أحدثك بما رأيت الساعة في منامي؟

فقال: بلى يا أمير المؤمنين!

فقال: رأيت رجالاً بيض الوجوه، في أيديهم أعلام بيض، وهم متقلدون بسيوف لهم، فخطوا حول هذه الأرض خطّة، ثم رأيت هذه النخيل وقد ضربت بسعفها الأرض، ورأيت نهراً يجري بالدم العبيط، ورأيت ابني الحسين وقد غرق في ذلك الدم وهو يستغيث فلا يغاث، ثم إنني رأيت أولئك الرجال البيض الوجوه الذين نزلوا من السماء وهم ينادون: صبراً آل الرسول صبراً! فإنكم تُقتلون على أيدي أشرار الناس، وهذه الجنة مشتاقة إليك يا أبا عبد الله! ثم تقدّموا إليّ فعزّوني وقالوا: أبشر يا أبا الحسن! فقد أقر الله عينك بابنك الحسين غداً يوم يقوم الناس لرب العالمين. ثم إنني انتبهت؛ فهذا ما

= وراجع الإرشاد: ٣٣٢/١ وخصائص الأئمة عليهم السلام: ٤٧.

(١) نينوى: ناحية بسواد الكوفة إلى جانب نهر دجلة، منها كربلاء التي قتل بها الحسين عليه السلام (راجع معجم البلدان: ٣٣٩/٥).

رأيت، فوالذي نفس عليّ بيده! لقد حدّثني الصادق المصدوق أبو القاسم عليه السلام أنّي سأرى هذه الرؤيا بعينها في خروجي إلى قتال أهل البغي علينا، وهذه أرض كربلاء الذي يُدفن فيها ابني الحسين وشيعته وجماعة من ولد فاطمة بنت محمد عليه السلام، وأنّ هذه البقعة المعروفة في أهل السماوات تذكر بأرض كرب وبلقاء، وليُحشرون منها قوم يدخلون الجنة بلا حساب^(١).

أمير المؤمنين عليه السلام في المدائن

٥٢٠- في وقعة صفين عن عمر بن سعد: ثمّ مضى نحو ساباط^(٢) حتى انتهى إلى مدينة بهر سير^(٣)، وإذا رجل من أصحابه يقال له حرّ بن سهم بن طريف من بني ربيعة بن مالك، ينظر إلى آثار كسرى، وهو يتمثّل قول ابن يعفر التميمي:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاد

فقال عليّ: أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(٤)؟ إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية. إياكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النقم. ثمّ قال: انزلوا بهذه النجوة^{(٥)(٦)}.

(١) الفتوح: ٥٥١/٢ وراجع وقعة صفين: ١٤٠.

(٢) ساباط: موضع في العراق معروف قرب المدائن وبهر سير، يعرف بساباط كسرى (راجع معجم البلدان: ١٦٦/٣).

(٣) بهر سير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وساباط (معجم البلدان: ٥١٥/١).

(٤) الدخان: ٢٥ - ٢٩.

(٥) النجوة: هو ما ارتفع من الأرض (النهاية: ٢٦/٥).

(٦) وقعة صفين: ١٤٢، كنز الفوائد: ٣١٥/١ نحوه إلى نهاية الآية، بحار الأنوار: ٤٢٢/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠٢/٣، المعيار والموازنة: ١٣٢، كنز العمال: ٤٤٢٢٨/٢٠٤/١٦ نقلًا عن ابن أبي الدنيا وتاريخ بغداد وكلاهما نحوه.

٥٢١ - في وقعة صفين عن الأصبع بن نباتة: إن رجلاً سأل علياً بالمدائن عن وضوء رسول الله عليه الصلاة والسلام، فدعا بمِخْضَبٍ^(١) من بِرامٍ قد نَصَفَهُ الماء. قال علي: مَنْ السائل عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقام الرجل، فتوضأ عليّ ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه واحدة، وقال: هكذا رأيت رسول الله يتوضأ^(٢).

٥٢٢ - في وقعة صفين عن حبة العُرني: أمر عليّ بن أبي طالب الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أما بعد فإنّي قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها، والهالك أكثر سكانها، لا معروفأ تأمرون به، ولا منكراً تنهون عنه.

قالوا: يا أمير المؤمنين! إننا كنا ننتظر أمرك ورأيك، مُرنا بما أحببت.

فسار وخلف عليهم عدي بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثاً ثم خرج في ثمانمائة، وخلف ابنه يزيد فلحقه في أربعمائة رجل منهم، ثم لحق علياً^(٣).

أمير المؤمنين عليه السلام في الأنبار

٥٢٣ - في وقعة صفين عن حبة العُرني: وجاء عليّ حتى مرّ بالأنبار، فاستقبله بنوحشوشك^(٤) دهاقنتها. فلما استقبلوه نزلوا ثم جاؤوا يشتمون معه قال: ما هذه

(١) المِخْضَب: هي إجانة تُغسلُ فيها الثياب (النهاية: ٣٩/٢).

(٢) وقعة صفين: ١٤٦.

(٣) وقعة صفين: ١٤٣، بحار الأنوار: ٤٢٣/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٠٣/٣ وليس فيه «ثم لحق علياً».

(٤) قال سليمان بن الربيع بن هشام النهدي أحد رواة كتاب صفين: حُش: طيب. نُوشك: راض. يعني بني الطيب الراضي، بالفارسية (انظر وقعة صفين: ١٤٤).

الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟
 قالوا: أمّا هذا الذي صنعنا فهو خُلِقَ مِنَّا نَعْظَمُ بِهِ الْأُمْرَاءَ. وَأَمَّا هَذِهِ الْبِرَازِينُ فَهَدِيَّةٌ
 لَكَ. وَقَدْ صَنَعْنَا لَكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ طَعَامًا، وَهَيَّأْنَا لِدَوَابِّكُمْ عِلْفًا كَثِيرًا.
 قال: أمّا هذا الذي زعمتم أنّه منكم خُلِقَ تَعْظَمُونَ بِهِ الْأُمْرَاءَ فَوَاللَّهِ، مَا يَنْفَعُ هَذَا
 الْأُمْرَاءَ، وَإِنَّكُمْ لَتَشَقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَبْدَانِكُمْ، فَلَا تَعُودُوا لَهُ. وَأَمَّا دَوَابِّكُمْ هَذِهِ فَإِنْ
 أَحْبَبْتُمْ أَنْ نَأْخُذَهَا مِنْكُمْ فَنَحْسِبْهَا مِنْ خِرَاجِكُمْ أَخْذِنَاهَا مِنْكُمْ. وَأَمَّا طَعَامُكُمْ الَّذِي
 صَنَعْتُمْ لَنَا فَإِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا إِلَّا بِثَمَنِ.
 قالوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ نَقُومُهُ ثُمَّ نَقْبِلُ ثَمَنَهُ.
 قال: إِذَا لَا تَقُومُونَهُ قِيَمَتَهُ، نَحْنُ نَكْتَفِي بِمَا دُونَهُ.
 قالوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَنَا مِنَ الْعَرَبِ مَوَالِيٍّ وَمَعَارِفًا، فَتَمْنَعُنَا أَنْ نَهْدِي لَهُمْ
 وَتَمْنَعُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنَّا؟
 قال: كُلُّ الْعَرَبِ لَكُمْ مَوَالِيٍّ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْبَلَ هَدِيَّتَكُمْ. وَإِنْ
 غَضِبَكُمْ أَحَدٌ فَأَعْلَمُونَا.
 قالوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّا نَحْبُّ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَنَا وَكِرَامَتَنَا.
 قال لهم: وَيَحْكُمُ، نَحْنُ أَغْنَى مِنْكُمْ. فَتَرَكَهُمْ ثُمَّ سَارَ^(١).

قصة إسلام الراهب على يدي أمير المؤمنين عليه السلام

٥٢٤- في الفتوح: أقام عليّ عليه السلام بالأنبار يومين، فلما كان في اليوم الثالث سار بالناس
 في برية ملساء، وعطش الناس واحتاجوا إلى الماء. قال: وإذا براهب في صومعته، فدنا
 منه عليّ عليه السلام وصاح به فأشرف عليه، فقال له عليّ عليه السلام: هل تعلم بالقرب منك ماء نشرب
 منه؟

فقال: ما أعلم ذلك، وإنّ الماء ليحمل إلينا من قريبٍ من فرسخين.

(١) وقعة صفين: ١٤٣، بحار الأنوار: ٤٢٤/٣٢.

قال: فتركه علي عليه السلام وأقبل إلى موضع من الأرض فطاف به، ثم أشار إلى مكان منه فقال: احفروا ههنا.

فحفروا قليلاً وإذا هم بصخرة صفراء كأنما طليت بالذهب، وإذا هي على سبيل الرحي لا ينتقلها إلا مائة رجل.

فقال علي عليه السلام: اقلبوها فالماء من تحتها.

فاجتمع الناس عليها فلم يقدرُوا على قلبها.

قال: فنزل علي عليه السلام عن فرسه، ثم دنا من الصخرة وحرك شفتيه بشيء لم يُسمع، ثم دنا من الصخرة وقال: باسم الله، ثم حركها ورفعها فدحاها ناحية.

قال: فإذا بعين من الماء لم تر الناس أعذب منها ولا أصفى ولا أبرد، فنادى في الناس أن «هلموا إلى الماء».

قال: فورد الناس فنزلوا وشربوا وسقوا ما معهم من الظَّهر، وملؤوا أسقيتهم، وحملوا من الماء ما أرادوا. ثم حمل على الصخرة وهو يحرك شفتيه بمثل كلامه الأول حتى ردَّ الصخرة إلى موضعها.

ثم سار حتى نزل في الماء الذي أرادوا وإذا ماؤه متغيّر، فقال علي عليه السلام لأصحابه:

أفيكم من يعرف مكان الماء الذي يتم عليه؟

فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فانطلقوا إليه، فطلبوا مكان الصخرة فلم يقدرُوا عليه؛ فانطلقوا إلى الراهب فصاحوا به: يا راهب! فأشرف عليهم، فقالوا: أين هذا الماء الذي هو بالقرب من ديرك؟ فقال الراهب: إنَّه ما بقربي شيء من الماء!

فقالوا: بلى! قد شربنا منه نحن وصاحبنا، وهو الذي استخرج لنا الماء وقد شربنا منه.

فقال الراهب: والله ما بُني هذا الدير إلا بذلك الماء، وإنَّ لي في هذه الصومعة منذ كذا سنة ما علمت بمكان هذا الماء، وإنَّها عين يقال لها عين راحوما، ما استخرجها إلا نبيّ أو وصي نبيّ، ولقد شرب منها سبعون نبياً وسبعون وصياً.

قال: فرجعوا إلى عليّ عليه السلام فأخبروه بذلك، فسكت ولم يقل شيئاً^(١).

٥٢٥- في الإرشاد - في بيان قصة عطش أصحاب الإمام عليه السلام لما توجه إلى صفين

ولقائهم مع الراهب -: فقال عليه السلام: اكشفوا الأرض في هذا المكان.

فعدل جماعة منهم إلى الموضع فكشّفوه بالمساحي، فظهرت لهم صخرة عظيمة

تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي.

فقال لهم: إنّ هذه الصخرة على الماء فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء.

فاجتهدوا في قلبها، فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً

واستصعبت عليهم، فلما رأهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة

فاستصعبت عليهم، لوى عليه السلام رجله عن سرجه حتى صار على الأرض، ثمّ حسر عن

ذراعيه ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها، ثمّ قلعها بيده ودحا بها أذرعاً

كثيرة، فلما زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء، فتبادروا إليه فشربوا منه، فكان

أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه.

فقال لهم: تزوّدوا وارتووا.

ففعلوا ذلك. ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت^(٢).

٥٢٦- في شرح نهج البلاغة - في صفة قوّة الإمام عليه السلام -: وهو الذي قلع باب خيبر

واجتمع عليه عصابة من الناس ليقبوه فلم يقبوه، وهو الذي اقتلع هُبُل من أعلى الكعبة،

وكان عظيماً جداً وألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام

خلافته عليه السلام بيده بعد عجز الجيش كلّها عنها وأنبط الماء من تحتها^(٣).

(١) الفتوح: ٥٥٥/٢ وراجع وقعة صفين: ١٤٥.

(٢) الإرشاد: ٣٣٥/١، إعلام الوري: ٣٤٦/١ نحوه وراجع خصائص الأئمة عليهم السلام: ٥٠ والخرائج

والجرائح: ٦٧/٢٢٢/١ والفضائل لابن شاذان: ٨٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢١/١.

أمير المؤمنين عليه السلام في بليخ^(١)

٥٢٧- في الفتوح: ونظر إليه [عليّ عليه السلام] راهبٌ قد كان هنالك في صومعة له، فنزل من الصومعة وأقبل إلى عليّ عليه السلام، فأسلم على يده؛ ثم قال: يا أمير المؤمنين! إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا، يذكرون أنّ عيسى ابن مريم عليه السلام كتبه، فأعرضه عليك؟ قال عليّ عليه السلام: نعم فهاته.

فرجع الراهب إلى الصومعة وأقبل بكتاب عتيق قد كاد أن يندرس، فأخذه عليّ وقبله ثم دفعه إلى الراهب، فقال: اقرأه عليّ!

فقرأ الراهب على عليّ عليه السلام، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، أنّه باعث في الأمّتين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلّهم على سبيل الرشاد، لا فظاً^(٢) ولا غليظ ولا صخاب^(٣) في الأسواق، لا يجزي السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، أمّته الحامدون الذين يحمدون الله على كلّ حال في هبوط الأرض وصعود الجبال، أسنتهم مذلّة بالتسبيح والتقدّيس والتكبير والتهليل، ينصر الله هذا النبيّ على من ناواه؛ فإذا توفّاه الله اختلفت أمّته من بعده، ثمّ يلبثون بذلك ما شاء الله؛ فيمرّ رجل من أمّته بشاطئ هذا النهر، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يقضي بالحقّ ولا يرتشي في الحكم، الدنيا عليه أهون من شرب الماء على الظمآن، يخاف الله عزّ وجلّ في السرّ وينصح الله في العلانية، ولا يأخذه في الله لومة لائم، فمن أدرك ذاك النبيّ فليؤمّن به، فمن آمن به كان له رضوان الله والجنّة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإنّه وصيّ خاتم الأنبياء، والقتل معه شهادة.

قال: ثمّ إنّه أقبل هذا الراهب على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي صاحبك لا

(١) موضع في سوريا قرب الرقة على جانب الفرات.

(٢) فظّ: سبّ الخلق (لسان العرب: ٧/٤٥١).

(٣) الصّخب والشّخب: الضّجّة، واضطراب الأصوات للخصام (النهاية: ٣/١٤).

أفارك أبدأ حتى يصيبني ما أصابك.

قال: فبكى عليّ ﷺ ثم قال: الحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار.

قال: ثم سار وهذا الراهب معه، فكان يتغذى ويتعشى مع عليّ؛ حتى صار إلى صفين، فقاتل فقتل، فقال عليّ لأصحابه: اطلبوه! فطلبوه فوجدوه، فصلى عليه عليّ ﷺ ودفنه واستغفر له، ثم قال: هذا من أهل البيت (١).

أمير المؤمنين عليه السلام في الرقة

٥٢٨- في وقعة صفين عن يزيد بن قيس الأرحبي: ثم سار أمير المؤمنين حتى أتى الرقة وجل أهلها العثمانية، الذين فرّوا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلى معاوية، فغلّقوا أبوابها وتحصّنوا فيها، وكان أميرهم سماك بن مخزومة الأسدي في طاعة معاوية، وقد كان فارق عليّاً في نحو من مائة رجل من بني أسد، ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل (٢).

٥٢٩- في الفتوح: دعا [عليّ ﷺ] على أهل الرقة فقال: اعقدوا لي جسراً على هذا الفرات حتى أعبر عليه أنا وأصحابي إلى قتال معاوية. فأبوا ذلك؛ وعلم عليّ ﷺ هوى أهل الرقة في معاوية، فتركهم ونادى في أصحابه: نمضي لكي نعبر على جسر منبج (٣).
قال: فخرج الأشر إلى أهل الرقة مغضباً وقال: والله يا أهل الرقة! لئن لم تعقدوا لأمر المؤمنين جسراً لأجرّدن فيكم السيف ولأقتلن الرجال ولأحوين الأموال. فلما سمع أهل الرقة ذلك قال بعضهم لبعض: إن الأشر والله يوفي بما يقول؛ ثم إنهم ركبوا خلف عليّ بن أبي طالب فردّوه وقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين! فإننا عاقدون لك جسراً.
قال: فرجع عليّ إلى الرقة، وعقدوا له جسراً على الفرات، ونادى في أصحابه أن

(١) الفتوح: ٥٥٦/٢؛ وقعة صفين: ١٤٧ نحوه.

(٢) وقعة صفين: ١٤٦.

(٣) منبج: مدينة كبيرة في ناحية الشام فوق الرقة وحلب، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، بناها أنوشيروان (راجع معجم البلدان: ٢٠٦/٥).

اركبوا! فركبت الناس وعبرت الأثقال كلَّها، وعبر الناس بأجمعهم، وعليّ واقف في ألف فارس من أصحابه، ثمّ عبر آخر الناس^(١).

إنذار أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية

٥٣٠- في رقعة صفّين عن أبي الوداك: إنّ طائفة من أصحاب عليّ قالوا له: اكتب إلى معاوية وإلى من قبّله من قومك بكتاب تدعوهم فيه إليك وتأمّره بترك ما هم فيه من الخطأ فإنّ الحجّة لن تزداد عليهم بذلك إلاّ عظماً، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية وإلى من قبّله من قريش.

سلام عليكم فإنّي أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد، فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل، وعرفوا التأويل، وفقّهوا في الدين، وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم، وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، تكذّبون بالكتاب، مجمعون على حرب المسلمين، من ثقفتهم منهم حبستموه أو عدّبتموه أو قتلتموه، حتى أراد الله إعزاز دينه وإظهار رسوله، ودخلت العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممّن دخل في هذا الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم. فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام، أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به، فيحوب^(٢) بظلم. ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره، ولا أن يعدو طوره، ولا أن يُشقي نفسه بالتماس ما ليس له. ثمّ إنّ أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً، أقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين، وأولها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدّها بما تحمله الرعية من أمورها اضطلاماً. فاتقوا

(١) الفتوح: ٥٦٤/٢، تاريخ الطبري: ٥٦٥/٤، شرح نهج البلاغة: ٢١١/٣؛ وقعة صفّين: ١٥١ كلّها نحوه.

(٢) الخوب: الإثم، وفلان يتخوّب من كذا؛ أي يتأثم (لسان العرب: ١/٣٤٠).

الله الذي إليه ترجعون، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١). واعلموا أنّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وأنّ شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم، فإنّ للعالم بعلمه فضلاً، وإنّ الجاهل لن يزداد بمنازعة العالم إلا جهلاً.

ألا وإنّي أدعوكم إلى كتاب الله وسنته نبيه صلى الله عليه، وحقن دماء هذه الأمة. فإن قبلتم أصبتم رشدكم، واهتديتم لحظكم. وإن أبيتم إلا الفرقة وشق عصا هذه الأمة فلن تزدادوا من الله إلا بعداً، ولن يزداد الربّ عليكم إلا سُخْطاً. والسلام.
فكتب إليه معاوية: أمّا بعد؛ فإنه:

ليس بيني وبين قيس عتابٍ غير طعن الكلى وضرب الرقاب
فقال علي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢)(٣).

بدء الحرب

٥٣١- في تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي: إنّ علياً لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة. قال: وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذنا على شاطئ الفرات من قبل البرّ ممّا يلي الكوفة حتى بلغا عانات^(٤)، فبلغهما أخذ عليّ على طريق الجزيرة، وبلغهما أنّ معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال عليّ فقالا: لا والله،

(١) البقرة: ٤٢.

(٢) القصص: ٥٦.

(٣) وقعة صفين: ١٤٩، الأمالي للطوسي: ٣٠٨/١٨٣ عن جبر بن نوف نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٨٠/٣ والإمامة والسياسة: ٦٨/١.

(٤) عانات: عانة بلد في العراق مشهور بين الرقة وهيت، وجاء في الشعر (عانات) كأنه جمع لما حوله، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة (معجم البلدان: ٧٢/٤).

ما هذا لنا برأي أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلّة من معنا منقطعين من العدد والمدد. فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن، فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت^(١)، ثمّ لحقوا عليّاً بقرية دون قرقيسياء^(٢) وقد أرادوا أهل عانات فتحصّنوا وفرّوا، ولما لحقت المقدّمة عليّاً قال: مقدّمتي تأتيني من ورائي!

فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما. فقال: سدّدتما. ثمّ مضى عليّ فلما عبر الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلمّا انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام، فأرسل إلى عليّ: إنّنا قد لقينا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام وقد دعوناهم فلم يجيبنا منهم أحد فمرنا بأمرك. فأرسل عليّ إلى الأشتر فقال: يا مالك، إنّ زياداً وشريحاً أرسلوا إليّ يعلماني أنّهما لقيّا أبا الأعور السلمي في جمع من أهل الشام، وأنبأني الرسول أنّه تركهم متواقفين، فالنجاه إلى أصحابك النجاه، فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يجرمك شنانهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً وقف من أصحابك وسطاً، ولا تدنّ منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم بُعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإنّي حثيث السير في أثرك إن شاء الله.

قال: وكان الرسول الحارث بن جمهان الجعفي فكتب عليّ إلى زياد وشريح: أمّا بعد، فإنّي قد أمّرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا، فإنّه ممّن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم، ولا الإسراع إلى ما الإبطاء عنه أمثل، وقد

(١) هيت: بلدة في العراق على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان: ٥/٤٢١).

(٢) قرقيسياء: بلد على نهر الخابور قرب صفين والرقّة وعندها مصبّ الخابور في الفرات، وهي الآن في العراق (راجع معجم البلدان: ٤/٣٢٨).

أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويُعذر إليهم^(١).
 ٥٣٢- في تاريخ الطبري عن خالد بن قطن الحارثي: خرج الأشتر حتى قدم على القوم،
 فاتّبع ما أمره عليّ وكفّ عن القتال، فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل
 عليهم أبو الأعور السلمي، فثبّتوا له واضطربوا ساعة، ثمّ إنّ أهل الشام انصرفوا.
 ثمّ خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال حسن عددها
 وعُدّتها، وخرج إليه أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك، تحمل الخيل على الخيل والرجال
 على الرجال، وصبر القوم بعضهم لبعض ثمّ انصرفوا، وحمل عليهم الأشتر فقتل
 عبدالله بن المنذر التنوخي قتله يومئذ ظبيان بن عمار التميمي وما هو إلا فتى حدث وإن
 كان التنوخي لفارس أهل الشام، وأخذ الأشتر يقول: ويحكم! أروني أبا الأعور.
 ثمّ إنّ أبا الأعور دعا الناس فرجعوا نحوه، فوقف من وراء المكان الذي كان فيه
 أول مرّة، وجاء الأشتر حتى صفّ أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور، فقال
 الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة، فقال: إلى
 مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال له الأشتر: لو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم والله،
 لو أمرتني أن أعترض صفّهم بسيفي ما رجعت أبداً حتى أضرب بسيفي في صفّهم،
 قال له الأشتر: يا ابن أخي، أطال الله بقاءك! قد والله، ازددت رغبة فيك لا أمرتك بمبارزته
 إنّما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، إنّّه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلا لذوي الأسنان
 والكفاءة والشرف، وأنت - لربك الحمد - من أهل الكفاءة والشرف غير أنّك فتى حدث
 السن، فليس بمبارز الأحداث ولكن ادعه إلى مبارزتي. فأتاه فنادى: آمنوني فإني
 رسول فأومن، فجاء حتى انتهى إلى أبي الأعور. قال أبو مخنف: فحدّثني النضر بن
 صالح أبو زهير العبسي قال: حدّثني سنان قال: فدنوت منه فقلت: إنّ الأشتر يدعوك
 إلى مبارزته. قال: فسكت عني طويلاً ثمّ قال: إنّ خفة الأشتر وسوء رأيه هو حمله على
 إجلاء عمّال ابن عفان من العراق، وانتزأه عليه يقبّح محاسنه، ومن خفة الأشتر

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٦/٤؛ وقعة صفين: ١٥٢ نحوه.

وسوء رأيه أن سار إلى ابن عمّان في داره وقراره حتى قتله، فيمن قتله فأصبح متّبعاً بدمه، ألا حاجة لي في مبارزته. قال: قلت: إنك قد تكلمت فاسمع حتى أُجيبك، فقال: لا، لا حاجة لي في الاستماع منك ولا في جوابك، اذهب عني. فصاح بي أصحابه فانصرف عنه، ولو سمع إليّ لمبارزته لفر صاحبي وحجّته. فرجعت إلى الأشتري فأخبرته أنّه قد أبقى المبارزة، فقال: نعم، قال:

فواقفناهم حتى سجدنا إلى بيننا وبينهم وبتنا متحارسين، فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحتنا ليلتهم، ويصّبّحنا عليّ بن أبي طالب غدوة. فقدم الأشتري فيمن كان معه في تلك المدة حتى انتهى إلى معاوية فواقفه، وجاء عليّ في أثره فلحق بالأشتري سريعاً فوقف وتواضعوا طويلاً^(١).

وقوف الناس صفيين بصفيين

٥٣٣- في تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي: سمعت عمّار بن ياسر بصفيين وهو يقول لعمر بن العاص: لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه الرابعة، ما هي بأبرّ ولا أتقى^(٢).

٥٣٤- في وقعة صفين عن أسماء بن الحكم الفزاري: كنّا بصفيين مع عليّ بن أبي طالب تحت راية عمّار بن ياسر، ارتفاع الضحى - استظللنا ببرد أحمر - إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمّار بن ياسر؟

فقال عمّار بن ياسر: هذا عمّار.

قال: أبو اليقظان؟

قال: نعم.

قال: إن لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سراً

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٧/٤؛ وقعة صفين: ١٥٤ نحوه.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٠/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨١/٢.

قال: اختر لنفسك أيّ ذلك شئت.

قال: لا، بل علانية.

قال: فانطق.

قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحقّ الذي نحن عليه لا أشكّ في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا؛ فتقدّم منادينا فشهد ألاّ إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثمّ أقيمت الصلاة فصلّينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحد، فأدركني الشكّ في ليلتي هذه، فبتّ بليلة لا يعلمها إلاّ الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمّار ابن ياسر؟

قلت: لا.

قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتّبعه. فجئتك لذلك.

قال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي فإنّها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهنّ ولا أبرهنّ، بل هي شرهنّ وأفجرهنّ.

أشهدت بدرأً واحداً وحنيناً أو شهدها لك أبّ فيخبرك عنها؟

قال: لا.

قال: فإنّ مراكزنا على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله، لو ددت أنّ جميع من أقبل مع معاوية ممّن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطّعته وذبّحته، والله، لدمائرهم جميعاً أحلّ من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراماً؟

قال: لا، بل حلال.

قال: فإنّهم كذلك حلال دماؤهم.

أتراني بيئتُ لك؟

قال: قد بيئت لي.

قال: فاختر أي ذلك أحببت.

قال: فانصرف الرجل ثم دعاه عمّار بن ياسر فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حقّ ما ظهروا علينا. والله، ما هم من الحقّ على ما يُقدي^(١) عين ذباب، والله، لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حقّ وهم على باطل.

وأيّم الله، لا يكون سلماً^(٢) سالماً أبداً حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحقّ وأنّ قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيّام الدنيا حتى يشهدوا بأنّ موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأنّ موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحيائهم على الباطل^(٣).

٥٣٥- في مسند ابن حنبل عن عبد الله بن سلمة: رأيت عمّاراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طولاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: والذي نفسي بيده، لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات، وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنّ مصلحينا على الحقّ وأنّهم على الضلالة^(٤).

(١) القُدَى: جمع قُدَاة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تِبْن أو وَسَخ أو غير ذلك (النهاية: ٤٠/٣٠).

(٢) كذا في المصدر.

(٣) رقعة صفين: ٣٢١، بحار الأنوار: ٣٢/٤٩١/٤٢٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢٥٦/٥ وليس فيه «وأيّم الله، لا يكون...».

(٤) مسند ابن حنبل: ٦/٤٨٠/١٨٩٠٦، مسند أبي يعلى: ٢/٢٦٢/١٦٠٧، المستدرک علی الصحیحین: ٣/٤٣٣/٥٦٥١ و ص ٤٤٣/٥٦٧٨، الطبقات الكبرى: ٣/٢٥٦، أنساب الأشراف: ١/١٩٥، سير أعلام النبلاء: ١/٤٠٨/٨٤، العقد الفريد: ٣/٣٣٦ وفي السّنة الأخيرة «سعفات» بدل «شعفات»، المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/٧٢٧/٣٦ نحوه، البداية والنهاية: ٧/٢٦٧؛ الخصال: ١٨/٢٧٦ عن حفص بن غياث عن الإمام الصادق عليه السلام نحوه.

معاوية يمنع الناس من الماء

٥٣٦ - في الأخبار الطوال: أقبل عليّ ﷺ حتى وافى المكان، فصادف أهل الشام قد احتوا على القرية والطريق، فأمر الناس، فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية، وانطلق السَّقَاوون والغلمان إلى طريق الماء، فحال أبو الأعور بينهم وبينه. وأخبر عليّ ﷺ بذلك، فقال لصعصعة بن صوحان: إئت معاوية، فقل له: إنا سرنا إليكم لنُعذر قبل القتال، فإن قبلتم كانت العافية أحبَّ إلينا، وأراك قد حلتَ بيننا وبين الماء، فإن كان أعجب إليك أن ندع ما جئنا له، ونذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال الوليد: إمنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله.

فقال معاوية لعمر بن العاص: ما ترى؟.

قال: أرى أن تُخَلِّي عن الماء، فإنَّ القوم لن يعطشوا وأنت ريتان.

فقال عبدالله بن أبي سَرْح، وكان أخا عثمان لأُمَّه: إمنعهم الماء إلى الليل، لعلهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة^(١)، فيكون انصرافهم هزيمة.

فقال صعصعة لمعاوية: ما الذي ترى؟.

قال معاوية: إرجع، فسيأتيكم رأيي. فانصرف صعصعة إلى عليّ، فأخبره بذلك^(٢).

٥٣٧ - في تاريخ الطبري عن عبدالله بن عوف بن الأحمر: لمّا قدمنا على معاوية وأهل

الشام بصقّين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستويّاً بساطاً واسعاً، أخذوا الشريعة، فهي في أيديهم، وقد صفّ أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجال، وقد قدّم

(١) الغيضة: وهي الشجر الملتفّ (النهاية: ٤٠٢/٣).

(٢) الأخبار الطوال: ١٦٨.

المرامية أمام من معه، وصفّ صفّاً معهم من الرماح والدَّرَق^(١)، وعلى رؤوسهم البيض، وقد أجمعوا على أن يمنعونا الماء.

ففرزنا إلى أمير المؤمنين، فخبّرنا به بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان فقال له: ائت معاوية وقل له: إننا سرنا مسيرنا هذا إليكم، ونحن نكره قتالكم قبل الإغذار إليكم، وإنك قدّمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ عنك حتى ندعوك ونحتجّ عليك.

وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، والناس غير منتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلّوا بين الناس وبين الماء، ويكفّوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أعجب إليك أن نترك ما جننا له، ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبة: إمنعهم الماء كما منعه عثمان بن عفّان؛ حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء، ولين الطعام. أقتلهم عطشاً، قتلهم الله عطشاً!

فقال له عمرو بن العاص: خلّ بينهم وبين الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن بغير الماء، فانظر ما بينك وبينهم.

فأعاد الوليد بن عقبة مقالته. وقال عبدالله بن أبي سرح: امنعهم الماء إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، ولو قد رجعوا كان رجوعهم قلاً. امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة!

فقال صعصعة: إنّما يمنعه الله عزّ وجلّ يوم القيامة الكفرة الفسقة وشربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق - يعني الوليد بن عقبة - .

قال: فتراثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل فإنّه

(١) الدَّرَق: ضرب من التُّرسية، الواحدة دَرَقَة تُتَّخَذُ مِنَ الْجُلُودِ (لسان العرب: ٩٥/١٠).

رسول^(١).

٥٣٨- في الفتوح: دعا عليّ عليه السلام بشبث^(٢) بن ربيعي الرياحي وصعصعة بن صوحان العبدي فقال لهما: انطلقا إلى معاوية فقولاه: إن خيلك قد حالت بيننا وبين الماء، ولو كنا سبقناك لم نحل بينك وبينه، فإن شئت فخلّ عن الماء حتى نستوي فيه نحن وأنت، وإن شئت قاتلناك عليه حتى يكون لمن غلب، وتركنا ما جئنا له من الحرب.

قال: فأقبل شبث فقال: يا معاوية! إنك لست بأحقّ من هذا الماء منّا فخلّ عن الماء، فإننا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا.

ثمّ تكلم صعصعة بن صوحان فقال: يا معاوية! إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول لك: إننا قد سرنا مسيرنا هذا وإنّي أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، فإنك قدّمت خيلك فقاتلتنا من قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ حتى نعذر إليك ونحتجّ عليك، وهذه مرّة أخرى قد فعلتموها، حلتم بين الناس والماء، وأيم الله لنشربن منه شئت أم أبيت! فامنن إن قدرت عليه من قبل أن نغلب فيكون الغالب هو الشارب.

فقال لعمر بن العاص: ما ترى أبا عبد الله؟ فقال: أرى أن عليّاً لا يظماً وفي يده أعتة الخيل وهو ينظر إلى الفرات دون أن يشرب منه، وإنما جاء لغير الماء فخلّ عن الماء حتى يشرب ونشرب.

قال: فقال الوليد بن عقبة: يا معاوية! إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوماً وحصروه، فامننهم إياه حتى يموتوا عطشاً واقتلهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

قال: ثمّ تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فقال: لقد صدق الوليد في قوله: فامننهم الماء، منعهم الله إياه يوم القيامة!

(١) تاريخ الطبري: ٥٧١/٤، شرح نهج البلاغة: ٣١٨/٣، الكامل في التاريخ: ٣٦٤/٢، الإمامة والسياسة: ١٢٤/١ كلاهما نحوه وفيه «الأشعث» بدل «صعصعة بن صوحان» وقعة صفتين: ١٦٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٤٠/٥.

فقال صعصعة: إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفسقة الفجرة مثلك ومثل نظرائك هذا الذي سمّاه الله في الكتاب فاسقاً الوليد بن عقبة الذي صلّى بالناس الغداة أربعاً وهو سكران ثمّ قال: أزيدكم؟ فجلد الحدّ في الإسلام. قال: فتاروا إليه بالسيوف، فقال معاوية: كفّوا عنه فإنّه رسول^(١).

أصحاب علي عليه السلام يعيدون الماء

٥٣٩- قال الإمام عليّ عليه السلام - من خطبة له عليه السلام لمّا غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام

على شريعة الفرات بصفّين ومنعواهم الماء :-

قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّة، وتأخير محلّة، أو روّوا السيوف من الدماء ترووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين. ألا وإنّ معاوية قاد لُمّة من الغواة، وعمّس^(٢) عليهم الخبر، حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية^(٣).

٥٤٠ - في الأخبار الطوال: ظلّ أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء إلا من كان ينصرف من الغلمان إلى طرف الغيضة، فيمشي مقدار فرسخين فيستقي، فغمّ علياً عليه السلام أمرُ الناس غمّاً شديداً، وضاق بما أصابهم من العطش ذرعاً؛ فأتاه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين، أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا؟ ولّني الزحف إليه، فوالله لا أرجع أو أموت، ومُر الأشر فلينضمّ إليّ في خيله.

فقال له عليّ: إيت في ذلك ما رأيت.

فلما أصبح زاحف أبا الأعور، فاقتتلوا، وصدقهم الأشر والأشعث حتى نفيا أبا

(١) الفتوح: ٥/٣ وراجع المعيار والموازنة: ١٤٦.

(٢) عمّس عليهم الخبر: أي لبس الحال عليهم وجعل الأمر مظلماً (مجمع البحرين: ١٢٧٢/٢).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥١، بحار الأنوار: ٤٤٢/٣٢ نقلاً عن وقعة صفّين وزاد فيه «حيث منعوكم

الماء» بعد «القتال».

الأعور وأصحابه عن الشريعة، وصارت في أيديهما^(١).

٥٤١ - في وقعة صفين عن زيد بن حسين : نادى الأشعث عمرو بن العاص قال: ويحك

يا بن العاص! خلّ بيننا وبين الماء، فوالله، لئن لم تفعل ليأخذنا وإياكم السيوف.

فقال عمرو: والله، لا نخلي عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم، فيعلم ربنا أيتنا اليوم

أصبر.

فترجّل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب عليّ، وترجّل معهما اثنا

عشر ألفاً، فحملوا على عمرو ومن معه من أهل الشام، فأزالوهم عن الماء حتى غمست

خيل عليّ سناكبها في الماء^(٢).

٥٤٢ - في الكامل في التاريخ - بعد ذكر إرسال الإمام عليه السلام صعصعة لمعاوية كي يكلمه

بشأن الشريعة -: فرجع صعصعة [حين بعثه الإمام عليه السلام إلى معاوية] فأخبره بما كان،

وأنّ معاوية قال: سيأتاكم رأيي، فسرب الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء.

فلما سمع عليّ ذلك قال: قاتلوهم على الماء.

فقال الأشعث بن قيس الكندي: أنا أسير إليهم. فسار إليهم، فلما دنوا منهم ثاروا في

وجوههم فرموهم بالنبل، فتراموا ساعة ثمّ تطاعنوا بالرماح، ثمّ صاروا إلى السيوف

فاقتتلوا ساعة.

وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري - جدّ خالد بن عبدالله القسري - في

الخيل إلى أبي الأعور، فأقبلوا.

فأرسل عليّ شبث بن ربعي الرياحي، فازداد القتال.

فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير، فأخذ يمدّ أبا الأعور ويزيد بن

أسد.

(١) الأخبار الطوال: ١٦٨.

(٢) وقعة صفين: ١٦٧ و ص ١٧٠ وفيه «فلقي عمرو بن العاص بعد ذلك الأشعث بن قيس، فقال: أي

أخا كندة! أما والله، لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء، ولكني كنت مقهوراً على ذلك الرأي

فكأيدتك بالتهديد، والحرب خدعة»، بحار الأنوار: ٣٢/٤٤٢؛ شرح نهج البلاغة: ٣/٣٢٤.

وأرسل عليّ الأشتري في جمع عظيم، وجعل يمدّ الأشعث وشبثاً، فاشتدّ القتال.
فقال عبدالله بن عوف الأزدي الأحمرى:

خَلَّوْا لَنَا مَاءَ الْفِرَاتِ الْجَارِي أَوْ اثْبِتُوا لِحِجْلٍ جَرَّارٍ
لِكُلِّ قَرْمٍ مَسْتَمِيتٍ شَارِي مَطَاعِنَ بِرْمَحِهِ كَرَّارٍ
ضَرَابَ هَامَاتِ الْعَدَى مَغْوَارٍ لَمْ يَخْشَ غَيْرَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

وقاتلوهم حتى خلّوا بينهم وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليّ (١).

٥٤٣ - في وقعة صفين عن صعصعة بن صوحان: قتل الأشتري في تلك المعركة سبعة...

فأول قتيل قتل الأشتري ذلك اليوم بيده من أهل الشام رجل يقال له: صالح بن فيروز - وكان مشهوراً بشدّة البأس - ... فبرز إليه الأشتري... ثمّ شدّ عليه بالرمح فقتله، وفلق ظهره، ثمّ رجع إلى مكانه.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: مالك بن أدهم السلماني - وكان من فرسان أهل الشام -... ثمّ شدّ على الأشتري، فلمّا رهقه التوى الأشتري على الفرس، ومار السنان فأخطأه، ثمّ استوى على فرسه وشدّ عليه بالرمح... فقتله.

ثمّ خرج فارس آخر يقال له: رياح بن عتيك... فخرج إليه الأشتري... فشدّ عليه فقتله.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: إبراهيم بن الوضّاح... فخرج إليه الأشتري... فقتله.

ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له: زامل بن عتيك الحزامي - وكان من أصحاب

الألوية - فشدّ عليه... فطعن الأشتري في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه ولم يصب

مقتلاً، وشدّ عليه الأشتري راجلاً فكسف (٢) قوائم الفرس بالسيف... ثمّ ضربه بالسيف

وهما رجلا (٣).

ثمّ خرج إليه فارس يقال له: الأجلح - وكان من أعلام العرب وفرسانها، وكان على

(١) الكامل في التاريخ: ٣٦٤/٢، تاريخ الطبري: ٥٦٩/٤ نحوه وراجع الفتوح: ٩/٣ - ١٣ ووقعة

صفين: ١٦٢.

(٢) كسفه: قطعه (التاموس المحيط: ١٩٠/٣).

(٣) الرّجّلان: الرّاجل (لسان العرب: ٢٦٩/١١).

فرس يقال له: لاحق - فلما استقبله الأشتر كره لقاءه واستحيا أن يرجع، فخرج إليه... فشدد عليه الأشتر... فضربه.

ثم خرج إليه محمد بن روضة وهو يضرب في أهل العراق ضرباً منكراً... فشدد عليه الأشتر... ثم ضربه فقتله....

ثم أقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء^(١).

٥٤٤- في شرح نهج البلاغة: لما ملك عسكر معاوية عليه [علي الإمام عليّ عليه] الماء،

وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة حتى تموت ظمأً كما مات ابن عقان.

فلما رأى عليه أنه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية

حملات كثيفة، حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع؛ سقطت منه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة، لا ماء لهم^(٢).

أخلاق علي عليه السلام مع الأعداء

٥٤٥- في الكامل في التاريخ - في ذكر القتال على الماء -: قاتلوهم حتى خلّوا بينهم

وبين الماء، وصار في أيدي أصحاب عليّ، فقالوا: والله، لا نسقيه أهل الشام!

فأرسل عليّ إلى أصحابه: أن خذوا من الماء حاجتكم، وخلّوا عنهم، فإنّ الله

نصركم ببغيهم وظلمهم^(٣).

٥٤٦- في مروج الذهب - بعد أن كشف جند الإمام عليّ عليه جند معاوية عن الماء -:

(١) وقعة صفين: ١٧٤ - ١٧٩؛ المناقب للخوارزمي: ٢١٦ - ٢١٨ عن أبي هاني بن معمر السدوسي

وفيه «رياح بن عبدة الغساني» بدل «رياح بن عتيك».

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٣/١، ينابيع المودة: ٤٥٠/١؛ بحار الأنوار: ١٤٥/٤١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣٦٥/٢، تاريخ الطبري: ٥٧٢/٤؛ وقعة صفين: ١٦٢ كلاهما نحوه وراجع

قال معاوية لعمر بن العاص: يا أبا عبدالله، ما ظنك بالرجل، أتراه يمتنعنا الماء لمنعنا إياه؟ وقد كان انحاز بأهل الشام إلى ناحية في البرّ نائية عن الماء.
فقال له عمرو: لا، إنّ الرجل جاء لغير هذا، وإنّه لا يرضى حتى تدخل في طاعته، أو يقطع حبل عاتقك.

فأرسل إليه معاوية يستأذنه في وروده مشرعه، واستقاء الناس من طريقه، ودخول رسله في عسكره. فأباحه عليّ كلّ ما سأل وطلب منه^(١).

٥٤٧ - في الأخبار الطوال - بعد منع معاوية الماء على جيش الإمام عليّ عليه السلام - فلما أصبح زاحف أبا الأعور، فاقتلوا، وصدقهم الأشر والاشعث حتى نفيا أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة، وصارت في أيديهما.
فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما ظنك بالقوم اليوم إن منعوك الماء كما منعتمهم أمس؟

فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنك بعليّ؟

قال: ظني أنّه لا يستحلّ منك ما استحلت منه؛ لأنّه أتاك في غير أمر الماء.
ثمّ توادع الناس، وكفّ بعضهم عن بعض، وأمر عليّ ألاّ يُمْنع أهل الشام من الماء، فكانوا يسقون جميعاً^(٢).

٥٤٨ - في شرح نهج البلاغة - في ذكر القتال على الماء واستيلاء أصحاب الإمام عليه -:
فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين! كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب.
فقال: لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك^(٣).

(١) مروج الذهب: ٣٨٦/٢.

(٢) الأخبار الطوال: ١٦٩، الفتوح: ١١/٣، الإمامة والسياسة: ١٢٦/١؛ وقعة صفين: ١٨٦ كلّها نحوه.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/٢٤ وج ٣٣١/٣ نحوه، ينابيع المودة: ٤٥١/١؛ بحار الأنوار: ٤٤٣/٣٢.

أمير المؤمنين يدعو القوم إلى الرشيد

٥٤٩- في تاريخ يعقوبي: وجه عليّ إلى معاوية يدعوّه ويسأله الرجوع، وألا يفرّق الأمة بسفك الدماء، فأبى إلا الحرب^(١).

٥٥٠- في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي -بعد ذكر القتال على الماء -: مكث عليّ يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية. ثمّ إنّ عليّاً دعا بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي، فقال: ائتوا هذا الرجل، فادعوه إلى الله، وإلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث بن ربعي: يا أمير المؤمنين! ألا تطمعه في سلطان تولّيه إياها، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟

فقال عليّ: ائتوه فالقوه واحتجّوا عليه، وانظروا ما رأيته. - وهذا في أول ذي الحجّة -

فأتوه، ودخلوا عليه، فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو، وقال: يا معاوية! إنّ الدنيا عنك زائلة، وإنّك راجع إلى الآخرة، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسبك بعملك، وجزائك بما قدّمت يداك، وإنّي أنشدك الله عزّ وجلّ أن تفرّق جماعة هذه الأمة، وأن تسفك دماءها بينها!

فقطع عليه الكلام، وقال: هلاً أوصيت بذلك صاحبك؟

فقال أبو عمرة: إنّ صاحبني ليس مثلك، صاحبني أحقّ البريّة كلّها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام، والقراية من الرسول ﷺ.

قال: فيقول ماذا؟

قال: يأمرك بتقوى الله عزّ وجلّ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحقّ، فإنّه أسلم لك في دنياك، وخير لك في عاقبة أمرك.

(١) تاريخ يعقوبي: ١٨٨/٢.

قال معاوية: ونُظِّلَ^(١) دم عثمان! لا والله، لا أفعل ذلك أبداً.
 فذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبادره شيبث بن ربعي فتكلم، فحمد الله وأثنى عليه،
 وقال: يا معاوية! إني قد فهمت ما رددت علي ابن محسن، إنّه والله، لا يخفى علينا ما
 تغزوا وما تطلب، إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم،
 وتستخلص به طاعتهم، إلا قولك: «قتل إمامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه»، فاستجاب
 له سفهاء طغام، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل، لهذه المنزلة
 التي أصبحت تطلب، ورُبَّ متمني أمر وطالبه، الله عزَّ وجلَّ يحول دونه بقدرته، وربّما
 أُوتِي المتمني أمنيته وفوق أمنيته.

ووالله، ما لك في واحدة منهما خير، لئن أخطأت ما ترجو إنك لشرَّ العرب حالاً في
 ذلك، ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحقَّ من ربك صلي النار، فاتق الله يا
 معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله.

فحمد الله [معاوية] وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنَّ أوَّل ما عرفتُ فيه سفهك وخفة
 حلمك، قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطّقه، ثمّ عنيت بعد فيما لا علم لك
 به، فقد كذبت ولؤمت أيُّها الأعرابي الجلف الجافي في كلّ ما ذكرت ووصفت. انصرفوا
 من عندي، فإنّه ليس بيني وبينكم إلا السيف^(٢).

أول القتال

٥٥١- في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة الحنفي - في بيان ابتداء الحرب في
 ذي الحجّة - : أخذ عليّ يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة، ويخرج اليه من
 أصحاب معاوية آخر معه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثمّ ينصرفان،
 وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوّفون أن يكون في ذلك

(١) الطُّلُّ: هَدْرُ الدَّم (لسان العرب: ٤٠٥/١١).

(٢) تاريخ الطبري: ٥٧٣/٤، الكامل في التاريخ: ٣٦٥/٢؛ وقعة صفين: ١٨٧ وفيه «شهر ربيع الآخر»
 بدل «أول ذي الحجّة» وراجع مروج الذهب: ٣٨٧/٢.

من الاستتصال والهلاك، فكان عليّ يُخرج مرّة الأشتري، ومرّة حجر بن عدّي الكندي، ومرّة شبيب بن ربعي، ومرّة خالد بن المعمر، ومرّة زياد بن النضر الحارثي، ومرّة زياد بن خصفة التيمي، ومرّة سعيد بن قيس، ومرّة معقل بن قيس الرياحي، ومرّة قيس بن سعد، وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الأشتري، وكان معاوية يُخرج إليهم عبدالرحمن بن خالد المخزومي وأبالأعور السلمي، ومرّة حبيب بن مسلمة الفهري، ومرّة بن ذي الكلاع الحميري، ومرّة عبيدالله بن عمر بن الخطاب، ومرّة شرحبيل بن السمط الكندي، ومرّة حمزة بن مالك الهمداني، فاقتتلوا من ذي الحجة كلّها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين أوّله وآخره.

قال أبو مخنف: حدّثني عبدالله بن عاصم الفائشي قال: حدّثني رجل من قومي أنّ الأشتري خرج يوماً يقاتل بصقّين في رجال من القراء ورجال من فرسان العرب، فاشتدّ قتالهم فخرج علينا رجل والله لقلّما رأيت رجلاً قطّ هو أطول ولا أعظم منه، فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد إلا الأشتري، فاختلفا ضربتين فضربه الأشتري فقتله، وأيم الله، لقد كنا أشفقنا عليه، وسألناه ألا يخرج إليه، فلمّا قتله الأشتري نادى منادٍ من أصحابه:

يا سهم سهم بن أبي العيزار يا خير من نعلمه من زار

وزارة: حيّ من الأزدي. وقال: أقسم بالله لأقتلنّ قاتلك أو ليقتلني. فخرج فحمل على الأشتري وعطف عليه الأشتري فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه، وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحاً. فقال أبورفيقة الفهمي: هذا كان ناراً فصادف إعصاراً. واقتتل الناس ذا الحجة كلّها، فلما انقضى ذوالحجة تداعى الناس إلى أن يكفّ بعضهم عن بعض المحرم، لعلّ الله أن يجري صلحاً أو اجتماعاً، فكفّ بعضهم عن بعض^(١).

موادعة الجيشين قبل الصلح

٥٥٢- في تاريخ الطبري - في أخبار سنة ٣٧-: كان في أول شهر منها وهو المحرم

(١) تاريخ الطبري: ٤/٥٧٤؛ وقعة صفين: ١٩٥.

موادعة الحرب بين عليّ ومعاوية، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح^(١).

٥٥٣- في تاريخ الطبري عن المحلّ بن خليفة الطائي؛ لما توادع عليّ ومعاوية يوم صفين اختلف فيما بينهما الرسل رجاء الصلح، فبعث عليّ بن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبي وشبث بن ربعي وزياد بن خصفة إلى معاوية.

فلما دخلوا حمد الله عدّي بن حاتم ثم قال: أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمتنا، ويحقن به الدماء ويؤمنّ به السبل ويصلح به ذات البين. إنّ ابن عمّك سيّد المسلمين أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذي رأوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانت يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل.

فقال معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً لم تأت مصلحاً، هيهات يا عدّي! كلاً والله، إنّي لابن حرب ما يُقعقع لي بالشنان^(٢)، أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وإنك لمن قتلته، وإنّي لأرجو أن تكون ممن يقتل الله عزّ وجلّ به، هيهات يا عدّي بن حاتم! قد حلبت بالساعد الأشدّ.

فقال له شبث بن ربعي وزياد بن خصفة - وتنازعا جواباً واحداً - : أتيناك فيما يصلحنا وإياك، فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع ما لا يُنتفع به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمّننا وإياك نفعه.

وتكلّم يزيد بن قيس فقال: إنّنا لم نأتك إلا لنبلّغك ما بُعثنا به إليك، ولنؤدّي عنك ما سمعنا منك، ونحن على ذلك لم ندع أن ننصح لك، وأن نذكر ما ظننا أنّ لنا عليك به حجة، وأنك راجع به إلى الألفة والجماعة.

إنّ صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون فضله، ولا أظنّه يخفى عليك، إنّ أهل

(١) تاريخ الطبري: ٥/٥.

(٢) الشنان: جمع شنّ؛ وهو الخلق من كلّ آنية صنعت من جلد (تاج العروس: ١٨/٣٢٧).

الدين والفضل لن يعدلوا بعليّ، ولن يميلوا بينك وبينه، فاتّق الله يا معاوية ولا تخالف عليّاً، فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعمل بالتقوى ولا أزهّد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه.

فحمد الله معاوية وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة، فأما الجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي. وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتلتنا، وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فنحن لا نردّ ذلك عليه، أرايتم قتلة صاحبنا؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به، ثمّ نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة.

فقال له شبث: أيسرّك يا معاوية أنك أمكنت من عمّار تقتله؟

فقال معاوية: وما يمنعني من ذلك؟! والله لو أمكنت من ابن سميّة ما قتلته بعثمان ولكن كنت قاتله بناتل مولى عثمان.

فقال له شبث: وإله الأرض وإله السماء ما عدلت معتدلاً، لا والذي لا إله إلا هو لا تصل إلى عمّار حتى تندر الهام عن كواهل الأقوام، وتضيق الأرض الفضاء عليك برحبها.

فقال له معاوية: إنّه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيق.

وتفرّق القوم عن معاوية، فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خصفة التيمي فخلا به، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد يا أخا ربيعة فإنّ عليّاً قطع أرحامنا وآوى قتلة صاحبنا، وإنّي أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك، ثمّ لك عهد الله عزّ وجلّ وميثاقه أن أوليك إذا ظهرت أيّ المصريين أحببت.

قال أبو مخنف: فحدثني سعد أبوالمجاهد عن المحل بن خليفة، قال: سمعت زياد ابن خصفة يحدث بهذا الحديث.

قال: فلما قضى معاوية كلامه، حمدت الله عزّ وجلّ وأثنت عليه، ثمّ قلت: أمّا بعد، فإنّي على بينة من ربّي وبما أنعم عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثمّ قمت.

فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جنبه جالساً - : ليس يكلم رجل منّا رجلاً منهم فيجيب إلى خير، ما لهم غضبهم^(١) الله بشرّاً ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد^(٢).

مناقشات بين الجيشين

٥٥٤ - في تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود: إن معاوية بعث إلى عليّ حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأختس، فدخلوا عليه وأنا عنده، فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّ عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ وينيب إلى أمر الله تعالى، فاستثقلت حياته واستبطأت وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنك لم تقتله - نقلهم به، ثمّ اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال له عليّ بن أبي طالب: وما أنت لا أمّ لك والعزل وهذا الأمر، إسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل له.

فقام وقال له: والله لتريني بحيث تكره.

فقال عليّ: وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ، أحقره وسوءاً؟! إذهب فصوّب وصعد ما بدالك.

وقال شرحبيل بن السمط: إنّي إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل، فهل عندك جواب غير الذي أجبت به؟

فقال عليّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أجبت به.

فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

(١) غضبه الله: يدعون عليه بقطع يديه ورجليه (تاج العروس: ٢/٢٤١).

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٥؛ وقعة صفين: ١٩٧.

أما بعد، فإن الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالحقّ فأنقذ به من الضلالة وانتاش^(١) به من الهلكة وجمع به من الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه ﷺ ثم استخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فأحسننا السيرة وعدلنا في الأمة، وقد وجدنا عليهما أن توليا علينا ونحن آل رسول الله ﷺ فغفرتنا ذلك لهما، وولي عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فساروا إليه فقتلوه، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي: بايع فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك وإننا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين.

فلا غرو إلا خلافكم معه وانقيادكم له وتدعون آل نبيكم ﷺ الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً، ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ وإمارة الباطل وإحياء معالم الدين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة.

فقالا: اشهد أن عثمان قتل مظلوماً.

فقال لهما: لا أقول: إنه قتل مظلوماً ولا إنه قتل ظالماً.

قالا: فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء، ثم قاما فانصرفا. فقال علي: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ»^(٢). ثم أقبل علي على أصحابه فقال: لا يكن هؤلاء أولى بالجدّ في ضلالهم منكم بالجدّ في حقكم وطاعة ربكم^(٣).

(١) تَشَّتْ الشَّيْءُ بِالْمِثْثِ: أي استخرجته (لسان العرب: ٦/ ٢٥٠).

(٢) النمل: ٨٠ و ٨١.

(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٥، البداية والنهاية: ٧/ ٢٥٩ نحوه وليس فيه من «وقال شرحبيل» إلى «ومسلم»

استمالة الإمام لقلوب الناس

٥٥٥- في شرح نهج البلاغة: لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصقّين، ثمّ سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد.

واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين! خلفنا ذراريننا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً؟! ائذن لنا في القتال، فإنّ الناس قد قالوا.

قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟

فقال منهم قائل: إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهية للموت، وإنّ من الناس من يظنّ أنّك في شكّ من قتال أهل الشام.

فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قطّ؟ إنّ من العجب حبّي لها غلاماً ويفعأ، وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر وقرب الوقت!

وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله، لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً، فما وجدت يسعني إلا القتال، أو أن أعصي الله ورسوله، ولكنّي أستاذني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس^(١).

٥٥٦- قال الإمام علي عليه السلام - من كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصقّين -: أمّا قولكم: أكُلّ ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي، دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ.

=ومسلمة»؛ وقعة صفّين: ٢٠٠ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٦٢٨/٢.

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣/٤؛ بحار الأنوار: ٤٤٧/٣٢.

وأما قولكم: شكّا في أهل الشام، فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا^(١) إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها^(٢).

الإمام يدعو الله قبل الحرب

٥٥٧- في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب الجهني: إنّ عليّاً خرج إليهم غداة الأربعاء فاستقبلهم فقال: اللهم! ربّ السقف المرفوع المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً^(٣) لليل والنهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكّانه سبباً^(٤) من الملائكة، لا يسأمون العبادة. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوامّ والأنعام، وما لا يُحصى ممّا لا يُرى وممّا يُرى من خلقك العظيم. وربّ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وربّ السحاب المسخر بين السماء والأرض، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم، وربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق متاعاً؛ إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي، وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة^(٥).

وزاد في البداية والنهاية: ثمّ تقدّم عليّ وهو في القلب في أهل المدينة، وعلى ميمته يومئذٍ عبدالله بن بديل، وعلى الميسرة عبدالله بن عباس، وعلى القراء عمّار بن ياسر وقيس بن سعد، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم^(٦).

(١) يعشوا: يُبصِرُ بها بَصْرًا ضَعِيفًا (النهاية: ٣/٢٤٣).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٥، بحار الأنوار: ٣٢/٥٥٦/٤٦٤.

(٣) غاضه: أي نَقَضَهُ (لسان العرب: ٧/٢٠١).

(٤) السَّبْطُ: الأُمَّة والطائفةُ (النهاية: ٢/٣٣٤).

(٥) تاريخ الطبري: ١٤/٥؛ نهج البلاغة: الخطبة ١٧١ وليس فيه من «وربّ الفلك» إلى «بالعالم»، مهج

الدعوات: ١٣٣ عن يعقوب بن شعيب، المصباح للكفعمي: ٤٠٣ كلاهما عن الإمام الصادق

عنه عليه السلام، وقعة صفّين: ٢٣٢، بحار الأنوار: ٩٤/٢٤١.

(٦) البداية والنهاية: ٧/٢٦٣.

٥٥٨- قال الإمام علي عليه السلام - يوم صفين -: اللهم إليك رُفعت الأبصار، وبُسطت الأيدي، ونُقلت الأقدام، ودعت الألسن، وأفضت القلوب، وتحوكم إليك في الأعمال، فاحكم بيننا وبينهم بالحقّ وأنت خير الفاتحين. اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا وقلّة عددنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا وشدّة الزمان وظهور الفتن. أعتنا عليهم بفتح تعجّله، ونصر تُعزّ به سلطان الحقّ وتظهره ^(١).

٥٥٩- عنه عليه السلام - في دعائه عند ابتداء القتال يوم صفين لما زحفوا باللواء -:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، يا الله يا رحمن يا رحيم، يا أحد يا صمد يا إله محمّد، إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، وشخصت الأبصار، ومدّت الأعناق، وطلبت الحوائج، ورفعتم الأيدي، اللهم افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

ثمّ قال: لا إله إلا الله والله أكبر - ثلاثاً - ^(٢).

أمر الإمام بالقتال وحث أصحابه

٥٦٠- في الأخبار الطوال: لما انسلخ المحرّم بعث عليّ عليه السلام مُنادياً، فنادى في عسكر معاوية عند غروب الشمس: إنا أمسكنا لتنصرم الأشهر الحرم، وقد تصرّمت، وإنا نُنَبِّذُ إليكم على سواء، إن الله لا يُحبُّ الخائنين ^(٣).

٥٦١- في تاريخ الطبري عن جعفر بن حذيفة: مكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرّم

(١) وقعة صفين: ٢٣١، بحار الأنوار: ٣٢/٤٦١/٣٩٩؛ شرح نهج البلاغة: ١٧٦/٥ كلّها عن عبد الواحد بن حسان العجلي عمّن حدّثه.

(٢) مهج الدعوات: ١٢٧، وقعة صفين: ٤٧٧ عن جابر بن عمير الأنصاري؛ شرح نهج البلاغة: ٢١١/٢، ينابيع المودة: ١١/٢ وزاد فيها «اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا» قبل «اللهم افتح» وراجع كتاب سليم بن قيس: ٥٩/٩٠٢/٢.

(٣) الأخبار الطوال: ١٧١.

أمر عليّ مرتد بن الحارث الجشمي، فنادى أهل الشام - عند غروب الشمس - : ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إنّي قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ وتنبؤوا إليه، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ، فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، ولم تجيبوا إلى حقّ، وإنّي قد نبذت إليكم على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

ففرع أهل الشام إلى أمرائهم ورؤسائهم، وخرج معاوية وعمرو بن العاص في الناس يكتبان الكتائب ويعيبان الناس، وأوقدوا النيران، وبات عليّ ليلته كلّها يعبّي الناس، ويكتب الكتائب، ويدور في الناس يحرضهم^(١).

٥٦٢ - في تاريخ دمشق عن ابن عباس: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لرأيته - يوم صفين - وعلى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها كأنّ عينيه سراجا سليط وهو يقف على شردمة يحضّهم حتى انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس فقال:

معاشر المسلمين! استشعروا الخشية، وعضّوا الأصوات، وتجلّبوا السكينة، واعملوا الأسنّة، وألقوا السيوف قبل السلّة، واطعنوا الرخر^(٢)، ونافحوا بالظبا، وصيلوا السيوف بالخطأ، والنبال بالرماح، فإنكم بعين الله ومع ابن عمّ نبيّه ﷺ.

عاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ؛ فإنّه عارٌّ باقي في الأعقاب والأعناق، ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم أنفساً، وامشوا إلى الموت أسحاً^(٣)، وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطيب، فاضربوا ثبجّه^(٤)؛ فإنّ الشيطان راكب صعبه،

(١) تاريخ الطبري: ١٠/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧٠/٢، مروج الذهب: ٣٨٧/٢، البداية والنهاية:

٢٦٠/٧ وليس فيهما من «ففرع...» وكلّها نحوه؛ وقعة صفين: ٢٠٣ عن عمر بن سعد.

(٢) كذا في المصدر، وفي نهج البلاغة: «الشُرر». والطعن الشُرر: ما كان عن يمين وشمال (لسان العرب: ٤٠٤/٤).

(٣) كذا في المصدر، ولعلّها من سحّ الماء وغيره يسحّه سحّاً: إذا صبّه صبّاً متتابعاً كثيراً (لسان العرب: ٤٧٦/٢).

وفي نهج البلاغة: «سُجْحاً». والسُجْح: السهلة (النهاية: ٣٤٢/٢).

(٤) الثبج: هو معظم الشيء وعواليه (مجمع البحرين: ١/٢٢٨).

ومفرش ذراعيه، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً حتى يتجلّى لكم عمود الدين ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ﴾ (١)(٢).

٥٦٣ - في الكافي عن مالك بن أعين: حرّض أمير المؤمنين صلوات الله عليه الناس

بصقّين فقال:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، وَتَشْفِي بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ: وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةً لِلذَّنْبِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٣).

فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، فقدموا الدارع وأخروا الحاسر، وعضّوا على النواجذ؛ فإنّه أنبى للسيوف عن الهام (٤)، والتّووا على أطراف الرماح؛ فإنّه أمر (٥) للأسنة، وعضّوا الأبصار؛ فإنّه أربط للجأش وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات؛ فإنّه أطرّد للفشل وأولى بالوقار، ولا تميلوا برياياتكم، ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم؛ فإنّ المانع للذمار، والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ...

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون برياياتهم ويكتنفونها ويصيرون حفافيها ووراءها وأمامها، ولا يضيعونها؛ لا يتأخّرون عنها فيسلموها، ولا يتقدّمون عليها فيفردوها.

رحم الله امرأً وأسى أخاه بنفسه، ولم يكلّ قرنه إلى أخيه فيجتمع قرنه وقرن أخيه، فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين؟! وهذا

(١) محمّد: ٣٥.

(٢) تاريخ دمشق: ٤٢/٤٦٠، مروج الذهب: ٣/٣٨٩، عيون الأخبار لابن قتيبة: ١/١١٠؛ نهج البلاغة: الخطبة ٦٦ وفيه من «معاشر المسلمين»، خصائص الأئمة عليهم السلام: ٧٥، بشارة المصطفى: ١٤١ كلّها نحوه.

(٣) الصنّف: ٤.

(٤) في المصدر: «أنبأ للسيوف على الهام»، والصحيح ما أثبتناه كما في بحار الأنوار نقلاً عن الكافي.

(٥) ماز الشيء مؤزراً: اضطرب وتحرك (لسان العرب: ٥/١٨٦).

ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يمقته الله. فلا تعرضوا لمقت الله عزّ وجلّ فإنّما ممركم إلى الله، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

وأيّم الله، لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق؛ فإنّما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حقّ جهاده ولا قوّة إلا بالله (٢).

سبعة أيام من القتال

اليوم الأول:

٥٦٥- في تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية: يخرج أهل العراق أحد عشر صفّاً، فخرجوا أوّل يوم من صفّين فاقتتلوا، وعلى من خرج يومئذٍ من أهل الكوفة الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة، وذلك يوم الأربعاء، فاقتتلوا قتالاً شديداً جلّ النهار، ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض (٣).

٥٦٦- في مروج الذهب: وأصبح عليّ يوم الأربعاء - وكان أوّل يوم من صفر - فعبأ الجيش، وأخرج الأشتر أمام الناس، وأخرج إليه معاوية - وقد تصافّ أهل الشام وأهل العراق - حبيب بن مسلمة الفهري، وكان بينهم قتال شديد سائر يومهم، وأسفرت عن قتلى من الفريقين جميعاً، وانصرفوا (٤).

(١) الأحزاب: ١٦.

(٢) الكافي: ٤/٣٩/٥، نهج البلاغة: الخطبة ١٢٤ وفيه من «فقدّموا الدارع...»، وقعة صفّين: ٢٣٥ عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن عن أبيه، بحار الأنوار: ٤٦٨/٥٦٢/٣٢؛ تاريخ الطبري: ١٦/٥ عن أبي عمرة الأنصاري وكلّها نحوه.

(٣) تاريخ الطبري: ١٢/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧١/٢؛ وقعة صفّين: ٢١٤ وفيهما «صفر» بدل «صفّين».

(٤) مروج الذهب: ٣٨٧/٢.

اليوم الثاني:

٥٦٧- في تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - في ذكر أحداث اليوم الثاني من الحرب -: خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها، وخرج إليه أبوالأعور، فاقتتلوا يومهم ذلك، يحمل الخيل على الخيل، والرجال على الرجال، ثم انصرفوا وقد كان القوم صبر بعضهم لبعض^(١).

٥٦٨- في مروج الذهب: فلما كان يوم الخميس - وهو اليوم الثاني - أخرج علي هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص الزهري المرقال وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص، وإنما سمى المرقال؛ لأنه كان يُرقل^(٢) في الحرب، وكان أعور ذهب عينه يوم اليرموك وكان من شيعة علي... فأخرج إليه معاوية أبوالأعور السلمي وهو سفيان بن عوف وكان من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي، فكانت بينهم الحرب سجالاً، وانصرفوا في آخر يومهم عن قتلى كثير^(٣).

اليوم الثالث:

٥٦٩- في تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية: خرج اليوم الثالث عمّار بن ياسر، وخرج إليه عمرو بن العاص، فاقتتل الناس كأشد القتال، وأخذ عمّار يقول: يا أهل العراق! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، وبغى على المسلمين، وظاهر المشركين، فلما رأى الله عز وجل يعزّ دينه ويظهر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم، وهو فيما نرى راهب غير راغب؟ ثم قبض الله عز وجل رسوله ﷺ! فوالله، إن زال بعده معروفاً بعبادة المسلم، وهوادة المجرم. فاثبتوا له وقاتلوه فإنه يطفى نور الله، ويظاهر أعداء الله عز وجل.

(١) تاريخ الطبري: ١٢/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧١/٢ نحوه؛ وقعة صفين: ٢١٤.

(٢) الإرقال: ضرب من الخبب؛ من قولهم: ناقة مرقال؛ أي مسرعة. وهو لقب هاشم بن عتبة الزهري؛ سُمي به لشدة اتصافه بهذا الوصف (مجمع البحرين: ٧٢٥/٢).

(٣) مروج الذهب: ٣٨٧/٢.

فكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل، فأمره أن يحمل في الخيل، فحمل، وقاتله الناس وصبروا له، وشدّ عمّار في الرجال، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه (١).

٥٧٠ - في الأخبار الطوال: خرج يوماً آخر عمّار بن ياسر في خيل من أهل العراق، فخرج إليه عمرو بن العاص في ذلك، ومعه شقّة سوداء على قنّاة.

فقال الناس: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ.

فقال عليّ رضي الله عنه: أنا مخبركم بقصّة هذا اللواء: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ، وقال: من يأخذه بحقّه؟

فقال عمرو: وما حقّه يا رسول الله؟

فقال: لا تفرّ به من كافر، ولا تقاتل به مسلماً.

فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ، وقد قاتل به المسلمون اليوم.

فاقتتل عمرو وعمّار ذلك اليوم كلّهُ (٢).

اليوم الرابع:

٥٧١ - في تاريخ الطبري عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - في ذكر أحداث اليوم الرابع

من الحرب -: خرج محمّد بن عليّ وعبيدالله بن عمر في جمعين عظيمين، فاقتتلوا كأشدّ القتال. ثمّ إنّ عبيدالله بن عمر أرسل إلى ابن الحنفية: أن اخرج إليّ.

فقال: نعم. ثمّ خرج يمشي، فبصر به أمير المؤمنين فقال: من هذان المتبارزان؟

فقال: ابن الحنفية، وعبيدالله بن عمر، فحرّك دابّته ثمّ نادى محمّداً، فوقف له.

فقال: أمسك دابّتي، فأمسكها، ثمّ مشى إليه عليّ فقال: أبرز لك، هلّمّ إليّ.

فقال: ليست لي في مبارزتك حاجة، فقال: بلى، فقال: لا.

فرجع ابن عمر. فأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: يا أبت! لِمَ منعنتني من مبارزته؟

(١) تاريخ الطبري: ١٢/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧١/٢؛ وقعة صفين: ٢١٤ وراجع مروج الذهب: ٣٨٨/٢.

(٢) الأخبار الطوال: ١٧٤؛ وقعة صفين: ٢١٥ عن يونس بن الأرقم عن شيخ من بكر بن وائل نحوه.

فوالله، لو تركتني لرجوتُ أن أقتله.

فقال: لو بارزتَه لرجوتُ أن تقتله، وما كنت آمن أن يقتلك (١).

٥٧١- في وقعة صفين عن عمر بن سعد: إنَّ عبيدالله بن عمر تقدّم في اليوم الرابع، ولم

يترك فارساً مذكوراً، وجمع من استطاع.

فقال له معاوية: إنك تلقى أفاعي أهل العراق فارفق واتّند.

فلقيه الأشتري أمام الخيل مُزبداً - وكان الأشتري إذا أراد القتال أزيد - ... وشدّ على

الخيال خيل الشام فردّها، فاستحيا عبيدالله فبرز أمام الخيل - وكان فارساً شجاعاً - ...

فحمل عليه الأشتري قطعته، واشتدّ الأمر، وانصرف القوم وللأشتري الفضل، فغمّ ذلك

معاوية (٢).

٥٧٢- في الفتوح - في ذكر وقائع صفين -: خرج الأشتري... فخرج إليه عبيدالله بن عمر

ابن الخطاب... ثمّ دنا الأشتري وليس يعرفه.

فقال له: من أنت أيّها الفارس؟! فإني لأبارز إلا كفوّاً.

قال: أنا مالك بن الحارث النخعي.

قال: فصمت عبيدالله بن عمر ساعة ثمّ قال: يا مالك! والله لو علمتُ أنك الداعي إلى

البراز لما خرجتُ إليك، فإن رأيتَ أن أرجع عنك فعلت منعماً.

فقال الأشتري: ألا تخاف العار أن ترجع عني وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من

قريش؟!

فقال: لا والله ما أخاف العار إذا رجعتُ عن مثلك.

فقال له الأشتري: فارجع إذاً ولا تخرج إلا إلى من تعرفه (٣).

(١) تاريخ الطبري: ١٢/٥، الأخبار الطوال: ١٧٤، الكامل في التاريخ: ٣٧١/٢، البداية والنهاية:

٢٦٢/٧ كلاهما نحوه؛ وقعة صفين: ٢٢١ عن عمرو بن شَمير.

(٢) وقعة صفين: ٤٢٩، بحار الأنوار: ٤٣٦/٥١٣/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٧١/٨.

(٣) الفتوح: ٤٥/٣.

اليوم الخامس:

٥٧٤- في وقعة صفين عن الزهري - في ذكر أحداث اليوم الخامس من الحرب -: خرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، فلاحق بعليؑ في ناس من قرأء أهل الشام، ففتت ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص.

وقال عمرو: يا معاوية! إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمدﷺ قرابة قريبة، ورحم ماسّة، وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله، ونجدة^(١) في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمدﷺ، وإنه قد سار إليك بأصحاب محمدﷺ المعدودين، وفرسانهم وقرّائهم وأشرفهم وقدمائهم في الإسلام، ولهم في النفوس مهابة.

فبادر بأهل الشام مخاشن الوعر، ومضايق الغيظ، واحملهم على الجهد، وأتهم من باب الطمع قبل أن ترفّهم فيحدث عندهم طول المقام مللاً، فيظهر فيهم كآبة الخذلان. ومهما نسيت فلا تنس أنك على باطل.

فلما قال عمرو لمعاوية ذلك زوّق معاوية خطبة، وأمر بالمنبر فأخرج، ثمّ أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها الناس! أعيرونا أنفسكم وجماعكم، لا تفشلوا ولا تخاذلوا، فإنّ اليوم يوم خطار، ويوم حقيقة وحفاظ، فإنكم على حقّ وبأيديكم حجة، وإنّما تقاتلون من نكت البيعة، وسفك الدم الحرام، فليس له في السماء عاذر.

ثمّ صعد عمرو بن العاص مرقّتين من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! قدّموا المستلثمة، وأخروا الحاسر، وأعيروا جماعكم ساعة؛ فقد بلغ الحقّ مقطعه، وإنّما هو ظالم ومظلوم^(٢).

٥٧٥- في تاريخ الطبري: فلما كان اليوم الخامس خرج عبدالله بن عباس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة، فأخذ الوليد يسبّ بني

(١) التّجدة: الشّدة والشّجاعة. ورجلٌ تجدٌ ونجدٌ: أي شديد البأس (النهاية: ٥/١٨).

(٢) وقعة صفين: ٢٢٢، بحار الأنوار: ٣٢/٤٦٣/٤٠٢؛ شرح نهج البلاغة: ٥/١٨٠.

عبدالمطلب، وأخذ يقول: يا بن عباس! قطعتم أرحامكم، وقتلتم إمامكم، فكيف رأيتم صنع الله بكم؟! لم تعطوا ما طلبتم، ولم تدركوا ما أمّلتم، والله إن شاء مهلككم وناصر عليكم.

فأرسل إليه ابن عباس: أن ابرز لي، فأبى. وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً، وغشي الناس بنفسه^(١).

اليوم السادس:

٥٧٦- في تاريخ الطبري: خرج قيس بن سعد الأنصاري، وابن ذي الكلاع الحميري فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم انصرفا. وذلك في اليوم السادس^(٢).

٥٧٧- في مروج الذهب: أخرج عليّ في اليوم السادس - وهو يوم الإثنين - سعيد بن قيس الهمداني، وهو سيّد همدان يومئذٍ، فأخرج إليه معاوية ذا الكلاع، وكانت [الحرب] بينهما إلى آخر النهار، وأسفرت عن قتلى، وانصرف الفريقان جميعاً^(٣).

اليوم السابع:

٥٧٨- في تاريخ الطبري - في ذكر أحداث اليوم السابع من الحرب -: خرج الأشر، وعاد إليه حبيب بن مسلمة اليوم السابع، فاقتتلا قتالاً شديداً، ثم انصرفا عند الظهر، وكلّ غير غالب. وذلك يوم الثلاثاء^(٤).

٥٧٩- في مروج الذهب: وأخرج عليّ في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء - الأشر في النخع وغيرهم، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، فكانت الحرب بينهم

(١) تاريخ الطبري: ١٣/٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٧١، الأخبار الطوال: ١٧٥ كلاهما نحوه وفيه «عتبة»

بدل «عتبة»؛ وقعة صفين: ٢٢١ وراجع مروج الذهب: ٢/٣٨٨.

(٢) تاريخ الطبري: ١٣/٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٧٢ نحوه.

(٣) مروج الذهب: ٢/٣٨٩.

(٤) تاريخ الطبري: ١٣/٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٧٢.

سجالاً، وصبر كلا الفريقين وتكافؤوا وتواقفوا للموت ثم انصرف الفريقان وأسفرت عن قتلى منهما، والجراح في أهل الشام أعم^(١).

قتال على كل جبهة

٥٧٩- في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: أن علياً قال: حتى متى لانا هض هؤلاء القوم بأجمعنا! فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر، فقال:
الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض، وما أبرم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله. وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، فلقت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجل النقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذب الله الظالم، ويعلم الحق أين مصيره، ولكته جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار؛ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(٢).
ألا إنكم لاقوا القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلوا الله عز وجل النصر والصبر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين.

ثم انصرف، ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومر بهم كعب بن جعيل التغلبي وهو يقول:

أصبحت الأمة في أمر عجب والمُلك مجموع غداً لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب إن غداً تهلك أعلام العرب^(٣)

٥٨٠- في الأخبار الطوال: حمل حبيب بن مسلمة - وكان على ميسرة معاوية - على ميمنة علي رضي الله عنه، فانكشفوا وجالوا جولة. ونظر علي إلى ذلك، فقال لسهل بن حنيف:

(١) مروج الذهب: ٢/٣٨٩.

(٢) النجم: ٣١.

(٣) تاريخ الطبري: ١٣/٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٧٢، البداية والنهاية: ٧/٢٦٢؛ وقعة صفين:

٢٢٥ عن يزيد بن وهب.

انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تعين أهل الميمنة.

فمضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة، فاستقبلهم جموع أهل الشام، فكشفوه ومن معه حتى انتهوا إلى عليّ - وهو في القلب - فجال القلب وفيه عليّ جولة، فلم يبقَ مع عليّ إلا أهل الحفاظ والنجدة. فحثّ عليّ فرسه نحو ميسرته، وهم وقوف يقاتلون من بإزائهم من أهل الشام - وكانوا ربيعة -.

قال زيد بن وهب: فإني لأنظر إلى عليّ وهو يمرّ نحو ربيعة، ومعه بنوه: الحسن والحسين ومحمّد، وإنّ النبل ليمرّ بين أذنيه وعاتقه، وبنوه يقونه بأنفسهم.

فلما دنا عليّ من الميسرة وفيها الأشتر، وقد وقفوا في وجوه أهل الشام يجالدونهم، فناداه عليّ، وقال: ائت هؤلاء المنهزمين، فقل: أين فراركم من الموت الذي لم تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم!

فدفع الأشتر فرسه، فعارض المنهزمين، فناداهم: أيها الناس! إليّ إليّ، أنا مالك بن الحارث، فلم يلتفتوا إليه، فظنّ أنّه بالاستعراف، فقال: أيها الناس! أنا الأشتر، فتابوا^(١) إليه، فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام، فقاتل بهم قتالاً شديداً حتى انكشف أهل الشام^(٢).

٥٨١- في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً لمّا رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافها، وكشفت من بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم في مواقعهم ومراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال:

إنّي قد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشام، وأنتم لهاميم^(٣) العرب، والسنام الأعظم، وعمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون.

(١) ثاب القوم: أتوا متواترين (لسان العرب: ١/٢٤٤).

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٢ وراجع تاريخ الطبري: ١٨/٥ - ٢١ والكامل في التاريخ: ٣٧٣/٢ والبداية والنهاية: ٢٦٥/٧ ووقعة صفين: ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٣) هي جمع لهْموم؛ وهو الجواد من الناس والخيل (النهاية: ٤/٢٨٢).

فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكركم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزحف دبره، وكنتم من الهالكين، ولكن هَوَّنَ وَجْدِي وَشَفَى بَعْضَ أَحَاحٍ^(١) نفسي أنّي رأيتكم بأخرة، حُزتموهم كما حازوكم، وأزلموهم عن مصاقفهم كما أزالوكم، تحسّونهم بالسيوف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطردة الهيم^(٢).

فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبتكم الله عزّ وجلّ باليقين، ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربّه، وموبق نفسه، إنّ في الفرار موجدة الله عزّ وجلّ عليه، والذلّ اللازم، والعار الباقي، واعتصار الفيء من يده، وفساد العيش عليه. وإنّ الفارّ منه لا يزيد في عمره، ولا يرضي ربّه، فموت المرء محقّاً قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتأنيس^(٣) لها، والإقرار عليها^(٤).

٥٨٢ - قال الإمام عليّ عليه السلام - حين مرّ براية لأهل الشام أصحابها لا يزولون عن مواضعهم - : إنّهم لن يزولوا عن مواضعهم دون طعن دراك^(٥)، يخرج منه النسيم^(٦)، وضرب يفلق الهام، ويطيح العظام، ويسقط منه المعاصم والأكفّ، حتى تصدع جباههم بعمد الحديد، وتنتثر حواجبهم على الصدور والأذقان! أين أهل الصبر وطلاب الأجر!؟

فسارت إليه عصابة من المسلمين، فعادت ميمنته إلى موقفها ومصاقفها، وكشفت من بازائها، فأقبل حتى انتهى إليهم^(٧).

(١) الأحاح: الغليظ (تاج العروس: ٣/٤).

(٢) الهيم: الإبل العطاش (مجمع البحرين: ١٨٩٤/٣).

(٣) الإيناس: خلاف الأيحاء، وكذلك التأنيس (لسان العرب: ١٤/٦).

(٤) تاريخ الطبري: ٢٥/٥؛ وقعة صفين: ٢٥٦، الكافي: ٤/٤٠/٥ عن مالك بن أعين نحوه وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٠٧.

(٥) دراك: متتابع (لسان العرب: ١٠/٤٢٠).

(٦) النسيم: العرق (لسان العرب: ١٢/٥٧٦).

(٧) الكافي: ٤/٤٠/٥ عن مالك بن أعين، الإرشاد: ١/٢٦٧، وقعة صفين: ٣٩١ عن عامر الشعبي وليس فيهما ذيله وراجع نهج البلاغة: الخطبة ١٢٣.

شهداء صفين

٥٨٣- في تاريخ الطبري عن أبي روق الهمداني: قاتلهم عبدالله بن بديل في الميمنة قتالاً شديداً، حتى انتهى إلى قبة معاوية. ثم إنَّ الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنة؛ وبعث إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهل العراق من قبل الميمنة حتى لم يبقَ منهم إلا ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القرّاء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، وانجفل^(١) الناس.

فأمر عليّ سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمة، فاحتلمتهم حتى ألحقهم بالميمنة، وكان في الميمنة إلى موقف عليّ في القلب أهل اليمن، فلما كشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ، فانصرف يتمشّي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضر من الميسرة، وثبتت ربيعة^(٢).

٥٨٤- في تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج عن مولى للأشتر - لَمَّا كَشَفَ الْأَشْتَرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلٍ وَأَصْحَابِهِ أَهْلَ الشَّامِ وَعَلِمُوا أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام حَيًّا صَالِحًا فِي الْمَيْسِرَةِ -: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدِيلٍ لِأَصْحَابِهِ: اسْتَقْدِمُوا بِنَا، فَأَرْسَلَ الْأَشْتَرُ إِلَيْهِ: أَلَا تَفْعَلُ، اثْبَتْ مَعَ النَّاسِ فِقَاتِلْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ لَهُمْ، وَأَبْقَى لَكَ وَأَصْحَابِكَ. فَأَبَى، فَمَضَى كَمَا هُوَ نَحْوَ مَعَاوِيَةَ، وَحَوْلَهُ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ، وَفِي يَدِهِ سَيْفَانِ، وَقَدْ خَرَجَ فَهُوَ أَمَامَ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ كَلِّمَا دَنَا مِنْهُ رَجُلٌ ضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، حَتَّى قَتَلَ سَبْعَةَ.

ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كلّ جانب، وأُحِيطَ بِهِ وَبِطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِقَاتِلْ حَتَّى قَتَلَ، وَقَتَلَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، وَرَجَعَتْ طَائِفَةٌ قَدْ جَرَحُوا

(١) انجفل القوم: إذا هربوا بسرعة وانقلعوا كلهم ومضوا (لسان العرب: ١١/ ١١٤).

(٢) تاريخ الطبري: ١٨/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧٣/٢؛ وقعة صفين: ٢٤٨.

منهزمين.

فبعث الأشتري ابن جمهان الجعفي فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل حتى نفّسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتري^(١).

٥٨٥- في وقعة صفين عن الشعبي: كان عبدالله بن بديل الخزاعي مع عليّ يومئذ، وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قُدماً... فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبدالله بن بديل، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري - وهو في الميسرة - أن يحمل عليه بجميع من معه، واختلط الناس واضطرم الفيلقان؛ ميمنة أهل العراق، وميسرة أهل الشام، وأقبل عبدالله بن بديل يضرب الناس بسيفه قُدماً حتى أزال معاوية عن موقفه.

وجعل ينادي: بالثارات عثمان! يعني أخاً كان له قد قُتل وظنّ معاوية وأصحابه أنه إنما يعني عثمان بن عفان.

وتراجع معاوية عن مكانه القهقري كثيراً، وأشفق على نفسه، وأرسل إلى حبيب ابن مسلمة مرّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه. ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها، حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة إنسان من القرّاء، فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم، ولجّج ابن بديل في الناس وصمّم على قتل معاوية، وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه [ومع معاوية]^(٢) عبدالله بن عامر واقفاً.

فنادى معاوية بالناس: ويلكم، الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح! فأقبل أصحاب معاوية على عبدالله بن بديل يرضخونه بالصخر، حتى أثخنوه وقُتل الرجل، وأقبل إليه معاوية وعبدالله بن عامر حتى وقفا عليه، فأما عبدالله بن عامر فألقى عمامة على وجهه وترخّم عليه، وكان له من قبل أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن

(١) تاريخ الطبري: ٢٣/٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٧٥.

(٢) ما بين المعقوفين أثبتناه من شرح نهج البلاغة.

وجهه.

فقال: لا والله، لا يمتثل به وفيّ روح. فقال معاوية: اكشف عن وجهه، فإنّا لا نمثل به، فقد وهبته لك. فكشف ابن عامر عن وجهه، فقال معاوية: هذا كبش القوم^(١) وربّ الكعبة^(٢).

٥٨٦ - في شرح نهج البلاغة عن نصر: أقبل أبو الهيثم بن التيهان - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، بدرياً، نقيباً عقيباً - يسوّي صفوف أهل العراق، ويقول: يا معشر أهل العراق! إنّهُ ليس بينكم وبين الفتح في العاجل والجنة في الآجل إلا ساعة من النهار، فأرسوا أقدامكم، وسوّوا صفوفكم، وأعيروا ربكم جماجمكم. استعينوا بالله إلهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوّكم، واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم، واصبروا فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(٣) (٤).

٥٨٧ - في المناقب لابن شهر آشوب - في ذكر حرب صفين -: قال أمير المؤمنين: فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة؟! فبرز أبو الهيثم بن التيهان قائلاً:

أحمدُ ربّي فهو الحميدُ ذاك الذي يفعل ما يُريدُ

دينٌ قويٌّ وهو الرشيدُ

فقاتل حتى قُتل^(٥).

٥٨٨ - في رجال الكشي عن الأصبح بن نباتة: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثمّ قال: أين تمام المائة؛ لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل!

(١) كبش القوم: رئيسهم وسيدهم وقيل: حاميتهم والمنظور إليه فيهم. (لسان العرب: ٦/٣٣٨).

(٢) وقعة صفين: ٢٤٥؛ شرح نهج البلاغة: ١٩٦/٥ وراجع الأخبار الطوال: ١٧٥ والاستيعاب:

٣/١٤٨٩/٩/٣ وتاريخ الطبري: ٢٣/٥ والكامل في التاريخ: ٢/٣٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي:

٣/٥٦٧.

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٩٠/٥؛ بحار الأنوار: ٣٢/٤٦٧/٤٠٥.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٨٠، بحار الأنوار: ٣٢/٥٨٧.

قال: إذ جاء رجل عليه قباء صوف، متقلداً بسيفين، فقال: ابسط يدك أبايعك. قال عليّ عليه السلام: علامَ تبايعني؟

قال: على بذل مهجة نفسي دونك.

قال: من أنت؟

قال: أنا أويس القرني.

فبايعه، فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قُتل، فوجد في الرجالة^(١).

٥٨٩ - في المستدرک علی الصحیحین عن أبي مكين: رأيت امرأة في مسجد أويس

القرني قالت: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا يصلون، ويقرؤون في مصاحفهم، فأتي غداءهم وعشاءهم هاهنا حتى يصلوا الصلوات.

قالت: وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتى غزوا، فاستشهد أويس وجماعة من

أصحابه في الرجالة بين يدي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

٥٩٠ - في المستدرک علی الصحیحین عن عليّ بن حكيم عن شريك: ذكروا في مجلسه

أويس القرني، فقال: قتل مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الرجالة^(٣).

٥٩١ - في تاريخ دمشق عن سعيد بن المسيب - في ذكر أويس القرني -: عاد في أيام عليّ

فقاتل بين يديه، فاستشهد في صفين أمامه، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة، من طعنة، وضربة، ورمية^(٤).

٥٩٢ - في تاريخ الطبري عن أبي سلمة: إن هاشم بن عتبة الزهري دعا الناس عند

المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فإليّ. فأقبل إليه ناس كثير، فشذّ في عصابة

من أصحابه على أهل الشام مراراً، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبر له وقاتل فيه

(١) رجال الكشي: ١/٣١٥/١٥٦، خصائص الأئمة عليهم السلام: ٥٣ وراجع المستدرک علی الصحیحین:

٥٧١٨/٤٥٥/٣ وشرح الأخبار: ٤٠٠/١٢/٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ٣/٤٦١/٥٧٢٨.

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ٣/٤٦٠/٥٧٢٧.

(٤) تاريخ دمشق: ٩/٤٣٤، سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢/٥ نحوه.

قتالاً شديداً.

فقال لأصحابه: لا يهولنكم ما ترون من صبرهم، فوالله ما ترون فيهم إلا حمية العرب، وصبراً تحت راياتها وعند مراكزها، وإنهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا، وصابروا، واجتمعوا، وامشوا بنا إلى عدونا على تودة^(١) رويداً، ثم اثبتوا، وتناصروا، واذكروا الله، ولا يسأل رجل أخاه، ولا تكثروا الالتفات، واصمدوا صمدهم، وجاهدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين. ثم إنه مضى في عصابة معه من القرءاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه عند المساء، حتى رأوا بعض ما يسرون به. فإنهم لذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول:

أنا ابنُ أربابِ الملوكِ غسان والدائن اليومِ بدينِ عثمان
إنِّي أتاني خبرُ فأشجان أن علياً قتلَ ابنَ عفان

ثم يشدّ فلا يئنثني حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام.

فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدالله، إن هذا الكلام بعده الخصام، وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به. قال: فإنني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي - كما ذكر لي - وأنتم لا تصلون أيضاً، وأقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم أردتموه على قتله.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان! إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرءاء الناس حين أحدث الأحداث وخالف حكم الكتاب، وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك، وما أظنّ أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين أهمل طرفة عين.

فقال له: أجل، والله لا أكذب؛ فإن الكذب يضر ولا ينفع

قال: فإن أهل هذا الأمر أعلم به، فخلّه وأهل العلم به.

قال: ما أظنك والله إلا نصحت لي.

(١) التودة: التأني (لسان العرب: ٢/١٠١).

قال: وأما قولك: «إنّ صاحبنا لا يصلّي» فهو أوّل من صلّى مع رسول الله، وأفقه خلق الله في دين الله، وأولى بالرسول. وأما كلّ من ترى معي فكلمهم قارئ لكتاب الله، لا ينام الليل تهجداً، فلا يغويك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبدالله إنّي أظنك امرأ صالحاً، فتخبرني هل تجد لي من توبة؟ فقال: نعم يا عبدالله، تب إلى الله يتب عليك؛ فإنّه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين.

قال: فجشتر والله الفتى الناس راجعاً.

فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي، خدعك العراقي.

قال: لا، ولكن نصح لي^(١).

٥٩٣- في وقعة صفين عن حبيب بن أبي ثابت: لما كان قتال صفين والراية مع هاشم بن

عتبة - قال: - جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول: أقدم يا أعورا!

لا خير في أعور لا يأتي الفزع

فجعل يستحي من عمّار، وكان عالماً بالحرب، فيتقدّم فيركز الراية، فإذا تتامّت

إليه الصفوف قال عمّار: أقدم يا أعورا!

لا خير في أعور لا يأتي الفزع

فجعل عمرو بن العاص يقول: إنّي لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً، لئن دام

على هذا لتفننّ العرب اليوم.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، وجعل عمّار يقول: صبراً عباد الله! الجنة تحت ظلال البيض،

وكان لواء الشام مع أبي الأعور السلمي.

ولم يزل عمّار بهاشم ينخسه حتى اشتدّ القتال، وزحف هاشم بالراية يرقل بها

إرقالاً، وكان يسمّى: المرقال^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٤٢/٥؛ وقعة صفين: ٣٥٣، الدرجات الرفيعة: ٣٧٨.

(٢) وقعة صفين: ٣٢٨، الدرجات الرفيعة: ٣٧٨، بحار الأنوار: ٣٣/٢٦/٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة:

١٢/٨ وليس فيه «يرقل بهاء إرقالاً...».

٥٩٤- في وقعة صفين: إنَّ علياً دعا في هذا اليوم هاشم بن عتبة ومعه لوائه - وكان أعور - فقال له: يا هاشم، حتى متى تأكل الخبز، وتشرب الماء؟ فقال هاشم: لأجهدنَّ على ألا أرجع إليك أبداً.

قال عليّ: إنَّ بإزائك ذا الكلاع، وعندده الموت الأحمر؟ فتقدّم هاشم، فلما أقبل قال معاوية: من هذا المقبل؟ فقيل: هاشم المرقال. فقال: أعور بني زهرة؟ قاتله الله! وقال: إنَّ حماة اللواء ربيعة، فأجبلوا القداح فمن خرج سهمه عبّيته لهم، فخرج سهم ذي الكلاع لبكر بن وائل، فقال: ترّحك الله من سهم كرهت الضراب.

وإنّما كان جلّ أصحاب عليّ أهل اللواء من ربيعة؛ لأنّه أمر حماة منهم أن يحاموا عن اللواء.

فأقبل هاشم... وحمل صاحب لواء ذي الكلاع وهو رجل من عذرة... فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم فقتله، وكثرت القتلى، وحمل ذوالكلاع فاجتلد الناس، فقتلا جميعاً، وأخذ ابن هاشم اللواء^(١).

٥٩٥- في مروج الذهب: صمد هاشم بن عتبة المرقال لذي الكلاع وهو في حمير، فحمل عليه صاحب لواء ذي الكلاع... فاختلفا طعنتين، فطعنه هاشم المرقال فقتله، وقتل بعده تسعة عشر رجلاً.

وحمل هاشم المرقال وحمل ذوالكلاع، ومع المرقال جماعة من أسلم قد ألوا الأ يرجعوا أو يفتحوا أو يقتلوا.

فاجتلد الناس، فقتل هاشم المرقال، وقتل ذوالكلاع جميعاً، فتناول ابن المرقال اللواء حين قُتل أبوه في وسط المعركة^(٢).

٥٩٦- في مروج الذهب: إنَّ هاشماً المرقال لمّا وقع إلى الأرض وهو يجود بنفسه رفع

(١) وقعة صفين: ٣٤٦، الدرجات الرفيعة: ٣٨ نحوه، بحار الأنوار: ٣٣/٣٤/٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ٢٨/٨.

(٢) مروج الذهب: ٣٩٣/٢.

رأسه، فإذا عبده الله بن عمر مطروحاً إلى قربه جريحاً، فحباً حتى دنا منه، فلم يزل يعض على ثدييه حتى ثبتت فيه أسنانه لعدم السلاح والقوة^(١).

٥٩٧- في الأخبار الطوال: دفع [عليّ عليه السلام] رايته العظمى إلى هاشم بن عتبة، فقاتل بها نهاره كله، فلما كان العشي انكشف أصحابه انكشافاً، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه طعنة جائفة، فلم ينته عن القتال.

ووافاه رسول عليّ يأمره أن يقدم رايته، فقال للرسول: انظر إلى ما بي! فنظر إلى بطنه فرآه منشقاً، فرجع إلى عليّ فأخبره، ولم يلبث هاشم أن سقط^(٢).

٥٩٨- في مروج الذهب: وقف عليّ عليه السلام عند مصرع المرقال ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم، فدعا لهم، وترحم عليهم، وقال من أبيات:

جَزَى اللهُ خَيْراً عُصْبَةَ أُسْلَمِيَّةٍ	صَبَّاحِ الْوَجْهِ صُرَعُوا حَوْلَ هَاشِمٍ
يَزِيدُ وَعَبْدُ اللهِ بِشْرُ بْنُ مَعْبُدٍ	وَسُفْيَانُ وَابْنَا هَاشِمٍ ذِي الْمَكَارِمِ
وَعَرْوَةٌ لَا يَنْفَدُ ثَنَاهُ وَذِكْرُهُ	إِذَا اخْتَرَطَتْ يَوْمًا خِفَافُ الصَّوَارِمِ ^(٣)

٥٩٩- في الطبقات الكبرى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت: شهد خزيمة بن ثابت الجمل وهو لا يسل سيفاً، وشهد صفين وقال: أنا لا أصلُ أبداً حتى يقتل عمّار، فأنظر من يقتله؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية. فلما قُتل عمّار بن ياسر قال خزيمة: قد بانّت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قُتل^(٤).

(١) مروج الذهب: ٣٩٧/٢؛ وقعة صفين: ٣٥٥، الدرجات الرفيعة: ٣٨١ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ٣٨٠/٣٧/٣٣.

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٣؛ وقعة صفين: ٣٥٥ نحوه.

(٣) مروج الذهب: ٣٩٣/٢، شرح نهج البلاغة: ٣٥/٨؛ وقعة صفين: ٣٥٦، الدرجات الرفيعة: ٣٨١ كلها نحوه.

(٤) الطبقات الكبرى: ٢٥٩/٣، أسد الغابة: ٣٨٠٤/١٢٧/٤، العقد الفريد: ٣٣٦/٣، المناقب للخوارزمي: ٢٢٩/١٩١؛ رجال الكشي: ١٠١/٢٦٨/١ كلها نحوه.

شهادة عمّار بن ياسر

كان عمّار بن ياسر صحابياً، حليف الحقّ، مؤازراً لرسول الله صلى الله عليه وآله. وكان مهذب النفس، طاهر النقيبة، محمود السريرة، سليم القلب، مفعماً بحبّ الله تعالى. إنّ عمّاراً وما تحمّله من مشاقّ وجهود في سبيل الدين وإرساء دعائم المجتمع الإسلاميّ الفتّيّ صفحة مشرقة تتألّق في التاريخ الإسلاميّ؛ فكان ذا بصيرة ثاقبة، ورؤية نافذة، وخطوات وطيدة، فقد كان يرى الشرك على حقيقته من بين ركام المكر والخديعة والظواهر المموّهة بالإسلام والتوحيد. وكان يقف وقفة مهيبّة أمام راية أهل الشام ويقول:

والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات، وهذه الرابعة. والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعرفت أنّ مصلحينا على الحقّ، وأنّهم على الضلالة^(١).

وهكذا كان وجود عمّار في صفّين باعثاً على زهو البعض، ومولداً الذعر في نفوس البعض الآخر، ومثيراً للتأمّل عند آخرين.

ولمّا علم الزبير بحضوره في معركة الجمل، طفق يتضعضع^(٢). وأراب وجوده في صفّين كثيراً من أصحاب معاوية، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد قال له: «تقتلك الفئة الباغية»^(٣)، وقال: «يلتقي أهل الشام وأهل العراق، وعمّار في أهل الحقّ تقتله الفئة

(١) مسند ابن حنبل: ٦/٤٨٠/١٨٩٠٦، مسند أبي يعلى: ٢/٢٦٢/١٦٠٧، العقد الفريد: ٣/٣٣٦ وفيه «شعفات» بدل «شعفات».

(٢) الأخبار الطوال: ١٤٧، تاريخ الطبري: ٤/٥١٠.

(٣) نقل سبعة وعشرون صحابياً هذا الحديث بألفاظ مختلفة، راجع: صحيح البخاري: ١/١٧٢/٤٣٦

وج ٣/١٠٣٥/٢٦٥٧، صحيح مسلم: ٤/٢٢٣٥/٧٠ وص ٧٢/٢٢٣٦، سنن الترمذي:

٥/٦٦٩/٣٨٠٠، مسند ابن حنبل: ٢/٦٥٤/٦٩٤٣ وج ٦/٢٢٩/١٧٧٨١، المستدرک علی

الصحيحين: ٣/٤٣٥/٥٦٥٧ وص ٤٣٦/٥٦٥٩ وح ٥٦٦٠ وص ٤٤٢/٥٦٧٦، مسند البرّار:

الباغية»^(١)، وقال: «ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ، ولن تأكل النار منه شيئاً»^(٢)، وقال: «إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ...»^(٣).

وحاول الكثيرون أن يروا عمّاراً، ويسمعوا كلامه؛ كي يستزيدوا من التعرّف على حقّانية أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام هذا الشيخ الجليل الفتّي القلب... الذي ينبع حديثه من أعماق قلبه، من أجل أن يتنبّتوا من مواضع أقدامهم.

ولمّا تجنّدل ذلك الشيخ المتفاني ذوالقَدِّ الممشوق، وتضمّخ بدمه، وشرب كأس المنون... كبر ذلك على كلا الجيشين. ورأى مثيرو الفتنة ومسعّروا الحرب ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله بأَمِّ أعينهم، وإذ شقّ عليهم وصمة «الفئة الباغية» فلا بدّ أن يحتالوا بتنميق فتنة أُخرى وخديعة ثانية؛ ليحولوا دون تضعُّع جندهم، وهذا ما فعله معاوية^(٤).

فقد إمامنا العظيم صلوات الله عليه أخلص أصحابه وأفضلهم، وقُطع عضده المقتدر، واغتمّت نفسه المقدّسة وضاق صدره، فقال: رحم الله عمّاراً يوم أسلم، ورحم الله عمّاراً يوم قُتل، ورحم الله عمّاراً يوم يُبعث حياً.

٦٠٠- في تاريخ بغداد عن أبي أيّوب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، يا عمّار بن ياسر، إن رأيت عليّاً قد

= ٤/٢٥٦/١٤٢٨، المعجم الكبير: ٥/٢٢١/٥١٤٦ وج ٢٣/٣٦٣/٨٥٢ - ٨٥١، مسند أبي يعلى: ٦/٣٥٥/٧١٣٩، الطبقات الكبرى: ٣/٢٥١ - ٢٥٣، تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٥٧١ و ص ٥٧٧ - ٥٧٩، الاستيعاب: ٣/٢٣١/١٨٨٣، الإصابة: ٤/٤٧٤/٥٧٢٠ وفيهما «تواترت الآثار عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: تقتل عمّاراً الفئة الباغية»، الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: ٧٦/١٠٤، البداية والنهاية: ٧/٢٦٧ - ٢٧٠.

(١) وقعة صفّين: ٣٣٥.

(٢) وقعة صفّين: ٣٣٥ عن عمرو بن العاص.

(٣) المعجم الكبير: ١٠/٩٦/١٠٠٧١، دلائل النبوة للبيهقي: ٦/٤٢٢، البداية والنهاية: ٧/٢٧١.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/٤١، العقد الفريد: ٣/٣٣٧، الفتوح: ٣/١٥٩، شرح نهج البلاغة:

٢٠/٣٣٤/٨٣٥؛ وقعة صفّين: ٣٤٣.

سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي؛ فإتته لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى. يا عمّار، من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين^(١) من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدوّ عليّ قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار^(٢).

٦٠١ - في الفتوح - فيما قاله عمّار بن ياسر لعمر بن العاص -: لقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقاتل الناكثين، فقد فعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين، فأنتم هم، وأمّا المارقون فلا أدري أدركهم أم لا.

أيّها الأبترا! ألسنت تعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله! فأنا مولى لله ولرسوله، وعليّ مولاي من بعده، وأنت فلا مولى لك^(٣).

٦٠٢ - في تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي: رأيت عمّاراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلاّ تبعه من كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، ورأيتّه جاء إلى المرقال هاشم بن عتبة - وهو صاحب راية عليّ - فقال: يا هاشم، أعوراً وجُبناً! لا خير في أعور لا يغشى البأس، فإذا رجلٌ بين الصفين قال: هذا والله ليخلفنّ إمامه، وليخذلنّ جنده، وليصبرنّ جهده، اركب يا هاشم، فركب ومضى هاشم يقول:

أعورٌ يبغي أهله محلاً قد عالج الحياة حتى مثلاً

لابد أن يفلّ أو يُفلا

وعمّار يقول: تقدّم يا هاشم! الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء، وتزيّنت الحور العين

اليوم ألقى الأجبته محمّداً وجزبه

(١) الوشاح: حلي النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به (لسان العرب: ٦٣٢/٢).

(٢) تاريخ بغداد: ١٣/١٨٧/٧١٦٥، تاريخ دمشق: ٤٢/٤٧٢، البداية والنهاية: ٧/٣٠٧.

(٣) الفتوح: ٣/٧٧، شرح نهج البلاغة: ٨/٢١؛ وقعة صفين: ٣٣٨، بحار الأنوار: ٣٣/٣٠/٣٨٠.

فلم يرجعاً وقُتلاً^(١).

٦٠٣ - في تاريخ الطبري عن حبة بن جوين العرني: انطلقت أنا وأبو مسعود إلى حذيفة - بالمداين^(٢) - فدخلنا عليه، فقال: مرحباً بكما، ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما. فأسندته إلى أبي مسعود، فقلنا: يا أبا عبد الله، حدّثنا؛ فإننا نخاف الفتن.

فقال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سمية؛ إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضياح من لبن.

قال حبة: فشهدته يوم صفين وهو يقول: ائتوني بأخر رزق لي من الدنيا. فأتي بضياح من لبن في قدح أروح له حلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعرة، فقال:

اليوم ألقى الأحبه محمداً وحزبه

والله، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات حجر لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل، وجعل يقول: الموت تحت الأسل، والجنة تحت البارقة^(٣).

ماذا حدث بجيش معاوية عند شهادة عمّار ؟

٦٠٤ - في شرح نهج البلاغة: قال معاوية لما قُتل عمّار - واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم: «تقتله الفئة الباغية» -: إنّما قتله من أخرجته إلى الحرب وعرضه للقتل!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فرسول الله ﷺ إذن قاتل حمزة!!^(٤)

(١) تاريخ الطبري: ٤٠/٥، البداية والنهاية: ٢٧٠/٧ وراجع شرح الأخبار: ١/٤٠٨/٣٦٠.

(٢) المدائن: أصل تسميتها هي: المدائن السبعة، وكانت مقرّ ملوك الفرس. وهي تقع على نهر دجلة من شرفها تحت بغداد على مرحلة منها. وفيها إيوان كسرى. فُتحت هذه المدينة في (١٤ هـ. ق) على يد المسلمين (راجع تقويم البلدان: ٣٠٢).

(٣) تاريخ الطبري: ٣٨/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨١/٢؛ كشف الغمّة: ١/٢٥٩ كلاهما نحوه وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٣٣/٢٤٠.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٢٠/٣٣٤/٨٣٥، العقد الفريد: ٣/٣٣٧ وفيه «فلما بلغ علياً عليه السلام قال: ونحن

٦٠٥- في الكامل في التاريخ عن أبي عبد الرحمن السلمي : قال عبدالله لأبيه [عمرو بن العاص]: يا أبة، قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال رسول الله ﷺ ما قال! قال: وما قال؟

قال: ألم يكن المسلمون والناس ينقلون في بناء مسجد النبي ﷺ لبنة لبنة، وعمّار لبنتين لبنتين، فغُشي عليه، فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يا بن سميّة! الناس ينقلون لبنة لبنة، وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الأجر! وأنت مع ذلك تقتلك الفئة الباغية.

فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبدالله!

قال: وما يقول؟ فأخبره.

فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنّما قتله من جاء به.

فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنّما قتل عمّاراً من جاء به. فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم^(١).

٦٠٦- في الكامل في التاريخ: قد كان ذوالكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن»، فكان ذوالكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك يا عمرو؟ فيقول عمرو: إنّهُ سيرجع إلينا.

فقتل ذوالكلاع قبل عمّار مع معاوية، وأصيب عمّار بعده مع عليّ. فقال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً؛ بقتل عمّار، أو بقتل ذي الكلاع! والله لو بقي

= قتلنا أيضاً حمزة لأننا أخرجناه»، الفتوح: ٣/١٥٩ كلاهما نحوه وفيه «فقال عبد الله بن عمرو: وكذلك حمزة بن عبد المطلب يوم أحد إنّما قتله النبي ﷺ ولم يقتله وحشي!؟» بدل «فقال أمير المؤمنين عليه السلام...».

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٣٨٢، تاريخ الطبري: ٥/٤١، البداية والنهاية: ٧/٢٧٠ كلاهما نحوه وزاد فيهما «فقال معاوية: إنّك شيخ أخرج، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحض في بولك؟» قبل «أنحن قتلناه؟»، وقد وردت قضية عمّار وبناء المسجد في صحيح البخاري: ١/١٧٢/٤٣٦ ومسند ابن حنبل: ٤/١١/١١٠١١ والمستدرک علی الصحیحین: ٢/١٦٢/٢٦٥٣.

ذوالكلاع بعد قتل عمّار لمال بعامة أهل الشام إلى عليّ^(١).

بسالة الأشتري ودوره في الحرب

٦٠٧ - في الفتوح: خرج رجل من أهل العراق على فرس له كميت - لا يرى منه إلا حماليق الحدق، وفي يده رمح له - فجعل يضرب بالرمح على رؤوس أصحاب عليّ ويقول: سوّوا صفوفكم! والناس لا يعرفونه.

حتى إذا اعتدلت الصفوف والرايات، استقبلهم بوجهه وولّى ظهره إلى أهل الشام، ثمّ حمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: احمدا الله عباد الله، واشكروه؛ إذ جعل فيكم ابن عمّ نبيّه محمد ﷺ، ووصيّه، وأحبّ الخلق إليه، أقدمهم هجرة، وأولهم إيماناً، سيف من سيوف الله صبّه على أعدائه. فانظروا إذا حمي الوطيس، وثار القتام، وتكسّرت الرماح، وتتلّمت الصفاح، وجالت الخيل بالأبطال، ولا أسمع منكم إلا غمغمة أو همهمة.

قال: ثمّ حمل على أهل الشام، فقاتل حتى كُسِر رمحه، ثمّ رجع فإذا هو الأشتري^(٢).

٦٠٨ - في تاريخ الطبري عن الحرّ بن الصّياح النخعي: إنّ الأشتري يومئذ كان يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانية؛ إذا طأطأها خلت فيها ماءً منصّباً، وإذا رفعها كاد يعشي البصر شعاعها، وجعل يضرب بسيفه ويقول: الغمرات ثمّ ينجلينا^(٣).

٦٠٩ - في تاريخ الطبري عن عبد الله بن عاصم الفاشي: حدّثني رجل من قومي أنّ الأشتري خرج يوماً يقاتل بصقّين في رجال من القرّاء، ورجال من فرسان العرب، فاشتدّ قتالهم، فخرج علينا رجل - والله لقلّما رأيت رجلاً قطّ هو أطول ولا أعظم منه - فدعا إلى المبارزة، فلم يخرج إليه أحد إلا الأشتري، فاختلفا ضربتين، فضربه الأشتري، فقتله. وأيم الله، لقد كنّا أشفقنا عليه، وسألناه أن لا يخرج إليه، فلمّا قتله الأشتري نادى منادٍ من

(١) الكامل في التاريخ: ٣٨١/٢، البداية والنهاية: ٢٦٨/٧ عن الأحف بن قيس؛ وقعة صفّين: ٣٤١

عن عمر بن سعد وراجع المناقب للخوارزمي: ٢٢٣/٢٤٠.

(٢) الفتوح: ١٥٧/٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٢/٥؛ وقعة صفّين: ٢٥٤.

أصحابه:

يا سهم سهم ابن أبي العيزار يا خير من نعلمه من زار
- و«زارة» حي من الأزد - وقال: أقسم بالله، لأقتلن قاتلك أو ليقتلني، فخرج فحمل
على الأشتر، وعطف عليه الأشتر فضربه، فإذا هو بين يدي فرسه، وحمل عليه
أصحابه فاستنقذوه جريحاً.

فقال أبو ربيعة الفهمي: هذا كان ناراً، فصادف إعصاراً^(١).

٦١٠- في تاريخ الطبري عن الحرّ بن الصيّاح النخعي - في الأشتر - : رآه منقذاً وحميراً ابناً
قيس الناعطيّان، فقال منقذ لحمير: ما في العرب مثل هذا إن كان ما أرى من قتاله على
نيّته.

فقال له حمير: وهل النية إلا ما تراه يصنع!

قال: إنّي أخاف أن يكون يحاول ملكاً^(٢).

٦١١- في وقعة صفين عن عمر بن سعد عن رجاله: إن معاوية دعا مروان بن الحكم فقال:
يا مروان، إن الأشتر قد غمّني وأقلقني، فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب، فالقه
فقاتل بها.

فقال له مروان: ادع لها عمراً فإنّه شعارك دون دثارك.

... ودعا معاوية عمراً، وأمره بالخروج إلى الأشتر... فخرج عمرو في تلك الخيل
فلقيه الأشتر أمام الخيل... فعرف عمرو أنّه الأشتر، وفشل حينئذ وجبن، واستحيا أن
يرجع... فلما غشيه الأشتر بالرمح زاغ عنه عمرو، فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع
الرمح شيئاً، وثقل عمرو فأمسك عنان فرسه، وجعل يده على وجهه، ورجع راکضاً
إلى العسكر^(٣).

(١) تاريخ الطبري: ٥٧٥/٤؛ وقعة صفين: ١٩٦ وفيه «أبو ربيعة السهمي» بدل «أبو ربيعة الفهمي».

(٢) تاريخ الطبري: ٢٢/٥؛ وقعة صفين: ٢٥٥.

(٣) وقعة صفين: ٤٣٩؛ شرح نهج البلاغة: ٧٩/٨ و٨٠ وراجع الإمامة والسياسة: ١٣٢/١.

أمير المؤمنين عليه السلام في وسط المعركة

٦١٢- في وقعة صفين عن جابر بن عمير الأنصاري- في بيان شجاعة عليّ عليه السلام في حرب صفين -: لا والله الذي بعث محمداً عليه السلام بالحق نبياً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب؛ إنّه قتل فيما ذكر العادون زيادةً على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيّاً فيقول: معذرةً إلى الله عزّ وجلّ وإليكم من هذا، لقد هممت أن أصقله ولكن حجزني عنه أتّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كثيراً: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ» وأنا أقاتل به دونه.

قال: فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشدّ نكاية في عدوّه منه، رحمة الله عليه رحمة واسعة^(١).

٦١٣- في ذخائر العقبى عن ابن عباس- وقد سأله رجل: أكان عليّ عليه السلام يباشر القتال بنفسه يوم صفين؟ -: والله ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلف من عليّ، ولقد رأيتّه يخرج حاسر الرأس، بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله^(٢).

٦١٤- في تاريخ الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي: كنا مع عليّ بصقّين، فكنا قد وكلنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل، فلا يرجع حتى يخضب سيفه.

وإنّه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انتنى سيفه، فألقاه إليهم، وقال: لولا أنّه انتنى ما رجعت^(٣).

(١) وقعة صفين: ٤٧٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢١١ وراجع البداية والنهاية: ٧/٢٦٤.

(٢) ذخائر العقبى: ١٧٦، حياة الحيوان الكبرى: ١/٥٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/٤٠، الكامل في التاريخ: ٢/٣٨٣، الإصابة: ٦/٤٠٥/٨٩٣٤ وفيه إلى

«يخضب سيفه»، البداية والنهاية: ٧/٢٧٠؛ شرح الأخبار: ٢/٣/٣٧٩.

٦١٥- في تاريخ الطبري عن أبي روق الهمداني - في شدة حرب صفين -... انتهت الهزيمة إلى عليّ، فانصرف يتمشّي نحو الميسرة، فانكشفت عنه مضر من الميسرة، وثبتت ربيعة.

قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب الجهني قال: مرّ عليّ معه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها، وإني لأرى النبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه، فيكره عليّ ذلك، فيتقدّم عليه فيحول بين أهل الشام وبينه، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه أو من ورائه.

فبصر به أحمر - مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية - فقال عليّ وربّ الكعبة! قتلني الله إن لم أقتلك أو تقتلني، فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى عليّ، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، وينتزهه عليّ، فيقع بيده في جيب درعه، فيجبذه^(١)، ثمّ حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليته، تختلفان على عنق عليّ، ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه، وشدّ ابنا عليّ عليه حسين ومحمّد، فضرباه بأسيا فهما حتى برد، فكأني أنظر إلى عليّ قائماً، وإلى شبليته يضربان الرجل....

ثمّ إنّ أهل الشام دنوا منه، ووالله ما يزيد قريهم منه سرعة في مشيه، فقال له الحسن: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين قد صبروا العدوّ من أصحابك؟

فقال: يا بنيّ، إنّ لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطنّ به عنه^(٢) السعي، ولا يعجلّ به إليه المشي، إنّ أباك والله ما يبالي أوقع على الموت، أو وقع الموت عليه!^(٣)

٦١٦- في الأخبار الطوال: كان فارس معاوية الذي يبتهي^(٤) به حريث مولاة، وكان

(١) جبّد يجبّد: لغة في جدّب (السان العرب: ٤٧٨/٣).

(٢) في المصدر: «عند»، والتصحيح من وقعة صفين.

(٣) تاريخ الطبري: ١٨/٥، الكامل في التاريخ: ٣٧٣/٢، شرح نهج البلاغة: ١٩٨/٥ كلاهما نحوه؛ وقعة صفين: ٢٤٨ وراجع البداية والنهاية: ٢٦٥/٧ وكشف الغمّة: ٢٥١/١.

(٤) ابتهأت بالشيء: أنست به وأحييت قريه (تاج العروس: ٢٣٢/١٩).

يلبس بزّة معاوية، ويستلثم سلاحه، ويركب فرسه، ويحمل متشبّهاً بمعاوية، فإذا حمل قال الناس: هذا معاوية. وقد كان معاوية نهاه عن عليّ، وقال: اجتنبه، وضع رمحك حيث شئت.

فخلاه به عمرو، وقال: ما يمنعك من مبارزة عليّ، وأنت له كفاء؟
قال: نهاني مولاي عنه.

قال: وإنّي والله لأرجو إن بارزته أن تقتله، فتذهب بشرف ذلك.
فلم يزل يزيّن له ذلك حتى وقع في قلب حريث. فلما أصبحوا خرج حريث حتى قام بين الصّفيّين، وقال: يا أبا الحسن، ابرز إليّ! أنا حريث. فخرج إليه عليّ عليه السلام، فضربه، فقتله^(١).

٦١٧- في وقعة صّفيّين عن صعصعة بن صوحان: إنّ عليّ بن أبي طالب صافّ أهل الشام، حتى برز رجل من حمير من آل ذي يزن، اسمه: كريب بن الصباح، ليس في أهل الشام يومئذ رجل أشهر شدّة بالباس منه، ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتل المرتفع.

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجلاح، فقتل.
ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه عائد بن مسروق الهمداني، فقتل عائداً.
ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، ثمّ قام عليها بغياً واعتداءً. ثمّ نادى: هل بقي من مبارز؟

فبرز إليه عليّ ثمّ ناداه: ويحك يا كريب! إنّي أحذرك الله وبأسه ونقمته، وأدعوك إلى سنّة الله وسنّة رسوله، ويحك! لا يدخلنك ابن آكلة الأكباد النار.
فكان جوابه أن قال: ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك، فلا حاجة لنا فيها. أقدم إذا شئت، من يشتري سيفي وهذا أثره؟

(١) الأخبار الطوال: ١٧٦، تاريخ دمشق: ٣٣٥/١٢، الفتوح: ٢٩/٣، الفصول المهمّة: ٩١، المناقب للخوارزمي: ٢٢٣/٢٤٠؛ وقعة صّفيّين: ٢٧٢ كلّها نحوه.

فقال علي عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثمّ مشى إليه فلم يمهل أن ضربه ضربة خرزٍ منها قتيلاً يتشخّط في دمه.

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري، فقتل الحارث.

ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلّب القيني، فقتل مطاعاً.

ثمّ نادى: من يبرز؟ فلم يبرز إليه أحد.

ثمّ إنّ علياً نادى: يا معشر المسلمين! «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»^(١)، ويحك يا معاوية هلمّ إليّ فبارزني، ولا يُقتلنّ الناس فيما بيننا!

فقال عمرو: اغتتمه منتهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإنّي أطمع أن يظفرك

الله به.

فقال معاوية: ويحك يا عمرو! والله، إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي،

اذهب إليك، فليس مثلي يُخدع^(٢).

٦١٨ - في وقعة صفين عن صعصعة بن صوحان والحارث بن أدهم: برز يومئذ عروة بن

داود الدمشقي فقال: إن كان معاوية كره مبارزتك يا أبا الحسن فهلمّ إليّ. فتقدّم إليه

عليّ، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس لك بخطر. فقال: والله، ما معاوية اليوم

بأغيظ لي منه، دعوني وإيّاه، ثمّ حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت إحداهما

يمنة، والأخرى يسرة، فارتجّ العسكران لهول الضربة.

ثمّ قال: اذهب يا عروة فأخبر قومك، أما والذي بعث محمداً بالحقّ لقد عاينت النار

وأصبحت من النادمين.

وقال ابن عمّ لعروة: واسوء صباحاه، قبّح الله البقاء بعد أبي داود....

وحمل ابن عمّ أبي داود على عليّ فطعنه فضرب الرمح فبراه، ثمّ قنّعه ضربة

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) وقعة صفين: ٣١٥؛ الفتوح: ١١٢/٣، الفصول المهمّة: ٨٨، البداية والنهاية: ٧/٢٦٤ كلّها نحوه

وراجع جواهر المطالب: ١/٢٦٥.

فألقه بأبي داود، ومعاوية واقف على التلّ يبصر ويشاهد، فقال: تَبّاً لهذه الرجال وقبحاً؛ أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة، أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع! فقال الوليد بن عقبة: ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته.

فقال: والله، لقد دعاني إلى البراز حتى استحيت من قريش، وإني والله لا أبرز إليه، ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقاية له.

فقال عتبة بن أبي سفيان: الهوا عن هذا؛ كأنكم لم تسمعوا نداءه، فقد علمتم أنه قتل حريثاً، وفضح عمراً، ولا أرى أحداً يتحكك^(١) به إلا قتله.

فقال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم لمبارزته؟

فقال: ما أحد أحقّ بها منك، وإن أبيتموه فأنا له... فاستقبله بسر قريباً من التلّ وهو مقنّع في الحديد لا يعرف، فناداه: ابرز إليّ أبا حسن! فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث، حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض، ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتّقه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليّ عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشر حين سقط، فقال: يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة، عدوّ الله وعدوّك.

فقال: دعه عليه لعنة الله، أبعد أن فعلها....

وقام بسر من طعنة عليّ مولياً، وولّت خيله، وناداه عليّ: يا بسر، معاوية كان أحقّ بهذا منك.

فرجع بسر إلى معاوية، فقال له معاوية: ارفع طرفك قد أدال الله عمراً منك.... فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها عليّ تنحى ناحية. وتحامى فرسان أهل الشام عليّاً^(٢).

٦١٩- في الفتوح: خرج رجل من أصحاب معاوية يقال له: المخارق بن عبدالرحمن -

(١) التحكك: التحرش والتعرض (لسان العرب: ١٠/٤١٤).

(٢) وقعة صفين: ٤٥٨؛ شرح نهج البلاغة: ٨/٩٥ وراجع الفتوح: ٣/١٠٥ والمناقب للخوارزمي:

وكان فارساً بطلاً - حتى وقف بين الجمعين، ثم سأل النزال، فخرج إليه المؤمل بن عبيد المرادي، فقتله الشامي... فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر، واحتز رؤوسهم، وكشف عوراتهم. قال: فتحامد الناس خوفاً منه.

قال: ونظر إليه علي عليه السلام وقد فعل ما فعل فخرج إليه متنكراً، وحمل عليه الشامي وهو لم يعرفه، فبدره علي بضربة على حبل عاتقه فرمى بشقه، ثم نزل إليه فاحتز رأسه، وقلب وجهه إلى السماء، ولم يكشف عورته. ثم نادى: هل من مبارز؟

فخرج إليه آخر، فقتله علي عليه السلام، وفعل به كما فعل بالأول. فلم يزل كذلك حتى قتل منهم سبعة أم ثمانية وهو يفعل بهم كما يفعل بالأول، ولا يكشف عوراتهم.

فأحجم الناس عنه وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية، وردها عن معاوية عبد له يقال له: حرب، فكان فارساً لا يُصطلى بناره. فقال له معاوية: ويحك يا حرب، اخرج إلى هذا الفارس فاكفني أمره، فإنه قد قتل من أصحابي من قد علمت!

قال: فقال حرب: جعلت فداك إنني والله أرى مقام فارس بطل لو برز إليه أهل عسكرك لأفناهم عن آخرهم، فإن شئت برزت إليه وأنا أعلم أنه قاتلي، وإن شئت فأبقتني لغيره.

فقال معاوية: لا والله، ما أحب أن تقتل، فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك.

قال: وجعل يناديهم ولا يخرج إليه واحد منهم، فرفع المغفر عن رأسه ثم قال: أنا أبو الحسن ثم رجعت إلى عسكره.

فقال حرب لمعاوية: جعلت فداك ألم أقل لك إنني أعرف مقام الفارس البطل ^(١).

السكينة عند الإمام أثناء القتال

٦٢٠ - في وقعة صفين عن أبي إسحاق: خرج علي يوم صفين وفي يده عنزة، فمرّ على

(١) الفتوح: ١١١/٣؛ كشف الغمّة: ٢٤٦/١ نحوه وفيه «المخراق» بدل «المخارق»، بحار الأنوار:

سعيد بن قيس الهمداني، فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوك؟ فقال له عليّ: إنه ليس من أحد إلاّ عليه من الله حَفْظَةٌ يحفظونه من أن يتردّي في قليب^(١)، أو يخرّ عليه حائط، أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه^(٢).

٦٢١- في الكافي عن سعيد بن قيس الهمداني: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، في مثل هذا الموضع؟!

فقال: نعم، يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلاّ وله من الله حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل، أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء^(٣).

٦٢٢- قال الإمام عليّ عليه السلام - وهو يطوف بين الصقّين بصقّين في غلالة^(٤) لمّا قال له الحسن ابنه: ما هذا زيّ الحرب -: يا بنيّ إنّ أباك لا يُبالي وقع على الموت، أو وقع الموت عليه^(٥).

٦٢٣- في العقد الفريد: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخرج كلّ يوم بصقّين حتى يقف بين الصقّين ويقول:

أَيَّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَ يَوْمَ لَا يُقَدَرُ أَوْ يَوْمَ قُورِ

(١) القليب: البئر التي لم تطو (النهاية: ٩٨/٤).

(٢) وقعة صقّين: ٢٥٠، بحار الأنوار: ٤٧٠/٣٢، ٤٠٨/٤٧٠؛ شرح نهج البلاغة: ١٩٩/٥.

(٣) الكافي: ٨/٥٩/٢، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٩٧/٣ وفيه «قيس بن سعيد» بدل «سعيد بن قيس» في كلا الموضعين، بحار الأنوار: ٣١/١٠٥/٥ وراجع التوحيد: ٥/٣٦٨ ونهج البلاغة: الحكمة ٢٠١.

(٤) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب (لسان العرب: ٥٠٢/١١).

(٥) مجمع البيان: ٣٢٠/١، المناقب لابن شهر آشوب: ١١٩/٢ وراجع وقعة صقّين: ٢٥٠ وتاريخ الطبري: ١٩/٥ والكامل في التاريخ: ٣٧٤/٢ والبداية والنهاية: ٢٦٥/٧.

يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ لَا أَرْهَبُهُ وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يُنْجِي الْخَدْرُ^(١)

نجاة عمرو بن العاص بفضيحة خلدتها التاريخ

٦٢٤ - في الإمامة والسياسة: ذكروا أنّ عمراً قال لمعاوية: أتجبن عن عليّ، وتتهمني في نصيحتي إليك؟! والله لأبارزنّ عليّاً ولو متّ ألف مائة في أول لقاءه. فبارزه عمرو، قطعنه عليّ فصرعه، فاتّقه بعورته، فانصرف عنه عليّ، وولّى بوجهه دونه. وكان عليّ عليه السلام لم ينظر قطّ إلى عورة أحد؛ حياءً وتكرماً، وتنزهاً عما لا يحلّ ولا يجمل بمثله^(٢).

٦٢٥ - في البداية والنهاية: ذكروا أنّ عليّاً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح، فألقاه إلى الأرض، فبدت سوءته، فرجع عنه. فقال له أصحابه: ما لك يا أمير المؤمنين رجعت عنه؟

فقال: أتدرون ما هو؟

قالوا: لا!

قال: هذا عمرو بن العاص تلقاني بسوءته، فذكرني بالرحم، فرجعت عنه. فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له: احمد الله واحمد استك^(٣).

٦٢٦ - في وقعة صفّين: حمل عمرو بن العاص معلماً وهو يقول:

شَدَّوْا عَلَيَّ شَكَّتِي لَا تَنْكَشِفْ	بَعْدَ طُلُوحِ وَالزَّبِيرِ فَاتْلَفْ
يَوْمَ لَهْمَدَانِ وَيَوْمَ لِلصَّدْفِ	وَفِي تَمِيمِ نَخْوَةَ لَا تَنْحَرْفْ
أَضْرِبُهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى تَنْصَرِفْ	إِذَا مَشَيْتُ مَشِيَةَ الْعَوْدِ الصَّافِ

(١) العقد الفريد: ١/١٠٠ وراجع شرح نهج البلاغة: ١٣٢/٥ ووقعة صفّين: ٣٩٥ والمناقب لابن شهر آشوب: ٣/٢٩٨.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/١٢٧.

(٣) البداية والنهاية: ٧/٢٦٤، الأخبار الطوال: ١٧٧، المناقب للخوارزمي: ٢٣٦/٢٤٠، الفصول المهمة: ٨٩، كلّها نحوه وراجع مروج الذهب: ٢/٣٩٧.

ومثلها لجمير، أو تنصرف
فاعترضه عليّ وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل
أني بنصل السيف خنثليل
والخُصر والأنامل الطفول
أحمي وأرمي أول الرعيل

بصارم ليس بذئ فلول

ثم طعنه فصرعه، واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليّ وجهه عنه
وارتث، فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين.

قال: وهل تدرون من هو؟

قالوا: لا.

قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو إلى معاوية فقال له: ما صنعت يا عمرو؟

قال: لقيني عليّ فصرعني.

قال: احمد الله وعورتك، أما والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه^(١).

٦٢٧ - في عيون الأخبار عن المدائني: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك،

فقال له: ممّ تضحك يا أمير المؤمنين، أضحك الله سنك؟ قال: أضحك من حضور ذهك

عند إبدائك سوءك يوم ابن أبي طالب! أما والله لقد وافقته منأناً كريماً، ولو شاء أن

يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أما والله إنني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولت

عينك، وربما سحرك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أودع!!^(٢).

(١) وقعة صفين: ٤٠٦ و ٤٠٧، شرح نهج البلاغة: ٦٠ / ٨ عن ابن عباس وليس فيه الشعر.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٦٩ / ١، العقد الفريد: ٣٣٤ / ٣ عن أبي الحسن وفيه «ولولا ذلك لخرم
رفغيك بالرمح» بدل «ولو شاء أن يقتلك لقتلك»، شرح نهج البلاغة: ١٠٧ / ٦، المحاسن والمساوي:

٥٣ عن الشعبي نحوه وراجع الأمالي للطوسي: ٢١٧ / ١٣٤.

كُتِبَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَالْإِمَامِ وَسَطَ الْمَعْرَكَةِ

٦٢٨ - في كنز الفوائد: نسخة كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما بعد، فإنّ الهوى يُضِلُّ من اتّبعه، والحرص يُتعب الطالب المحروم، وأحمد العاقبتين ما هدى إلى سبيل الرشاد. ومن العجب العجيب ذامّ ومادح، وزاهد وراغب، ومتوكّل وحريص، كلاماً ضربته لك مثلاً لتدبّر حكيمته بجميع الفهم، ومباينة الهوى، ومناصحة النفس.

فلعمري يا بن أبي طالب، لولا الرحم التي عطفتني عليك، والسابقة التي سلفت لك، لقد كان اختطفتك بعض عقبان أهل الشام، فصعد بك في الهواء ثمّ قذفك على دكادك شوامخ الأبصار، فألفيت كسحيق الفهر^(١) على صن^(٢) الصلابة لا يجد الذرّ^(٣) فيك مرتعاً.

ولقد عزمت عزيمة من لا يعطفه رقة الإنذار، إن لم تباين ما قربت به أملك وطلال له طلبك، لأوردنك^(٤) مورداً تستمرّ الندامة إن فُسح لك في الحياة، بل أظنّك قبل ذلك من الهالكين، وبئس الرأي رأي يورد أهله إلى المهالك، ويؤمنهم العطب إلى حين لات مناص. وقد قذف بالحقّ على الباطل، وظهر أمر الله وهم كارهون، والله الحجّة البالغة والمنّة الظاهرة. والسلام^(٥).

٦٢٩ - في كنز الفوائد: من عبدالله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فقد أتانا كتابك بتنويق المقال، وضرب الأمثال، وانتحال الأعمال، تصف

(١) الفهر: الحجر قدر ما يدقّ به الجوز ونحوه (لسان العرب: ٦٦/٥).

(٢) كذا في المصدر، وفي بحار الأنوار نقلاً عن المصدر: «مسنّ».

(٣) الذرّ: صغار النمل (لسان العرب: ٣٠٤/٤).

(٤) في المصدر: «ولأوردنك»، والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٥) كنز الفوائد: ٤٢/٢، بحار الأنوار: ٤١٥/١٢٧/٣٣.

الحكمة ولست من أهلها، وتذكر التقوى وأنت على ضدها، قد أتبعته هوأك فحاد بك عن الحجّة^(١)، وألحج^(٢) بك عن سواء السبيل.

فأنت تسحب أذيال لذات الفتن، وتحيط^(٣) في زهرة الدنيا، كأنك لست توقن بأوبة البعث، ولا برجعة المنقلب، قد عقدت التاج، ولبست الخنز، وافترشت الديباج، سُنّة هرقلية، وملكاً فارسياً، ثم لم يقنعك ذلك حتى يبلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك، فيملك^(٤) دونك فتحاسب دونه. ولعمري لئن فعلت ذلك فما ورثت الضلالة عن كلاله، وإنك لابن من كان يبغى على أهل الدين، ويحسد المسلمين.

وذكرت رحماً عطفتك عليّ، فأقسم بالله الأعزّ الأجلّ أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تمهد له بعد وفاتك لقطعته حبله، وأبنت أسبابه.

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيئة^(٥) والموارد المهلكة، فأنا عبدالله عليّ بن أبي طالب، أبرز إليّ صفحتك، كلاً وربّ البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطحة الأبطال، وكأني بك لو شهدت الحرب وقد قامت على ساق، وكشرت عن منظر كربه، والأرواح تُختطف اختطاف البازي زُغِب^(٦) القطا، لصيرت كالمؤلهة الحيرانة تصربها^(٧) العبرة بالصدمة، لاتعرف أعلا الوادي عن أسفله. فدع عنك ما لست أهله؛ فإن وقع الحسام غير تشقيق الكلام، فكم عسكر قد شهدته، وقرن نازلته، [ورأيت] اصطكاك قريش بين يدي رسول الله ﷺ، إذ أنت وأبوك و[من] هو [أعلا منكما لي]^(٨)

(١) في بحار الأنوار: «المحجّة»، ولعله أنسب.

(٢) اللّحج: الميل، وألحجهم إليه: أمالهم (لسان العرب: ٣٥٦/٢).

(٣) كذا في المصدر وفي بحار الأنوار: «تخبط».

(٤) في المصدر: «فيهلك» والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٥) في المصدر: «العربية» والتصحيح من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(٦) الزغب: الفراخ (لسان العرب: ٤٥٠/١).

(٧) صرّب بوله: إذا حقنه (الصاح: ١/١٦٢). والمراد أنه يصير ملازماً للعبارة ومحجوساً بها بسبب الصدمة التي يواجهها من مشاهدة الحرب.

(٨) ما بين المعاقيف سقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

تبع، وأنت اليوم تهددني!

فأقسم بالله أن لو تُبدي الأيَّام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور^(١)، لا يفوته فريسة بالمراوغة، كيف وأنِّي لك بذلك وأنت قعيدة بنت البكر المخدرة؛ يُفزعها صوت الرعد، وأنا عليّ بن أبي طالب الذي لا أُهدد بالقتال، ولا أخوّف بالنزال، فإن شئت يا معاوية فابرز. والسلام.

فلما وصل هذا الجواب إلى معاوية بن أبي سفيان جمع جماعة من أصحابه وفيهم عمرو بن العاص فقرأه عليهم. فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، كم رجل أحسن في الله قد قتل بينكما، ابرز إليه.

فقال له: أبا عبدالله أخطأت استك الحفرة، أنا أبرز إليه مع علمي أنه ما برز إليه أحد قط إلا وقتله! لا والله، ولكني سأبرزك إليه^(٢).

٦٣٠- في شرح نهج البلاغة: كتب معاوية إليه [الإمام عليّ عليه السلام] في أثناء حرب صفين،

بل في أواخرها: من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب:

أما بعد؛ فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) وإني أحذرك الله أن تُحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأمة، وتفريق جماعتها، فاتق الله، واذكر موقف القيامة، واقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكتبهم الله على مناخرهم في النار» فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين، بلّة^(٤) ما طحنت رجا حربه من أهل القرآن وذي العبادة والإيمان؛ من شيخ

(١) أسدٌ هَصور: يكسر ويميل (لسان العرب: ٢٦٤/٥).

(٢) كنز القوائد: ٤٣/٢، بحار الأنوار: ٤١٥/١٢٨/٣٣.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) بلّة: من أسماء الأفعال بمعنى دَعَّ واثْرَكَ (النهاية: ١٥٥/٢).

كبير، وشابّ غرير^(١)، كلّهم بالله تعالى مؤمن، وله مخلص، وبرسوله مقرّ عارف، فإن كنتَ أباحسِنٍ إنّما تحارب على الإمرة والخلافة، فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تُعذر في حرب المسلمين، ولكنّها ما صحّت لك، أتّي بصحّتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها، ولم يرتضوا بها؟ وخَفِ اللهُ وسطواته، واتَّقِ بأسه ونكاله، واغمد سيفك عن الناس، فقد والله أكلتهم الحرب، فلم يبق منهم إلا كالثَّمَدِ^(٢) في قرارة الغدير، والله المستعان^(٣).

٦٣١ - في شرح نهج البلاغة - في ذكر كتاب الإمام عليه السلام إلى معاوية - : من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد؛ فقد أتتني منك موعظة موصلة ورسالة محرّبة، نمقتها بضلالك، وأمضيتها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه؛ فهجر لاغطاً، وضلّ خابطاً، فأما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا أمروا بها أخذتهم العزّة بالإثم، وأمّا تحذيرك إياي أن يُحبط عملي وسابقتي في الإسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك، ولكّني وجدت الله تعالى يقول: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ لِيْلَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤) فنظرنا إلى الفئتين؛ أمّا الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها؛ لأنّ بيعتي بالمدينة لزمك وأنت بالشام، كما لزمك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمك يزيد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام. وأمّا شقّ عصا هذه الأمة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأما تخويقك لي من قتل أهل البغي فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم وقتلهم، وقال لأصحابه: «إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» وأشار إليّ، وأنا أولى من اتّبع أمره. وأمّا قولك: إنّ بيعتي لم تصحّ لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها،

(١) وَجْهٌ غَرِيرٌ: حَسَنٌ. وَالغَرِيرُ: الشَّابُّ الَّذِي لَا تَجْرِبَةَ لَهُ (لسان العرب: ١٦/٥).

(٢) الثَّمَدُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ (النهاية: ٢٢١/١).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٢/١٤؛ بحار الأنوار: ٨٠/٣٣.

(٤) الحجرات: ٩.

كيف وإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب، لا يُتَنَّى فيها النظر، ولا يُسْتَأْنَف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمُرَوِّي فيها مُدَاهِن^(١)، فاربَعُ على ظَلْعِكَ، وانزع سِرْبَالَ^(٢) غَيْتِكَ، واترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلا السيف، حتى تفيء إلى أمر الله صاغراً، وتدخل في البيعة راغماً. والسلام^(٣).

الإمام يدعو معاوية للمبارزة

٦٣٢ - في شرح نهج البلاغة عن المدائني: كتب إليه [معاوية] علي عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك، وأن يرعوي قلبك، يا ابن الصخر اللعين! زعمت أن يَزِنَ الجبالَ حِلْمُكَ، ويفصلُ بين أهل الشكِّ علمُكَ، وأنت الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، فإن كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه أخو بني سهم، فدع الناس جانباً وتيسر لما دعوتني إليه من الحرب والصبر على الضرب، واعفُ القريقين من القتال؛ ليُعلم أئبنا المرين على قلبه، المغطى على بصره، فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد. والسلام^(٤).

٦٣٣ - قال الإمام علي عليه السلام - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية -: وكيف أنت صانع إذا تكتشفت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها، وخُذعت، بلدتها، دعتك فأجبته، وقادتك فاتبعته، وأمرتك فأطعتها. وإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يُنجيك منه مجن، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبّة الحساب، وشمرّ لما قد نزل بك، ولا تُمكن الغواة

(١) المُرَوِّي: الذي يرتي ويُبَطِّي عن الطاعة ويُفكّر، وأصله من الرويّة. والمداهن: المنافق (شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٤٤).

(٢) السِّرْبَالَ: القميص (النهاية: ٢ / ٣٥٧).

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤٣ / ١٤؛ بحار الأنوار: ٨١ / ٣٣؛ وراجع العقد الفريد: ٣ / ٣٢٩ والإمامة والسياسة: ١١٣ / ١ ونهج البلاغة: الكتاب ٧ ووقعة صفين: ٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٣٥ / ١٦؛ بحار الأنوار: ٤٠١ / ٨٧ / ٣٣؛ وراجع شرح نهج البلاغة: ٨٢ / ١٥.

من سمعك، وإلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك؛ فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم.

ومتى كنتم - يا معاوية - سياسة الرعيّة، وولاية أمر الأمة، بغير قدم سابق، ولا شرف باسق؟! ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، وأحذرك أن تكون متمادياً في غرّة الأُمّنية، مختلف العلانية والسريرة.

وقد دعوت إلى الحرب، فدع الناس جانباً، واخرج إليّ واعفُ الفريقين من القتال؛ ليُعلم أيّنا المرين على قلبه، والمغطّى على بصره، فأنا أبو حسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخاً^(١) يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوّي، ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً. وإني لعلّ المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين.

وزعمت أنك جئت تائراً بدم عثمان، ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً، فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضتكَ ضجيج الجمال بالأتقال، وكأنّي بجماعتك تدعوني -؛ جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع - إلى كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة^(٢).

٦٣٤ - في وقعة صفّين عن الشعبي: أرسل عليّ إلى معاوية: أن ابرز لي واعفُ الفريقين من القتال، فأيتنا قتل صاحبه كان الأمر له.

قال عمرو: لقد أنصفك الرجل.

فقال معاوية: إني لأكره أن أبارز الأهوج الشجاع، لعلك طمعت فيها يا عمرو. فلمّا لم يجب قال عليّ: وانفساه، أيطاع معاوية وأُعصى؟! ما قاتلت أمة قطّ أهل بيت نبيّها وهي مقرّة بنبيّها إلا هذه الأُمّة^(٣).

(١) الشدخ: كسرك الشيء الأجوّف كالرأس ونحوه (لسان العرب: ٢٨/٣).

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٠، بحار الأنوار: ٣٣/١٠١/٤٠٦.

(٣) وقعة صفّين: ٣٨٧ وراجع تاريخ الطبري: ٤٢/٥ والكامل في التاريخ: ٣٨٣/٢ ومروج الذهب:

٣٩٦/٢ والأخبار الطوال: ١٧٦ والمناقب للخوارزمي: ٢٣٧/٢٤٠ والبداية والنهاية: ٧/٢٧٢.

٦٣٥ - في وقعة صفين عن عمرو بن شمر: قام عليّ بين الصفين ثمّ نادى: يا معاوية، يكرّرها. فقال معاوية: اسألوه، ما شأنه؟ قال: أحبّ أن يظهر لي فأكلّمه كلمة واحدة. فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص، فلما قاربا لم يلتفت إلى عمرو، وقال لمعاوية: ويحك، علام يقتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟! ابرز إليّ؛ فأينا قتل صاحبه فالأمر له.

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبد الله فيما ها هنا، أبارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك الرجل، واعلم أنّه إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيّ.

فقال معاوية: يا عمرو بن العاص، ليس مثلي يخدع عن نفسه، والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطّ إلا سقى الأرض من دمه! ثمّ انصرف راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصفوف، وعمرو معه. فلما رأى عليّ عليه السلام ذلك ضحك، وعاد إلى موقفه^(١).

٦٣٦ - في تاريخ الطبري عن أبي جعفر: قال عليّ لربيعة وهمدان: أنتم درعي ورمحي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدّمهم عليّ على بغلته، فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صفّ إلا انتقض، وقتلوا كلّ من انتهوا إليه، حتى بلغوا معاوية، وعليّ يقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثمّ نادى معاوية، فقال عليّ: علام يقتل الناس بيننا! هلّمّ أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور. فقال له عمرو: أنصفك الرجل.

فقال معاوية: ما أنصف، وإنك لتعلم أنّه لم يبارزه رجل قطّ إلا قتله.

قال له عمرو: وما يجمل بك إلا مبارزته.

فقال معاوية: طمعت فيها بعدي^(٢).

(١) وقعة صفين: ٢٧٤؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٧/٥، الإمامة والسياسة: ١٢٦/١ نحوه وراجع أنساب الأشراف: ٨٥/٣ والعقد الفريد: ٣٣٤/٣ وجواهر المطالب: ٣٨/٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤١/٥، مروج الذهب: ٣٩٦/٢ نحوه، البداية والنهاية: ٢٧٢/٧.

٦٣٧- في الأمالي للصدوق عن عدي بن أرطاة: قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله، أينما أدهى؟ قال عمرو أنا للبديهة، وأنت للروية. قال معاوية: قضيت لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة. قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال: بها غلبتني يا أبا عبد الله، فلا أسألك عن شيء تصدقني فيه. قال: والله إن الكذب لقيح، فسئل عما بدالك أصدقك.

فقال: هل غششتني منذ نصحتني؟

قال: لا.

قال: بلى والله، لقد غششتني، أما إنني لا أقول في كلِّ المواطن ولكن في موطن واحد. قال: وأي موطن هذا؟ قال: يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة، فاستشرتك، فقلت: ما ترى يا أبا عبد الله، فقلت: كفو كريم، فأشرت علي بمبارزته، وأنت تعلم من هو، فعلمت أنك غششتني.

قال: يا أمير المؤمنين، دعاك رجل إلى مبارزته، عظيم الشرف، جليل الخطر، فكنت من مبارزته على إحدى الحسينيين؛ إما أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك، وإما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

قال معاوية: هذه شر من الأول، والله إنني لأعلم أنني لو قتلته دخلت النار، ولو قتلتني دخلت النار.

قال عمرو: فما حملك على قتاله؟

قال: الملك عقيم، ولن يسمعها مني أحد بعدك^(١).

هروب معاوية وأصحابه من الإمام

٦٣٨- في الأخبار الطوال: حمل علي عليه السلام على الجمع الذي كان فيه معاوية في أهل

(١) الأمالي للصدوق: ١٣٢/١٢٥، بحار الأنوار: ٣٣/٤٩/٣٩٣.

الحجاز من قريش والأنصار وغيرهم، وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس، وعليّ أمامهم، وكبروا وكبر الناس تكبيرة ارتجّت لها الأرض، فانتقضت صفوف أهل الشام، واختلفت راياتهم، وانتهوا إلى معاوية وهو جالس على منبره معه عمرو بن العاص ينظران إلى الناس، فدعا بفرس ليركبه.

ثمّ إنّ أهل الشام تداعوا بعد جولتهم، وثابوا^(١)، ورجعوا على أهل العراق، وصبر القوم بعضهم لبعض إلى أن حجز بينهم الليل^(٢).

٦٣٩ - في وقعة صفّين: ركب عليّ عليه السلام فرسه الذي كان لرسول الله، وكان يقال له: المرتجز، فركبه ثمّ تقدّم أمام الصفوف، ثمّ قال: بل البغلة، بل البغلة. فقُدّمت له بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، فركبها، ثمّ تعصّب بعمامة رسول الله السوداء، ثمّ نادى: أيّها الناس! من يشتر نفسه لله يربح؛ هذا يوم له ما بعده، إنّ عدوّكم قد مسّه القرع كما مسّكم.

فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدّمهم عليّ منقطعاً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله... وتبعه ابن عديّ بن حاتم بلوائه... وتقدّم الأشر... وحمل الناس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صفّ إلاّ انتقض، وأهدوا ما أتوا عليه، حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية، وعليّ يضربهم بسيفه ويقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أمّ هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلمّا وضع رجله في الركاب تمثّل بأبيات عمرو ابن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذني الحمد بالثمن الربيح

(١) ثابّ الناس: اجتمعوا و جاؤوا (لسان العرب: ١/٢٤٣).

(٢) الأخبار الطوال: ١٨١.

وإجشامي على المكروه نفسي
وقولي كلما جشأت وجاشت
لأدفع عن مآثر صالحات
بذي شطب كلون الملح صافٍ
وضربي هامة البطل المشيح
مكأتك تحمدي أو تستريحي
وأحمي بعد عن عرض صحيح
ونفس ما تقر على القبيح

وقال: يابن العاص، اليوم صبر، وغداً فخر، صدقت، إننا وما نحن فيه كما قال ابن أبي الأقلح:

ما علتي وأنا رام نابل
تزل عن صفحتها المعابل
والقوس فيها وتر عناول
الموت حق والحياة باطل

فتنى معاوية رجله من الركاب ونزل، واستصرخ بعك والأشعريين، فوقفوا دونه، وجالدوا عنه، حتى كره كل من الفريقين صاحبه، وتجاوز الناس^(١).

٦٤٠- في الأخبار الطوال: إن علياً عليه السلام لينغمس في القوم فيضرب بسيفه حتى ينتهي، ثم يخرج متخضباً بالدم حتى يسوي له سيفه، ثم يرجع، فينغمس فيهم، وربيعة لا تترك جهداً في القتال معه والصبر، وغابت الشمس، وقربوا من معاوية، فقال لعمر: ما ترى؟ قال: أن تخلي سرادقك.

فنزل معاوية عن المنبر الذي كان يكون عليه، وأخلى السرادق، وأقبلت ربيعة، وأمامها علي عليه السلام حتى غشوا السرادق، فقطعوه، ثم انصرفوا. وبات علي تلك الليلة في ربيعة^(٢).

التجاء معاوية للخداع وجواب الإمام

٦٤١- في وقعة صفين - في بيان ما قاله معاوية لعمر بن العاص حين بلغه شعر

(١) وقعة صفين: ٤٠٣، بحار الأنوار: ٣٢/٥١٠/٤٣٦؛ شرح نهج البلاغة: ٥٨/٨ وراجع مروج الذهب: ٣٩٦/٢ والأخبار الطوال: ١٨٦ والإمامة والسياسة ١٤٧/١ والفتوح: ١٧٥/٣ و ١٧٦ والمناقب للخوارزمي: ٢٤٣ و ٢٤٤/٢٤٠.

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٣.

الأشتر -: قد رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام - وهو الشيء الأول الذي ردني عنه - وألقي في نفسه الشكّ والريبة. فضحك عمرو بن العاص، ثمّ قال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟! فقال: أسنا بني عبدمناف؟ قال: بلى، ولكن لهم النبوة دونك، وإن شئت أن تكتب فاكتب. فكتب معاوية إلى عليّ مع رجل من السكاسك، يقال له عبدالله بن عقبة، وكان من ناقلة^(١) أهل العراق، فكتب:

أما بعد، فإنّي أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا، لم يجنّها بعضنا على بعض، وإنّا وإن كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى، ونُصلح به ما بقي. وقد كنت سألتك الشام على ألا يلزمني لك طاعة ولا بيعة، فأبيت ذلك عليّ، فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّي لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلا ما تخاف. وقد والله رقت الأجناد، وذهبت الرجال، ونحن بنو عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدلّ به عزيز، ولا يسترقّ حرٌّ به. والسلام^(٢).

٦٤٢ - في وقعة صفين: فلما انتهى كتاب معاوية إلى عليّ قرأه، ثمّ قال: العجب لمعاوية وكتابه! ثمّ دعا عليّ عبيد الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: اكتب إلى معاوية:

أما بعد؛ فقد جاءني كتابك، تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض، فإنّا وإيّاك منها في غاية لم تبلغها، وإنّي لو قُتلت في ذات الله وحييت، ثمّ قُتلت ثمّ حييت سبعين مرّة، لم أرجع عن الشدّة في ذات الله، والجهاد لأعداء الله. وأمّا قولك: إنّه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإنّي ما نقصت عقلي، ولا ندمت على فعلي. فأما طلبك الشام، فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك منها أمس. وأمّا استواؤنا في الخوف والرجاء؛ فإنّك لست أمضى على الشكّ

(١) الناقلة: ضدّ القاطنين (تاج العروس: ١٥ / ٧٥٣).

(٢) وقعة صفين: ٤٧٠، كنز الفوائد: ٤٤ / ٢، بحار الأنوار: ٤١٦ / ١٢٩ / ٣٣؛ مروج الذهب: ٢٢ / ٣، الأخبار الطوال: ١٨٧، الإمامة والسياسة: ١٣٧ / ١، المناقب للخوارزمي: ٢٥٥ / ٢٤٠ كلّها نحوه وفيها من «أما بعد...».

مَنِّي على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك: إننا بنو عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل؛ فلعمري إننا بنو أب واحد، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبدالمطلب، ولا أبوسفیان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا المحقّ كالمبطل. وفي أيدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز، وأعززنا بها الذليل. والسلام^(١).

٦٤٣ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من كتاب له إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه -: أمّا طلبك إليّ الشام؛ فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. وأما قولك: إنّ الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت؛ ألا ومن أكله الحقّ فألى الجنة، ومن أكله الباطل فألى النار. وأمّا استواؤنا في الحرب والرجال؛ فلست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك: إننا بنو عبدمناف؛ فكذلك نحن. ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبدالمطلب. ولا أبوسفیان كأبي طالب. ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق. ولا المحقّ كالمبطل، ولا المؤمن كالمُدغِل^(٢). ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنّم. وفي أيدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل. ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين إمّا رغبة وإمّا رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم؛ فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك سبيلاً^(٣).

(١) وقعة صفين: ٤٧١، كنز الفوائد: ٤٥/٢، بحار الأنوار: ٣٣/١٣٠/٤١٦؛ مروج الذهب: ٣/٢٢،

الأخبار الطوال: ١٨٧، الإمامة والسياسة: ١/١٣٨، المناقب للخوارزمي: ٢٥٦/٢٤٠ كلّها نحوه.

(٢) رجل مُدغِل: مخابٌ مُفسِد، وأدغِل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده ويخالفه (لسان العرب:

١١/٢٤٤).

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ١٧، بحار الأنوار: ٣٣/١٠٤/٤٠٧ وراجع جواهر المطالب: ١/٣٦٢.

معاوية يوسط ابن عباس!

٦٤٤ - في أنساب الأشراف عن عيسى بن يزيد: لما قامت الحرب بين علي ومعاوية بصقّين، فتحاربوا أياماً قال معاوية لعمر بن العاص في بعض أيامهم: إن رأس الناس مع عليّ عبد الله بن عباس، فلو ألقيت إليه كتاباً تعطفه به؛ فإنه إن قال قولاً لم يخرج منه عليّ، وقد أكلتنا هذه الحرب. فقال عمرو: إن ابن عباس أريب^(١) يُخدع ولو طمعت فيه لطمعت في عليّ. قال: صدقت إنّه لأريب، ولكن اكتب إليه على ذلك، فكتب إليه:

من عمرو بن العاص إلى عبدالله بن العباس.

أما بعد؛ فإنّ الذي نحن وأنتم فيه، ليس بأوّل أمر قاده البلاء، وساقه سفه العاقبة، وأنت رأس هذا الأمر بعد عليّ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حيلة، واعلم أنّ الشام لا يُملك إلاّ بهلاك العراق، وأنّ العراق لا يُملك إلاّ بهلاك الشام، فما خيرنا بعد إسراعنا فيكم، وما خيركم بعد إسراعكم فينا، ولست أقول: ليت الحرب عادت، ولكن أقول: ليتها لم تكن، وإنّ فينا من يكره اللقاء كما أنّ فيكم من يكرهه، وإنّما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مشاور مأمون وهو أنت، فأما السفية فليس بأهل أن يعدّ من ثقات أهل الشورى ولا خواصّ أهل النجوى. وكتب في آخر كتابه:

طال البلاء فما يُرجى له آس	بعد الإله سوى رفق ابن عباس
قولاً له قول مسرور بحظوته	لا تنس حظك إنّ التارك الناسي
كلّ لصاحبه قرن يعادله	أسدٌ تلاقى أسوداً بين أخياس ^(٢)
انظر فدّى لك نفسي قبل قاصمة	للظهر ليس لها راقٍ ولا آسي
أهل العراق وأهل الشام لن يجدوا	طعم الحياة لحرب ذات أنفاس

(١) من الإرب؛ وهو الدهاء والبصر بالأمر، وهو من العقل (لسان العرب: ٢٠٩/١).

(٢) أخياس: جمع خيسة؛ وهي الشجر الكثير الملتف (لسان العرب: ٧٥/٦).

والسلم فيه بقاء ليس يجهله
فاصدع بأمرك أمر القوم إنهم
إلا الجهول وما النوكى^(١) كأكياس
خشاش طير رأت صقراً بخشاحس^(٢)

٦٤٥ - في أنساب الأشراف عن عيسى بن يزيد: فلما قرأ ابن عباس الكتاب والشعر أقرأهما علياً، فقال علي: قاتل الله ابن العاص! ما أغرّه بك؟ يا ابن عباس أجبه، وليردّ عليه شعره فضل بن عباس بن أبي لهب. فكتب إليه عبدالله بن عباس:

أما بعد: فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقلّ حياءً منك! إنّه مالّ بك إلى معاوية الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثمّ خبطت للناس في عشواء طخياء طمعاً في هذا الملك، فلما لم ترّ شيئاً أعظمت الدماء إعظام أهل الدين، وأظهرت فيها زهادة أهل الورع، ولا تريد بذلك إلاّ تهيب الحرب وكسر أهل العراق؛ فإن كنت أردت الله بذلك، فدع مصر وارجع إلى بيتك؛ فإنّ هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ؛ بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السرف، وليس أهل الشام فيها كأهل العراق؛ بايع علياً أهل العراق وهو خير منهم، وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه، ولست وأنا فيها سواء. أردتُ الله، وأردتُ مصر، فإن تُردّ شراً لا يُفْتُنّا، وإن تُردّ خيراً لا تسبقنا.

ثمّ دعا الفضل بن العباس بن عتبة فقال: يا ابن عمّ أجب عمرو بن العاص، قال:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس
إلا بوادر طعن^(٣) في نحوركُم
فأذهب فما لك في ترك الهدى آس
وهو شك ضرب يُفزي^(٤) جلدة الرأس
هذا لكم عندنا في كلّ معركة
حتى تطيعوا علياً وابن عباس
أمّا عليّ فإنّ الله فضله
فضلاً له شرف عالٍ على الناس

(١) النوكى: الخمقى (النهاية: ١٢٩/٥).

(٢) أنساب الأشراف: ٨٧/٣، شرح نهج البلاغة: ٦٣/٨، الإمامة والسياسة: ١٣١/١ وقعة صفين: ٤١٠، الدرجات الرفيعة: ١١٠ كلّها نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ١٧٨/٣.

(٣) في المصدر: «يطعن»، والصحيح ما أثبتناه كما في شرح نهج البلاغة.

(٤) كذا في المصدر، ولعلّه مصحف عن «يفري».

لا ببارك الله في مصر فقد جلبت شراً وحفظك منها حسوة الحاسي (١)
٦٤٦ - في وقعة صفين : كتب معاوية إلى ابن عباس:

أما بعد؛ فإنكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار
عثمان بن عفان، حتى إنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه، واستعظامهما ما نيل منه،
فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد وليها عدي وتيم، فلم تنافسوهم، وأظهرتم لهم
الطاعة. وقد وقع من الأمر ما قد ترى، وأكلت هذه الحروب بعضها من بعض حتى
استويينا فيها، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، وما آيسكم منا آيسنا منكم. وقد رجونا
غير الذي كان، وخشينا دون ما وقع، ولستم بملاقينا اليوم بأحد من حدّ أمس، ولا غداً
بأحد من حدّ اليوم، وقد قنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما في أيديكم
من ملك العراق، وأبقوا على قريش؛ فإنما بقي من رجالها ستّة؛ رجلاً بالشام،
ورجلاً بالعراق، ورجلاً بالحجاز؛ فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو، وأما اللذان
بالعراق فأنت وعليّ، وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر، واثنان من الستّة ناصبان
لك، واثنان واقفان فيك، وأنت رأس هذا الجمع اليوم. ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا
إليك أسرع منا إلى عليّ (٢).

جواب ابن عباس

٦٤٧ - في وقعة صفين : لما انتهى الكتاب إلى ابن عباس أسخطه ثمّ قال: حتى متى
يخطب ابن هند إليّ عقلي، وحتى متى أجمجم على ما في نفسي؟! فكتب إليه:
أما بعد؛ فقد أتاني كتابك وقرأته، فأما ما ذكرت من سرعتنا إليك بالمساءة في
أنصار ابن عفان، وكراهيتنا لسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك

(١) أنساب الأشراف: ٨٨/٣، شرح نهج البلاغة: ٦٤/٨، الإمامة والسياسة: ١٣٢/١؛ وقعة صفين:
٤١٢، الدرجات الرفيعة: ١١١ كلّها نحوه.
(٢) وقعة صفين: ٤١٤، الدرجات الرفيعة: ١١٢؛ الفتوح: ١٥٢/٣، شرح نهج البلاغة: ٦٥/٨،
الإمامة والسياسة: ١٣٣/١، المناقب للخوارزمي: ٢٤٠/٢٥٦.

حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة. وأمّا طلحة والزبير؛ فإنّهما أجابا عليه، وضيّقا خناقهما، ثمّ خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، وقاتلناك على البغي. وأمّا قولك: إنّّه لم يبقَ من قريش غير ستّة؛ فما أكثر رجالها وأحسن بقيّتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك، لم يخذلنا إلّا من خذلك. وأمّا إغراؤك إيّانا بعدني وتيمّ؛ فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أنّ عثمان خير منك، وقد بقي لك منّا يوم يُنسيك ما قبله، ويخاف ما بعده. وأمّا قولك: إنّّه لو بايع الناس لي لاستقامت لي، فقد بايع الناس عليّاً وهو خير منّي فلم يستقيموا له، وإنّما الخلافة لمن كانت له في المشورة. وما أنت يا معاوية والخلافة، وأنت طليق؟! وابن طليق، والخلافة للمهاجرين الأوّلين، وليس الطلقاء منها في شيء. والسلام^(١).

(١) وقعة صفين: ٤١٥، الدرجات الرفيعة: ١١٣؛ الفتوح: ١٥٣/٣، شرح نهج البلاغة: ٦٦/٨، المناقب للخوارزمي: ٢٥٧/٢٤٠، الإمامة والسياسة: ١٣٣/١ نحوه.

يوم الخميس وليلة الهرير

٦٤٨- في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: ازدلف الناس يوم الأربعاء، فاقتتلوا كأشد القتال يومهم حتى الليل، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصلاة.

وكثر القتلى بينهم، وتحاجزوا عند الليل، وكلُّ غير غالب، فأصبحوا من الغد، فصلّى بهم عليّ غداة الخميس، فغلس^(١) بالصلاة أشدّ التغليس^(٢).

٦٤٩- في وقعة صفين عن جندب الأزدي: لما كان غداة الخميس لسبع خلون من صفر من سنة سبع وثلاثين، صلّى عليّ، فغلس بالغداة، ما رأيت عليّاً غلس بالغداة أشدّ من تغليسه يومئذٍ.

ثمّ خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم، وكان هو يبدؤهم فيسير إليهم، فإذا رأوه وقد زحف استقبالوه بزحوفهم^(٣).

٦٥٠- في الفتوح- في ذكر وقعة الخميس -: دعا عليّ عليه السلام بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله فلبسه، وبسيف رسول الله صلى الله عليه وآله فتقلّده، وبعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله فاعتجر بها، ثمّ دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوى عليه وجعل يقول:

أيّها الناس! من يبيع نفسه يربح هذا اليوم؛ فإنّه يوم له ما بعده من الأيام، أما والله! أن لولا أن تعطلّ الحدود، وتبطل الحقوق، ويظهر الظالمون، وتفوز كلمة الشيطان، ما

(١) من الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية: ٣/٣٧٧).

(٢) تاريخ الطبري: ١٥/٥.

(٣) وقعة صفين: ٢٣٢؛ تاريخ الطبري: ١٤/٥ وفيه «بوجوههم» بدل «بزحوفهم»، الكامل في التاريخ: ٣٧٢/٢ وفيه «فلما كان يوم الخميس، صلّى عليّ عليه السلام بغلس، وخرج بالناس إلى أهل الشام، فزحف إليهم وزحفوا معه».

اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه.

ألا إن خضاب النساء الحنأ، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأمور.
ألا إنها إحن بدرية، وضغائن أهدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة
ليذكر بها ثارات بني عبدشمس: ﴿فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهُونَ﴾ (١)(٢).

٦٥١ - في وقعة صفين عن القعقاع بن الأبرد الطهوي: والله، إني لواقف قريباً من عليّ
بصفين يوم وقعة الخميس، وقد التقت مذحج - وكانوا في ميمنة عليّ - وعك وجذام
ولخم والأشعريون، وكانوا مستبصرين في قتال عليّ.

ولقد - والله - رأيت ذلك اليوم من قتالهم، وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس،
وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى - ما الجبال تهده، ولا الصواعق تصعق
بأعظم هولاً في الصدور من ذلك الصوت.

نظرت إلى عليّ وهو قائم فدنوت منه، فسمعته يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله،
والمستعان الله».

ثم نهض حين قام قائم الظهيرة، وهو يقول: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٣).

وحمل على الناس بنفسه، وسيفه مجرد بيده، فلا والله ما حجز بيننا إلا الله رب
العالمين، في قريب من ثلث الليل، وقُتلت يومئذ أعلام العرب، وكان في رأس عليّ ثلاث
ضربات، وفي وجهه ضربتان.

نصر: وقد قيل: إن علياً لم يجرح قط.

وقُتل في هذا اليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وقُتل من أهل الشام عبدالله بن

(١) التوبة: ١٢.

(٢) الفتوح: ٣/١٧٤؛ المناقب لابن شهر آشوب: ٣/١٨٠ وفيه من «ألا إن خضاب...».

(٣) الأعراف: ٨٩.

ذي الكلاع الحميري^(١).

٦٥٢- في الأخبار الطوال: حمل عليٌّ بنفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم، فانصرف مخضباً بالدماء، فلم يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه، وجرح عليّ خمس جراحات، ثلاث في رأسه، واثنان في وجهه^(٢).

٦٥٣- في مروج الذهب: كانت ليلة الجمعة - وهي ليلة الهرير - فكان جملة من قتل عليّ بكفه في يومه وليلته خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلاً أكثرهم في اليوم، وذلك أنه كان إذا قتل رجلاً كبيراً إذا ضرب، ولم يكن يضرب إلا قتل. ذكر ذلك عنه من كان يليه في حربته ولا يفارقه من ولده وغيرهم^(٣).

٦٥٤- في الفتوح: قامت الفرسان في الركب، فاصطفقوا بالسيوف، وارتفع الرّهج وثار القتّام^(٤)، وتضعضت الرايات، وحطّت الألوية، وغابت الشمس، وذهبت مواقيت الصلاة، حتى ما كان في الفريقين أحد يُصلي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة، ولا كانت الصلاة إلا بالتكبير والإيماء نحو القبلة.

قال: وهجم عليهم الليل، واشتدّت الحرب، وهذه ليلة الهرير، فجعل بعضهم يهرّ على بعض، ويعتق بعضهم بعضاً، ويكرم بعضهم بعضاً^(٥).

قال: وجعل عليّ عليه السلام يقف ساعة بعد ساعة، ويرفع رأسه إلى السماء وهو يقول: «اللهم إليك نُقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، ومُدّت الأعناق، وطلّبت الحوائج، وشخصت الأبصار. اللهم «أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» ثمّ إنّه حمل في سواد الليل، وحملت الناس معه، فكلّموا قتل بيده رجلاً من أهل الشام كبيراً

(١) وقعة صفّين: ٣٦٣؛ شرح نهج البلاغة: ٤١ / ٨ وراجع الأخبار الطوال: ١٨٤.

(٢) الأخبار الطوال: ١٨٤ وراجع جواهر المطالب: ٦٤ / ٢.

(٣) مروج الذهب: ٣٩٩ / ٢ وراجع وقعة صفّين: ٤٧٧ والبداية والنهاية: ٢٦٤ / ٧ والمعيّار والموازنة: ١٥٠.

(٤) الرّهج والقتّام: العُبار (لسان العرب: ٢ / ٢٨٤ وج ١٣ / ٤٦١).

(٥) كذا في المصدر، ولعله مصحّف عن «يكرم». يقال: كرم الشيء الصُّلب؛ إذا عَضّه عَضّاً شديداً (لسان العرب: ١٢ / ٥١٨).

تكبيرة حتى أُحصي له كذا كذا تكبيرة.

قال أبو محمد (ابن أعثم): أُحصي له خمسمائة تكبيرة وثلاث وعشرون تكبيرة، في كل تكبيرة له قتيل.

قال: وكان إذا علا قَدٌّ، وإذا وسط قَطٌّ^(١)(٢).

٦٥٥- في تاريخ الطبري عن أبي مخنف: فاقتتل الناس تلك الليلة كلها حتى الصباح؛

وهي ليلة الهرير، حتى تقصفت الرماح، ونفذ النبل، وصار الناس إلى السيوف.

وأخذ عليّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة، ويأمر كل كتيبة من القراء أن تقدم

على التي تليها، فلم يزل يفعل ذلك بالناس، ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلها خلف

ظهره، والأشتر في ميمنة الناس، وابن عباس في الميسرة، وعليّ في القلب، والناس

يقتتلون من كل جانب، وذلك يوم الجمعة، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاقل فيها،

وكان قد تولّاها عشية الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى، وأخذ يقول

لأصحابه: ازحفوا قيّد^(٣) هذا الرمح، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام، فإذا فعلوا قال:

ازحفوا قَادَ هذا القوس، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام.

فلما رأى ذلك الأشتر قال: أعيدكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم، ثم دعا

بفرسه، وترك رايته مع حيان بن هوذة النخعي، وخرج يسير في الكتاب ويقول: من

يشترى نفسه من الله عزّ وجلّ ويقاقل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله! فلا يزال

رجل من الناس قد خرج إليه، وحيّان بن هوذة^(٤).

٦٥٦- في وقعة صفين عن زياد بن النضر الحارثي: شهدت مع عليّ بصفين، فاقتتلنا ثلاثة

(١) قَدٌّ: قطع طولاً وقَطٌّ: قطع عرضاً (النهاية: ٢١/٤).

(٢) الفتوح: ١٨٠/٣ وراجع شرح نهج البلاغة: ٢١٣/٢ ووقعة صفين: ٤٧٩ ونهج البلاغة: الكتاب

(٣) قيّد وقاد: أي قَدَّر، يقال بيني وبينه قيّد رُمح، وقاد رُمح: أي قَدَّر رُمح (النهاية: ١٢١/٤).

(٤) تاريخ الطبري: ٤٧/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٥/٢ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٢٧٢/٧

أيام وثلاث ليالٍ، حتى تكسرت الرماح، ونفدت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة؛ فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً.

وقد قاتلتُ لَيْلَتَيْهِ بِجَمِيعِ السِّلاحِ؛ فلم يبقَ شيءٌ من السلاحِ إلَّا قاتلتُ به، حتى تحاثينا بالتراب، وتكادمتنا بالأفواه، حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض، ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل.

فلَمَّا كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصفِّ، وغلب عليَّ عليه السلام على القتلى في تلك الليلة، وأقبل على أصحاب محمد عليه السلام وأصحابه فدفنهم، وقد قُتل كثير منهم، وقُتل من أصحاب معاوية أكثر ^(١).

٦٥٧- في الصراط المستقيم عن عمرو بن العاص -يوم الهرير-: لله ذرّ ابن أبي طالب! ما كان أكثره عند الحروب! ما آنتُ أن أسمع صوته في أوّل الناس إلّا وسمعته في آخرهم، ولا في الميمنة إلّا وسمعته في الميسرة ^(٢).

دعاء الإمام ليلة الهرير ويومه

٦٥٨- في مهج الدعوات عن ابن عباس: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام ليلة صفّين: أما ترى الأعداء قد أهدقوا بنا؟ فقال: وقد راعك هذا؟ قلت: نعم. فقال: اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أضام في سلطانك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفترق في غناك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أضيع في سلامتك، اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أغلب والأمر إليك ^(٣).

٦٥٩- في وقعة صفّين عن جابر بن عمير الأنصاري: والله لكأني أسمع عليّاً يوم الهرير حين سار أهل الشام وذلك بعدما طحنت رحي مذحج فيما بينهما وبين عك ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي من حين استقلت الشمس حتى

(١) وقعة صفّين: ٣٦٩؛ شرح نهج البلاغة: ٤٥/٨.

(٢) الصراط المستقيم: ٤/٢.

(٣) مهج الدعوات: ١٣٤، الأمان: ١٢٦، بحار الأنوار: ٢٤٢/٩٤ نقلاً عن كتاب دفع الهموم والأحزان.

قام قائم الظهيرة، ثم إن علياً قال: حتى متى نخلي بين هذين الحيين وقد فنيا وأنتم وقوف تنظرون إليهم؟ أما تخافون مقت الله؟

ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله، ثم نادى: يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله يا إله محمد، اللهم إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، وامتدت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوائج، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا ﷺ، وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١) سيروا على بركة الله، ثم نادى: لا إله إلا الله والله أكبر كلمة التقوى^(٢).

٦٦٠ - قال الإمام الصادق عليه السلام: دعا أمير المؤمنين عليه السلام يوم الهرير حين اشتد على أوليائه الأمر دعاء الكرب؛ من دعا به وهو في أمر قد كربه وغمه نجاه الله منه وهو: «اللهم لا تحبب إلي ما أبغضت، ولا تبغض إلي ما أحببت، اللهم إني أعوذ بك أن أَرْضَى سَخَطَكَ، أو أسخط رضاك، أو أَرُدَّ قضاءك، أو أعدو قولك، أو أناصح أعداءك، أو أعدو أمرك فيهم.

اللهم ما كان من عمل أو قول يقربني من رضوانك، ويباعدني من سخطك، فصبرني له، واحملي عليه يا أرحم الراحمين. اللهم إني أسألك لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، ويقيناً صادقاً، وإيماناً خالصاً وجسداً متواضعاً، وارزقني منك حباً، وادخل قلبي منك رعباً، اللهم فإن ترحمني فقد حسن ظني بك، وإن تعذبني فبظلمي وجوري وجرمي وإسرافي على نفسي؛ فلا عذر لي إن اعتذرت، ولا مكافأة أحاسب بها.

اللهم إذا حضرت الآجال، ونفدت الأيام؛ وكان لا بد من لقائك؛ فأوجب لي من الجنة منزلاً يغبطني به الأولون والآخرون، لا حسرة بعدها، ولا رفيق بعد رفيقها، في أكرمها منزلاً. اللهم ألبسني خشوع الإيمان بالعرز، قبل خشوع الذل في النار، أثنى عليك رب أحسن الثناء؛ لأنّ بلاءك عندي أحسن البلاء.

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٧، بحار الأنوار: ٣٢/٥٢٨/٤٤٥؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢١٠، يسابيع المودة:

اللهم فأزقني من عونك وتأيدك وتوفيقك ورفدك، وارزقني شوقاً إلى لقائك،
ونصراً في نصرك حتى أجد حلاوة ذلك في قلبي، وأعزم لي على أرشد أموري؛ فقد
ترى موقفى وموقف أصحابي، ولا يخفى عليك شيء من أمري. اللهم إنني أسألك
النصر الذي نصرت به رسولك، وفرقت به بين الحق والباطل، حتى أقمت به دينك،
وأفلجت به حجّتك، يا من هولي في كلّ مقام^(١).

(١) مهج الدعوات: ١٢٨ عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول، بحار الأنوار: ٢٣٧/٩٤ نقلاً عن
كتاب الدعاء لسعد بن عبد الله.

الحرب تضع أوزارها

٦٦١- في وقعة صفين عن عمّار بن ربيعة: إن علياً قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعثوكم ما قد رأيتم، ولم يبقَ منهم إلا آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غادٍ عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ.

فبلغ ذلك معاوية، فدعا عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو! إنّما هي الليلة حتى يغدو عليّ علينا بالفيصل، فما ترى؟

قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجالها، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره. أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم.

ولكن القى إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا؛ ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم؛ فإنك بالغ به حاجتك في القوم؛ فإنّي لم أزل أؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرّف ذلك معاوية، فقال: صدقت^(١).

٦٦٢- في وقعة صفين عن صعصعة: قام الأشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمد لله، أحمدته، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكّل عليه، وأستنصره، وأستغفره، وأستخيره، وأستهديه... قد رأيتم - يا معشر المسلمين - ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السنّ ما

(١) وقعة صفين: ٤٧٦؛ الإمامة والسياسة: ١/١٤٣، الأخبار الطوال: ١٨٨ كلاهما نحوه.

شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هذا اليوم قطّ.

ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إنّا إن نحن تواقفنا غداً إنّه لفناء العرب، وضيعة الحرّات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف، ولكنّي رجل مسنّ أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنيّا.

اللهم! إنك تعلم أنّي قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والرأي يخطئ ويصيب، وإذا قضى الله أمراً أمضاه على ما أحبّ العباد أو كرهوا، أقول قولِي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال: أصاب وربّ الكعبة! لئن نحن التقينا غداً لتميلنّ الروم على ذراريننا ونسائنا، ولتميلنّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وإنّما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي. اربطوا المصاحف على أطراف القنا.

قال صعصعة: فتار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق! من لذراريننا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقيّة^(١).

دعاء الإمام قبل رفع المصاحف

٦٦٣- في مهج الدعوات عن سعد بن عبد الله -قال: إنّ هذا الدعاء دعا به عليّ صلوات الله عليه قبل رفع المصاحف الشريفة، ثمّ قال ما معناه: إنّ إبليس صرخ صرخة سمعها بعض العسكر يُشير على معاوية وأصحابه برفع المصاحف الجليلة للحيلة، فأجابه الخوارج لمعاوية إلى شبهاته، فرفعوها فاختلف أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

اللهمّ إنني أسألك العافية من جهد البلاء، ومن شماتة الأعداء.

اللهمّ اغفر لي ذنبي، وزكّ عملي، واغسل خطاياي؛ فإنّي ضعيفٌ إلا ما قويّت، واقسم لي حتماً تسدّ به باب الجهل، وعلماً تُفرّج به الجهلات، ويقيناً تُذهب به الشكّ

(١) وقعة صفين: ٤٨٠؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢١٤.

عني، وفهماً تُخرجني به من الفتن المعضلات، ونوراً أمشي به في الناس، وأمتدي به في الظلمات.

اللهم اصلح لي سمعي وبصري وشعري وبشري وقلبي صلاحاً باقياً تُصلح بها ما بقي من جسدي، أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب.

اللهم إنني أسألك أي عمل كان أحب إليك وأقرب لديك، أن تستعملني فيه أبداً، ثم لفتني أشرف الأعمال عندك، وآتني فيه قوّة وصدقاً وجداً وعزماً منك ونشاطاً، ثم اجعلني أعمل ابتغاء وجهك، ومعاشة في ما آتيت صالح عبادك، ثم اجعلني لا أشتري به ثمناً قليلاً، ولا أبتغي به بدلاً، ولا تغيره في سرّاء ولا ضرّاء ولا كسلاً ولا نسياناً، ولا رياء، ولا سمعة، حتى تتوفاني عليه، وارزقني أشرف القتل في سبيلك، أنصرك وأنصر رسولك، أشتري الحياة الباقية بالدنيا، واغني بمرضاة من عندك...^(١).

التلاعب بالدين ورفع المصاحف

٦٦٤- في تاريخ الطبري عن أبي مخنف: لما رأى عمرو بن العاص أن أمر أهل العراق قد اشتدّ، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً، ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حَكَم بيننا وبينكم، فإن أبي بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: بلى ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت، قالوا: نُجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ ونُنبئ

(١) مهج الدعوات: ١٢٩، بحار الأنوار: ٢٣٨/٩٤.

إليه^(١).

٦٦٥- في تاريخ اليعقوبي: زحف أصحاب عليّ وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً، حتى لصقوا به، فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه.
فقال له عمرو بن العاص: إلى أين؟
قال: قد نزل ما ترى، فما عندك؟
قال: لم يبق إلا حيلة واحدة؛ أن ترفع المصاحف، فتدعوهم إلى ما فيها، فتستكفهم، وتكسر من حدّهم، وتفتّ في أعضادهم.
قال معاوية: فشأنك! فرفعوا المصاحف، ودعوهم إلى التحكّم بما فيها، وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله.

فقال عليّ: إنّها مكيدة، وليسوا بأصحاب قرآن.
فاعترض الأشعث بن قيس الكندي - وقد كان معاوية استماله، وكتب إليه ودعاه إلى نفسه - فقال: قد دعا القوم إلى الحقّ!
فقال عليّ عليه السلام: إنّهم إنّما كادوكم، وأرادوا صرفكم عنهم.
فقال الأشعث: والله، لئن لم تُجيبهم انصرفت عنك.
ومالت اليمانيّة مع الأشعث، فقال الأشعث: والله، لتجيبنّهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنك إليهم برمتك^(٢).

٦٦٦- في مروج الذهب - في ذكر ما جري يوم الهرير -: وكان الأشر في هذا اليوم - وهو يوم الجمعة - على ميمنة عليّ، وقد أشرف على الفتح، ونادت مشيخة أهل الشام: يا معشر العرب! الله الله في الحرمات والنساء والبنات.
وقال معاوية: هلمّ مخبّاتك يا ابن العاص؛ فقد هلكتنا، وتذكّر ولاية مصر، فقال

(١) تاريخ الطبري: ٤٨/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٦/٢، الإمامة والسياسة: ١٣٥/١، البداية والنهاية: ٢٧٣/٧ كلاهما نحره.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١٨٨/٢ وراجع أنساب الأشراف: ٩٨/٣ والعقد الفريد: ٣٤٠/٣ والفتوح:

عمرو: أيها الناس! من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه.

فكثُر في الجيش رفع المصاحف، وارتفعت الضجة، ونادوا: كتاب الله بيننا وبينكم؛ من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ ومن لجهاد الروم؟ ومن للترك؟ ومن للكفار؟

ورُفِع في عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف.

وفي ذلك يقول النجاشي بن الحارث:

فاصبح أهل الشام قد رفعوا القنا عليها كتاب الله خير قرآن

ونادوا علياً يا ابن عم محمد أما تتقي أن يهلك الثقلان

فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُتِيب إليه، وأحبّ القوم الموادعة، وقيل لعليّ: قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه، وكان أشدهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس^(١).

٦٦٧- في وقعة صفّين عن تميم بن حذيم: لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا، فإذا أشباه الرايات أمام صفّ أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدّوا ثلاثة أرماع جميعاً وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسه عشرة رهط. وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا علياً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ مُجَنَّبَةٍ^(٢) مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف.

قال أبو جعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المُعَمَّر حيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب! الله الله في نساكنكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

(١) مروج الذهب: ٢/ ٤٠٠ وراجع الفتوح: ٣/ ١٨١.

(٢) مُجَنَّبَةُ الجيش: هي التي تكون في الميمنة والميسرة (النهاية: ١/ ٣٠٣).

فقال عليّ: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنك أنت الحكم الحقّ المبين.

فاختلف أصحاب عليّ في الرأي، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحلّ لنا الحرب وقد دُعينا إلى حكم الكتاب^(١).

٦٦٨- في وقعة صفين عن صعصعة: أقبل عديّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين! إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحقّ؛ فإنه لم يُصَبْ عصابة منّا إلا وقد أُصيب مثلها منهم، وكلّ مقروح، ولكنّا أمثل بقيّة منهم، وقد جزع القوم، وليس بعد الجزع إلا ما تحبّ، فناجز القوم.

فقام الأشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين! إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثمّ قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين! إنّنا والله ما أُجبنّاك، ولا نصرناك عصبية على الباطل ولا أُجبنّا إلا الله عزّ وجلّ، ولا طلبنا إلا الحقّ، ولو دعانا غيرك إلى مادعوت إليه لاستشري فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى؛ وقد بلغ الحقّ مقطعه، وليس لنا معك رأي.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين! إنّنا لك اليوم على ما كنّا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوّله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منّي؛ فأجب القوم إلى كتاب الله؛ فإنّك أحقّ به منهم، وقد أحبّ الناس البقاء، وكرهوا القتال.

فقال عليّ عليه السلام: إنّ هذا أمر يُنظر فيه.

وذكروا أنّ أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية! ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما

(١) وقعة صفين: ٤٧٨، بحار الأنوار: ٣٢/٥٢٩ و ٤٤٦/٥٣٠ و ٤٤٧؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢١١،

ينابيع المودة: ١٢/٢ وراجع الأخبار الطوال: ١٨٨ - ١٩٠.

دعوناهم إليه، فأعدها جذعة؛ فإنك قد غمرت بدعائك القوم، وأطمعتهم فيك^(١).

الإمام وأصحاب الجباه السود

٦٦٩- في وقعة صفين عن صعصعة: دعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص، وأمره أن يُكلم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق! أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنها قد كانت بيننا وبينكم أمور للدين والدنيا، فإن تكن للدين فقد والله أعذرنا وأعذرتكم، وإن تكن للدنيا فقد والله أسرفنا وأسرفتم.

وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم؛ فإن يجمعنا وإياكم الرضى فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجة لعلَّه أن يعيش فيها المحترف، ويُنسى فيها القتل؛ فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل.

فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام! إنه قد كان بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا، سميتموها غدراً وسرفاً.

وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم، ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يُحكم بما أنزل الله، فالأمر في أيدينا دونكم، وإلا فنحن نحن، وأنتم أنتم.

وقام الناس إلى عليّ فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه؛ فإننا قد فُيننا... أكلتنا الحرب وقُتلت الرجال.

وقال قوم: نُقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. ولم يقل هذا إلا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة، وثارَت الجماعة بالموادعة.

فقام عليّ أمير المؤمنين فقال: إنه لم يزل أمري معكم على ما أحبب إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوكم فلم تترك، وإنها فيهم

(١) وقعة صفين: ٤٨٢؛ الإمامة والسياسة: ١/١٤٤ وفيه إلى «أحب الناس البقاء»، المعيار والموازنة:

١٧٣ كلاهما نحوه وراجع مروج الذهب: ٢/٤٠١ والأخبار الطوال: ١٩٠.

أنكى^(١) وأنهك.

ألا إنّي كنت أمس أمير المؤمنين، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أحببتكم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون^(٢).

٦٧٠ - في مروج الذهب - بعد ذكر رفع المصاحف - : فلما رأى كثير من أهل العراق ذلك، قالوا: نُجيب إلى كتاب الله ونُنيب إليه، وأحبّ القوم الموادعة وقيل لعليّ: قد أعطاك معاوية الحقّ، ودعاك إلى كتاب الله، فاقبل منه، وكان أشدّهم في ذلك اليوم الأشعث بن قيس، فقال عليّ:

أيّها الناس! إنّه لم يزل من أمركم ما أحبّ حتى قرحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وإنّي كنت بالأمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وقد أحببتكم البقاء^(٣).

٦٧١ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة - : أيّها الناس! إنّه لم يزل أمري معكم على ما أحبّ، حتى نهكتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوّكم أنهك، لقد كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً، وقد أحببتكم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون!^(٤)

٦٧٢ - في وقعة صفين عن عمر بن سعد: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال عليّ عليه السلام:

عباد الله! إنّي أحقّ من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي مُعَيْط، وحبیب بن مسلمة، وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال، وشرّ رجال.

(١) يُقال: نكيتُ في العدو: إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل، فوهنوا لذلك (النهاية: ٥/١١٧).

(٢) وقعة صفين: ٤٨٣؛ الإمامة والسياسة: ١/١٣٦ نحوه، شرح نهج البلاغة: ٢/٢٢٠.

(٣) مروج الذهب: ٢/٤٠٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٨، وقعة صفين: ٤٨٤، بحار الأنوار: ٣٣/٣٠٦/٥٥٦؛ المعيار والموازنة: ١٧٥، الإمامة والسياسة: ١/١٣٨.

إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل، إنهم والله ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة.

أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلا أن يُقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود! يتقدّمهم مسعر بن فدكي، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا عليّ! أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عقّان، فوالله لنفعلنّها إن لم تُجبهم.

فقال لهم: ويحكم! أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّي إنّما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن؛ فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله^(١).

الأشتر يتراجع قبل الفتح

٦٧٣ - في وقعة صفّين عن إبراهيم بن الأشتر: كنت عند عليّ حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك.

قال: فأرسل عليّ إلى الأشتر يزيد بن هانئ السبيعي أن اثنتي. فأتاه فبلّغه.

(١) وقعة صفّين: ٤٨٩، المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٣/٣ وفيه إلى «صحبتهم رجالاً»، بحار الأنوار:

٤٤٩/٥٣٢/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢١٦/٢ وراجع مروج الذهب: ٤٠١/٢ وتاريخ الطبري:

٤٨/٥ والكامل في التاريخ: ٣٨٦/٢ والبداية والنهاية: ٢٧٣/٧.

فقال: قل له: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تُزِلني فيها عن موقفي، إنني قد رجوت أن يفتح لي؛ فلا تعجلني.

فرجع يزيد بن هانئ إلى عليّ فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الرَّهَجُ، وعلت الأصوات من قبل الأشتَر، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل.

قال: من أين ينبغي أن تزوا ذلك! رأيتموني ساررتُه؟ أليس إنَّما كَلَّمته على رؤوسكم علانية، وأنتم تسمعونني!

قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلا والله اعتزلناك.

قال له: ويحك يا يزيد! قل له: أقبِل إليّ؛ فإنَّ الغتنة قد وقعت!

فأبلغه ذلك، فقال له: أرفع المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله، لقد ظننت حين رُفعت أنَّها ستوقع اختلافاً وفرقة، إنَّها مشورة ابن العاهرة، ألا ترى ما صنع الله لنا! أينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم!

وقال يزيد بن هانئ: فقلت له: أتحبُّ أنك ظفرت هاهنا، وأنَّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يُفرج عنه أو يُسلم؟

قال: لا والله، سبحان الله!

قال: فإنَّهم قد قالوا: لترسلنَّ إلى الأشتَر فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان.

فأقبل حتى انتهى إليهم فقال: يا أهل العراق! يا أهل الذلِّ والوهن! أحين علوتم القوم ظهراً، وظننوا أنكم لهم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها! وقد والله تركوا ما أمر الله عزَّ وجلَّ به فيها، وسُنَّة من أنزلت عليه صلى الله عليه وآله؟ فلا تُجيبوهم، أمهلوني عدوَّ الفرس؛ فإنِّي قد طمعت في النصر.

قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك، قال: فحدِّثوني عنكم؛ وقد قُتل أمانتكم، وبقي أراذلكم، متى كنتم محقِّين؟ أحين كنتم تقاتلون وخياركم يُقتلون! فأنتم الآن إذ أمسكنم عن القتال مبطلون، أم الآن أنتم محقِّون؟ فقتلاكم الذين لا تُنكرون فضلهم، فكانوا خيراً منكم، في النار إذا!

قالوا: دعنا منك يا أشتَر، قاتلناهم في الله عزَّ وجلَّ، وندعُ قتالهم لله سبحانه، إنَّا لسنا

مطيعيك ولا صاحبك، فاجتنبنا.

فقال: خُذْ عِثْمَ وَاللَّهِ فَانْخُذْ عِثْمَ، وَدُعَيْتُمْ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ فَأَجَبْتُمْ.

يا أصحاب الجباه السود! كنّا نظنّ صلواتكم زهّادة في الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله عزّ وجلّ، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدنيا من الموت. ألا قبحاً يا أشباه النّيب الجلالة^(١)! وما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون!

فسبّوه، فسبّهم، فضربوا وجه دابّته بسياطهم، وأقبل يضرب بسوطه وجوه دوابّهم، وصاح بهم عليّ فكفّوا^(٢).

٦٧٤ - في وقعة صقّين عن إبراهيم بن الأشتر - في بيان ماجرى بعد رفع المصاحف -:

قال الأشتر: يا أمير المؤمنين! احمل الصّفّ على الصّفّ يصرع القوم. فتصايحوا: إنّ عليّاً أمير المؤمنين قد قبل الحكومة، ورضي بحكم القرآن، ولم يسعه إلّا ذلك.

قال الأشتر: إنّ كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن، فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين.

فأقبل الناس يقولون: قد رضي أمير المؤمنين، قد قبل أمير المؤمنين، وهو ساكت، لا يبضّ بكلمة، مطرق إلى الأرض^(٣).

نجاه وفرح معاوية

٦٧٥ - في الفتوح: كان معاوية بعد ذلك [أي بعد ختام الحرب] يقول: والله، لقد رجع

عني الأثتر يوم رفع المصاحف، وأنا أريد أن أسأله أن يأخذ لي الأمان من عليّ. وقد هممت ذلك اليوم بالهرب، ولكن ذكرت قول عمرو بن الاطنابة حيث يقول:

(١) النّيب: جمع ناب: وهي الناقة المسنة، سمّوها بذلك حين طال نابها وعظم. والجلالة: التي تتبّع النجاسات (تاج العروس: ٤٥٨/٢ وج ١١٤/١٤).

(٢) تاريخ الطبري: ٤٩/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٦/٢ نحوه؛ وقعة صقّين: ٤٩٠ وراجع الأخبار الطوال: ١٩٠ والفتوح: ١٨٦/٣.

(٣) وقعة صقّين: ٤٩٢؛ الفتوح: ١٨٧/٣ نحوه.

أبت لي عفتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيع^(١)

٦٧٦ - في الفتوح: فغمد الناس أسيافهم، ووضعوا أسلحتهم، وعزموا على الحكم، فقال عمرو لمعاوية: كيف رأيت رأيي؟ لقد كنت غرقت في بحر العراق وأنقذتك. فقال معاوية: صدقت أبا عبد الله، ولمثلها كنت أرجوك^(٢).

٦٧٧ - في وقعة صفين عن إبراهيم بن الأستر: بعث معاوية أبا الأعور السلمي على برذون أبيض، فسار بين الصفين؛ صف أهل العراق وصف أهل الشام، والمصحف على رأسه وهو يقول: كتاب الله بيننا وبينكم. فأرسل معاوية إلى علي: إن الأمر قد طال بيننا وبينك، وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه، ولن يُعطي واحد منا الطاعة للآخر، وقد قُتل فيما بيننا بشر كثير، وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى، وإننا سوف نُسأل عن ذلك الموطن، ولا يُحاسب به غيري وغيرك، فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة، وصلاح للأمة، وحقن للدماء، وألفة للدين، وذهاب للضغائن والفتن؛ أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضيتان؛ أحدهما من أصحابي، والآخر من أصحابك؛ فيحكمان بما في كتاب الله بيننا؛ فإنه خير لي ولك، وأقطع لهذه الفتنة. فاتق الله فيما دُعيت له، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. والسلام^(٣).

قبول الإمام للتحكيم

٦٧٨ - في وقعة صفين عن إبراهيم بن الأستر - بعد ذكر كتاب معاوية للإمام عليه السلام -: فكتب

إليه علي بن أبي طالب:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

(١) الفتوح: ١٨٨/٣ وراجع عيون الأخبار لابن قتيبة: ١٢٦/١ وتاريخ الطبري: ٢٤/٥ والكمال في

التاريخ: ٣٧٦/٢ والبداية والنهاية: ٢٦٦/٧ و٢٨٣/٨ ووقعة صفين: ٤٠٤.

(٢) الفتوح: ١٩١/٣.

(٣) وقعة صفين: ٤٩٣، بحار الأنوار: ٥٣٧/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٢٥/٢ وفيه من «فأرسل

أما بعد؛ فإنَّ أفضل ما شغل به المرء نفسه اتِّباع ما يحسن به فعله، ويستوجب فضله، ويسلم من عيبه. وإنَّ البغي والزور يُزريان بالمرء في دينه ودنياه، ويُبديان من خلله عند من يُغنيه ما استرعاه الله ما لا يُغني عنه تدبيره.

فاحذر الدنيا؛ فإنَّه لا فرح في شيء وصلت إليه منها. ولقد علمت أنك غير مدرك ما قُضي فواته. وقد رام قومٌ أمراً بغير الحقِّ؛ فتألوا على الله تعالى، فأكذبهم ومتَّعهم قليلاً، ثمَّ اضطَرَّهم إلى عذاب غليظ. فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمدٍ عاقبة عمله، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده ولم يحأده، فغرَّته الدنيا واطمأنَّ إليها. ثمَّ إنَّك قد دعوتني إلى حكم القرآن؛ ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن، ولست حكمه تُريد، والله المستعان. وقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إِيَّاك أجبنا. ومن لم يرضَ بحكم [القرآن] ^(١) فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً ^(٢).

٦٧٩ - قال الإمام عليٌّ عليه السلام - من كتاب له إلى معاوية -: وإنَّ البغي والزور يوتغان ^(٣)

المرء في دينه ودنياه، ويُبديان خلله عند من يُعيبه. وقد علمتُ أنك غير مدرك ما قُضي فواته. وقد رام أقوامٌ أمراً بغير الحقِّ، فتألوا على الله فأكذبهم. فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمدٍ عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يُجاذبه. وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولسنا إِيَّاك أجبنا، ولكنَّا أجبنا القرآن في حكمه. والسلام ^(٤).

الإمام يؤنب أصحابه

٦٨٠ - في الإرشاد - من كلامه عليه السلام حين رجع أصحابه عن القتال بصقّين، لما اغترَّهم معاوية برفع المصاحف -: لقد فعلتم فعلة ضعفت من الإسلام قواه، وأسقطت

(١) ما بين المعقوفين ساقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار وشرح نهج البلاغة.

(٢) وقعة صقّين: ٤٩٣، بحار الأنوار: ٥٣٧/٣٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢٢٥/٢.

(٣) يُوتغه: يُهلكه (النهاية: ١٤٩/٥).

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٤٨، بحار الأنوار: ٥٨٨/٣٠٨/٣٣.

مُنْتَه^(١)، وأورثت وهناً وذلّة. لَمَّا كُنْتُمْ الْأَعْلَيْنِ، وخاف عدوّكم الاجتياح، واستحرّ بهم القتل، ووجدوا ألمّ الجراح؛ رفعوا المصاحف ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤوكم^(٢) عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويتربّص بكم ريب المنون خديعة ومكيدة. فما أنتم إن جامعتموهم على ما أحبّوا، وأعطيتموهم الذي سألوا إلا مغرورون. وأيم الله، ما أظنكم بعدها موافقي رشد، ولا مصيبي حزم^(٣).

٦٨١ - في وقعة صفّين : جاء عدّيّ بن حاتم يلتمس عليّاً، ما يظأ إلاًعلى إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أمير المؤمنين! ألا تقوم حتى نموت؟ فقال عليّ: ادنّه، فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه، فقال: ويحك! إنّ عامّة من معي يعصيني، وإنّ معاوية فيمن يُطيعه ولا يعصيه^(٤).

(١) المُنْتَه: القوّة (لسان العرب: ١٣/٤١٥).

(٢) فتأ الرجل: كسّر غضبه وسكّنه بقول أو غيره (لسان العرب: ١/١٢٠).

(٣) الإرشاد: ١/٢٦٨، بحار الأنوار: ٣٣/٥٠٩/٥٥٩؛ تاريخ الطبري: ٥/٥٦ عن جندب بن عبد الله،

الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٠، المعيار والموازنة: ٨٤ كلّها نحوه.

(٤) وقعة صفّين: ٣٧٩، بحار الأنوار: ٣٢/٥٠٣/٤٣٣؛ شرح نهج البلاغة: ٨/٧٧.

الخلاف في تعيين الحكَم

٦٨٢ - قال الإمام الباقر عليه السلام: لما أراد الناس علياً على أن يضع حكمين قال لهم عليّ: إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح للقرشي إلا مثله، فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه به؛ فإنّ عمراً لا يعقد عقدة إلا حلّها عبد الله، ولا يحلّ عقدة إلا عقدها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه، ولا ينقض أمراً إلا أبرمه.

فقال الأشعث: لا والله، لا يحكم فيها مضرّتان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر.

فقال عليّ: إنني أخاف أن يُخدع يمنيكم؛ فإنّ عمراً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى.

فقال الأشعث: والله، لأن يحكما ببعض ما نكره، وأحدهما من أهل اليمن، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما وهما مضرّتان^(١).

٦٨٣ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له في شأن الحكمين وذمّ أهل الشام -: جفافة طغام، وعبيد أقزام، جُمعوا من كلّ أوبٍ، وتلقطوا من كلّ شوبٍ، ممّن ينبغي أن يُفقهه ويُؤدّب، ويُعلّم ويُدرّب، ويُولّى عليه، ويُؤخذ على يديه. ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من الذين تبوّؤوا الدار والإيمان.

ألا وإنّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا يُحبّون^(٢)، وإنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون.

(١) وقعة صفين: ٥٠٠ عن جابر؛ الفتوح: ١٩٨/٤ نحوه.

(٢) في المصدر: «تحيّون»، والتصحيح من شرح نهج البلاغة (٣٠٩/١٣).

وإنما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: «إنها فتنة، فقطعوا أوتاركم، وشيموا سيوفكم». فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة.

فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس، وخذوا مهل الأيام، وحوطوا قواصي الإسلام. ألا ترون إلى بلادكم تغزى، وإلى صفاتكم تُرمى؟^(١)

٦٨٤ - في وقعة صفين: ذكروا أن ابن الكواء قام إلى عليّ فقال: هذا عبد الله بن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب مقاسم أبي بكر، وعامل عمر، وقد رضي به القوم. وعرضنا على القوم عبد الله بن عباس فزعموا: أنه قريب القرابة منك، ظنونٌ في أمرك^(٢).

٦٨٥ - في الأخبار الطوال: اجتمع قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام، فقعدوا بين الصقّين، ومعهم المصحف يتدارسون، فاجتمعوا على أن يُحكّموا حكمين، وانصرفوا.

فقال أهل الشام: قد رضينا بعمرو.

وقال الأشعث ومن كان معه من قرّاء أهل العراق: قد رضينا نحن بأبي موسى. فقال لهم عليّ: لست أثق برأي أبي موسى، ولا بحزمه، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس.

قالوا: والله، ما نفرّق بينك وبين ابن عباس، وكأنك تريد أن تكون أنت الحاكم، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر.

قال عليّ عليه السلام: فلم ترضون لأهل الشام بابن العاص، وليس كذلك؟

قالوا: أولئك أعلم، إنّما علينا أنفسنا.

قال: فإنّي أجعل ذلك إلى الأشر.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٨، بحار الأنوار: ٣٢/٣٢٣/٥٦٩.

(٢) وقعة صفين: ٥٠٢؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢٣١.

قال الأشعث: وهل سَعَر هذه الحرب إلا الأَشتر؟ وهل نحن إلا في حكم الأَشتر؟
قال عليّ: وما حكمه؟

قال: يضرب بعض وجوه بعض حتى يكون ما يريد الله.

قال: فقد أبيتم إلا أن تجعلوا أبا موسى؟!

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أحببتم^(١).

٦٨٦ - في تاريخ الطبري عن أبي مخنف: جاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له: ما أرى

الناس إلا قد رضوا، وسرّهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن
شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، فنظرت ما يسأل.

قال: ائته إن شئت فسله.

فأتاه فقال: يا معاوية! لأيّ شيء رفعت هذه المصاحف؟

قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به في كتابه، تبعثون منكم رجلاً

ترضون به، ونبعث منّا رجلاً، ثمّ نأخذ عليهما أن يعملوا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثمّ
نتبع ما اتّفقا عليه.

فقال له الأشعث بن قيس: هذا الحقّ. فانصرف إلى عليّ فأخبره بالذي قال معاوية.

فقال الناس: فإنّا قد رضينا وقبلنا.

فقال أهل الشام: فإنّا قد اخترنا عمرو بن العاص.

فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارج بعد: فإنّا قد رضينا بأبي موسى

الأشعري.

قال عليّ: فإنكم قد عصيتموني في أوّل الأمر، فلا تعصوني الآن، إنّي لا أرى أن

أولّي أبا موسى.

فقال الأشعث، وزيد بن حُصين الطائي، ومسعر بن فدكي: لا نرضى إلا به، فإنّه ما

(١) الأخبار الطوال: ١٩٢ وراجع مروج الذهب: ٤٠١/٢.

كان يحذرننا منه وقعننا فيه.

قال عليّ: فإنّه ليس لي بثقة، قد فارقتني، وخذل الناس عني، ثم هرب منّي حتى أمنتّه بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوّيه ذلك.

قالوا: ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر.

فقال عليّ: فإنّي أجعل الأشتري.

قال أبو مخنف:... إنّ الأشعث قال: وهل سعّر الأرض غير الأشتري؟!...

وهل نحن إلا في حكم الأشتري؟!

قال عليّ: وما حكمه؟

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد.

قال: فقد أبيتم إلا بأباموسى؟!

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما أردتم.

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال، وهو بعرض^(١)، فأتاه موسى له، فقال:

إنّ الناس قد اصطلحوا.

فقال: الحمد لله ربّ العالمين!

قال: قد جعلوك حكماً.

قال: إنّ الله وإنا إليه راجعون!

وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتري حتى أتى عليّاً فقال:

ألزني بعمر بن العاص، فوالله الذي لا إله إلا هو، لئن ملأت عيني منه لأقتلته.

وجاء الأحنف فقال:

يا أمير المؤمنين! إنّك قد رُميت بحجر الأرض، وبمن حارب الله ورسوله أنف

(١) عُرْض: بليدة في برية الشام تدخل في أعمال حلب (معجم البلدان: ٤ / ١٠٣).

الإسلام، وإني قد عجمت^(١) هذا الرجل، وحببت أشطره، فوجدته كليل الشفرة، قريب القعر، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم. فإن أبيت أن تجعلني حكماً، فاجعني ثانياً أو ثالثاً، فإنه لن يعقد عقدة إلا حلتها، ولن يحل عقدة أعدها إلا عقدت لك أخرى أحكم منها. فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب^(٢).

وثيقة التحكيم

٦٨٧ - في الأمالي للطوسي عن جندب: لما وقع الاتفاق على كتب القضية بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين معاوية بن أبي سفيان، حضر عمرو بن العاص في رجال من أهل الشام وعبدالله بن عباس في رجال من أهل العراق. فقال أمير المؤمنين عليه السلام للكاتب: اكتب: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال عمرو بن العاص: اكتب اسمه واسم أبيه ولا تسمه بإمرة المؤمنين، فإنه هو أمير هؤلاء وليس بأميرنا. فقال الأحنف بن قيس: لا تمح هذا الاسم فإنني أتخوف إن محوته لا يرجع إليك أبداً. فامتنع أمير المؤمنين عليه السلام من محوه، فتراجع الخطاب فيه ملياً من النهار، فقال الأشعث بن قيس: امح هذا الاسم ترحه الله. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر! سنة بسنة ومثل بمثل، والله، إنني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحديبية وقد أملى علي: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهل بن عمر، فقال له سهل: امح رسول الله فإننا لا نقرّ لك بذلك، ولا نشهد لك به، اكتب اسمك واسم أبيك، فامتنعت من محوه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) يُقال: عَجَمْتُ الرَّجُلَ: إِذَا خَبَرْتَهُ (لسان العرب: ١٢/٣٩٠).

(٢) تاريخ الطبري: ٥١/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٧/٢، الفتوح: ١٩٣/٣ - ١٩٩؛ وقعة صفين:

امحه يا عليّ! وستُدعى إلى مثلها فتجيب، وأنت على مضض.

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! ومثل هذا يُشبهه بذلك ونحن مؤمنون، وأولئك كانوا كفّاراً!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن النابغة! ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمسلمين عدوّاً، وهل تشبه إلا أمك التي دفعت بك؟

فقال عمرو: لا جرم، لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله، إنّي لأرجو أن يُطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك، ثمّ كتب الكتاب وانصرف الناس^(١).

٦٨٨ - في تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه - في ذكر ما احتوت عليه

وثيقة التحكيم -: وثيقة التحكيم هي ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى عليّ على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين، إنّا ننزل عند حكم الله عزّ وجلّ وكتابه، ولا يجمع بيننا غيره، وإنّ كتاب الله عزّ وجلّ بيننا من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحياء، ونميت ما أمات.

فما وجد الحكمان في كتاب الله عزّ وجلّ - وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وعمرو بن العاص القرشي - عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المقرّقة.

وأخذ الحكمان من عليّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق، والثقة من الناس، أنّهما آمنان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان

(١) الأماشي للطوسي: ٣١٥/١٨٧، وقعة صفين: ٥٠٨؛ تاريخ الطبري: ٥٢/٥، الكامل في التاريخ:

٢/٣٨٨ كلّها نحوه وراجع الإمامة والسياسة: ١/١٥١ والأخبار الطوال: ١٩٤ والفتوح: ٢٠١/٤.

عليه.

وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه أنا على ما في هذه الصحيفة، وأن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين، فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وشاهدتهم وغائبهم. وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة، ولا يرذّاهما في حرب ولا فرقة حتى يُعصيا، وأجلّ القضاء إلى رمضان. وإن أحبّ أن يؤخّر ذلك أخراه على تراضٍ منهما، وإن توفّي أحد الحكمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه، ولا يألو من أهل المعدلة والقسط.

وإنّ مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكانٌ عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشام، وإن رضيا وأحبّ فلا يحضرهما فيه إلّا من أرادا، ويأخذ الحكمان من أرادا من الشهود، ثمّ يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة، وأراد فيه إلحاداً وظلماً.

اللهم! إنّنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة^(١).

٦٨٩- في شرح نهج البلاغة عن أبي إسحاق الشيباني: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم عليّ عليه السلام «محمد رسول الله» وعلي خاتم معاوية «محمد رسول الله» وقيل لعليّ عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال عليّ عليه السلام: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه، ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه^(٢).

٦٩٠- في تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج الكندي - في وثيقة التحكيم -: كان الكتاب

(١) تاريخ الطبري: ٥٣/٥، الأخبار الطوال: ١٩٤، الكامل في التاريخ: ٣٨٨/٢، الإمامة والسياسة:

١٥٢/١، الفتوح: ٤/٢٠٤؛ وقعة صفين: ٥١٠ و ص ٥٠٤، شرح الأخبار: ٢/١٣٥ كلّها نحوه.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٣٣، ينابيع المودة: ١٩/٢؛ وقعة صفين: ٥٠٩.

في صفر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر، إلى أن يلتقي الحكمان.

ثم إنَّ الناس دفنوا قتلاهم، وأمر عليّ الأعرور فنأدى في الناس بالرحيل^(١).

٦٩١- في تاريخ الطبري عن أبي جعفر: كتب كتاب القضية بين عليّ ومعاوية يوم

الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة على أن يوافي عليّ ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان^(٢).

رفض الأشر للوثيقة

٦٩٢- في تاريخ الطبري عن عُمارة بن ربيعة الجرمي: لما كتبت الصحيفة دعي لها

الأشتر فقال: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خُط لي في هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادة، أو لستُ على بينة من ربّي ومن ضلال عدوي؟ أو لستم قد رأيتم الظفر لو لم تُجمعوا على الجور؟

فقال له الأشعث بن قيس: إنك والله، ما رأيت ظفراً ولا جوراً، هلمّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنا.

فقال: بلى والله، لرغبة بي عنك في الدنيا للدنيا والآخرة للآخرة، ولقد سفك الله عزّ وجلّ بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي خير منهم ولا أحرم دماً.

قال عمارة: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحمم - يعني الأشعث-^(٣).

٦٩٣- في تاريخ الطبري عن فضيل بن خديج الكندي: قيل لعليّ بعدما كتبت الصحيفة:

إنَّ الأشر لا يُقرّ بما في الصحيفة، ولا يرى إلّا قتال القوم.

قال عليّ: وأنا والله، ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضوا، فإذا أبيتم إلّا أن ترضوا فقد

(١) تاريخ الطبري: ٥٩/٥، أنساب الأشراف: ١١١/٣ وفيه إلى «قتلاهم».

(٢) تاريخ الطبري: ٥٦/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٩/٢، البداية والنهاية: ٢٧٧/٧ وراجع وقعة صفين: ٥٠٧ و ص ٥١١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٤/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٩/٢؛ وقعة صفين: ٥١١ نحوه.

رضيتُ، فإذا رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يُعصى الله عزَّ وجلَّ ويُتعدى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله عزَّ وجلَّ.

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك، ولست أخافه على ذلك، ياليت فيكم مثله اثنين! ياليت فيكم مثله واحداً! يرى في عدوي ما أرى؛ إذا لخفت عليّ مؤونتكم ورجوتُ أن يستقيم لي بعض أودكم، وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

وهل أنا إلا من غزوة إن غوت غويت وإن ترشد غزوة أرشد^(١)

اختلاف أصحاب الإمام

٦٩٤- في تاريخ الطبري عن أبي جناب: خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس، ويعرضه عليهم فيقرؤونه حتى مرَّ به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن أدية وهو أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة بن أدية: تُحكمون في أمر الله عزَّ وجلَّ الرجال؟! لا حكم إلا لله، ثمَّ شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة واندفعت الدابة، وصاح به أصحابه أن أملك يدك فرجع، فغضب للأشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن فمشى الأحنف بن قيس السعدي ومعقل بن قيس الرياحي ومسعر بن فدكي وناس كثير من بني تميم فتنصلوا^(٢) إليه واعتذروا فقبل وصفح^(٣).

٦٩٥- في الكامل للمبرِّد عن أبي العباس: أما أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية، وذلك أنه أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنيئة يا أشعث؟ وما هذا التحكيم؟ أشرط أوثق من شرط الله عزَّ وجلَّ؟! ثمَّ شهر عليه السيف والأشعث

(١) تاريخ الطبري: ٥٩/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٩/٢؛ الإرشاد: ٢٦٩/١ وفيه من «والله...»، وقعة صفين: ٥٢١ كلاهما نحوه.

(٢) تنصل إليه من الجناية: خرج وتبرأ (لسان العرب: ١١/٦٦٤).

(٣) تاريخ الطبري: ٥٥/٥، الكامل في التاريخ: ٣٨٩/٢؛ وقعة صفين: ٥١٣ نحوه وراجع الأخبار الطوال: ١٩٧.

مولّ، فضرب به عجز البغلة، فشبتّ البغلة فنفرت اليمانية، وكانوا جُلّ أصحاب عليّ صلوات الله عليه.

فلمّا رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة، ومسعود بن فدكي بن أعبد، وشبث بن ربعي الرياحي إلى الأشعث، فسألوه الصّفح، ففعل^(١).

٦٩٦- في مروج الذهب: لمّا وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً، وأقبل بعضهم يتبرّأ من بعض: يتبرّأ الأخ من أخيه، والابن من أبيه، وأمر عليّ بالرحيل، لعلمه باختلاف الكلمة، وتفاوت الرأي، وعدم النظام لأُمورهم، وما لحقه من الخلاف منهم، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف، وتسابّوا، ولا م كلّ فريق منهم الآخر في رأيه.

وسار عليّ يؤمّ الكوفة، ولحق معاوية بدمشق من أرض الشام وفرّق عساكره، فلحق كلّ جند منهم ببلده^(٢).

(١) الكامل للمبرّد: ١٠٩٨/٣ وراجع البداية والنهاية: ٢٧٨/٧.

(٢) مروج الذهب: ٤٠٥/٢.

الرجوع من صفين وخطبة الإمام

٦٩٧- في نهج البلاغة - من خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين -: أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزّته، واستعصاماً من معصيته. وأستعينه فاقّةً إلى كفايته؛ إنّه لا يضلّ من هداه، ولا يئيلّ من عاداه، ولا يفتقر من كفاه؛ فإنّه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مُمتحناً لإخلاصها، معتقداً مُصاضها، نتمسك بها أبداً ما أبقانا. ونذخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنّها عزيمة الإيمان، وفاتحة الاحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان. وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبيّنات. وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثّلات، والناس في فتنٍ انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سوارى اليقين، واختلف النَّجْرُ^(١) وتشتت الأمر، وضاق المخرج وعمى المصدر، فالهدى خامل والعمى شامل. عُصي الرحمن، ونصر الشيطان، وخذل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شركه. أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه في فتنٍ داستهم بأخفافها^(٢)، ووطنتهم بأظلافها^(٣)، وقامت على سنانكها^(٤)، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشرّ جيران. نومهم سهود وكُحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم وجاهلها

(١) النَّجْرُ: الطَّبْع، والأصل، والسَّوْقُ الشديد (النهاية: ٢١/٥).

(٢) الحُفّ: واحد أخفاف البعير، وهو كالقدم للإنسان (لسان العرب: ٨١/٩).

(٣) الظِّلْفُ والظِّلْفُ: ظَفْرُ كُلِّ ما اجترَّ وهو ظِلْفُ البقرة والشاة والظبي وما أشبهها، والجمع أظلاف

(لسان العرب: ٢٢٩/٩).

(٤) السُّنْبُكُ: طرف الحافر وجانبه من قُدَم، وجمعه سَنابِكُ (لسان العرب: ٤٤٤/١).

مكرم.

[قال الشريف الرضي:] ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام: هم موضع سرّه، وَلَجاً أمره، وعيبة^(١) علمه، وموئل^(٢) حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام إنحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائضه.

[قال شريف الرضي:] ومنها يعني قوماً آخرين: زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور^(٣). لا يقاس بآل محمد عليه السلام من هذه الأمة أحدٌ، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، ونقل إلى منتقله^(٤).

الإمام يرسل لابنه الحسن عليهما السلام

٦٩٨ - قال الإمام الباقر عليه السلام: لما أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين كتب إلى ابنه

الحسن عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوالد الفاني، المقرّر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر. الذامّ للدنيا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن عنها غداً.

إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة

(١) العيبة: وعاء من آدم يكون فيها المتاع، والجمع عيبابٌ وعيببٌ. وعيبة الرجل: موضع سرّه (لسان العرب: ١/٦٣٤).

(٢) الموئل: الموضع الذي يستقرّ فيه السيل (لسان العرب: ١/٧١٦).

(٣) الثبور: الهلاك (النهاية: ١/٢٠٦).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٢، بحار الأنوار: ١٨/٢١٧/٤٩؛ مطالب السؤل: ٥٨ وفيه إلى «وجاهلها

مكرم».

الأيام، وزميمة المصائب، وعبد الدنيا، وتاجر الغرور، وغريم المنايا، وأسير الموت، وحليف الهموم، وقرين الأحزان، ونُصب الآفات، وصريع الشهوات، وخليفة الأموات. أما بعد، فإنّ فيما تبينتُ من إِدبار الدنيا عني، وجموح الدهر عليّ، وإقبال الآخرة إليّ، ما يزعني^(١) عن ذكر من سواي، والاهتمام بما ورائي، غير أنّي حيثُ تفرّد بي دون هموم الناس همُّ نفسي، فصدفني رأبي، وصرفني عن هواي، وصرّح لي محضُ أمري، فأفضى بي إلى جدِّ لا يكون فيه لعبٌ، وصدقٍ لا يشوبه كذبٌ. ووجدتك بعضي، بل وجدتكَ كلّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي، فكتبت إليك مستظهراً به إن أنا بقيتُ لك أو فنيتُ. فإنّي أوصيك بتقوى الله - أي بُني - ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله. وأيُّ سببٍ أو ثق من سببٍ بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟!!

أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلكهُ بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر وفحش تقلّب الليالي والأيام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين، وسرّ في ديارهم وآثارهم، فانظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا! فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة، وحلّوا ديار الغربية، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تُكلّف. وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإنّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال. وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وبابن من فعله بجهدك. وجاهد في الله حقّ جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم. وخُصّ الفمّرات للحقّ حيث كان، وتفقه في الدين، وعود نفسك التصبّر على المكروه ونعم الخلق التصبّر! وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إلهك، فإنّك تلجئها إلى كهف حريزٍ، ومانع عزيزٍ. وأخلص في المسألة لربّك، فإنّ بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهم

(١) وَزَعَهُ يَزْعُهُ وَزَعًا: إِذَا كَفَّهُ وَمَنَعَهُ (النهاية: ٥/ ١٨٠).

وصيَّتي، ولا تذهبنَّ عنها صفحاً، فإنَّ خير القول ما نفع. واعلم أنَّه لا خير في علمٍ لا يُنفع، ولا ينتفع بعلمٍ لا يحقَّ تعلُّمه.

أي بُنيَّ، إنِّي لمَّا رأيتني قد بلغت سنّاً، ورأيتني أزداد وهناً، بادرتُ بوصيَّتي إليك، وأوردتُ خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي، وأن أنقص في رأيي كما نُقصتُ في جسمي، أو يسبقني إليك بعض غلَبات الهوى وفِتن الدنيا، فتكون كالصَّعب النفور. وإنَّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيءٍ قبلته. فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك؛ لتستقبل بجدِّ رأيك من الأمر ما قد كفأك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كُفيت مؤونة الطالب، وعوفيت من علاج التجربة، فأتاك من ذلك ما قد كنتا نأتيه، واستبان لك ما ربُّما أظلم علينا منه.

أي بُنيَّ، إنِّي وإن لم أكن عُمّرتُ عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرتُ في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عُدتُ كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليَّ من أمورهم قد عُمّرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلِّ أمر نخيله^(١) وتوخَّيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر، ذونيّة سليمةٍ ونفسٍ صافيةٍ، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا أُجاوز ذلك بك إلى غيره. ثمَّ أشفقتُ أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم مثل الذي التبس عليهم، فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحبَّ إليَّ من إسلامك إلى أمرٍ لا آمن عليك به الهلكة، ورجوت أن يوفِّقك الله فيه لرشدك، وأن يهديك لقصدك، فعهدت إليك وصيَّتي هذه.

واعلم يا بُنيَّ، أنَّ أحبَّ ما أنت آخذٌ به إليَّ من وصيَّتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك، والأخذ بما مضى عليه الأوَّلون من آبائك، والصالحون من أهل بيتك،

(١) نَحَلَّ الشَّيْءُ يَنْحَلُّهُ نُحْلًا: صَغَاةً وَاخْتَارَهُ (لسان العرب: ١١/٦٥١).

فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظرٌ، وفكروا كما أنت مفكّرٌ، ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عمّا لم يكلفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهّم وتعلّم، لا بتورّط الشبهات وغلوّ الخصومات. وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك والرهبة إليه في توفيقك، وترك كلّ شائبة أولجتك في شبهة، أو أسلمتك إلى ضلالة. فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتمّ رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك همّاً واحداً فانظر فيما فسرتُ لك، وإن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك، وفراغ نظرك وفكرك، فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء^(١)، وتورّط الظلماء. وليس طالب الدين من خبط أو خلط، والإمساك عن ذلك أمثل.

فتفهّم يا بُنَيَّ وصيَّتي، واعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت، وأنّ المقني هو المعيد، وأنّ المبتي هو المعافي، وأنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد أو ما شاء ممّا لا نعلم، فإن أشكل عليك شيءٌ من ذلك فاحمله على جهالتك به، فإنك أوّل ما خلقت خلقت جاهلاً ثمّ علمت. وما أكثر ما تجهل من الأمر ويتحير فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك! ثمّ تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبدك وإليه رغبتك ومنه شفقتك.

واعلم يا بُنَيَّ أنّ أحداً لم يُنبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول ﷺ فارض به رائداً، وإلى النجاة قائداً، فإنّي لم ألك نصيحة. وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك - وإن اجتهدت - مبلغ نظري لك.

واعلم يا بُنَيَّ أنّه لو كان لربك شريك لأنتك رسله، ولرايت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إلهٌ واحدٌ كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحدٌ، ولا يزول أبداً ولم يزل. أوّل قبل الأشياء بلا أوليّة، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية. عظم عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر. فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله

(١) عَشَا عن الشيء: ضعّف بصره عنه. وخَبَطَهُ خَبَطَ عَشْوَاء: لم يتعمّده (لسان العرب: ١٥/٥٧).

في صغر خطرده، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه؛ وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته، والرهبة من عقوبته، والشفقة من سُخطه؛ فإنه لم يأمرك إلا بحسنٍ، ولم ينهك إلا عن قبيحٍ.

يا بُنَيَّ، إنِّي قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أُعدّ لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال؛ لتعتبر بها وتحذو عليها. إنَّما مثل من خبر الدنيا كمثل قومٍ سافرٍ نبا بهم منزلٌ جديبٌ، فأمّوا منزلاً خصبياً وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم؛ ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيءٍ من ذلك ألماً، ولا يرون نفقةً مغرماً، ولا شيء أحبَّ إليهم ممّا قرّبهم من منزلهم، وأدناهم من محلّهم.

ومثلٌ من اغترّب بها كمثل قومٍ كانوا بمنزلٍ خصبٍ فنبا بهم إلى منزلٍ جديبٍ، فليس شيءٌ أكره إليهم ولا أفضع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه.

يا بُنَيَّ، اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تُحبّ لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تُحبّ أن تُظلم، وأحسن كما تُحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاهُ لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم، ولا تقل ما لا تُحبّ أن يقال لك.

واعلم أنّ الإعجاب ضدّ الصواب، وآفة الألباب. فاسع في كدحك، ولا تكن خازناً لغيرك. وإذا أنت هُديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربّك.

واعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقةٍ شديدةٍ، وأنّه لا غنى لك فيه عن حُسن الارتياح. قدّر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر، فلا تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقل ذلك وبالاً عليك. وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافقك به غداً حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادرٌ عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده. واغتنم من استقرضك في حال غناك؛ ليجعل قضاءه لك في يوم عُسرتك.

واعلم أنّ أمامك عقبةً كؤوداً^(١)، المُخَفَّفُ فيها أحسنُ حالاً من المتقل، والمبِطُّ عليها أقبح حالاً من المسرع، وأنَّ مهبطك بها لا محالة على جنةٍ أو على نار. فارتد لنفسك قبل نزلك ووطئ المنزل قبل حلولك، فليس بعد الموت مُستعتبٌ، ولا إلى الدنيا منصرفٌ.

واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة، ولم يعاقلك بالنقمة، ولم يعيرك بالإنابة، ولم يفضحك حيث الفضيحة بك أولى، ولم يُشدّد عليك في قبول الإنابة، ولم يُناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة. بل جعل نزوعك عن الذنب حسنةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ واحداً، وَحَسَبَ حَسَنَتِكَ عشراً، وفتح لك باب المتاب. فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبنتته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفتته كربوك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وسعة الأرزاق. ثمَّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته، واستمطرت شأبيب^(٢) رحمته. فلا يُقنطنك إبطاء إجابته، فإنَّ العطيّة على قدر النية. وربما أُخّرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل. وربما سألت الشيء فلا تُؤتاه وأوتيت خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، أو صُرف عنك لما هو خيرٌ لك. فلربَّ أمرٍ قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته. فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ويُنفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له.

واعلم أنّك إنّما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللغناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في

(١) العقبّة الكؤود: أي الشاقة (النهاية: ٤/ ١٣٧).

(٢) شأبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر وغيره (النهاية: ٢/ ٤٣٦).

منزل قلعة^(١) ودار بلغة^(٢) وطريق إلى الآخرة، وأنتك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا بد أنه مدركه، فكن منه على حذرٍ أن يدركك وأنت على حال سيئة، قد كنت تُحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك، فإذا أنت قد أهكت نفسك.

يا بُني، أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتُفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک، وشدت له أزرک، ولا يأتيك بغتةً فيبهرك. وإياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكال بهم عليها، فقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساويها، فإنما أهلها كلابٌ عاويةٌ، وسباعٌ ضاريةٌ، يهرّ بعضها بعضاً، ويأكل عزيزها ذليلها، ويقهر كبيرها صغيرها. نعمٌ مُعقّلةٌ، وأخرى مهملةٌ، قد أضلت عقولها وركبت مجهولها. سروحٌ عاهةٌ بوادٍ وعث^(٣)، ليس لها راعٍ يُقيمها، ولا يُسيمها. سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في نعمتها، واتخذوها رباً، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها. رويداً يُسفر الظلام، كأن قد وردت الأظعان، يوشك من أسرع أن يلحق! واعلم أنّ من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً.

واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك ولن تعدو أجلك، وأنتك في سبيل من كان قبلك. فحَقِّض في الطلب، وأجمل في المكتسب فإنه رُبّ طلبٍ قد جرّ إلى حرب، فليس كلّ طالبٍ بمرزوق، ولا كلّ مُجملٍ بمحروم. وأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً. ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً. وما خير خيرٍ لا يُنال إلا بشراً، ويسرٍ لا يُنال إلا بعسرٍ.

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع، فتوردك مناهل الهلكة. وإن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمةٍ فافعل، فإنك مدرک قسمك وآخذُ سهمك. وإنّ اليسير من الله

(١) قلعة: أي تحوّل وارتحال (النهاية: ١٠٢/٤).

(٢) بلغة: كفاية (لسان العرب: ٤١٩/٨).

(٣) الوعث: وهو الرُمْل، والمشى فيه يشند على صاحبه ويشق (النهاية: ٢٠٦/٥).

سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلُّ منه.

وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقتك، وحفظ ما في الوعاء بشدِّ الوكاء^(١)، وحفظ ما في يديك أحبَّ إليَّ من طلب ما في يد غيرك. ومرارة اليأس خيرٌ من الطلب إلى الناس. والحرفة مع العفة خيرٌ من الغنى مع الفجور. والمرء أحفظ لسرِّه. ورُبَّ ساعٍ فيما يضرُّه! مَنْ أكثرَ أهجر. ومن تفكَّرَ أبصر. قارن أهل الخير تكن منهم. وباين أهل الشرِّ تبين عنهم. بئس الطعام الحرام! وظلم الضعيف أفحش الظلم! إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً. ربّما كان الدواء داءً. وربّما نصح غير الناصح، وغشَّ المستنصح. وإياك واتكالك على المني فإنها بضائع الموتى، والعقل حفظُ التجارب. وخير ما جرّبت ما وعظك. بادر الفرصة قبل أن تكون غصّةً. ليس كلُّ طالب يُصيب، ولا كلُّ غائب يؤوب. ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد. ولكلِّ أمرٍ عاقبةٌ. سوف يأتيك ما قُدِّر لك. التاجر مخاطرٌ. ورُبَّ يسيرٍ أنمى من كثيرٍ! لا خير في مُعينٍ مهينٍ ولا في صديقٍ ظنينٍ. ساهل الدهر ما نلَّ لك قعوده. ولا تخاطر بشيٍ رجاء أكثر منه. وإياك أن تجمع بك مطيئة اللجاج. احمل نفسك من أخيك عند صرمة^(٢) على الصلّة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدّته على اللين، وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبدٌ وكأنه ذونعمةٍ عليك. وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله. لاتخذنَّ عدوّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك. وامحض أخاك النصيحة حسنةً كانت أو قبيحةً. وتجرّع الغيظ^(٣) فإنّي لم أر جرعةً أحلى منها عاقبةً ولا أذّ مغبّةً! ولمن غالظك فإنّه يوشك أن يلين لك. وخذ على عدوك بالفضل فإنّه أحلى الظفرين. وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيّةً ترجع إليها إن بدا له ذلك يوماً ما. ومن ظنَّ بك خيراً فصدّق ظنّه. ولا تُضيعنَّ حقَّ أخيك اتكلاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من

(١) الوكاء: الخيط الذي تُشدُّ به الصُّرة والكيس وغيرها (النهاية: ٥/٢٢٢).

(٢) الصرمة: القطع البائن، والهجران (لسان العرب: ١٢/٣٢٤).

(٣) الغيظ: الغضب، وقيل: هو أشدُّ من الغضب (لسان العرب: ٧/٤٥٠).

أضعت حقّه. ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك. ولا ترغبنّ فيمن زهد فيك. ولا يكوننّ أخرك أقوى على قطيعتك منك على صلته. ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان. ولا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فإنّه يسعى في مضرّته ونفعك. وليس جزاء من سرّك أن تسوءه.

واعلم يا بُنّي، أنّ الرزق رزقان: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك فإن أنت لم تأته أتك. ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى! إنّ لك من دنياك ما أصلحت به مثواك. وإن جزعت على ما تفلّت من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك. استدلّ على ما لم يكن بما قد كان، فإنّ الأمور أشباهة. ولا تكوننّ ممّن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإنّ العاقل يتعظ بالآداب والبهايم لا تتعظ إلا بالضرب. اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين. من ترك القصد جار. والصاحب مناسب. والصديق من صدق غيبه. والهوى شريك العناء. ربّ قريب أبعد من بعيد، وربّ بعيد أقرب من قريب. والغريب من لم يكن له حبيب. من تعدّى الحق ضاق مذهبه. ومن اقتصر على قدره كان أبقى له. وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله! ومن لم يُبالِك فهو عدوك. قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً. ليس كلّ عورة تظهر ولا كلّ فرصة تصاب. وربّما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده. أخّر الشرّ فإنّك إذا شئت تعجّلته. وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل. من أمن الزمان خانته، ومن أعظمه أهانه. ليس كلّ من رمى أصاب. إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان. سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار. إياك أن تذكر في الكلام ما يكون مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك. وإياك ومشاورة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن^(١) وعزمهنّ إلى وهنّ. واكفّف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إياهنّ فإنّ شدّة الحجاب أبقى عليهنّ، وليس خروجهنّ بأشدّ من إدخالك من لا يوثق به عليهنّ، وإن استطعت أن لا يعرفنّ غيرك فافعل. ولا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة

(١) الأفن: النقص. ورجل أفن ومأفون، أي ناقص العقل (النهاية: ١/٥٧).

ولا تُعَدُّ بكرامتها نفسها، ولا تُطمعها في أن تشفع بغيرها. وإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب. واجعل لكلّ إنسانٍ من خدمك عملاً تأخذه به فإنّه أحرى أن لا يتواكلوا في خدمتك. وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول. استودع الله دينك ودينك، واساله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة، والسلام^(١).

(١) كشف المحجّة: ٢٢٠ عن عمر بن أبي المقدام، نهج البلاغة: الكتاب ٣١، تحف العقول: ٦٨ كلاهما نحوه. والنص المذكور مع أنّه منقول أيضاً في نهج البلاغة وتحف العقول، لكننا أثّرنا نقله من كشف المحجّة باعتباره أجمع وأكمل منهما، مضافاً إلى احتواء الموسوعة على عدد غفير من النصوص المنقولة عن نهج البلاغة؛ فكان من الأفضل أن يتعرّف ويطلع القارئ على نصوص سائر الكتب الحديثية الأخرى.

اعتراض بعد حرب صفين

٦٩٩ - في تاريخ الطبري عن جندب الأزدي - في بيان مسير الإمام عليه السلام من صفين إلى الكوفة - : ثم مضى عليّ غير بعيد، فلقيه عبدالله بن وديعة الأنصاري، فدنا منه، وسلّم عليه وسأيره.

فقال له: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟

قال: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ (١).

فقال له: فما قول ذوي الرأي فيه؟

قال: أمّا قولهم فيه فيقولون: إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه، وكان له حصن حصين فهدمه، فحتّى متى يبني ما هدم، وحتى متى يجمع ما فرّق! فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذا كان ذلك الحزم.

فقال عليّ: أنا هدمت أم هم هدموا! أنا فرّقت أم هم فرّقوا! أمّا قولهم: إنّّه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذا كان ذلك الحزم؛ فوالله، ما غبي عن رأيي ذلك، وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدنيا، طيب النفس بالموت، ولقد هممت بالإقدام على القوم، فنظرت إلى هذين قد ابتدراني - يعني الحسن والحسين - ونظرت إلى هذين قد استقدما - يعني عبدالله بن جعفر ومحمّد بن عليّ - فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد عليه السلام من هذه الأمة، فكرهت ذلك، وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما - يعني محمّد بن عليّ وعبدالله بن جعفر -

وأيام الله، لئن لقيتهم بعد يومي هذا لألقيتهم وليسوا معي في عسكر ولا دار^(١).

٧٠١- قال الإمام عليّ عليه السلام - في جواب الخوارج المعترضين على التحكيم قبل دخول الكوفة -: اللهم هذا مقام من فلج^(٢) فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف^(٣) فيه أو غلّ فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

نشدتكم بالله! أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إنني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً؛ فكانوا شرّ أطفال، وشرّ رجال، امضوا على حقكم وصدقكم، إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة. فرددتم عليّ رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم. فقلت لكم: انكروا قولي لكم ومعصيتكم إيتاي؟

فلما أبيتم إلا الكتاب، اشترطت على الحكمين أن يحيا ما أحياه القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن؛ فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكم من حكم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء.

فقال له بعض الخوارج: فخبّرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إننا لم نحكم الرجال، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطّ مسطور بين دفتين لا ينطق، وإنما يتكلم به الرجال.

قالوا له: فخبّرنا عن الأجل؛ لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم. قال: ليتعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله.

ودخلوا من عند آخرهم^(٤).

(١) تاريخ الطبري: ٦٠/٥، الكامل في التاريخ: ٣٩٠/٢؛ وقعة صفين: ٥٢٩ عن عبد الرحمن بن جندب.

(٢) الفلج: الطّفْر والفُوز (السان العرب: ٣٤٧/٢).

(٣) نطف الرجل: أنهم بريية، والنطف: التلطف بالعيب (الصحاح: ١٤٣٤/٤).

(٤) الإرشاد: ٢٧٠/١؛ تاريخ الطبري: ٦٥/٥ عن عمارة بن ربيعة، الكامل في التاريخ: ٣٩٤/٢.

٧٠١ - عنه عليه السلام - لما قال له رجل من أصحابه: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد؟ -: هذا جزاء من ترك العقدة! أما والله لو أتني حين أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيراً، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم - لكانت الوثقى.

ولكن بمن، وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي؛ كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها^(١) معها! اللهم قد ملّت أطباءً هذا الداء الدوي، وكلت النرعة بأشطان الركي!

أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولّوها ولّة اللقّاح إلى أولادها، وسلّبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً. بعضٌ هلك، وبعضٌ نجا. لا يُبشرون بالأحياء، ولا يُعزّون عن الموتى. مُرّه العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين.

أولئك إخواني الذاهبون. فحقّ لنا أن نظماً إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم. إنّ الشيطان يُسنيّ لكم طرّقه، ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة، ويُعطيكُم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة، فاصدقوا عن نزغاته ونفثاته، واقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليهم، واعقلوها على أنفسكم^(٢) ^(٣).

=كلاهما نحوه.

(١) ضلعها: أي ميلها (النهاية: ٩٦/٣).

(٢) قال ابن أبي الحديد ما ملخصه: العقدة: الرأي الوثيق. الدوي: الشديد. النرعة: جمع نازع؛ وهو الذي يستني الماء. الأشطان: جمع شطن؛ وهو الحبل. الركي: الآبار؛ جمع ركيّة. الولّه: شدّة الحبّ حتى يذهب العقل. اللقّاح: الإيل، والواحدة لقوح؛ وهي الحلوب. أخذوا بأطراف الأرض: أي أخذوا على الناس بأطراف الأرض؛ أي حصروهم. لا يبشرون بالأحياء... أي إذا ولد لأحدكم مولود لم يبشّر به. مرّهت عين فلان: إذا فسدت لترك الكحل. يُسنيّ: يُسهّل. صدف عن الأمر: انصرف عنه. اعقلوها على أنفسكم: أي اربطوها والزموها (شرح نهج البلاغة: ٢٩٢/٧ - ٢٩٦).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٢١، الاحتجاج: ١/٤٣٨/٩٩ وفيه إلى «الركي»، بحار الأنوار:

٧٠٢- في تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - في صفة أصحاب الإمام عليه السلام -: خرجوا مع عليّ إلى صفين وهم متوآدون أحبّاء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّهم ويتشائمون ويضطربون بالسياط. يقول الخوارج: يا أعداء الله! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ وحكمتكم! وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرقتم جماعتنا.

فلما دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء^(١)، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديتهم: إنّ أمير القتال شَبَّث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله ابن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ولما قدم عليّ الكوفة وفارقت الخوارج وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية؛ نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت. فقالت الخوارج استبقتم أنتم وأهل الشام إلى الكفر كفرسي رهان؛ بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى! فقال لهم زياد بن النضر: والله ما بسط على يده فبايعناه قطّ إلا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالّ مضلّ^(٢).

= ٣٣/٣٦٢/٥٩٧ وراجع الاختصاص: ١٥٦.

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج (معجم البلدان: ٢/٢٤٥).

(٢) تاريخ الطبري: ٥/٦٣ و٦٤، الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٣ وفيه من «فلما دخل...»، أنساب الأشراف: ٣/١١٤ وفيه إلى «المنكر».

الغدر في خيمة التحكيم

٧٠٣- في الطرائف عن أبي رافع: لَمَّا أَحْضَرْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَقَدْ وَجَّهَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فَقَالَ لَهُ: أَحْكَمْ بَكِتَابِ اللَّهِ وَلَا تَجَاوِزْهُ، فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ: كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ خُدِعْتُ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَلِمَ تُوَجَّهَهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْدُوعٌ؟ فَقَالَ: يَا بَنِيَّ، لَوْ عَمِلَ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ بَعْلَمَهُ مَا احْتَجَّ عَلَيْهِمُ بِالرِّسْلِ^(١).

٧٠٤- في رقعة صفين: بعث [معاوية] إلى رجال من قريش من الذين كرهوا أن يُعينوه في حربه: إنَّ الحرب قد وضعت أوزارها، والتقى هذان الرجلان بدومة الجندل^(٢)، فاقدموا عليَّ. فأتاه عبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وأبو الجهم بن حذيفة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عديغوث الزهري، وعبدالله بن صفوان الجمحي، ورجال من قريش. وأتاه المغيرة بن شعبة؛ وكان مقيماً بالطائف لم يشهد صفين.

فقال: يا مغيرة ما ترى؟ قال: يا معاوية لو وسعني أن أنصرك لنصرتك، ولكن عليَّ أن آتيك بأمر الرجلين، فركب حتى أتى دومة الجندل، فدخل على أبي موسى كأنه زائر له فقال: يا أبا موسى، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء؟ قال: أولئك خيار الناس، خفت ظهورهم من دمائهم، وخصمت بطونهم من أموالهم، ثم أتى عمراً فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر، وكره هذه الدماء؟ قال: أولئك شرار الناس؛ لم يعرفوا حقاً، ولم يُنكروا باطلاً، فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له: قد دُفئتُ^(٣) الرجلين؛ أمّا عبدالله بن قيس فخالعٌ صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر، وهو اه

(١) الطرائف: ٥١١، المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٦١، بحار الأنوار: ٤١/٣١٠.

(٢) دُومَةُ الْجَنْدَل: مدينة على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قرب تبوك، ويطلق عليها اليوم «الجوف». وقد جرت فيها قضية التحكيم (راجع معجم البلدان: ٤٨٧/٢).

(٣) دُفِئْتُ ما عنده: أي خَبِرْتُهُ (لسان العرب: ١٠/١١١).

في عبدالله بن عمر، وأمّا عمرو فهو صاحب الذي تعرف، وقد ظنّ الناس أنّه يرومها لنفسه، وأنّه لا يرى أنّك أحقّ بهذا الأمر منه^(١).

تحذير ابن عباس

٧٠٥- في مروج الذهب: وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل بغيرها، على ما قدّمنا من وصف التنازع في ذلك، وبعث عليّ بعبد الله بن العباس، وشريح بن هاني الهمداني في أربعمئة رجل فيهم أبو موسى الأشعري، وبعث معاوية وعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط في أربعمئة، فلما تدانى القوم من الموضع الذي كان فيه الاجتماع قال ابن عباس لأبي موسى:

إنّ عليّاً لم يرضَ بك حكماً لفضل عندك، والمتقدّمون عليك كثير، وإنّ الناس أبوا غيرك، وإني لأظنّ ذلك لشرّ يراد بهم، وقد ضُمتّ داهية العرب معك. إن نسيت فلا تنسَ أنّ عليّاً بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وليس فيه خصلة تباعده من الخلافة، وليس في معاوية خصلة تقربه من الخلافة^(٢).

٧٠٦- في شرح نهج البلاغة: لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى، وأحضروه للتحكيم على كره من عليّ عليه السلام، أتاه عبدالله بن العباس، وعنده وجوه الناس وأشرفهم، فقال له:

يا أبا موسى! إنّ الناس لم يرضوا بك، ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارك فيه، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدّمين قبلك، ولكنّ أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكم يمانياً، ورأوا أنّ معظم أهل الشام يمان، وأيم الله إني لأظنّ ذلك شرّاً لك ولنا؛ فإنّه قد ضُمتّ إليك داهية العرب، وليس في معاوية خلة يستحقّ بها الخلافة، فإنّ تقذف بحقّك على باطله تدرك حاجتك منه، وإن يطمع باطله في حقّك يدرك حاجته منك.

(١) وقعة صفين: ٥٣٩؛ شرح نهج البلاغة: ٢/٢٥١.

(٢) مروج الذهب: ٢/٤٠٦.

واعلم يا أبا موسى أنّ معاوية طليق الإسلام، وإنّ أباه رأس الأحزاب، وأنّه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة؛ فإن زعم لك أنّ عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق؛ استعمله عمر؛ وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي، ويؤجره ما يكره، ثمّ استعمله عثمان برأي عمر، وما أكثر من استعملا ممّن لم يدع الخلافة.

واعلم أنّ لعمر ومع كلّ شيء يسرّك خبيثاً يسوؤك ومهما نسيت فلا تنس أنّ عليّاً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، وإنّها بيعة هدى وأنّه لم يقاتل إلاّ العاصين والناكثين^(١).

تحذير شريح

٧٠٧- في وقعة صفّين عن الجرجاني: لما أراد أبو موسى المسير قام شريح، فأخذ بيد أبي موسى فقال:

يا أبا موسى! إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يُجبر صدعُه، ولا يستقال فتقُه، ومهما تقلّ شيئاً لك أو عليك يثبت حقّه ويُرّ صحته وإن كان باطلاً.

وإنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملكها معاوية، ولا بأس على أهل الشام إن ملكها عليّ.

وقد كانت منك تبيطة أيام قدمت الكوفة؛ فإن تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقيناً، والرجاء منك يأساً، وقال شريح في ذلك:

أباموسى رُميتَ بشرّ خصمٍ	فلا تُضعِ العراق فدتك نفسي!
وأعطِ الحقّ شامهمُ وخذهُ	فإنّ اليوم في مهل كأمسٍ
وإنّ غداً يجيء بما عليه	يدور الأمر من سعد ونحسٍ
ولا يخدعك عمرو إنّ عمراً	عدوّ الله مطلع كلّ شمسٍ
له خدعٌ يحار العقل فيها	مموّهة مزخرقة بلّبسٍ
فلا تجعل معاوية بن حربٍ	كشيخٍ في الحوادث غير نكسٍ

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٤٦، يتابع المروّدة: ٢/٢٢؛ بحار الأنوار: ٣٣/٢٩٨/٥٥٣.

هداه الله للإسلام فرداً سوى بنت النبي، وأبي عريس

فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلاً أو أجر إليهم حقاً... و سار مع عمرو بن العاص شرحبيل بن السمط الكندي في خيل عظيمة، حتى إذا أمن عليه خيل أهل العراق ودّعه، ثم قال: يا عمرو! إنك رجل قريش، وإن معاوية لم يبعثك إلا ثقة بك، وإنك لن تؤتى من عجز ولا مكيدة، وقد عرفت أن وطأت هذا الأمر لك ولصاحبك، فكُن عند ظننا بك.

ثم انصرف، وانصرف شريح بن هانئ حين أمن أهل الشام على أبي موسى، وودّعه هو ووجوه الناس^(١).

تحذير الأحنف بن قيس

٧٠٨ - في وقعة صفين عن الجرجاني: كان آخر من ودّع أبا موسى الأحنف بن قيس، أخذ بيده ثم قال له: يا أبا موسى! اعرفْ خطب هذا الأمر، واعلمْ أن له ما بعده، وأنتك إن أضعت العراق فلا عراق. فاتقِ الله؛ فإنّها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبدأه بالسّلام؛ فإنّها وإن كانت سنّة إلا أنّه ليس من أهلها، ولا تعطه يدك؛ فإنّها أمانة، وإياك أن يُقعدك على صدر الفراش؛ فإنّها خدعة، ولا تلقه وحده، واحذر أن يكلمك في بيت فيه مُخدعٌ تُخبأ فيه الرجال والشهود.

ثم أراد أن يبور^(٢) ما في نفسه لعلّي فقال له: فإن لم يستقم لك عمرو على الرضى بعلّي فخيرهُ أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاءوا؛ فإنّهم يولّونا الخيار؛ فنختار من نريد، وإن أبوا فليختار أهل الشام من قريش العراق من شاءوا، فإن فعلوا كان الأمر فينا.

قال أبو موسى: قد سمعت ما قلت، ولم يتحاش لقول الأحنف.

(١) وقعة صفين: ٥٣٤ - ٥٣٦؛ الفتح: ٤/٢٠٧ نحوه وراجع الإمامة والسياسة: ١٥٣/١ - ١٥٥.

(٢) يبور: أي يختبر ويمتحن (النهاية: ١/١٦١).

قال: فرجع الأحنف فأتى علياً فقال: يا أمير المؤمنين! أخرج والله أبو موسى زبدة سقائه في أول مخضه، لا أرانا إلا بعثنا رجلاً لا يُنكر خلحك.
فقال عليّ: يا أحنف! إن الله غالب على أمره. قال: فمن ذلك نجزع يا أمير المؤمنين.
وفشأ أمر الأحنف وأبي موسى في الناس^(١).

معاوية يحرض عمرو بن العاص

٧٠٩ - في البيان والتبيين: قال معاوية لعمرو بن العاص: يا عمرو! إن أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى، وأنا وأهل الشام راضون بك.
وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان، قصير الرأي؛ فأجد الحرَّ، وطبِّق المفصل، ولا تلقه برأيك كلّه^(٢).

موعظة الإمام لعمرو بن العاص

٧١٠ - في وقعة صفين عن شقيق بن سلمة: كتب عليّ إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده: أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يُصِب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً يزيد فيه رغبة، ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يبلغه، ومن وراء ذلك فراق ما جمع. والسعيد من وُعِظَ بغيره؛ فلا تُحِبَط - أبا عبد الله - أجرك، ولا تُجار معاوية في باطله.

فأجابه عمرو بن العاص: أمّا بعد؛ فإنّ ما فيه صلاحنا والفتنا الإنابة إلى الحقّ، وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا، فأجبتنا إليه. وصبر الرجل منّا نفسه على ما حكم عليه القرآن، وعذره الناس بعد المحاجة. والسلام.

(١) وقعة صفين: ٥٣٦؛ الفتوح: ٢٠٨/٤، الإمامة والسياسة: ١٥٤/١ وفيه إلى «الأمر فينا» وكلاهما نحوه.

(٢) البيان والتبيين: ١٧٢/١، مروج الذهب: ٤٠٦/٢، الإمامة والسياسة: ١٥٤/١ نحوه وراجع العقد الفريد: ٣/٣٤٠.

فكتب إليه عليّ: أمّا بعدُ فإنّ الذي أعجبك من الدنيا ممّا نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك، ومفارق لك؛ فلا تطمئنّ إلى الدنيا؛ فإنّها غرّارة. ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي، وانتفعت بما وُعِظت به. والسلام.

فأجابه عمرو: أمّا بعدُ؛ فقد أنصف من جعل القرآن إماماً، ودعا الناس إلى أحكامه. فاصبر بأحسن، وأنا غير مُنيلك إلا ما أنالك القرآن^(١).

مفاوضات بين الحكمين

٧١١- في شرح نهج البلاغة عن أبي جناب الكلبي: إنّ عمراً وأباموسى لما التقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدّم أباموسى في الكلام، ويقول: إنّك صحبت رسول الله ﷺ قبلي، وأنت أكبر مني سنّاً، فتكلّم أنت، ثمّ أتكلّم أنا، فجعل ذلك سنّة وعادة بينهما، وإنّما كان مكرراً وخديعةً واعتذاراً له أن يقدّمه؛ فيبدأ بخلع عليّ، ثمّ يرى رأيه.

وقال ابن ديزيل في كتاب «صفين»:

أعطاه عمرو صدر المجلس، وكان لا يتكلّم قبله، وأعطاه التقدّم في الصلاة، وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل، وإذا خاطبه فإنّما يخاطبه بأجلّ الأسماء ويقول له: يا صاحب رسول الله، حتى اطمأنّ إليه وظنّ أنّه لا يغشّه^(٢).

٧١٢- في تاريخ الطبري عن الزهري - في بيان ما جرى بين الحكمين -: قال عمرو: يا أباموسى، أنت على أن نُسَمِّي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسَمَّه لي؛ فإنّ أقدر على أن أتابعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني!

قال أبو موسى: أُسمِّي لك عبدالله بن عمر. وكان ابن عمر فيمن اعتزل.

قال عمرو: إنّي أُسمِّي لك معاوية بن أبي سفيان، فلم يبرحاً مجلسهما حتى

(١) وقعة صفين: ٤٩٨؛ شرح نهج البلاغة: ٢٢٧/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥٤/٢، ينابيع المودة: ٢٤/٢ وقعة صفين: ٥٤٤ نحوه، بحار الأنوار:

استبأ^(١).

٧١٣- في تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي - في ذكر خبر اجتماع الحكمين -: قال أبو موسى: أما والله، لئن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب. فقال له عمرو: إن كنت تحبّ بيعة ابن عمر، فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه!

فقال: إن ابنك رجل صدق، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة^(٢).

٧١٤- في مروج الذهب: دعا عمرو بصحيفة وكتب، وكان الكاتب غلاماً لعمرو، فتقدّم إليه ليبدأ به أولاً دون أبي موسى؛ لما أراد من المكر به، ثمّ قال له بحضرة الجماعة:

اكتب؛ فإنك شاهد علينا، ولا تكتب شيئاً يأمرك به أحدنا حتى تستأمر الآخر فيه، فإذا أمرك فاكتب، وإذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا، اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه فلان وفلان، فكتب وبدأ بعمرو، فقال له عمرو: لا أمّ لك! أتقدّمني قبله كأنك جاهل بحقه؟! فبدأ باسم عبدالله بن قيس، وكتب: تقاضيا على أنهما يشهدان أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

ثمّ قال عمرو: ونشهد أنّ أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله عمل بكتاب الله وسنة رسول الله حتى قبضه الله إليه، وقد أدّى الحقّ الذي عليه، قال أبو موسى: اكتب، ثمّ قال في عمر مثل ذلك، فقال أبو موسى: اكتب.

ثمّ قال عمرو: واكتب: وأنّ عثمان وليّ هذا الأمر بعد عمر على إجماع من المسلمين وشورى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي منهم، وأنّه كان مؤمناً، فقال أبو موسى الأشعري: ليس هذا ممّا قعدنا له، قال عمرو: والله لا بدّ من أن يكون مؤمناً أو كافراً، فقال

(١) تاريخ الطبري: ٥٨/٥ وراجع وقعة صفين: ٥٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٦٨/٥، الكامل في التاريخ: ٣٩٦/٢، الأخبار الطوال: ١٩٩ نحوه؛ وقعة صفين:

أبوموسى: كان مؤمناً، قال عمرو: فمُرّه يكتب قال أبوموسى: اكتب، قال عمرو: فظالماً قُتِلَ عثمان أو مظلوماً، قال أبوموسى: بل قُتِلَ مظلوماً، قال عمرو: أفليس قد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً يطلب بدمه؟ قال أبوموسى: نعم، قال عمرو: فهل تعلم لعثمان ولياً أولى من معاوية؟ قال أبوموسى: لا، قال عمرو: أفليس لمعاوية أن يطلب قاتله حيثما كان حتى يقتله أو يعجز عنه؟ قال أبوموسى: بلى، قال عمرو للكاتب: اكتب، وأمره أبوموسى فكتب، قال عمرو: فإننا نقيم البيّنة أنّ علياً قتل عثمان، قال أبوموسى: هذا أمر قد حَدَثَ في الإسلام، وإنّما اجتمعنا لغيره، فهلّم إلى أمر يُصلح الله به أمر أمة محمّد، قال عمرو: وما هو؟ قال أبوموسى: قد علمت أنّ أهل العراق لا يحبّون معاوية أبداً، وأنّ أهل الشام لا يحبّون علياً أبداً؛ فهلّم نخلعهما جميعاً ونستخلف عبدالله بن عمر! وكان عبدالله بن عمر على بنت أبي موسى (١).

٧١٥- في العقد الفريد عن أبي الحسن - في ذكر اجتماع الحكمين -: أخلي لهما عمرو ابن العاص وأبي موسى] مكان يجتمعان فيه، فأمهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام، ثمّ أقبل إليه بأنواع من الطعام يُشبهه بها، حتى إذا استبطن أبوموسى نجاه عمرو، فقال له: يا أباموسى! إنّك شيخ أصحاب محمّد ﷺ، وذو فضلها، وذو سابقتها، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة؛ فيحقن الله بك دماءها؛ فإنّه يقول في نفس واحدة: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (٢)، فكيف بمن أحيا أنفس هذا الخلق كلّ!

قال له: وكيف ذلك؟ قال: تخلع أنت عليّ بن أبي طالب، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان، ونختار لهذه الأمة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة، ولم يغمس يده فيها. قال له: ومن يكون ذلك؟ - وكان عمرو بن العاص قد فهم رأي أبي موسى في عبدالله بن عمر - فقال له: عبدالله بن عمر. فقال: إنّهُ لَكَمَا نَكَرْتُ، ولكن كيف لي بالوثيقة

(١) مروج الذهب: ٤٠٧/٢.

(٢) المائدة: ٣٢.

منك؟

فقال له: يا أبا موسى، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١)، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى.

ثم لم يُبقِ عمرو بن العاص عهداً ولا موثقاً ولا يميناً مؤكدة حتى حلف بها، حتى بقي الشيخ مبهوتاً، وقال له: قد أحببت^(٢).

خلاصة المفاوضات

٧١٦- في تاريخ الطبري عن أبي جناب الكلبي: إنَّ عمراً وأباموسى حيث التقيا بدومة الجندل، أخذ عمرو يقدّم أباموسى في الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت أسنّ مني، فتكلّم وأتكلّم؛ فكان عمرو قد عود أباموسى أن يقدّمه في كل شيء، اغتذى بذلك كله أن يقدّمه، فيبدأ بخلع عليّ. قال: فنظر في أمرهما وما اجتمعا عليه، فأراده عمرو على معاوية فأبى، وأراده على ابنه فأبى، وأراد موسى عمراً على عبدالله بن عمر فأبى عليه، فقال له عمرو: خبرني ما رأيك؟ قال: رأيي أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا. فقال له عمرو: فإنّ الرأي ما رأيت.

فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، فقال: يا أبا موسى، أعلمهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتفق، فتكلّم أبو موسى فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله عزّ وجلّ به أمر هذه الأمة. فقال عمرو: صدق وبرّ، يا أبا موسى! تقدّم فتكلّم، فتقدّم أبو موسى ليتكلّم، فقال له ابنُ عباس: وَيْحَكَ! والله إنّني لأظنه قد خدعك. إن كنتما قد اتفقتما على أمر؛ فقدّمه فليتكلم بذلك الأمر قبلك، ثمّ تكلم أنت بعده؛ فإنّ عمراً رجل غادر، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه، فإذا قمت في الناس خالفك -

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) العقد الفريد: ٣/٣٤٠.

وكان أبو موسى مغفلاً - فقال له: إنّا قد اتّفقنا. فتقدّم أبو موسى فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها الناس! إنّا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها، ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه؛ وهو أن نخلع عليّاً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر؛ فيولّوا منهم من أحبّوا عليهم، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً. ثمّ تنحّى.

وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبتُّ صاحبي معاوية؛ فإنّه وليّ عثمان بن عفّان، والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه.

فقال أبو موسى: ما لك لا وفقك الله! غدرتَ وفجرتَ! إنّما مَثَلُكَ ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾^(١). قال عمرو: إنّما مَثَلُكَ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٢). وحمل شُريح بن هانئ على عمرو فقتّعه بالسوط، وحمل على شُريح ابنُ لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم. وكان شُريح بعد ذلك يقول: ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهرُ ما أتى. والتمس أهل الشام أبا موسى، فركب راحلته ولحق بمكة.

قال ابن عباس: قبّح الله رأي أبي موسى! حدّرتَه وأمّرتَه بالرأي فما عقل. فكان أبو موسى يقول: حدّرتني ابنُ عباس غدرة الفاسق، ولكنّي اطمأنتت إليه، وظننت أنّه لن يؤثّر شيئاً على نصيحة الأمة. ثمّ انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية، وسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس وشُريح بن هانئ إلى عليّ^(٣).

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٧٠/٥، الكامل في التاريخ: ٣٩٦/٢، الأخبار الطوال: ١٩٩ - ٢٠١ كلاهما نحوه؛ وقعة صفين: ٥٤٤ - ٥٤٦ وراجع الفتوح: ٢١٤/٤ والإمامة والسياسة: ١٥٦/١ وتاريخ اليعقوبي:

٧١٧ - في تاريخ اليعقوبي: تنادى الناس: حَكَمَ والله الحَكَمَانِ بغير ما في الكتاب والشرط عليهما غير هذا. وتضارب القوم بالسياط، وأخذ قوم بشعور بعض، وافترق الناس.

ونادت الخوارج: كَفَرَ الحَكَمَانِ، لا حُكْمَ إِلَّا لله ^(١).

رأي الإمام بحكم الحَكَمِينِ

٧١٨ - قال الإمام علي عليه السلام - من كلام له بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحَكَمِينِ -: أمّا بعد؛ فإنّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرب، تورث الحسرة، وتُعقب الندامة. وقد كنت أمرتك في هذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاعُ لِقصيرِ أمرٍ ^(٢)! فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة. حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضمن الرّند بقَدحه، فكنت أنا وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد ^(٣)

(١) تاريخ اليعقوبي: ١٩٠/٢.

(٢) هو مثل يضرب لمن خالف ناصحه، وأصل المثل أنّ قصيراً كان مولى لجذيمة بن الأبرش - بعض ملوك العرب - وقد كان جذيمة قتل أبا الزبا ملكة الجزيرة، فبعثت إليه ليتزوج بها خدعة وسألته القدوم عليها، فأجابها إلى ذلك وخرج في ألف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن أخته وقد كان قصير أشار عليه بأن لا يتوجه إليها فلم يقبل، فلما قرب الجزيرة استقبلته جنود الزبا بالعدّة ولم ير منهم إكراماً له، فأشار عليه قصير بالرجوع وقال: من شأن النساء الغدر، فلم يقبل، فلما دخل عليها قتلته. فعندها قال قصير: لا يُطاع لقصير أمر. فصار مثلاً لكل ناصح عصي (بحار الأنوار: ٣٢٢/٢٣).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٣٥، بحار الأنوار: ٣٣/٣٢٢/٥٦٨؛ أنساب الأشراف: ٣/١٤٠ عن عامر الشعبي وجبر بن نوف، جواهر المطالب: ١/٣١٧ كلاهما نحوه وراجع مروج الذهب: ٤١٢/٢ والإمامة والسياسة: ١٦٣/١.

الحرب الثالثة:

حرب المارقين في النهروان

كيف بدأت الفتنة ؟

٧١٩- في تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - في صفة جيش الإمام (عليه السلام) -: خرجوا مع عليّ إلى صفين وهم متوادون أحبّاء، فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كلّهم، ويتشائمون، ويتضاربون بالسياط؛ يقول الخوارج: يا أعداء الله! أدهنتم في أمر الله عزّ وجلّ، وحكمتم!

وقال الآخرون: فارقتم إمامنا، وفرقتم جماعتنا!

فلما دخل عليّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديتهم: إنّ أمير القتال شبت بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١).

٧٢٠- في الكامل في التاريخ: لما رجع عليّ من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديتهم: إنّ أمير القتال شبت بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّاء اليشكري، والأمر شورى بعد الفتح، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(١) تاريخ الطبري: ٥/٦٣، أنساب الأشراف: ٣/١١٤ نحوه.

فلما سمع عليّ ذلك وأصحابه قامت الشيعة، فقالوا له: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت.

فقلت الخوارج: استَبَقْتُمْ أَنْتُمْ وأهل الشام إلى الكفر كَفَرَسِي رِهَان^(١)؛ بايع أهل الشام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتُمْ أَنْتُمْ عليّاً على أَنْكُمْ أولياء من والى، وأعداء من عادى.

فقال لهم زياد بن النضر: والله، ما بسط عليّ يده فبايعناه قطّ إلا على كتاب الله، وسنة نبيّه، ولكنكم لمّا خالفتموه جاءته شيعته فقالوا له: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، ونحن كذلك، وهو على الحقّ والهدى، ومن خالفه ضالّ مضلّ^(٢).

٧٢١- في تاريخ الطبري عن الزهري: تفرّق أهل صفين حين حكّم الحكمان... فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أوّل ما ظهرت - فأذنوه بالحرب، وردّوا عليه أنّ حكم بني آدم في حكم الله عزّ وجلّ، وقالوا: لاحكم إلاّ الله سبحانه! وقاتلوا^(٣).

محاولة الإمام هداية الناس

٧٢٢- في تاريخ الطبري عن عون بن أبي جحيفة: إنّ عليّاً لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن البرج الطائي، وحرقوق بن زهير السعدي، فدخلا عليه، فقالا له: لا حكم إلاّ الله!

فقال عليّ عليه السلام: لا حكم إلاّ الله.

فقال له حرقوق: تُب من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا!

فقال لهم عليّ: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً،

(١) هما كَفَرَسِي رِهَان: يُضْرَب لاثنين يستبقان إلى غاية فيستويان (تاج العروس: ٣٩٤/٨).

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٩٣/٢، تاريخ الطبري: ٦٣/٥ و ص ٦٤ عن عمارة بن ربيعة.

(٣) تاريخ الطبري: ٥٧/٥ وراجع الكامل في التاريخ: ٣٩٠/٢.

وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عهدنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.

فقال عليّ: ما هو ذنب، ولكنه عجز من الرأي، وضعف من الفعل، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه، ونهيئكم عنه.

فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا عليّ لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجلّ قاتلتك؛ أطلب بذلك وجه الله ورضوانه!

فقال له عليّ: بؤساً لك، ما أشقاك! كأنني بك قتيلاً تُسفي عليك الريح.
قال: وددت أن قد كان ذلك.

فقال له عليّ: لو كنت محقاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إنّ الشيطان قد استهواكم، فاتّقوا الله عزّ وجلّ، إنّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها.
فخرجوا من عنده يحكّمان^(٢).

٧٢٣ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من وصيته لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على

الخوارج -: لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنّ القرآن حمّال ذو وجوه؛ تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً^(٣).

٧٢٤ - قال في الفتوح في ذكر ابتداء أخبار الخوارج من الشراة وخروجهم على

عليّ عليه السلام : بينا عليّ كرّم الله وجهه مقيم بالكوفة ينتظر انقضاء المدّة التي كانت بينه وبين معاوية ثمّ يرجع إلى محاربة أهل الشام، إذ تحركت طائفة من خاصّة أصحابه

(١) النحل : ٩١.

(٢) تاريخ الطبري : ٧٢ / ٥ ، الكامل في التاريخ : ٣٩٨ / ٢ وليس فيه من «لو كنت محقاً» إلى «تقاتلون عليها» ، أنساب الأشراف : ١٢٩ / ٣ عن الزهري ؛ المناقب لابن شهر آشوب : ١٨٨ / ٣ كلاهما نحوه .

(٣) نهج البلاغة : الكتاب ٧٧ ، بحار الأنوار : ٥٦ / ٢٤٥ ؛ ربيع الأبرار : ٦٩١ / ١ وفيه «خاصمهم» بدل «حاججهم» .

في أربعة آلاف فارس، وهم من النساك العبيد أصحاب البرانس، فخرجوا عن الكوفة وتحزّبوا، وخالفوا علياً كرم الله وجهه وقالوا: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله.

قال: وانحاز إليهم نيف عن ثمانية آلاف رجل ممن يرى رأيهم. قال: فصار القوم في اثني عشر ألفاً، وساروا حتى نزلوا بحروراء، وأمروا عليهم عبدالله بن الكوّاء. قال: فدعا عليّ عليه السلام بعبد الله بن عباس، فأرسله إليهم، وقال: يا ابن عباس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه، ولماذا اجتمعوا؟.

قال: فأقبل عليهم ابن عباس، حتى إذا أشرف عليهم ونظروا إليه ناداه بعضهم وقال: ويلك يا ابن عباس، أكفرت بربك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: إنّي لا أستطيع أن أكلمكم كلّمكم، ولكن انظروا أيكم أعلم بما يأتي ويذر فليخرج إليّ؛ حتى أكلمه.

قال: فخرج إليه رجل منهم يقال له: عتاب بن الأعرور الثعلبي حتى وقف قبالة - وكان القرآن إنّما كان ممثلاً بين عينيه - فجعل يقول ويحتجّ ويتكلم بما يريد، وابن عباس ساكت لا يكلمه بشيء، حتى إذا فرغ من كلامه أقبل عليه ابن عباس فقال: إنّي أريد أن أضرب لك مثلاً، فإن كنت عاقلاً فافهم. فقال الخارجي: قل ما بدالك.

فقال له ابن عباس: خبّرني عن دار الإسلام هذه هل تعلم لمن هي، ومن بناها؟ فقال الخارجي: نعم، هي لله عزّ وجلّ، وهو الذي بناها على أنبيائه وأهل طاعته، ثمّ أمر من بعثه إليها من الأنبياء أن يأمرُوا الأمم أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه، فأمن قوم، وكفر قوم، وآخر من بعثه إليها من الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله.

فقال ابن عباس: صدقت. ولكن خبّرني عن محمّد حين بعث إلى دار الإسلام فبناها - كما بناها غيره من الأنبياء - هل أحكمّ عمارتها، وبيّن حدودها، وأوقف الأمة على سبلها وعملها وشرائع أحكامها ومعالم دينها؟

قال الخارجي: نعم، قد فعل محمّد ذلك.

قال ابن عباس: فخبّرني الآن عن محمّد هل بقي فيها، أو رحل عنها؟

قال الخارجي: بل رحل عنها.

قال ابن عباس: فخبّرني رحل عنها وهي كاملة العمارة بيّنة الحدود، أم رحل عنها وهي خربة لا عمران فيها؟

قال الخارجي: بل رحل عنها وهي كاملة العمارة، بيّنة الحدود، قائمة المنار.

قال ابن عباس: صدقت الآن، فخبّرني هل كان لمحمد ﷺ أحد يقوم بعمارة هذه الدار من بعده أم لا؟

قال الخارجي: بلى، قد كان له صحابة وأهل بيت ووصي وذرية يقومون بعمارة هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس: ففعلوا أم لم يفعلوا؟

قال الخارجي: بلى، قد فعلوا وعمّروا هذه الدار من بعده.

قال ابن عباس: فخبّرني الآن عن هذه الدار من بعده هل هي اليوم على ما تركها محمد ﷺ من كمال عمارتها وقوام حدودها، أم هي خربة عاطلة الحدود؟

قال الخارجي: بل هي عاطلة الحدود خربة.

قال ابن عباس: أفذريته وليت هذه الخراب، أم أمته؟

قال: بل أمته.

قال: قال ابن عباس: أفأنت من الأمة أو من الذرية؟

قال: أنا من الأمة.

قال ابن عباس: يا عتاب فخبّرني الآن عنك كيف ترجو النجاة من النار وأنت من

أمة قد أخرجت دار الله ودار رسوله، وعطلت حدودها؟

فقال الخارجي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويحك يا ابن عباس! احتلت والله حتى

أوقعتني في أمر عظيم، وألزمتني الحجّة، حتى جعلتني ممن أخرج دار الله. ولكن

ويحك يا ابن عباس فكيف الحيلة في التخليص مما أنا فيه؟

قال ابن عباس: الحيلة في ذلك أن تسعى في عمارة ما أخرجته الأمة من دار

قال: فدلتني على السعي في ذلك.

قال ابن عباس: إن أول ما يجب عليك في ذلك أن تعلم من سعى في خراب هذه الدار فتعاريه، وتعلم من يريد عمارتها فتواليه.

قال: صدقت يا ابن عباس، والله ما أعرف أحداً في هذا الوقت يحبّ عمارة دار الإسلام غير ابن عمك علي بن أبي طالب لولا أنه حكّم عبدالله بن قيس في حقّ هو له.

قال ابن عباس: ويحك يا عتاب، إننا وجدنا الحكومة في كتاب الله عزّ وجلّ؛ إنّه قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (٢).

قال: فصاحت الخوارج من كلّ ناحية وقالوا: فكأنّ عمرو بن العاص عندك من العدول، وأنت تعلم أنّه كان في الجاهليّة رأساً، وفي الإسلام ذنباً، وهو الأبتري ابن الأبتري، ممّن قاتل محمداً صلى الله عليه وآله، وفتن أمته من بعده!

قال: فقال ابن عباس: يا هؤلاء! إن عمرو بن العاص لم يكن حكماً، أفتحتجّون به علينا؟ إنّما كان حكماً لمعاوية، وقد أراد أمير المؤمنين عليّ صلى الله عليه وآله أن يعيثنّي أنا فأكون له حكماً، فأبيتم عليه وقتلتم: قد رضينا بأبي موسى الأشعري، وقد كان أبو موسى - لعمرى - رضي في نفسه وصحبته وإسلامه وسابقته، غير أنّه خُدع فقال ما قال، وليس يلزمنا من خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى، فاتّقوا ربكم، وارجعوا إلى ما كنتم عليه من طاعة أمير المؤمنين، فإنّه وإن كان قاعداً عن طلب حقّه فإنّما ينتظر انقضاء المدّة ثمّ يعود إلى محاربة القوم، وليس عليّ صلى الله عليه وآله ممن يقعد عن حقّ جعله الله له.

قال: فصاحت الخوارج؛ قالوا: هيهات يا ابن عباس! نحن لا نتولّى عليّاً بعد هذا اليوم أبداً، فارجع إليه وقل له فليخرج إلينا بنفسه؛ حتى نحتجّ عليه، ونسمع كلامه، ويسمع من كلامنا، فلعلنا إن سمعنا منه شيئاً يعلق إمّا (٣) أن نرجع عمّا اجتمعنا عليه من حربته.

(١) النساء: ٣٥.

(٢) المائدة: ٩٥.

(٣) كذا في المصدر، ولعل «إمّا» زائدة.

قال: فخرج عبدالله بن عباس إلى عليّ عليه السلام فخبّره بذلك ^(١).

٧٢٥- في شرح نهج البلاغة عن عمر مولى غفرة: لَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ صَفِّينَ إِلَى الْكُوفَةِ، أَقَامَ الْخَوَارِجَ حَتَّى جَمُّوا ^(٢)، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى صَحْرَاءَ بِالْكَوْفَةِ تَسْمَى حُرُورَاءَ، فَنَادُوا: لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. أَلَا إِنَّ عَلِيًّا وَمَعَاوِيَةَ أَشْرَكَا فِي حَكْمِ اللَّهِ. فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ عليه السلام إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، فَنَظَرَ فِي أَمْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ: مَا رَأَيْتَ؟

فقال ابن عباس: والله، ما أدري ما هم!

فقال له عليّ عليه السلام: رأيتهم منافقين؟

قال: والله، ما سيماهم بسيماء المنافقين، إنّ بين أعينهم لأثر السجود، وهم يتأولون القرآن.

فقال عليّ عليه السلام: دعوهم ما لم يسفكوا دماً، أو يغصبوا مالاً. وأرسل إليهم: ما هذا الذي أحدثتم، وما تريدون؟

قالوا: نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفّين ثلاث ليالٍ، ونتوب إلى الله من أمر الحكمين، ثم نسير إلى معاوية فنقاتله، حتى يحكم الله بيننا وبينه.

فقال عليّ عليه السلام: فهلاً قلتم هذا حين بعثنا الحكمين، وأخذنا منهم العهد، وأعطيناهموه! ألا قلتم هذا حينئذ!

قالوا: كنّا قد طالت الحرب علينا، واشتدّ البأس، وكثر الجراح، وخلا الكُراع والسلاح.

فقال لهم: أفحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتُم، فلما وجدتُم الجَمَامَ ^(٣) قلّتم: ننقض العهد! إنّ رسول الله كان يفي للمشركين، أفتمأروني بنقضه! ^(٤)

(١) الفتح: ٢٥١/٤ وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٨/٣.

(٢) جمّ الشيء: كثر (لسان العرب: ١٠٥/١٢).

(٣) الجَمَام: الراحة (لسان العرب: ١٠٥/١٢).

(٤) شرح نهج البلاغة: ٣١٠/٢؛ بحار الأنوار: ٥٨٧/٣٤٣/٣٣.

٧٢٦- في الكامل للمبرّد: ذكر أهل العلم من غير وجه أن علياً عليه السلام لما وجه إليهم عبد الله

ابن العباس لينظرهم، قال لهم: ما الذي نقيمتُم علي أمير المؤمنين؟

قالوا: قد كان للمؤمنين أميراً، فلما حكّم في دين الله خرج من الإيمان، فليتبّ بعد

إقراره بالكفر نعدّ له.

فقال ابن عباس: ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يُقرّ علي نفسه بالكفر.

قالوا: إنّه قد حكّم.

قال: إن الله عزّ وجلّ قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ

ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟!

فقالوا: إنّه قد حكّم عليه فلم يرض.

فقال: إنّ الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان،

لما خالفا نبذت أقاويلهما.

فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجّة عليكم؛ فإنّ هذا من القوم

الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ

قَوْمًا لُدًّا﴾^(٢) (٣).

٧٢٧- في الكامل للمبرّد: كان أصحاب النخيلة^(٤) قالوا لابن عباس: إن كان عليّ علي

حقّ لم يُشكك فيه وحكّم مضطراً، فما باله حيث ظفر لم يسب؟

فقال لهم ابن عباس: قد سمعتُم الجواب في التحكيم، فأما قولكم في السبّ أفكنتم

سابين أمكم عائشة؟! فوضعوا أصابعهم في آذانهم، وقالوا: أمسك عنا غرّب

(١) الزخرف: ٥٨.

(٢) مريم: ٩٧.

(٣) الكامل للمبرّد: ١٠٧٩/٣، شرح نهج البلاغة: ٢٧٣/٢؛ بحار الأنوار: ٣٣/٣٤٩.

(٤) النخيلة - تصغير نخلة - : موضع قرب الكوفة على سمت الشام، وهو الموضع الذي خرج إليه

الإمام علي عليه السلام (معجم البلدان: ٢٧٨/٥).

لسانك^(١) يابن عباس؛ فإنه طلق ذلك^(٢)، غوّاص على موضع الحجّة^(٣).

٧٢٨- في تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - في ذكر الخوارج -: بعث عليّ ابن عباس إليهم، فقال: لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم، فأقبلوا يكلمونه، فلم يصبر حتى راجعهم فقال: ما نقيمت من الحكمين؛ وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، فكيف بأمة محمد ﷺ.

فقالت الخوارج: قلنا: أمّا ما جعل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له، فهو إليهم كما أمر به، وما حكم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه؛ حكم في الزاني مائة جلدة، وفي السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا في هذا. قال ابن عباس: فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾. فقالوا: أوّ جعل الحكم في الصيد، والحَدَث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين!

وقالت الخوارج: قلنا له: فهذه الآية بيننا وبينك، أعدلّ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا! فإن كان عدلاً فلسنا بعدول، ونحن أهل حرب، وقد حكمتم في أمر الله الرجال، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوه، ثمّ كتبتم بينكم وبينه كتاباً، وجعلتم بينكم وبينه المودعة والاستفاضة، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والمودعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة، إلّا من أقرّ بالجزية^(٤).

٧٢٩- في شرح الأخبار عن عبد الله بن عباس: أرسلني عليّ أمير المؤمنين ﷺ إلى الخوارج الحرورية لأكلّمهم، فكلمتهم. فقالوا: لا حكم إلّا لله. فقلت: أجل، ولكنّ أمّا

(١) غرب اللسان: حدّته (لسان العرب: ١/٦٤١).

(٢) لسان ذلك طلق: فصيح (لسان العرب: ١٠/١١٠).

(٣) الكامل للمبرّد: ٣/١١٦٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/٦٤، الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٣، أنساب الأشراف: ٣/١٢٢، المعيار والموازنة: ١٩٤ كلاهما نحوه.

تقرؤون القرآن وقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٣)! وقد شهد من شهد منكم رسول الله صلى الله عليه وآله إذ حكّم سعداً في بني قريظة، فلمّا حكم فيهم بالحقّ أجاز حكمه، وقال: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة، فهل تقولون إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخطأ في تحكيم سعد في بني قريظة؟! وأيّهم عندكم أوجب أن يحكم فيه: أمر ما بين رجل وبين امرأته، أو جزاء صيد يصيبه محرم، أو الحكم في أمة قد اختلفت وقتل بعضها بعضاً؛ ليرجع منها إلى حكم الكتاب من خالفه، فتحقن دماء الأمة ويلمّ شعثها؟ فقال لهم ابن الكوّاء: دعوا ما يقول هذا وأصحابه، واقبلوا على ما أنتم عليه؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد أخبر أنّ هؤلاء قوم خصيمون^(٤).

موعظة الإمام في حروراء وتوبة بعض الخوارج

٧٣٠- في الفتوح - بعد ذكر رجوع عبدالله بن عباس من حروراء وإخباره الإمام بما جرى بينه وبين الخوارج - : ركب عليّ إلى القوم في مائة رجل من أصحابه، حتى وافاهم بحروراء، فلمّا بلغ ذلك الخوارج ركب عبدالله بن الكوّاء في مائة رجل من أصحابه حتى واقفه.

فقال له عليّ: يا ابن الكوّاء إنّ الكلام كثير، ابرز إليّ من أصحابك حتى أكلّمك. قال ابن الكوّاء: وأنا آمن من سيفك.

قال عليّ: نعم، وأنت آمن من سيفي.

قال: فخرج ابن الكوّاء في عشرة من أصحابه ودنوا من عليّ عليه السلام. قال: وذهب ابن الكوّاء ليتكلّم فصاح به رجل من أصحاب عليّ وقال: اسكت؛ حتى يتكلّم من هو أحقّ

(١) المائدة: ٩٥.

(٢) المائدة: ٤٩.

(٣) النساء: ٣٥.

(٤) شرح الأخبار: ٤٦/٢/٤١٣ وراجع تاريخ دمشق: ٤٦٦/٤٢.

بالكلام منك.

قال: فسكت ابن الكوّاء، وتكلّم عليّ بن أبي طالب، فذكر الحرب الذي كان بينه وبين معاوية، وذكر اليوم الذي رفعت فيه المصاحف، وكيف اتّفقوا على الحكمين، ثمّ قال له عليّ: ويحك يا ابن الكوّاء، ألم أقلّ لكم في ذلك اليوم الذي رفعت فيه المصاحف: كيف أهل الشام يريدون أن يخدعوكم بها؟ ألم أقلّ لكم بأنّهم قد عضّهم السلاح وكاعوا^(١) عن الحرب، فذروني أنا جزهم، فأبيتّم عليّ وقتلتم: إنّ القوم قد دعونا إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأجبهم إلى ذلك، وإلا لم نقاتل معك، وإلا دفعناك إليهم! فلما أجبتكم إلى ذلك وأردت أن أبعث ابن عمّي عبدالله بن عباس ليكون لي حكماً، فإنّه رجل لا يبتغي بشيء من عرض هذه الدنيا ولا يطمع أحد من الناس في خديعته، فأبى عليّ منكم من أبي، وجئتموني بأبي موسى الأشعري وقتلتم: قد رضينا بهذا. فأجبتكم إليه وأنا كاره، ولو أصبت أعواناً غيركم في ذلك الوقت لما أجبتكم. ثمّ إنّي اشتطت على الحكمين بحضرتكم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته أو السنة الجامعة، فإن هما لم يفعلا ذلك فلا طاعة لهما عليّ، أكان ذلك أم لم يكن؟

فقال ابن الكوّاء: صدقت، قد كان هذا بعينه، فلم لا ترجع إلى حرب القوم إذ قد علمت إنّ الحكمين لم يحكما بالحقّ، وأنّ أحدهما خدع صاحبه؟

فقال عليّ: إنّه ليس إلى حرب القوم سبيل إلى انقضاء المدّة التي ضُربت بيّني

وبينهم.

قال ابن الكوّاء: فأنت مُجمع على ذلك؟

قال: وهل يسعني إلا ذلك؟ انظر يا ابن الكوّاء أنّي أصبت أعواناً وأقعد عن حقّي؟

قال: فعندها بطن^(٢) ابن الكوّاء فرسه وصار إلى عليّ مع العشرة الذين كانوا معه،

ورجعوا عن رأي الخوارج، وانصرفوا مع عليّ إلى الكوفة، وتفرّق الباقيون وهم

(١) كاع: جبن (لسان العرب: ٣١٧/٨).

(٢) بطنه: ضرب بطنه (لسان العرب: ٥٤/١٣).

يقولون: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله^(١).

٧٣١- في الأخبار الطوال - في ذكر احتجاجات الإمام علي عليه السلام الخوارج - قال: ليخرج

إليّ رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول، فإن وجبت عليّ الحجّة أقررت لكم وتبت إلى الله، وإن وجبت عليكم فاتّقوا الذي مردكم إليه.

فقالوا العبد الله بن الكوّاء - وكان من كبرائهم - : اخرج إليه حتى تحاجّه، فخرج إليه.

فقال عليّ: هل رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد؛ فكفى بك شهيداً.

فقال عليّ عليه السلام: يا ابن الكوّاء، ما الذي نقمتم عليّ بعد رضاكم بولايتي، وجهادكم

معى، وطاعتكم لي؟ فهلّا برئتم مني يوم الجمل؟

قال ابن الكوّاء: لم يكن هناك تحكيم.

فقال عليّ: يا ابن الكوّاء، أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال ابن الكوّاء: بل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٢)، أكان الله يشكّ أنهم هم الكاذبون؟

قال: إنّ ذلك احتجاج عليهم، وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين، فنحن

أحرى أن نشكّ فيك.

قال: وإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾^(٣).

قال ابن الكوّاء: ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم.

فلم يزل عليّ عليه السلام يحاجّ ابن الكوّاء بهذا وشبهه، فقال ابن الكوّاء: أنت صادق في

جميع ما تقول، غير أنّك كفرت حين حكمت الحكمين.

قال عليّ: ويحك يا ابن الكوّاء، إني إنّما حكمت أبا موسى وحده، وحكمت معاوية

عمرأ.

(١) الفتوح: ٢٥٣/٤ وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٩/٣ وكشف الغمّة: ١/٢٦٤.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) القصص: ٤٩.

قال ابن الكوّاء: فإنّ أبا موسى كان كافراً.

قال عليّ: ويحك، متى كفر، أحين بعثته، أم حين حكم؟

قال: لا، بل حين حكم.

قال: أفلا ترى أنّي إنّما بعثته مسلماً، فكفر - في قولك - بعد أن بعثته، رأيت لو أنّ

رسول الله ﷺ بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس من الكافرين ليدعوهم إلى الله،

فدعاهم إلى غيره، هل كان على رسول الله ﷺ من ذلك شيء؟

قال: لا.

قال: ويحك، فما كان عليّ إن ضلّ أبو موسى؟ أفيحلّ لكم بضلالة أبي موسى أن

تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس؟!

فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكوّاء: انصرف، ودع مخاطبة الرجل.

فانصرف إلى أصحابه، وأبى القوم إلا التماسي في الغي^(١).

٧٣٢- في الكامل للمبرّد - في ذكر الخوارج - يروى أنّ عليّاً في أوّل خروج القوم عليه

دعا صعصعة بن صوحان العبدي - وقد كان وجهه إليهم - وزياد بن النضر الحارثي

مع عبدالله بن العباس، فقال لصعصعة: بأيّ القوم رأيتم أشدّ إطفاءة؟

فقال: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب عليّ إليهم إلى حروراء، فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مضرب يزيد بن

قيس، فصلّى فيه ركعتين، ثمّ خرج فاتكأ على قوسه، وأقبل على الناس، ثمّ قال: هذا

مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، أنشدكم الله، أعلمتم أحداً منكم كان أكره للحكومة

منّي؟

قالوا: اللهم لا.

قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟

قالوا: اللهم نعم.

(١) الأخبار الطوال: ٢٠٨.

قال: فعلامٌ خالفتموني ونايذتموني؟

قالوا: إنا أتينا ذنباً عظيماً، فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه واستغفره نُعد لك.

فقال عليّ: إنّي أستغفر الله من كلّ ذنب. فرجعوا معه، وهم ستّة آلاف. فلما استقرّوا بالكوفة أشاعروا أنّ عليّاً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، وقالوا: إنّما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع، ويُجبي المال، فينهض إلى الشام.

فأتى الأشعث بن قيس عليّاً فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفرًا!

فخطب عليّ الناس فقال: من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فهو أضلّ. فخرجت الخوارج من المسجد، فحكّمت، فقيل لعليّ: إنّهم خارجون عليك.

فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيفعلون^(١).

٧٣٣ - في تاريخ الطبري عن عمارة بن ربيعة - في ذكر الخوارج -: بعث عليّ زياد بن النضر إليهم فقال: انظر بأيّ رؤوسهم هم أشدّ إطفافة. فنظر، فأخبره أنّه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيد بن قيس.

فخرج عليّ في الناس حتى دخل إليهم، فأتى فسطاط يزيد بن قيس، فدخله فتوضّأ فيه، وصلى ركعتين، وأمره على أصبهان^(٢) والرّي^(٣). ثمّ خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابن عبّاس، فقال: انتبه عن كلامهم، ألم أنّك رحمتك الله! ثمّ تكلم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه، ثمّ قال: اللهمّ إنّ هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة،

(١) الكامل للمبرّد: ٣ / ١١٣٠، شرح نهج البلاغة: ٢ / ٢٧٨ نحوه؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٥٣ وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٠.

(٢) إصبهان: هي مركز محافظة اصفهان وتعدّ واحدة من المدن الكبيرة والقديمة في إيران، تقع هذه المدينة على بعد ٤٠٠ كيلو متر من جنوب طهران. وكانت عاصمة إيران إبان العهد الصفوي.

(٣) الرّي: واحدة من المدن الإيرانية القديمة وتعدّ الآن إحدى مناطق مدينة طهران، وكان لها في السابق مكانة متميّزة وقد تخرّج منها عدد وفير من العلماء الأفاضل.

ومن نطق فيه وأوعث^(١) فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً. ثم قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكوّاء.

قال عليّ: فما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفّين.

قال: أنشدكم بالله، أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف، فقلّتم: نُجيبهم إلى كتاب الله، قلتُ لكم: إنني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. امضوا على حقكم وصدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً^(٢) ومكيدة، فرددتم عليّ رأيي، وقلتم: لا، بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، فلما أبيتم إلا الكتاب اشتراطاً على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن، وأن يُميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن، وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء.

قالوا له: فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟

فقال: إننا لسنا حكّما الرجال، إنّما حكّما القرآن، وهذا القرآن إنّما هو خطّ مسطور بين دفتين لا ينطق، إنّما يتكلّم به الرجال.

قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم؟

قال: ليعلم الجاهل، ويتثبت العالم، ولعلّ الله عزّ وجلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة. ادخلوا مصركم رحمكم الله. فدخلوا من عند آخرهم^(٣).

٧٣٤- في العقد الفريد - في ذكر كلام الإمام مع ابن الكوّاء -: فقال له عليّ: يا ابن الكوّاء، إنّه من أذنب في هذا الدين ذنباً يكون في الإسلام حدثاً استتبناه من ذلك الذنب بعينه،

(١) أوعث فلان: إذا خلط، والوعث: فساد الأمر واختلاطه (لسان العرب: ٢/٢٠٢).

(٢) دهن الرجل: إذا نافق (لسان العرب: ١٣/١٦٢).

(٣) تاريخ الطبري: ٥/٦٥، الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٣؛ الإرشاد: ١/٢٧٠ نحوه وفيه من «فحمد الله عزّ وجلّ...».

وإنّ توبتك أن تعرف هدى ما خرجت منه، وضلال ما دخلت فيه.

قال ابن الكوّاء: إنّنا لا ننكر أنّنا قد قُتْنَا. فقال له عبدالله بن عمرو بن جرموز: أدركنا والله هذه الآية: ﴿الْمَ ۖ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١) - وكان عبدالله من قرّاء أهل حروراء - فرجعوا فصلّوا خلف عليّ الظهر، وانصرفوا معه إلى الكوفة. ثمّ اختلفوا بعد ذلك في رجعتهم، ولاّم بعضهم بعضاً (٢).

٧٣٥- في تاريخ الطبري عن أبي رزين: لمّا وقع التحكيم ورجع عليّ من صفين رجعوا مباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل عليّ في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبدالله بن عباس، فرجع ولم يصنع شيئاً. فخرج إليهم عليّ فكلّمهم حتى وقع الرضا بينه وبينهم، فدخلوا الكوفة.

فأتاه رجل فقال: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رجعت لهم عن كفرك.

فخطب الناس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم، فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلّا لله.

واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه في أذنيه، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (٣).
فقال عليّ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٤) (٥).

٧٣٦- قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ عليّاً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوّاء وهو خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾. فأنصت عليّ عليه السلام؛ تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية، ثمّ عاد في قراءته، ثمّ أعاد ابن الكوّاء الآية، فأنصت عليّ عليه السلام أيضاً، ثمّ قرأ، فأعاد ابن الكوّاء فأنصت عليّ عليه السلام.

(١) العنكبوت: ٢٠١.

(٢) العقد الفريد: ٣/٣٤٥، جواهر المطالب: ٢/٦٩.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الروم: ٦٠.

(٥) تاريخ الطبري: ٥/٧٣، البداية والنهاية: ٧/٢٨٥.

ثم قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾، ثم أتم السورة، ثم ركع (١).

٧٣٧ - في مروج الذهب عن الصلت بن بهرام: لما قدم عليّ الكوفة جعلت الحرورية تتناديه وهو على المنبر: جزعت من البلية، ورضيت بالقضية، وقبلت الدنية، لا حكم إلا لله. فيقول: حكم الله أنتظر فيكم.

فيقولون: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

فيقول عليّ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٢).

٧٣٨ - في تاريخ الطبري عن كثير بن بهز الحضرمي: قام عليّ في الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل - من جانب المسجد - : لا حكم إلا لله. فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون.

فقال عليّ: الله أكبر، كلمة حقّ يلتمس بها باطل! أما إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا. ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته (٣).

٧٣٩ - في دعائم الإسلام: خطب [عليّ عليه السلام] بالكوفة فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا لله. فسكت عليّ، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا عليه قال: كلمة حقّ يراد بها

(١) تهذيب الأحكام: ٣/٣٥/١٢٧ عن معاوية بن وهب، المناقب لابن شهر آشوب: ١١٣/٢ من دون إسناد إلى المعصوم؛ المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٥٨/٤٧٠٤، السنن الكبرى: ٢/٣٤٨/٣٣٢٧ كلاهما عن أبي يحيى نحوه وليس فيهما «ابن الكواء».

(٢) مروج الذهب: ٢/٤٠٦، أنساب الأشراف: ٣/١٢٨ وراجع تاريخ الطبري: ٥/٧٣ والبداية والنهاية: ٧/٢٨٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/٧٣، السنن الكبرى: ٨/٣١٩/١٦٧٦٣ عن كثير بن نمر، الكامل في التاريخ: ٢/٣٩٨، البداية والنهاية: ٧/٢٨٢؛ الإيضاح: ٤٧٤، المناقب للكوفي: ٢/٣٤١/٨١٨ عن كثير بن نمر وكلها نحوه وراجع البداية والنهاية: ٧/٢٨٥.

باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا به، وأشهد لقد أخبرني النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين أنه لا يخرج علينا منكم فرقة - قلت أو كثرت إلى يوم القيامة - إلا جعل الله حتفها على أيدينا، وأن أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء من قتلتموه، وأفضل المجاهدين من قتلتم؛ فاعملوا ما أنتم عاملون، فيوم القيامة يخسر المبطلون، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١)(٢).

٧٤٠ - في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة الحنفي: إن علياً خرج ذات يوم يخطب، فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال علي: الله أكبر، كلمة حق يراد بها باطل! إن سكتوا عممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم.

فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال: الحمد لله غير مودع ربنا، ولا مستغنى عنه. اللهم، إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا؛ فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل، وذل راجع بأهله إلى سخط الله. يا علي، أباقتل تخوفنا؟ أما والله، إنني لأرجو أن تضربكم بها عمّا قليل غير مصفحات، ثم لتعلمن أينا أولى بها صلياً. ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم فأصيبوا مع الخوارج بالنهر، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيلة (٣).

٧٤١ - قال الإمام علي عليه السلام - من كلام له في الخوارج لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله -: كلمة حق يراد بها باطل! نعم، إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير؛ برّ أو فاجر؛ يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاقل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف

(١) الأنعام: ٦٧.

(٢) دعائم الإسلام: ٣٩٣/١ وراجع تاريخ ابن خلدون: ٦٣٧/٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٧٢/٥، الكامل في التاريخ: ٣٩٨/٢.

من القوي، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر^(١).

٧٤٢- في نهج البلاغة: روي أنه ﷺ كان جالساً في أصحابه، فمرّت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بأبصارهم، فقال ﷺ: إنّ أبصار هذه الفحول طوامح، وإنّ ذلك سبب هيبابها^(٢)، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه قليلا مس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأته. فقال رجل من الخوارج: قاتله الله، كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه.

فقال ﷺ: رويداً؛ إنّما هو سبّ بسبّ، أو عفو عن ذنب^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠، بحار الأنوار: ٣٣/٣٥٨/٥٩٣ وراجع أنساب الأشراف: ٣/١٣٥.
 (٢) الهبة - بالكسر - : هياج الفحل، وهبّ التيس هيباباً: هاجّ ونبّ للسفاد (لسان العرب: ١/٧٧٨).
 (٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٢/١١٣ وفيه «هناتها» بدل «هيبابها».

الخوارج يبائعون عبدالله بن وهب قائداً

٧٤٣- في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة: إنّ علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضها بعضاً، فاجتمعوا في منزل عبدالله بن وهب الراسبي، فحمد الله عبدالله بن وهب وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فوالله ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا - التي الرضا بها والركون بها والإيثار إياها عناء وتبار - أثر عندهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقول بالحقّ، وإنّ منّ وضُرّ فإنّه من يُمّن ويُضُرّ في هذه الدنيا فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ والخلود في جنّاته. فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلّة.

فقال له حرقوص بن زهير: إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل، وإنّ الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتكم عن طلب الحقّ، وإنكار الظلم، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون.

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم! إنّ الرأي ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلاً منكم، فإنّه لا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها، وترجعون إليها. فعرضوها على زيد ابن حصين الطائي، فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير، فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي، فأبىا، وعرضوها على عبدالله بن وهب، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرّقا^(١) من الموت. فبايعوه لعشرٍ خلون من شوال، وكان يقال له: ذو الثغفات.

ثمّ اجتمعوا في منزل شريح بن أوفى العبسي، فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله، فإنكم أهل الحقّ.

قال شريح: نخرج إلى المدائن فننزلها، ونأخذ بأبوابها، ونُخرج منها سكّانها،

(١) الفرّوق: الخوف (لسان العرب: ١٠/٣٠٤).

ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا.
فقال زيد بن حصين: إنكم إن خرجتم مجتمعين أتبعتم، ولكن اخرجوا وحداناً
مستخفين، فأما المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهر وان
وتكاتبوا إخوانكم من أهل البصرة. قالوا: هذا الرأي.
وكتب عبدالله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يُعلمهم ما اجتمعوا عليه، ويحثهم
على اللحاق بهم، وسير الكتاب إليهم، فأجابوه أنهم على اللحاق به.
فلما عزموا على المسير تعبدوا ليلتهم؛ وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة، وساروا
يوم السبت، فخرج شريح بن أوفى العبسي وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ
يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١) (٢).

جرائم وإرهاب الخوارج

٧٤٤ - في مسند ابن حنبل عن أيوب عن حميد بن هلال عن رجل من عبد القيس كان من
الخوارج ثم فارقههم قال: دخلوا قرية، فخرج عبدالله بن خباب، ذعراً يجرّ رداءه، فقالوا: لم
تزع؟ قال: والله لقد رعتموني!

قالوا: أنت عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟

قال: نعم. قالوا (٣): فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه؟
قال: نعم، سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة، القاعد فيها خير من
القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركت
ذلك فكُن عبدالله المقتول - قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكُن عبدالله القاتل -.

(١) القصص: ٢١ و ٢٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٧٤، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٩٨، الأخبار الطوال: ٢٠٢ نحوه وفيه «حمزة بن
سيار ويزيد بن حصين» بدل «حمزة بن سنان وزيد بن حصين» وراجع أنساب الأشراف: ٣ / ١٣٧.

(٣) في المصدر: «قال»، والتصحيح من تاريخ الطبري.

قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم.

قال: فقدّموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقر^(١)، وبقروا أمّ ولده عمّا في بطنها^(٢).

٧٤٥- في تاريخ الطبري عن حميد بن هلال: إنّ الخارجة التي أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من إخوانها بالنهر، فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوف بامرأة على حمار، فعبروا إليه، فدعوه، فتهدّوه وأفزعه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض، وكان سقط عنه لمّا أفزعه.

فقالوا له: أفزعاك؟

قال: نعم.

قالوا له: لا روع عليك، فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وآله؛ لعلّ الله ينفعنا به.

قال: حدّثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسي فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويصبح فيها كافراً ويمسي فيها مؤمناً.

فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟

فأثنى عليهما خيراً.

(١) ما ابذقرّ دمه: ما تفرّق ولا تمدّر (لسان العرب: ٥١/٤).

(٢) مسند ابن حنبل: ٤٥٢/٧، تاريخ الطبري: ٨١/٥، الطبقات الكبرى: ٢٤٥/٥ وفيه «أيوب ابن حميد بن هلال»، مسند أبي يعلى: ٦/٣٧٤/٧١٨٠، أنساب الأشراف: ٣/١٤٣ نحوه، تاريخ بغداد: ١/٢٠٥/٤٦ نحوه وذكر فيه أيضاً «إنّ عبد الله بن خبّاب ولد في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وكان موصوفاً بالخير والصلاح والفضل» وفي ج ٧/٢٣٧: إنّ عبد الله بن خبّاب كان عامل الإمام علي عليه السلام على النهروان.

قالوا: ما تقول في عثمان، في أوّل خلافته وفي آخرها؟

قال: إنّه كان محقّقاً في أوّلها وفي آخرها.

قالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم وبعده؟

قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنك تتبّع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنك

قتلة ما قتلناها أحداً. فأخذوه فكتفوه، ثمّ أقبلوا به وبامراته وهي حُبلى متّم^(١)، حتى

نزلوا تحت نخل مواقر، فسقطت منه رطبة، فأخذها أحدهم فقذف بها في فمه، فقال

أحدهم: بغير حلّها وبغير ثمن! فلفظها وألقاها من فمه. ثمّ أخذ سيفه؛ فأخذ يمينه فمرّ به

خنزير لأهل الذمّة، فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض! فأتى صاحب الخنزير

فأرضاه من خنزيره.

فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليّ منكم

بأس، إنّي لمسلم، ما أحدثت في الإسلام حدّثاً، ولقد أمّنتموني؛ قلتّم: لا روع عليك.

فجاؤوا به فأضجعوه، فذبحوه، وسال دمه في الماء. وأقبلوا إلى المرأة، فقالت:

أنّي إنّما أنا امرأة، ألا تتقون الله! فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا

أمّ سنان الصيداوية^(٢).

(١) أتّمّت الحُبلى فهي مُتِمٌّ: إذا تمّت أيام حملها (لسان العرب: ١٢/٦٨).

(٢) تاريخ الطبري: ٨١/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٣/٢، أنساب الأشراف: ١٤٢/٣ عن أبي مجلز،

الإمامة والسياسة: ١٦٧/١ كلاهما نحره.

خطبة الإمام في استنصار الخوارج لقتال معاوية

٧٤٦ - في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة: لما خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكة وردّ عليّ ابن عبّاس إلى البصرة، قام في الكوفة فخطبهم، فقال: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

أمّا بعد، فإنّ المعصية تورث الحسرة، وتُعقب الندم، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري، ونحلتكم رأيي، لو كان لقصير أمراً! ولكن أبيتّم إلا ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتهم أمري بمُنْعَرَجِ اللّوى فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الغدِ

الآن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجة بيّنة، ولا سنة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشدا، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. استعدّوا وتأهبوا للمسير إلى الشام، وأصبحوا في معسكركم إن شاء الله يوم الإثنين^(١).

٧٤٧ - في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة: كتب [عليّ عليه السلام] إلى الخوارج بالنهر:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين، وعبدالله بن وهب، ومن معهما من الناس.

(١) تاريخ الطبري: ٧٧/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٠/٢، أنساب الأشراف: ١٤٠/٣ عن عامر الشعبي وجبر بن نوف وغيرهما، مروج الذهب: ٤١٢/٢، البداية والنهاية: ٢٨٧/٧ عن الشعبي وفيه إلى «ضحى الغد»؛ نهج البلاغة: الخطبة ٣٥ وفيه من «الحمد لله» إلى «ضحى الغد» والأربعة الأخيرة نحوه.

أما بعد، فإنّ هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله، واتّبعوا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملوا بالسنة، ولم يُنفذا للقرآن حكماً، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابي هذا فأقبلوا؛ فإننا سائرون إلى عدونا وعدوّكم، ونحن على الأمر الأوّل الذي كنّا عليه. والسلام.

وكتبوا إليه: أما بعد، فإنّك لم تغضب لربك، إنّما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء، إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم^(١).

٧٤٨ - في أنساب الأشراف عن أبي مجلز: بعث عليّ إلى الخوارج أن سيروا إلى حيث شئتم، ولا تفسدوا في الأرض؛ فإنّي غير هائجكم ما لم تحدثوا حدثاً. فساروا حتى أتوا النهروان، وأجمع عليّ على إتيان صفّين، وبلغ معاوية فسار حتى أتى صفّين.

وكتب عليّ إلى الخوارج - بالنهروان - : أما بعد، فقد جاءكم ما كنتم تريدون، قد تفرّق الحكمان على غير حكومة ولا اتفاق، فارجعوا إلى ما كنتم عليه، فإنّي أريد المسير إلى الشام.

فأجابوه: إنّه لا يجوز لنا أن نتخذك إماماً وقد كفرت حتى تشهد على نفسك بالكفر، وتتوب كما تبنا، فإنّك لم تغضب لله، إنّما غضبت لنفسك.

فلما قرأ جواب كتابه إليهم يئس منهم، فرأى أن يمضي من معسكره بالنخيلة وقد كان عسكرها حين جاء خبر الحكمين إلى الشام، وكتب إلى أهل البصرة في النهوض معه^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٧٧/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠١/٢، الأخبار الطوال: ٢٠٦ نحوه وراجع البداية والنهاية: ٢٨٧/٧.

(٢) أنساب الأشراف: ١٤١/٣.

عسكر الإمام في النخيلة

٧٤٩- في الأخبار الطوال - بعد ذكر رسالة الإمام عليه السلام إلى الخوارج وجوابهم له - : لَمَّا قرأ عليّ كتابهم يئس منهم، ورأى أن يدعهم على حالهم، ويسير إلى الشام؛ ليعاود معاوية الحرب، فسار بالناس حتى عسكر بالنخيلة، وقال لأصحابه: تأهبوا للمسير إلى أهل الشام، فإني كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم، فإذا وافوا شخّصنا إن شاء الله.

ثمّ كتب كتابه إلى جميع عمّاله أن يخلّفوا خلفاءهم على أعمالهم، ويقدموا عليه^(١).

٧٥٠- في تاريخ الطبري عن جبر بن نوف: إنّ عليّاً لمّا نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج،

قام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّه من ترك الجهاد في الله وأدهن في أمره كان على شفا هُلكه، إلّا أن يتداركه الله بنعمة، فاتّقوا الله، وقاتلوا من حادّ الله، وحاول أن يطفئ نور الله، قاتلوا الخاطئين الضالّين، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقراء للقرآن، ولا فقهاء في الدين، ولا علماء في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام. والله، لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل؛ تيسّروا وتهيّؤوا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخّصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وكتب عليّ إلى عبدالله بن عباس - مع عتبة بن الأحنس بن قيس من بني سعد بن

بكر - : أمّا بعد، فإنّا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنخيلة، وقد أجمعنا على المسير إلى

عدوّنا من أهل المغرب، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولي، وأقم حتى يأتيك أمري.

(١) الأخبار الطوال: ٢٠٦.

والسلام^(١).

اختيار جيش الإمام لقتال الخوارج قبل معاوية

٧٥١- في مروج الذهب: نزل عليّ الأنبار^(٢)، والتأمت إليه العساكر، فخطب الناس، وحرّضهم على الجهاد، وقال: سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً؛ فإنهم طالما سعوا في إطفاء نور الله، وحرّضوا على قتال رسول الله ﷺ ومن معه.

ألا إن رسول الله أمرني بقتال القاسطين؛ وهم هؤلاء الذين سرنا إليهم، والناكثين؛ وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين؛ ولم نلقهم بعد.

فسيروا إلى القاسطين؛ فهم أهمّ علينا من الخوارج، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين، يتّخذهم الناس أرباباً، ويتّخذون عباد الله خولاً^(٣)، ومالهم دولاً. فأبوا إلا أن يبدؤوا بالخوارج، فسار عليّ إليهم^(٤).

٧٥٢- في تاريخ الطبري عن أبي الصلت التيمي: بلغ عليّاً أنّ الناس يقولون: لو سار بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا من وجهنا ذلك إلى المحليين. فقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّه قد بلغني قولكم: لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت عليه فبدأنا بهم، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحليين، وإنّ غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم، فدعوا نكرهم، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكاً، ويتّخذوا عباد الله خولاً.

(١) تاريخ الطبري: ٧٨/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠١/٢ وراجع الأخبار الطوال: ٢٠٦.

(٢) الأتبار: من نواحي بغداد على شاطئ الفرات على بعد عشرة فراسخ، كان بها مقام السقّاح أوّل خلفاء بني العبّاس (تقويم البلدان: ٣٠١).

(٣) أي خدماً وعبداً (لسان العرب: ٢٢٥/١١).

(٤) مروج الذهب: ٤١٥/٢، مسند ابن حنبل: ٧٠٦/١٩٨/١ وفيه «عن زيد بن وهب: لما خرجت الخوارج بالنهروان قام عليّ ﷺ في أصحابه فقال: إنّ هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، وهم أقرب العدو إليكم، وإنّ تسيروا إلى عدوكم أنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء في أعقابكم».

فتنادى الناس من كلّ جانب: سير بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت (١).

٧٥٣- في الإمامة والسياسة: قام عليّ فيهم [أهل الكوفة] خطيباً، فقال: أمّا بعد، فقد بلغني قولكم: لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا، فبدأنا بهم، إلّا أنّ غير هذه الخارجة أهمّ على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتّخذهم المؤمنون أرباباً، ويتّخذون عباد الله خولاً، ودعوا ذكر الخوارج.

قال: فننادى الناس من كلّ جانب: سير بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك؛ نعادي من عاداك، ونُشايح من أناب إليك وإلى طاعتك، فسير بنا إلى عدوّك كائناً من كان، فإنّك لن تؤتى من قلة ولا ضعف؛ فإنّ قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك، والجّد في جهاد عدوّك، فأبشروا يا أمير المؤمنين بالنصر، واشخص إلى أيّ الفريقين أحببت، فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله، تخاف من الله في خذلانك والتخلّف عنك شديد الوبال. فبايعود على التسليم والرضا، وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله (٢).

(١) تاريخ الطبري: ٨٠/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٢/٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ١٦٦/١.

أحداث أدت إلى قتال الخوارج

٧٥٤- في تاريخ الطبري عن حميد بن هلال - بعد أن ذكر أن الخوارج قتلوا عبدالله بن خبّاب وامرأته -: وقاتلوا ثلاث نسوة من طيء، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، فبلغ ذلك علياً ومن معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خبّاب واعتراضهم الناس، فبعث إليهم الحارث بن مرّة العبدي ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم، ويكتب به إليه على وجهه، ولا يكتبه.

فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم، فخرج القوم إليه فقتلوه. وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سير بنا إلى القوم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام.

وقام إليه الأشعث بن قيس الكندي فكلمه بمثل ذلك - وكان الناس يرون أن الأشعث يرى رأيهم؛ لأنه كان يقول يوم صقّين أنصفنا قوم يدعون إلى كتاب الله، فلمّا أمر علياً بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يرى رأيهم - فأجمع على ذلك، فنأدى بالرحيل^(١).

٧٥٥- في تاريخ الطبري عن عبد الله بن عوف: لمّا أراد عليّ المسير إلى أهل النهر من الأنبار قدّم قيس بن سعد بن عبادة، وأمره أن يأتي المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره. ثمّ جاء مقبلاً إليهم، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفي بالنهر، وبعث إلى أهل النهر:

(١) تاريخ الطبري: ٨٢/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٣/٢، أنساب الأشراف: ١٤٢/٣، الإمامة والسياسة: ١٦٨/١ كلاهما نحوه وراجع الأخبار الطوال: ٢٠٧ والبداية والنهاية: ٢٨٨/٧.

ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثم أنا تارككم وكافّ عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعن الله يقلب قلوبكم، ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه من أمركم. فبعثوا إليه، فقالوا: كلنا قتلتمهم، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءكم^(١).

٧٥٦- في تاريخ الطبري عن عبد الرحمن بن أبي الكنود: إن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم [أهل النهروان]: عباد الله! أخرجوا إلينا طلبتنا منكم، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم، فإنكم ركبتم عظيماً من الأمر؛ تشهدون علينا بالشرك، والشرك ظلم عظيم، وتسفكون دماء المسلمين وتعدّونهم مشركين. فقال عبدالله بن شجرة السلمي: إن الحقّ قد أضاء لنا فلسنا نتابعكم، أو تأتونا بمثل عمر. فقال: ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه فيكم؟ وقال: نشدّكم بالله في أنفسكم أن تهلكوها: فإنّي لأرى الفتنة قد غلبت عليكم.

وخطبهم أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري، فقال: عباد الله! إننا وإياكم على الحال الأولى التي كنّا عليها، ليست بيننا وبينكم فرقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا إننا لو بايعناكم اليوم حكمتم غداً.

قال: فإنّي أنشدكم الله أن تعجلوا فتنة العام مخافة ما يأتي في قابل^(٢).

الإمام قبل فرسخين من النهروان

٧٥٧- في الفتوح: سار عليّ عليه السلام حتى نزل على فرسخين من النهروان، ثمّ دعا بغلامه فقال له: اركب إلى هؤلاء القوم، وقل لهم عنّي: ما الذي حملكم على الخروج عليّ، ألم أقصد في حكمكم؟ ألم أعدل في قسمكم؟ ألم أقسم فيكم فيئكم؟ ألم أرحم صغيركم؟ ألم أوقرّ كبيركم؟ ألم تعلموا أنّي لم أتخذكم خولاً، ولم أجعل مالكم نفلاً؟ وانظر ماذا يردّون عليك، وإن شتموك فاحتمل، وإيّاك أن تردّ على أحد منهم شيئاً.

(١) تاريخ الطبري: ٨٣/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٤/٢، مروج الذهب: ٤١٥/٢، الإمامة

والسياسة: ١٦٨/١ و فيها من «بعث إلى أهل النهروان...»، البداية والنهاية: ٢٨٨/٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٨٣/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٤/٢، الأخبار الطوال: ٢٠٧ نحوه.

فأقبل غلام عليّ حتى أشرف على القوم بالنهروان، فقال لهم ما أمره به، فقالت له الخوارج: ارجع إلى صاحبك؛ فلسنا نجيبه إلى شيء يريده أبداً، وإنّا نخاف أن يردنا بكلامه الحسن كما ردّ إخواننا بحروراء عبدالله بن الكوّاء وأصحابه، والله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^(١)، ومولاك عليّ منهم، فارجع إليه وخبره بأنّ اجتماعنا هاهنا لجهاده ومحاربتة، لا لغير ذلك^(٢).

الإمام يخبر بما يقع في الحرب

٧٥٨- في الكامل في التاريخ: إنّ الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه، فقال لعليّ أصحابه: إنّهم قد عبروا النهر! فقال: لن يعبروا.

فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنّهم عبروا النهر، وكان بينهم وبينه نطفة من النهر، فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم، فعاد فقال: إنّهم قد عبروا النهر. فقال عليّ: والله ما عبروه، وإنّ مصارعهم لدون الجسر، والله لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة.

وتقدّم عليّ إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكّوا في قوله، وارتاب به بعضهم، فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا، وأخبروا عليّاً بحالهم. فقال: والله، ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ^(٣).

٧٥٩- قال الإمام عليّ عليه السلام: لما عزم على حرب الخوارج، وقيل له: إنّ القوم عبروا جسر النهروان -: مصارعهم دون النطفة^(٤)، والله، لا يُقتل منهم عشرة، ولا يهلك منكم

(١) الزخرف: ٥٨.

(٢) الفتوح: ٢٦١ / ٤.

(٣) الكامل في التاريخ: ٤٠٥ / ٢. راجع: القتال / استبشار الناس بظهور آية من آيات النبوة.

(٤) قال الشريف الرضي: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية عن الماء، وإن كان كثيراً جماً.

عشرة^(١).

٧٦٠- في الكامل للمبرّد: قد قال عليّ وقيل له: إنهم يريدون الجسر، فقال: لن يبلغوا النطفة. وجعل الناس يقولون له في ذلك، حتى كادوا يشكّون، ثمّ قالوا: قد رجعوا يا أمير المؤمنين! فقال: والله، ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ.

ثمّ خرج إليهم في أصحابه وقد قال لهم: إنّه والله ما يُقتل منكم عشرة، ولا يُفلت منهم عشرة. فقتل من أصحابه تسعة، وأفلت منهم ثمانية^(٢).

٧٦١- في كنز العمّال عن أبي سليمان المرعش: لما سار عليّ إلى النهروان سرت معه، فقال عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يقتلون منكم عشرة، ولا يبقى منهم عشرة. فلما سمع الناس ذلك حملوا عليهم، فقتلهم^(٣).

٧٦٢- في الإرشاد عن جندب بن عبد الله الأزدي: شهدت مع عليّ عليه السلام الجمل وصفين لا أشكّ في قتال من قاتله، حتى نزلنا النهروان، فدخلني شكّ، وقلت: قرأونا وخيارنا نقتلهم؟! إنّ هذا الأمر عظيم.

فخرجت غدوة أمشي ومعني إداوة^(٤) ماء، حتى برزت عن الصفوف، فركزت رمحي، ووضعت تُرسي إليه، واستترت من الشمس، فإني لجالس حتى ورد عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لي: يا أخا الأزدي، أمعك طهور؟ قلت: نعم، فناولته الإداوة، فمضى حتى لم أره، ثمّ أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ الترس، فإذا فارس يسأل عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا فارس يريدك، قال: فأشر إليه، فأشرت إليه، فجاء، فقال: يا أمير المؤمنين، قد عبر القوم وقد قطعوا النهر! فقال: كلاً، ما عبروا.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٩، كشف الغمّة: ٢٦٧/١، المناقب لابن شهر آشوب: ٢٦٣/٢، إعلام

الورى: ١/٣٣٨ كلّها نحوه وليس فيها «مصارعهم دون النطفة».

(٢) الكامل للمبرّد: ١١٠٥/٣ وراجع مروج الذهب: ٤١٦/٢.

(٣) كنز العمّال: ٣١٦٢٥/٣٢٢/١١ نقلاً عن يعقوب بن شيبّة في كتابه «مسير عليّ».

(٤) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها (لسان العرب: ٢٥/١٤).

قال: بلى، والله لقد فعلوا.

قال: كلاً، ما فعلوا.

قال: فإنه لكذلك إذ جاء آخر فقال: يا أمير المؤمنين، قد عبر القوم!

قال: كلاً، ما عبروا.

قال: والله، ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب، والأثقال.

قال: والله ما فعلوا، وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم.

ثم نهض ونهضت معه، فقلت في نفسي: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل، وعرفني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجل كذاب جريء، أو على بينة من ربه وعهد من نبيه، اللهم! إنني أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله، وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كانوا لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال.

فدفعنا^(١) إلى الصفوف، فوجدنا الرايات والأثقال كما هي، قال: فأخذ بقفائي ودفعني، ثم قال: يا أخا الأزدي، أتبين لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين. قال: فشأنك بعدوك. فقتلت رجلاً، ثم قتلت آخر، ثم اختلفت أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقنا جميعاً، فاحتملني أصحابي، فأفقت حين أفقت وقد فرغ القوم^(٢).

٧٦٣ - في شرح نهج البلاغة: لما خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه

ممن كان على مقدمته يركض، حتى انتهى إلى عليّ عليه السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين!

قال: ما بشراك؟

قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فأبشروا؛ فقد منحك الله أكتافهم.

فقال له: أالله أنت رأيتهم قد عبروا!

قال: نعم.

(١) دَفَع إلى المكان ودَفِع: انتهى (لسان العرب: ٨/٨٩).

(٢) الإرشاد: ٣١٧/١، إعلام الوری: ٣٣٩/١ وراجع الكافي: ٢/٣٤٥/١، والمناقب لابن

شهر آشوب: ٢/٢٦٨ والمعجم الأوسط: ٤/٢٢٧/٤٠٥١.

فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم. فقال عليّ: والله، ما عبروه، ولن يعبروه، وإنّ مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث ولا قصر بوازن حتى يقتلهم الله، وقد خاب من افتري.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأوّل، فلم يكثرث عليّ عليه السلام بقوله وجاءت الفرسان تركض، كلّها تقول مثل ذلك.

فقام عليّ عليه السلام فجال في متن فرسه.

قال: فيقول شابّ من الناس: والله، لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان هذا الرمح في عينه؛ أيدّعي علم الغيب! فلمّا انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل. (١)

فنزل ذلك الشابّ، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، وإنّي تائب

إلى الله وإليك، فاغفر لي!

فقال عليّ عليه السلام: إنّ الله هو الذي يغفر الذنوب، فاستغفره (٢).

(١) الرّجّل: رفع الصوت الطّرب (لسان العرب: ١١/٣٠٢).

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٧١؛ بحار الأنوار: ٣٣/٣٤٨/٥٨٧.

الإمام يحتج على الخوارج

٧٦٤ - في نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام قاله للخوارج، وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال عليه السلام: أكلّمكم شهد معنا صفّين؟ فقالوا: منّا من شهد، ومنّا من لم يشهد.

قال: فامتازوا فرقتين؛ فليكن من شهد صفّين فرقة، ومن لم يشهدا فرقة، حتى أكلّم كلّاً منكم بكلامه. ونادى الناس، فقال: أمسكوا عن الكلام، وأنصتوا لقولي، وأقبلوا بأفئدتكم إليّ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها.

ثمّ كلّمهم عليه السلام بكلام طويل، من جملة أن قال عليه السلام: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم، والتنفيس عنهم؟

فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان، وباطنه عدوان، وأوله رحمة، وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضّوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق؛ إن أجيب أضلّ، وإن ترك نلّ.

وقد كانت هذه الفعلة، وقد رأيتمكم أعطيتموها. والله لئن أبيّتها ما وجبت عليّ فريضتها، ولا حمّلتني الله ذنبها. ووالله، إن جئتُها إنّي للمحقّ الذي يُتّبَع، وإنّ الكتاب لمعي، ما فارقتُه مذ صحبتُه، فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّ القتل ليدور على الآباء والأبناء، والإخوان والقرباب، فما نزداد على كلّ مصيبة وشدة إلا إيماناً، ومضياً على الحقّ، وتسليماً للأمر، وصبراً على مَضَض ^(١) الجراح.

ولكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيف والاعوجاج، والشبهة والتأويل. فإذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثننا، وندانى بها

(١) مَضَضِي الجُرح: أَلْمَنِي وأوجعني (لسان العرب: ٧/٢٣٢).

إلى البقيّة فيما بيننا، رغبتنا فيها، وأمسكنا عمّا سواها^(١).

٧٦٥ - قال الإمام عليّ عليه السلام - من كلام له يكشف للخوارج الشبهة - : فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت، فلم تُضللّون عامّة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي؟ سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب! وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن، ثمّ صلّى عليه، ثمّ ورّثه أهله، وقتل القاتل، وورّث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثمّ قسم عليهما من الفيء، ونكح المسلمات؛ فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يُخرج أسماءهم من بين أهله.

ثمّ أنتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه، وضرب به تيّهه^(٢)! وسيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحقّ، وخير الناس فيّ حالاً النمط الأوسط، فالزموده، والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب.

ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمّامي هذه، فإنّما حكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات القرآن، وإحياءه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه. فإن جرّنا القرآن إليهم اتّبعناهم، وإن جرّهم إلينا اتّبعونا. فلم آت - لا أبا لكم - بجرأ^(٣)، ولا ختلتكم^(٤) عن أمركم، ولا لبّسته عليكم، إنّما اجتمع رأي ملئكم على

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٢، الاحتجاج: ١/٤٣٩/١٠٠ وفيه من «ألم تقولوا...»، بحار الأنوار:

٣٣/٣٦٨/٦٠٠ وراجع الإرشاد: ١/٢٧٠.

(٢) ضرب في الأرض: أسرع وسار وأرض تيه: مظلة أي يتيه فيها الإنسان (لسان العرب: ١/٥٤٤

وج ١٣/٤٨٢). يعني سلك بهم في ضلالة.

(٣) البجر: الداهية والأمر العظيم (النهاية: ١/٩٧).

(٤) ختله: خدعه عن غفلة (لسان العرب: ١١/١٩٩).

اختيار رجلين، أخذنا عليهما ألا يتعدّيا القرآن، فتاها عنه، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هوأهما فمضيا عليه. وقد سبق استتناؤنا عليهما - في الحكومة بالعدل، والصمد للحقّ - سوء رأيهما، وجور حكمهما^(١).

٧٦٦- في التوحيد عن الأصبع بن نباتة: لمّا وقف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الخوارج، ووعظهم، وذكرهم، وحذّرهم القتال، قال لهم: ما تنقمون منّي؟ ألا إنّي أوّل من آمن بالله ورسوله؟! فقالوا:

أنت كذلك، ولكنك حكمت في دين الله أباموسى الأشعري.

فقال عليه السلام: والله، ما حكمت مخلوقاً، وإنما حكمت القرآن، ولولا أنّي غلبت على أمري وخولفت في رأيي لما رضيتُ أن تضع الحرب أوزارها بيني وبين أهل حرب الله، حتى أعلي كلمة الله، وأنصر دين الله، ولو كره الكافرون والجاهلون^(٢).

٧٦٧- في تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري: إنّ عليّاً قال لأهل النهر: يا هؤلاء! إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكموها مكيدة ودهناً، فأبيتم عليّ إباء المخالفين، وعدلتم عني عدول النكداء العاصين، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، فلم آت - لا بأبلكم - حراماً.

والله، ما خبّلتكم^(٣) عن أموركم، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم، ولا أوطأتكم عشوة^(٤)، ولا دنيت لكم الضراء، وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً، فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يحكما بما في القرآن ولا يعدوا، فتاها، وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هوأهما. وقد سبق استيناقتنا عليهما في

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

(٢) التوحيد: ٦/٢٢٥، بحار الأنوار: ٣٣/٣٨١/٦١٠.

(٣) خبّله: أفسد عقله (لسان العرب: ١١/١٩٨).

(٤) أوطأني عشوة: لبس عليّ، والمعنى فيه: أنّه حمّله على أن يركب أمراً غير مستبين الرشد، فربّما

كان فيه عطبه (لسان العرب: ١٥/٥٩).

الحكم بالعدل والصدّق للحقّ سوء رأيهما، وجوزَ حكمهما. والثقة في أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيل الحقّ، وأتيا بما لا يعرف.

فبيّنوا لنا: بماذا تستحلّون قتالنا، والخروج من جماعتنا؟ إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثمّ تستعرضوا الناس تضربون رقابهم، وتسفكون دماءهم! إنّ هذا هو الخسران المبين. والله، لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام!

فتنادوا: لا تخاطبوهم، ولا تكلموهم، وتهيؤوا للقاء الربّ، الرواح الرواح إلى الجنة^(١).

٧٦٨ - في تاريخ الطبري عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً أتى أهل النهر فوقف عليهم، فقال: أيّتها العصابة التي أخرجتها عداوة المرء واللجاجة، وصدّها عن الحقّ الهوى، وطمح بها النزق^(٢)، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم، إنّي نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط^(٣)، بغير بيّنة من ربكم، ولا برهان بيّن.

ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنّي أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم! فعصيتموني، حتى أقررتُ بأن حكمت.

فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا، وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبتنا أمرهما، ونحن على

(١) تاريخ الطبري: ٨٤/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٤/٢؛ نهج البلاغة: الخطبة ١٧٧ وفيه من «فأجمع رأي ملثكم» إلى «وأتيا بما لا يعرف» وكلاهما نحوه.

(٢) التزق: خفة في كلّ أمر وعجلة في جهل وحمق (لسان العرب: ٣٥٢/١٠).

(٣) الهضم: ما تظمأن من الأرض، وجمعه أهضام، والغائط: المتسع من الأرض مع طمأنينة (لسان العرب: ٦١٥/١٢، ٣٦٤/٧).

أمرنا الأول، فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم؟

قالوا: إننا حَكَمْنَا، فلَمَّا حَكَمْنَا أثنَمْنَا، وكُنَّا بِذَلِكَ كَافِرِينَ، وقد تُبِنَا، فَإِن تَبِتَ كَمَا تَبِنَا فَنَحْنُ مِنْكَ وَمَعَكَ، وَإِن أَبَيْتَ فَاعْتَزَلْنَا؛ فَإِنَّا مَنَابِذُوكَ عَلَى سِوَاءِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. فقال عليّ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَّ مِنْكُمْ وَابِرًا! أبعَدَ إيماني برسول الله ﷺ وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهدُ على نفسي بالكفر! لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم^(١).

٧٦٩- في تاريخ بغداد عن جابر: إني لشاهد علياً يوم النهروان لَمَّا أن عاين القوم قال لأصحابه: كَفَرُوا. فنَادَاهُمْ أَنْ أَقِيدُونَا^(٢) بدم عبدالله بن خَبَّاب - وكان عامل عليّ على النهروان -.

قالوا: كَلْنَا قَتْلَهُ^(٣).

(١) تاريخ الطبري: ٨٤/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٤/٢، الأخبار الطوال: ٢٠٧ نحوه وراجع المناقب لابن شهر آشوب: ١٨٩/٣.

(٢) القَوَد: القِصَاص، وقتل القاتل بدل القاتل، وقد أقدته به أُقِيدُهُ (النهاية: ١١٩/٤).

(٣) تاريخ بغداد: ٣٧٢٩/٢٣٧/٧ وراجع السنن الكبرى: ١٦٧٦٧/٣٢٠/٨ وأنساب الأشراف: ١٣٦/٣ وتاريخ الطبري: ٨٣/٥ والكامل في التاريخ: ٤٠٤/٢ والبداية والنهاية: ٢٨٨/٧.

خطبة الإمام قبل الحرب

٧٧٠- في الأخبار الموقّيات عن علي بن صالح: لما استوى الصقّان بالنهروان تقدّم

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بين الصقّين، ثمّ قال:

أما بعد، أيّتها العصابة التي أخرجتها عادة المراء والضلالة، وصدف بها عن الحقّ

الهوى والزيغ، إني نذير لكم أن تصبحوا غداً صرعى بأكناف هذا النهر، أو يملطاط^(١)

من الغائط، بلا بيّنة من ربكم ولا سلطان مبين. ألم أنهكم عن هذه الحكومة

وأحذركموها، وأعلمكم أنّ طلب القوم لها دهنٌ منهم ومكيدة؟! فخالفتم أمري وجانبتم

الحزم فعصيتموني حتى أقررت بأن حكّمت، وأخذت على الحكمين فاستوثقت،

وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فخالفا أمري وعملا بالهوى،

ونحن على الأمر الأوّل، فأين تذهبون؟ وأين يتاه بكم؟

فقال خطيبهم: أما بعد، يا عليّ! فإنّا حين حكّمنا كان ذلك كفراً متّاً، فإن تبت كما تبنا

فنحن معك ومنك، وإن أبيت فنحن منا بذك على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين.

فقال عليّ: أصابكم حاصب^(٢) ولا بقي منكم وابر^(٣)، أبعث إيماني بالله، وجهادي

في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أقرّ بالكفر؟! لقد ضللت إذا وما أنا من

المهتدين، ولكن مُنيتُ بمعشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام، والله المستعان^(٤).

٧٧١- في تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري: رفع عليّ راية أمان مع أبي أيّوب،

فناداهم أبو أيّوب: من جاء هذه الراية منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن، ومن

(١) المملطاط: ساحل البحر (لسان العرب: ٧/٣٩٠).

(٢) حاصب: أي عذاب من الله، وأصله زُميتُم بالحضباء من السماء (النهاية: ١/٣٩٤).

(٣) يقال: ما بالدار وابر؛ أي ما بها أحد (لسان العرب: ٥/٢٧٣).

(٤) الأخبار الموقّيات: ١٨١/٣٢٥.

انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمن، إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم.

فقال فروة بن نوفل الأشجعي: والله، ما أدري على أيّ شيء نقاتل علينا؟! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لي بصيرتي في قتاله أو أتباعه، وانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين^(١) والدسكرة، وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلت الكوفة، وخرج إلى عليّ منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبدالله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة^(٢).

٧٧٢ - في الأخبار الطوال: رفع عليّ راية، وضمّ إليها ألفي رجل، ونادى:

من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن.

ثمّ تواقف الفريقان، فقال فروة بن نوفل الأشجعي - وكان من رؤساء الخوارج - لأصحابه: يا قوم! والله ما ندري، علام نقاتل علينا، وليست لنا في قتله حجة ولا بيان، يا قوم! انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو أتباعه.

فترك أصحابه في مواقفهم، ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى إلى البندنيجين، وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة، واستأمن إلى الراية منهم ألف رجل، فلم يبق مع عبدالله بن وهب إلا أقلّ من أربعة آلاف رجل^(٣).

(١) بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل، وهي من أعمال بغداد (معجم البلدان: ١/٤٩٩).

(٢) تاريخ الطبري: ٨٦/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٥/٢ وفيه «ألف وثمانمائة» بدل «ألفين وثمانمائة»، أنساب الأشراف: ١٤٦/٣، الإمامة والسياسة: ١/١٦٩ كلاهما نحوه.

(٣) الأخبار الطوال: ٢١٠.

بدء الحرب

دعاء الإمام والأمر بالقتال

٧٧٣- قال الإمام الباقر عليه السلام: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ يَدْعُو عَلَى الْخَوَارِجِ فَيَقُولُ فِي دَعَائِهِ: اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، أَسْأَلُكَ الظَّفَرَ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَفَارَقُوا أُمَّةَ أَحْمَدَ عَتَوْا عَلَيْكَ (١).

٧٧٤- في مروج الذهب - في ذكر قتال الخوارج -: لَمَّا أَشْرَفَ [عَلِيٌّ عليه السلام] عَلَيْهِمْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَتَصَافَّ الْقَوْمُ، وَوَقَفَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ وَالتَّوْبَةِ، فَأَبَوْا وَرَمَوْا أَصْحَابَهُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ رَمَوْنَا.

فَقَالَ: كَفُّوا.

فَكَرَّرُوا الْقَوْلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ بِالْكَفِّ، حَتَّى أَتَى بِرَجُلٍ قَتِيلٍ مَتَشَحَّطٍ بِدَمِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: اللَّهُ أَكْبَرُ، الْآنَ حَلَّ قِتَالُهُمْ، أَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ (٢).

٧٧٥- في شرح نهج البلاغة عن أبي عبيدة - في الخوارج -: اسْتَنْطَقَهُمْ عَلِيٌّ عليه السلام بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ، فَأَقْرَبُوا بِهِ.

فَقَالَ: انْفَرِدُوا كِتَابًا لِأَسْمَعَ قَوْلَكُمْ كَتِيبَةً كَتِيبَةً.

فَتَكْتَبُوا كِتَابًا، وَأَقْرَبَتْ كُلُّ كَتِيبَةٍ بِمِثْلِ مَا أَقْرَبَتْ بِهِ الْأُخْرَى مِنْ قَتْلِ ابْنِ خَبَّابٍ، وَقَالُوا: وَلِنَقْتَلَنَّكَ كَمَا قَتَلْنَا هَذَا!

(١) قرب الإسناد: ٣٧/١٢ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام، بحار الأنوار: ٣٣/٣٨١/٦١١.

(٢) مروج الذهب: ٤١٦/٢.

فقال عليّ: والله، لو أقرّ أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم. ثمّ التفت إلى أصحابه فقال لهم: شدّوا عليهم، فأنا أوّل من يشدّ عليهم^(١).

٧٧٦ - في الكامل للمبرّد: خرج منهم رجل بعد أن قال عليّ رضوان الله عليه: ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبدالله بن خبّاب.

فقالوا: كلنا قتله وشرك في دمه! ثمّ حمل منهم رجل على صفّ عليّ - وقد قال عليّ: لا تبدؤوهم بقتال - فقتل من أصحاب عليّ ثلاثة وهو يقول:

أقتلهم ولا أرى عليّاً
ولو بدا أوجرته الخطيّا

فخرج إليه عليّ صلوات الله عليه فقتله، فلمّا خالطه السيف قال: حبّذا الروحة إلى الجنّة!

فقال عبدالله بن وهب: ما أدري ألى الجنّة أم إلى النار؟

فقال رجل من بني سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا، وأراه قد شكّ!! فانخذل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى ناحية أبي أيّوب الأنصاري^(٢).

٧٧٧ - في مروج الذهب: حمل رجل من الخوارج على أصحاب عليّ، فجرح فيهم، وجعل يفشى كلّ ناحية، ويقول:

أضربهم ولو أرى عليّاً
ألبسته أبيض مشرفيّا

فخرج إليه عليّ عليه السلام، وهو يقول:

يا أيّها المبتغي عليّاً
إنّي أراك جاهلاً شقيّاً

قد كنت عن كفاحه غنيّاً
هلمّ فابرزها هنا إليّا

وحمل عليه عليّ، فقتله.

ثمّ خرج منهم آخر، فحمل على الناس، فقتك فيهم، وجعل يكرّ عليهم، وهو يقول:

أضربهم ولو أرى أباحسن
ألبسته بصارمي ثوب غيّن

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/٢٨٢؛ بحار الأنوار: ٣٣/٣٥٥/٥٨٧، مستدرک الوسائل: ١٨/٢١٣/٢٢٥٣٤،

نفس الرحمن في فضائل سلمان: ٦٢ وفيهما إلى «القتلتهم».

(٢) الكامل للمبرّد: ٣/١١٠٥، شرح نهج البلاغة: ٢/٢٧٢ وراجع شرح الأخبار: ٢/٥٥/٤١٦.

فخرج إليه عليّ وهو يقول:

يا أيّها المبتغي أباحسن إليك فانظر أيّنا يلقي الغبن

وحمل عليه عليّ وشكّه بالرمح، وترك الرمح فيه، فانصرف عليّ وهو يقول: لقد رأيت أباحسن فرأيت ما تكره^(١).

٧٧٨- في الفتوح: تقدّم عبدالله بن وهب الراسبي حتى وقف بين الجمعين، ثمّ نادى

بأعلى صوته: يا بن أبي طالب! حتى متى يكون هذه المطاولة بيننا وبينك؟! والله، لا

نبرح هذه العرصة أبداً أو تأبى على نفسك، فابرز إليّ حتى أبرز إليك وذر الناس جانباً.

فتبسّم عليّ عليه السلام ثمّ قال: قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه! أما إنّه ليعلم أنّي حليف

السيف وجديل الرمح، ولكنّه أيس من الحياة، أو لعلّه يطمع طمعاً كاذباً.

قال: وجعل عبدالله يجول بين الصقّين وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن وهب الراسبي الثاري أضرب في القوم لأخذ النار

حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق إلى الأخيار

ثمّ حمل فضربه عليّ ضربة ألحقه بأصحابه^(٢).

٧٧٩- في كشف اليقين: حمل ذو النُدَيّة ليقّتل عليّاً عليه السلام، فسبّقه عليّ عليه السلام وضرّبه ففلق

البيضة ورأسه، فحمله فرسه فألقاه في آخر المعركة في جُرْفٍ دالية على شطّ

النهر وان^(٣).

٧٨٠- في تاريخ الطبري عن أبي سلمة الزهري: وبعث عليّ الأسود بن يزيد المرادي في

ألفي فارس، حتى أتى حمزة بن سنان وهو في ثلاثمائة فارس من خيلهم... وأقبلت

الخوارج، فلمّا أن دنوا من الناس نادوا يزيد بن قيس فكان يزيد بن قيس على إصبهان

(١) مروج الذهب: ٤١٦/٢ وراجع بحار الأنوار: ٤٥٠/٣٤.

(٢) الفتوح: ٢٧٤/٤؛ كشف اليقين: ٢٠٥/٢٠٦، كشف الغمّة: ٢٦٧/١ كلاهما نحوه وراجع

المناقب لابن شهر آشوب: ١٩٠/٣.

(٣) كشف اليقين: ٢٠٥/٢٠٥، كشف الغمّة: ٢٦٦/١، المناقب لابن شهر آشوب: ١٩٠/٣؛ الفتوح:

٢٧٣/٤ كلاهما نحوه.

فقالوا: يا يزيد بن قيس لا حكم إلا لله وإن كرهت إصْبَهان، فناداهم عباس بن شريك وقبيصة بن ضبيعة العبسيان يا أعداء الله، أليس فيكم شريح بن أوفى المسرف على نفسه؟ هل أنتم إلا أشباهه؟! قالوا: وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة وفيها توبة؟ ثم تنادوا: الرواح الرواح إلى الجنة! فشدّوا على الناس والخيل أمام الرجال، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم، وافترقت الخيل فرقتين: فرقة نحو الميمنة، وأخرى نحو الميسرة، وأقبلوا نحو الرجال، فاستقبلت المرامية وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فوالله ما لبثوهم أن أناموهم.

ثم إن حمزة بن سنان صاحب خيلهم لما رأى الهلاك، نادى أصحابه أن انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يتقارّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادي، وجاءتهم الخيل من نحو عليّ فأهمّدوا في الساعة^(١).

٧٨١- في تاريخ الطبري عن حكيم بن سعد - في وصف حرب النهروان -: ما هو إلا أن لقينا أهل البصرة، فما لبثناهم، فكأنما قيل لهم: موتوا، فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم، وتعظم نكايتهم^(٢).

٧٨٢- في الإمامة والسياسة عن الثعلبي: لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها، ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة، ونهض عليّ في القلب بالسيوف والرماح، فلا والله ما لبثوا قُواقاً^(٣)، حتى صرعهم الله، كأنما قيل لهم: موتوا فماتوا^(٤).

٧٨٣- في الأخبار الطوال - في ذكر بدء القتال -: قال عليّ لأصحابه:

(١) تاريخ الطبري: ٨٦/٥، الكامل في التاريخ: ٤٠٦/٢، البداية والنهاية: ٢٨٩/٧ كلاهما نحوه من «ثم تنادوا».

(٢) تاريخ الطبري: ٨٧/٥.

(٣) الفواق: هو ما بين الحلبتين من الراحة (النهاية: ٤٧٩/٣).

(٤) الإمامة والسياسة: ١٦٩/١.

لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم.

فتنادت الخوارج: لا حكم إلا لله وإن كره المشركون، ثم شدوا على أصحاب عليّ شدة رجل واحد، فلم تثبت خيل عليّ لشدّتهم، وافترقت الخوارج فرقتين: فرقة أخذت نحو الميمنة، وفرقة أخرى نحو الميسرة.

وعطف عليهم أصحاب عليّ، وحمل قيس بن معاوية البرّجمي من أصحاب عليّ على شريح بن أبي أوفى، فضربه بالسيف على ساقه فأبانها فجعل يقاتل برجل واحدة وهو يقول: الفحل يحمي شؤله معقولا. فحمل عليه قيس بن سعد فقتله وقُتلت الخوارج كلّها ربيعة^(١) واحدة^(٢).

(١) الرّبيعة: مقتل قوم قتلوا في بقعة واحدة (لسان العرب: ١٥٣/٧).

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٠.

آية من آيات النبوة

٧٨٤ - في مسند ابن حنبل عن أبي كثير مولى الأنصار: كنت مع سيدي مع علي بن أبي

طالب عليه السلام حيث قُتل أهل النهروان، فكأنّ الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم.

فقال علي عليه السلام: يا أيّها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين

كما يمرق السهم من الرميّة، ثمّ لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه، وإنّ

آية ذلك أنّ فيهم رجلاً أسود مُخَدَجٌ ^(١) اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة

ثدي المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه، فإنّي أراه فيهم.

فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه.

فكبر علي عليه السلام فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله، وإنّه لمتقلّد قوساً له عربيّة،

فأخذها بيده فجعل يطعن بها في مُخَدَجته ويقول: صدق الله ورسوله، وكبرّ الناس

حين رأوه واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون ^(٢).

٧٨٥ - في صحيح مسلم عن بسر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع: إنّ الحروريّة لمّا

خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب عليه السلام - قالوا: لا حكم إلّا لله.

قال علي: كلمة حقّ أريد بها باطل، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصف ناساً إنّي لأعرف

صفتهم في هؤلاء، يقولون الحقّ بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقة - من

أبغض خلق الله إليه منهم أسود، إحدى يديه طبي ^(٣) شاة أو حلمة ثدي.

فلمّا قتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً.

فقال: ارجعوا، فوالله! ما كذبت ولا كذبت - مرّتين أو ثلاثاً - ثمّ وجدوه في خربة،

فأتوا به حتى وضعوه بين يديه.

(١) مُخَدَجُ اليد: ناقص اليد (لسان العرب: ٢/٢٤٨).

(٢) مسند ابن حنبل: ١/١٩١/٦٧٢، البداية والنهاية: ٧/٢٩٤ وراجع تاريخ بغداد: ١/١٩٩/٣٨.

(٣) وفي بعض المصادر: لحي شاة.

قال عبيدالله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول عليّ فيهم^(١).

٧٨٦ - في مروج الذهب: كان جملة من قتل من أصحاب عليّ تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة، وأتى عليّ على القوم، وهم أربعة آلاف، فيهم المخدج ذو الثديّة إلا من ذكرنا من هؤلاء العشرة.

وأمر عليّ بطلب المخدج، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فقام عليّ وعليه أثر الحزن لفقد المخدج، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض.

فقال: أفرجوا. ففرجوا يميناً وشمالاً واستخرجوه.

فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر، ما كذبتُ على محمد، وإنّه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة، ثمّ قال: اتنوني به.

فنظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة عليه شعرات سود إذا مدت اللحم امتدت، حتى تحاذي بطن يده الأخرى، ثمّ تترك فتعود إلى منكبه. فثنى رجله ونزل، وخر لله ساجداً^(٢).

٧٨٧ - في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرّة: إنّ عليّاً خرج في طلب ذي الثديّة ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جبرة، والريان بن صبرة بن هوزة، فوجده الريان ابن صبرة بن هوزة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً.

قال: فلما استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة، له حلمة عليها شعرات سود، فإذا مدّت امتدّت حتى تحاذي طول يده الأخرى، ثمّ تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة.

فلما استخرج قال عليّ: الله أكبر! والله ما كذبتُ ولا كُذبت، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل، لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم،

(١) صحيح مسلم: ١٥٧/٧٤٩/٢، تاريخ بغداد: ١٠/٣٠٥/٥٤٥٣.

(٢) مروج الذهب: ٤١٧/٢ وراجع سنن أبي داود: ٤/٢٤٤/٤٧٦٨ و ص ٤٧٦٩/٢٤٥، مسند ابن

حنبل: ١/٢٣٠/٨٤٨.

عارفاً للحقّ الذي نحن عليه^(١).

٧٨٨- في الكامل في التاريخ: قد روى جماعة أنّ عليّاً كان يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج؛ أنّ قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مُخَدَج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً.

فلَمَّا خرج أهل النهروان سار بهم إليهم عليٌّ وكان منه معهم ما كان، فلَمَّا فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج، فالتمسوه، فقال بعضهم: ما نجده، حتى قال بعضهم: ما هو فيهم، وهو يقول:

والله، إنّه لفيهم، والله، ما كذبت ولا كُذبت!

ثمّ إنّه جاءه رجل فبشّره، فقال: يا أمير المؤمنين، قد وجدناه^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٨٨/٥ وراجع تاريخ بغداد: ٣٧٢٩/٢٣٧/٧ والمحاسن والمساوي: ٣٨٥

وكشف الغمّة: ٢٦٧/١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤٠٧/٢.

كلام الإمام عليه السلام بعد الحرب

٧٨٩ - قال الإمام علي عليه السلام - وقد مرّ بقتلى الخوارج يوم النهروان - : بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم!

ف قيل له: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: الشيطان المضلّ، والأنفس الأمّارة بالسوء، غرّتهم بالأمانى، وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدهم الإظهار، فاقتحمت بهم النار^(١).

٧٩٠ - قال الإمام علي عليه السلام - لما قتل الخوارج، ف قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم - : كلاً والله، إنهم نطّف في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين^(٢).

٧٩١ - في في المصنّف عن قتادة: لما قتلهم [الخوارج] قال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم.

فقال عليّ: كلاً والذي نفسي بيده، إنّ منهم لمن في أصلاب الرّجال لم تحمله النّساء بعد، وليكوننّ آخرهم لصاصاً جرّادين^(٣).

٧٩٢ - في المعجم الأوسط عن أبي جعفر الفراء: سمع عليّ أحد ابنيّه - إمّا الحسن أو الحسين - يقول: الحمد لله الذي أراح أمّة محمّد من هذه العصابة.

فقال عليّ: لو لم يبق من أمّة محمّد إلا ثلاثة لكان أحدهم عليّ رأي هؤلاء، إنهم لفي

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٣؛ تاريخ الطبري: ٨٨/٥ عن عبد الملك بن أبي حرّة، الكامل في التاريخ: ٤٠٧/٢، البداية والنهاية: ٢٨٩/٧ كلّها نحوه.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٦٠، شرح المائة كلمة: ٢٣٨، بحار الأنوار: ٣٣/٤٣٣/٦٤١.

(٣) المصنّف لعبد الرزّاق: ١٠/١٥٠/١٨٦٥٥، كنز العمال: ١١/٢٨٧/٣١٥٤٢.

أصلاب الرجال وأرحام النساء^(١).

٧٩٣- في شرح نهج البلاغة - في الخوارج -: وقد صحّ إخباره ﷺ عنهم أنّهم لم يهلكوا بأجمعهم في وقعة النهروان، وأنها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد، وهكذا وقع، وصحّ إخباره ﷺ أيضاً أنّه سيكون آخرهم لصوصاً سلابين، فإنّ دعوة الخوارج اضمحلّت، ورجالها فنيت، حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قُطَاع طريق، متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض^(٢).

٧٩٤- في تاريخ بغداد عن حبة العرنى: لمّا فرغنا من النهروان قال رجل: والله لا يخرج بعد اليوم حُروري أبداً.

فقال عليّ: مه! لا تقلّ هذا، فوالذي فلق الحبة وبراّ النسمة إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، ولا يزالون يخرجون حتى تخرج طائفة منهم بين نهريّن، حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبداً^(٣).

عفو الإمام عن الجرحى

٧٩٥- في تاريخ الطبري عن عبد الملك بن أبي حرة: طلب [عليّ ﷺ] من به رمق منهم، فوجدناهم أربعمئة رجل، فأمر بهم عليّ فدفعوا إلى عشائريهم، وقال: احملوهم معكم فداووهم، فإنّا برئوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما في عسكريهم من شيء.

قال: وأمّا السلاح والدوابّ وما شهدوا به عليه الحرب، فقسّمه بين المسلمين، وأمّا المتاع والعييد والإماء فإنّه حين قدم رده على أهله^(٤).

(١) المعجم الأوسط: ٧/٣٣٩/٧٦٦٦، كنز العمال: ١١/٢٩١/٣١٥٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٧٣/٥.

(٣) تاريخ بغداد: ٨/٢٧٥/٤٣٧٥، مروج الذهب: ٢/٤١٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/٨٨، مروج الذهب: ٢/٤١٨، الكامل في التاريخ: ٢/٤٠٧، الإمامة والسياسة: ١/١٦٩ كلّها نحوه وفيها من «خذوا ما في عسكريهم...».

خطبة الإمام عليه السلام لما فرغ من قتال الخوارج

٧٩٦ - في كنز العمال عن عبد الملك بن قريب: سمعت العلاء بن زياد الأعرابي يقول:

سمعت أبي يقول: صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النهروان فحمد الله وخنقته العبرة، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه وجرت، ثم نفض لحيته فوق رشاها على ناس من أناس، فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرمه الله على النار، ثم قال:

يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر ولا يأتي، وينهى ولا ينتهي، يحبّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظنّ، ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فُتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يُعافى فلا يشكر، ويُبتلى فلا يصبر، كأن المحذّر من الموت سواه، وكأن من وعد وزُجر غيره.

يا أغراض المنايا! يا رهائن الموت! يا وعاء الأسقام! يا نهية الأيام! ويا ثقل الدهر! ويا فاكهة الزمان! ويا نور الحدثان! ويا خرس عند الحجج! ويا من غمرته الفتنة وحيل بينه وبين معرفة العبر بحق! أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (١) جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل، ودُعي إلى العمل فعمل (٢).

تم الكتاب والله الحمد

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

(١) التحريم: ٦.

(٢) كنز العمال: ١٦ / ٢٠٥ / ٤٤٢٢٩ نقلاً عن ابن النجار.

فهرس الموضوعات

تمهيد:

- تحذير النبيّ من محاربة الإمام ٢
- هل كان أمير المؤمنين عليه السلام من دعاة الحرب؟ ٦
- ما هي أهداف الإمام من هذه الحروب؟ ٦
- ١- إحياء معالم الدين ٧
- ٢- الدفاع عن السنّة ١٠
- ٣- مكافحة البدعة ١٠
- ٤- مكافحة الفجور ١١
- كلام المفيد في عصمة الإمام في حروبه ١٢
- أدلة قول المفيد ١٢

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية

- علي أشجع الناس قلباً ١٥
- علي سيف الله الذي لا يخطئ ١٨
- علي كزار غير فزار ١٨
- علي كان يباشر القتال بنفسه ١٩
- علي كانت درعه بلا ظهر ٢٠
- علي كانت ضرباته أباراً ٢١

- ٢٢..... ما رُئي محارب مثل علي عليه السلام
- ٢٣..... شدة خوف الأعداء من علي عليه السلام
- ٢٤..... إرهاب النبي الأعداء بعلي عليه السلام
- ٢٥..... كان علي عليه السلام مع النبي في جميع حروبه
- ٢٦..... كان علي عليه السلام صاحب راية النبي
- ٢٩..... كان جبرئيل عن يمين علي وميكائيل عن يساره عليهم السلام
- ٣١..... تدابير أمير المؤمنين عليه السلام الأمانة قبل الحرب
- ٣٢..... احذروا العدو
- ٣٥..... لا تستصغر عدوك
- ٣٥..... نصائح للمجاهدين في ساحة القتال
- ٣٦..... الحروب التي خاضها أمير المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وآله
- ٣٦..... شجاعة علي ودوره في غزوة بدر
- ٤٤..... شجاعة علي ودوره في غزوة أحد
- ٥٤..... شجاعة علي ودوره في غزوة بني النضير
- ٥٥..... شجاعة علي ودوره في غزوة بني قريظة
- ٥٧..... شجاعة علي ودوره في غزوة الخندق
- ٦٢..... شجاعة علي ودوره في الحديبية
- ٦٤..... شجاعة علي ودوره في فتح خيبر
- ٧٧..... حكمة علي في فتح مكة
- ٧٩..... شجاعة علي ودوره في غزوة حنين
- ٨٢..... عدل أمير المؤمنين عليه السلام
- ٨٥..... أحكام علي على أعدائه

التدابير العسكرية عند علي عليه السلام

- ٨٦..... تدريب المقاتلين على فنون الحرب.
- ٨٧..... أفضل أمكنة وأوقات القتال.
- ٨٩..... العمل عند خوف المجاهدين أو هزيمتهم.
- ٨٩..... نصائح للمجاهدين عند القتال.
- ٩٠..... تنظيم حركة الجيش واتخاذ المواقع.
- ٩١..... أثر قوة وصلابة يد المجاهدين.
- ٩٢..... عدم مفارقة السلاح في الحرب.
- ٩٢..... انتهاز الفرصة.
- ٩٣..... الانسحاب التكتيكي.
- ٩٣..... تأسيس القوة الضاربة.
- ٩٥..... عناية المسؤول الخاصة بالقوات المسلحة.
- ٩٦..... ذم الفرار من المعركة.
- ٩٦..... ما يستحب قوله عند المسير الى الحرب.

رفع معنويات المجاهدين وأثره

- ٩٧..... ١- التحريض.
- ١٠٠..... ٢- اتخاذ الشعار واستعماله عند القتال.
- ١٠١..... ٣- تحديث النفس بالغلبة.
- ١٠٢..... ٤- بيان حرمة الفرار.
- ١٠٣..... ٥- إخفاء المعلومات التي تضرّ بمعنويات المجاهدين.
- ١٠٤..... ٦- استعمال أساليب توهم العدو (الخدعة).
- ١٠٧..... آداب ومستحبات الحرب.

الحرب الأولى:

حرب الجمل

- معلومات عامة عنها: ١١٥
- بعض من شارك في الحرب ١١٨
- عدد من قتل في حرب الجمل ١٢٠
- كم دامت الحرب؟ ١٢١
- دور معاوية في حرب الجمل ١٢١
- أول البغي! ١٢٤
- مسير طلحة والزبير إلى مكة ١٢٦
- تساور الزبير وطلحة وأصحابهما في الحرب ١٢٧
- دخول عائشة في المخطط ١٢٩
- بين أم سلمة وعائشة ١٣٢
- عائشة تشارك في الفتنة ١٣٣
- عائشة تتذكر قول النبي عن الجمل ١٣٥
- قصة ماء الخوَّاب! ١٣٥
- وصول خبر القوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٧
- خطبة الإمام عليه السلام ١٣٩
- توجه أمير المؤمنين عليه السلام للحرب ١٤٢
- الإمام يبرق إلى عثمان ١٤٤
- أمير المؤمنين عليه السلام يستنصر أهل الكوفة ١٤٤
- الحسن عليه السلام يتوجه إلى الكوفة ١٤٦
- اعتراض أبو موسى الأشعري ١٥٠
- الأشتر يقمع الأشعري ويأتي بجيش الكوفة ١٥٣
- احتلال عائشة للبصرة ١٥٦

- ١٦١ الحرب بين ابن حنيف وجيش عائشة.
- ١٦٢ تصالح عثمان مع الناكثين وغدرهم به.
- ١٦٦ عائشة تحاول قتل ابن حنيف وأصحابه.
- ١٦٨ رأي أبي بكر بعائشة.
- ١٦٨ وصول أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة.
- ١٧٠ الصلح قبل الحرب.
- ١٧١ محاولة أمير المؤمنين عليه السلام لحقن الدماء.
- ١٧٥ محاولة مع الزبير.
- ١٧٥ محاولة مع عائشة.
- ١٧٨ قد أعذر من أنذر.
- ١٧٩ اعتزال الزبير للحرب.
- ١٨٣ اغتيال الزبير.
- ١٨٤ محاولة أمير المؤمنين عليه السلام مع طلحة.
- ١٨٥ أمير المؤمنين عليه السلام يعرض كتاب الله حكماً.
- ١٨٨ بدء الجرب.
- ١٨٨ قتال علي عليه السلام للناكثين.
- ١٨٩ دعاء أمير المؤمنين قبل القتال.
- ١٩١ حثّ الأصحاب على الجهاد.
- ١٩٣ اشتداد القتال ونزول الإمام الى الميدان.
- ١٩٨ السكنينة الإلهية عند أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢٠٠ نزول عمّار والأشتر الى الميدان.
- ٢٠٢ مقتل طلحة.
- ٢٠٣ عائشة تفود الحرب بعد مقتل طلحة.
- ٢٠٤ أمر الإمام بعقر جمل عائشة.

- أحداث بعد الحرب الجمل ٢٠٩
- عفو علي عليه السلام عن المفتونين ٢١٢
- ندم الناس ٢١٣
- تأنيب عائشة من الصحابة ٢١٤
- ترحيل عائشة وندمها ٢١٩
- غنائم الحرب لمن؟ ٢٢١
- الإمام يقسم الأموال ٢٢٣
- خطبة الإمام بالبصرة بعد الحرب ٢٢٤
- الإمام عليه السلام يتوجه الى الكوفة ٢٢٨

الحرب الثانية

حرب القاسطين

- معلومات عامة عنها: ٢٣١
- الإمام يعدّ أصحابه للتوجه إلى صفين ٢٣٩
- قصة ردّ الشمس بدعاء الإمام ٢٤١
- الإمام في كربلاء ٢٤١
- أمير المؤمنين عليه السلام في المدائن ٢٤٣
- أمير المؤمنين عليه السلام الأنبار ٢٤٤
- قصة إسلام الراهب علي يدي أمير المؤمنين عليه السلام ٢٤٥
- أمير المؤمنين عليه السلام في بليخ ٢٤٨
- أمير المؤمنين عليه السلام في الرقة ٢٤٩
- انذار أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية ٢٥٠
- بدء الحرب ٢٥١
- وقوف الناس صفين بصفين ٢٥٤

- ٢٥٧..... معاوية يمنع الناس من الماء.....
- ٢٦٠..... أصحاب علي عليه السلام يعيدون الماء.....
- ٢٦٣..... أخلاق علي عليه السلام مع الأعداء.....
- ٢٦٥..... أمير المؤمنين يدعو القوم الى الرشد.....
- ٢٦٦..... أول القتال.....
- ٢٦٧..... موادة الجيشين قبل الصلح.....
- ٢٧٠..... مناقشات بين الجيشين.....
- ٢٧٢..... استمالة الإمام لقلوب الناس.....
- ٢٧٣..... الإمام يدعو الله قبل الحرب.....
- ٢٧٤..... أمر الإمام بالقتال وحث أصحابه.....
- ٢٧٧..... سبعة أيام من القتال.....
- ٢٨٣..... قتال على كل جبهة.....
- ٢٨٦..... شهداء صفين.....
- ٢٩٤..... شهادة عمّار بن ياسر.....
- ٢٩٧..... ماذا حدث بجيش معاوية عند شهادة عمّار؟.....
- ٢٩٩..... بسالة الأشر ودوره في الحرب.....
- ٣٠١..... أمير المؤمنين عليه السلام في وسط المعركة.....
- ٣٠٦..... السكنينة عند الإمام أثناء القتال.....
- ٣٠٨..... نجاة عمرو بن العاص بفضيحة خلدتها التاريخ.....
- ٣١٠..... كُتب بين معاوية والإمام وسط المعركة.....
- ٣١٤..... الإمام يدعو معاوية للمبارزة.....
- ٣١٧..... هروب معاوية وأصحابه من الإمام.....
- ٣١٩..... التجاء معاوية للخداع وجواب الإمام.....
- ٣٢٢..... معاوية يوسط ابن عبّاس!.....

- ٣٢٤ جواب ابن عباس
- ٣٢٦ يوم الخميس وليلة الهرير
- ٣٣٠ دعاء الإمام ليلة الهرير ويومه
- ٣٣٣ الحرب تضع أوزارها
- ٣٣٤ دعاء الإمام قبل رفع المصاحف
- ٣٣٥ التلاعب بالدين ورفع المصاحف
- ٣٣٩ الإمام وأصحاب الجباه السود
- ٣٤١ الأشر يتراجع قبل الفتح
- ٣٤٣ نجاة وفرح معاوية
- ٣٤٤ قبول الإمام للتحكيم
- ٣٤٥ الإمام يؤنب أصحابه
- ٣٤٧ الخلاف في تعيين الحكم
- ٣٥١ وثيقة التحكيم
- ٣٥٤ رفض الأشر للوثيقة
- ٣٥٥ اختلاف أصحاب الإمام
- ٣٥٧ الرجوع من صفين وخطبة الإمام
- ٣٥٨ الإمام يرسل لابنه الحسن عليهما السلام
- ٣٥٨ بسم الله الرحمن الرحيم
- ٣٦٨ اعتراض بعد حرب صفين
- ٣٧٢ الغدر في خيمة التحكيم
- ٣٧٣ تحذير ابن عباس
- ٣٧٤ تحذير شريح
- ٣٧٥ تحذير الأحنف بن قيس
- ٣٧٦ معاوية يحرض عمرو بن العاص

٣٧٦.....	موعظة الإمام لعمر بن العاص
٣٧٧.....	مفاوضات بين الحكمين
٣٨٠.....	خلاصة المفاوضات
٣٨٢.....	رأي الإمام بحكم الحكمين

الحرب الثالثة:

حرب المارقين في النهروان

٣٨٣.....	كيف بدأت الفتنة؟
٣٨٤.....	محاولة الإمام هداية الناس
٣٩٢.....	موعظة الإمام في حروراء وتوبة بعض الخوارج
٤٠٢.....	الخوارج يبايعون عبدالله بن وهب قائداً
٤٠٣.....	جرائم وإرهاب الخوارج
٤٠٦.....	خطبة الإمام في استنصار الخوارج لقتال معاوية
٤٠٨.....	عسكر الإمام في التّخيلة
٤٠٩.....	اختيار جيش الإمام لقتال الخوارج قبل معاوية
٤١١.....	أحداث أدت الى قتال الخوارج
٤١٢.....	الإمام قبل فرسخين من النهروان
٤١٣.....	الإمام يخبر بما يقع في الحرب
٤١٧.....	الإمام يحتج على الخوارج
٤٢٢.....	خطبة الإمام قبل الحرب
٤٢٤.....	بدء الحرب
٤٢٤.....	دعاء الإمام والأمر بالقتال
٤٢٩.....	آية من آيات النبوة
٤٣٢.....	كلام الإمام ﷺ بعد الحرب

- ٤٣٣ عفو الإمام عن الجرحى
- ٤٣٤ خطبة الإمام عليه السلام لما فرغ من قتال الخوارج
- ٤٣٥ فهرس الموضوعات



حروب علي عليه السلام

- ١- قال رسول الله ﷺ : حرب علي حرب الله ، وسلم علي سلم الله .
- ٢- عنه ﷺ : يا علي ، حربك حربي ، وحربي حرب الله .
- ٣- قال رسول الله ﷺ : يا علي ، أنت فارس العرب ، وقاتل الناكثين والمارقين والنقاصطين ، وأنت أخي ، ومولى كل مؤمن ، وسيف الله الذي لا يخطيء .
وقوله ﷺ لعلي عليه السلام : « قاتل الله من قاتلك ، وعادى الله من عاداك » .
- قول النبي ﷺ : « تقاتل يا علي على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله »
- ٤- عنه ﷺ : أنا أقاتل على تنزيل القرآن ، وعلي يقاتل على تأويل القرآن .
- ٥- قال رسول الله ﷺ : يا علي ، ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق ،
فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني ! .

للطباعة والنشر والتوزيع



بئر العبد - خلف محطة دياب

تلفاكس : (+9611) 27 49 42 - (+9611) 55 29 00

جوال : (+9613) 80 01 49 ص.ب. : 25/91 بيروت - لبنان

E-mail : dar_asafwa@hotmail.com

ISBN 978-9953-545-55-4



9 789953 545554

Designed by R. Sedik